الفصل السادس والخمسون

مرت أيام وصحة واصل تزداد سوءاً، بدأ العمل يتدهور، وبدأ ينسى أكثر ويفقد وعيه أكثر فأكثر، ولكن شيئاً وأحداً لم يستطع نسيانه، سجال وساري.

عاد واصل إلى المنزل واستقبلته لمياء، كانت علامات التعب والإرهاق بادية على وجهه، قالت له: "هل العمل متعب إلى هذا الحد؟" نظر واصل إليها حيث انتبه أن التعب باد عليه فابتسم وقال: "العمل دائماً متعب، ولكن لا تقلقي عليّ سيكون كل شيء على مايرام" "هل أحضر لك العشاء؟" ابتسم واصل قائلاً: "ليست لدي شهية للأكل، سآكل فيما بعد" صعد واصل إلى غرفته، لم تكن لمياء مرتاحة أبداً لما يجري، إنها تعلم تماماً أن واصلاً لم يتعاف بعد.

دخل واصل غرفته ووضع حقيبته على الفراش، حدق بها قليلاً ثم أخرجٍ دريم منها، جلس على الفراش وحمل دريم وبدأ يخاطبه قائلا: "لماذا تسير الأمور هكذا؟ أنا لم أرد ذلك" ولكن دريم لم يتحرك ولم يبد أي ردة فعل. شعر واصل حينها أنه فعلاً يتحدث إلى آلة لا أكثر، لطالما كان دريم أكثر من ذلك في نظره. ضم واصل دريم بين ذراعيه وبدأ يبكي "لماذا عليك أن تكون معه؟ لماذا؟... أين أنا؟".

ظل الوضع هادئاً، عندها نهض واصل وفتح الحاسوب وكتب رسالة قصيرة إلى الدكتور في أمريكا "أخبرني إذا ظلت الأمور على هذه الحال، كم سنة يُتوقع أن أعيش؟" ثم أغلق الحاسوب وتمدد في الفراش إلى جانب دريم.

★★★

أنهت مرام الفصل الدراسي، كانت سعيدة جداً بذلك، شادن كانت أسعد منها، وزعت الحلوى على كل الجيران فرحاً، أخيراً ستتخرج مرام.

لمياء حصلت على الحلوى أيضاً، بذلك وصل الخبر إلى واصل، لقد أنهت مرام امتحاناتها وسيكون حفل تخريجها بعد أسبوعين.

كان كرم أسعد من واصل بذلك "أخيراً ستتزوج مرام، من يدري أي منا سيتزوج أولاً" ولكن واصلاً لم يكن يستطيع أن يقول شيئاً، كرم أحس طول الوقت أن واصلاً بات شارد الذهن وتعباً معظم الوقت، ولكنه لم يكن يرغب في سؤاله عن الموضوع ثانية.

واصل بات في عالم آخر، غالباً ما كان يفكر بسجال وساري ودريم والمستقبل "ربما لا تكون حكايتهما صحيحة منذ البداية، ربما لم يحضرا من المستقبل أصلا، إذن هل يريدان سرقة دريم؟ هل هذا كل ما في الأمر؟" نظر واصل إلى دريم "لقد صممتُ على صناعتك على أكمل وجه، أردتك الأفضل، هل أخطأت في شيء؟".

★★★

كرم خرج مع فرح إلى الملاهي، لعبا بعض الألعاب وتناولا الحلوى ثم ركبا الدولاب وتحدثا.

"لا أكاد أصدق أن والدتي سمحت لنا بالخروج بمفردنا دون أن تكون معنا" ضحك كرم دون أن يقول شيئاً، فقالت فرح: "إنها تحبك" قال كرم: "أعلم ذلك، لم أقل شيئاً يوحي بعكس هذا" ابتسمت فرح قائلة: "ما أخبار رند؟" "إنها تحضّر للامتحانات" "ألا تساعدها في ذلك؟" "بلى، يكون ذلك مهماً عند اقتراب امتحان الرياضيات،

الأمور الأخرى تستطيع تدبرها، إنها ذكيـة" نظـرت فـرح إلى الأسـفل حيث ارتفعا كثيراً وقالت: "المنظر جميل مـن هنـا" نظـر كـرم إلى فـرح قائلاً: "متى سنحدد موعد الزفاف؟" قالت فرح: "جدي يرغب في حضور الحفل، لديه بعض الأعمال يرغب في إنهائهـا بأسـرع وقـت ليسـتطيع الحضـور، آسـفة لـذلك" "لا بـأس، أردت فقـط أن أعـرف إلى متـى سيطول ذلك" نظرت فرح إلى حيث قدميها وقالت: "هل أنت في عجلة؟" ابتسم كرم قائلاً: "لقد طال الأمر كثيراً قبل الخطبة أيضاً" نظـرت فـرح إليه بخجل قائلـة: "ألا يسـتحق ذلـك بعـض العنـاء؟" ضـحك كـرم ثـم قال: "يستحق أكثر من ذلك" فرحت فرح لـذلك ثـم قـال كـرم: "في هـذه الأحوال ربما يوافق موعد زفافنـا موعـد زفـاف واصـل بمـرام" "هـل تحدث إليها؟" "إنـه ليس بحاجة إلى ذلك، إنهمـا يعرفـان بعضـهما منـذ زمـن، بـل وينتظـران هـذا اليـوم بفـارغ الصـبر" ابتسـمت فـرح قائلـة: "هـذا جميـل" ابتسـم كـرم قـائلاً: "لطالمـا ظـن الجميـع أنهمـا محظوظـان" نظـرت فـرح إلى الأسـفل حيـث بـدأ الـدولاب ينـزل فقالت: "أنت تتحدث عن واصل كثيراً، إنه شـخص مهـم بالنسـبة لـك فعلاً" نظر كرم إلى فرح وقال بهدوء: "إذا كنـتُ العائلـة بالنسبة لرنـد فهو العائلة بالنسبة لي، إنه يقف موقـف الصـديق والأخ، بـل أحيانـاً الأب والأم أيضاً" ابتسمت فرح قائلة: "لقـد رأيتـه مـرة واحـدة، يبـدو لطيفاً" "من الغريب أنـك لا تعرفينـه، إنـه مشـهور جـداً منـذ أيـام الجامعة" فكرت فرح قليلاً ثم قالت: "لقـد سمعـت عنـه، اسمـه مميـز جداً، ولكنني لم أكن مهتمة بالأمر" سكت كرم قليلاً ثم قال: "إنه ليس على ما يرام هذه الأيام، أشعر بالقلق عليه" "ماذا جـرى؟" "لسـت أدري، بعض الأمـور الغريبـة ظهـرت فجـأة مـن حيـث لم نتوقـع" لم

ترغب فرح بالحديث في ذلك أكثر فلم يكن يبدو على الحديث أنه سيكون مبهجاً. توقف الدولاب ونزلا، كانت هذه نهاية الرحلة، على فرح أن تعود إلى المنزل في الموعد الذي حددته والدتها، وعلى كرم أن يساعد رندَ في الدراسة للامتحانات.

★★★

حان يوم تخريج مرام، ارتدت ثياب التخرج والقبعة مسرورة تنظر إلى مرآة كبيرة في غرفة الجامعة، قدمت إليها ميساء تناديها: "سيبدأ الحفل! هيا بنا"



ركضت مرام مع ميساء لتجلس في الصالة على الكراسي المخصصة لهما.

نظرت مرام بين الحضور في كل مكان تبحث عن أمها والجدة، إنهما تجلسان على الزاوية، إلى جانبهما تجلس لمياء، نظرت مرام جيداً، لم يكن واصل إلى جانبها.

بدأ الحفل، بعد تلاوة القرآن وعروض ونشاطات مسلية حان وقت تسليم الشهادات، مرام لم تكن مرتاحة أن واصلاً لم يحضر الحفل، حتى أن نشاطات حفله كانت بلا شك أفضل من نشاطات هذا الحفل.

بدأ التسليم بمناداة أسماء الخريجين، بعد فترة نهضت مرام لسماع اسمها وسارت لاستلام الشهادة، شادن كانت تبكي بحرارة، الجدة كانت سعيدة برؤيتها تتخرج، ولمياء كانت تصفق لها.

استلمت مرام الشهادة وسط تصفيق الحضور، ثم التفتت لتعود إلى المقعد، عندها لمحت شخصاً يقف أعلى الحضور عند الكراسي الخلفية، إنه واصل، لقد حضر. فرحت مرام لذلك، وأخيراً أحست بسعادة التخريج ونظرت إلى الشهادة بين يديها، أخيراً تخرجت.

غادر واصل قبل نهاية الحفل وباركت لمياء عنه لمرام.

واصل واجه صعوبة في المغادرة عندما نادى أحد الطلاب: "هذا واصل! إنه واصل بلا شك" فنظر كل الطلاب إلى حيث واصل، لم يكن واصل في مزاج يحب فيه أن يتجمع الناس حوله، حاول الابتعاد بهدوء وكأنه لم يسمع شيئاً، ولكن هذا لم يجد نفعاً، بدأ الطلاب يتجمعون "هل حضرت لتغني للتخرج؟" "هل كان من المفترض أن تساهم في الحفل؟" "من منعك إذن؟" "كان الحفل سيكون أروع لو شاركت فيه" "مازلت أذكر حفل تخرجك، لقد بكيت كثيراً بعد

سماع الأغنية التي قدمتها"   "ظل صداها عالقاً في ذهني مدة شهر كامل"   "إذن ماذا جئت تعمل هنا؟"   "هل جئت من أجل مرام؟" لم يستطع واصل تحمل المزيد، خاصة عند ذكر اسم مرام، بات الوضع مشحوناً، سار واصل بسرعة أكبر وقال: "اعذروني، أنا في عجلة من أمري" ولكن أحداً لم يتراجع، بل حاول الكثيرون السير إلى جانبه، انزعج واصل لذلك فقفز من أعلى السور إلى الأسفل ليهرب من الجميع وأخيراً نجح في ذلك.

★★★

كانت مرام سعيدة جداً، تابعت الاحتفال مع والدتها والجدة في المنزل.

أما واصل فقد عاد إلى منزله يشعر بصداع شديد، فتح الحاسوب راجياً أن يجد إجابة مفيدة من الطبيب، فتح الرسالة فكان كل ما وجده "لا يستطيع أحد تخمين ذلك، ولكن لا تستخدم دريم" تذكر واصل الدكتور المشرف على مشروعه، لقد قال الشيء نفسه منذ زمن، لقد فات الأوان لكل ذلك.

فتح واصل حقيبته وأخرج دريم منها وبدأ يعمل فيه متجاهلاً كل تحذير، بل ومتجاهلاً أيضاً كل ما قاله سجال وساري.

★★★

مر أسبوع لم يقابل فيه سجال واصلاً، ولم يتحدث واصل بشيء إلى مرام أو حتى لمياء، كرم ما يزال يخرج مع فرح بين الحين والآخر ويقابل واصلاً الذي بات الإرهاق والتعب واضحاً عليه، ويدرب فنون

القتال في المنزل، ماهر أنهى امتحاناته أيضاً وبدأ يداوم في مركز كرم.

رند قابلت فرحاً عدة مرات، أدهشها أن تعلم أن فرحاً معجبة بسجال عندما رأت صورته في محفظتها، قالت رند: "إنه... صديقي" فرحت فرح لذلك كثيراً وقالت: "حقاً! هل تقابلينه؟" "كل يوم في المدرسة" "هذا رائع! لقد توقف عن الغناء فجأة مع أنه كان موهوباً حقاً" "لم يعجبه العمل مبكراً، لقد تعب" "من المؤسف فعلاً أن يترك العمل، ولكن إذا كان هذا أفضل له فهو حر" فرحت رند أنها تستطيع التحدث عن سجال أمام فرح، فهي لم تعد قادرة على ذكر اسمه أمام كرم.

أما كفاح فقد سنحت له فرصة بلقاء ساري عند الشاطئ مصادفة، نهض ساري ليغادر المكان ولكن كفاحاً قال: "إلى أين أنت ذاهب؟" قال ساري: "إلى أي مكان" قال كفاح: "ألا تريد أن تلعب؟" لم يبدُ على كفاح أنه تأثر بشيء مما جرى آخر مرة، نظر ساري إليه وقال: "سيقتلك أخوك إذا علم" قال كفاح: "إنه في المعمل، لن يعود قبل المساء، تعال لنلعب" لم يتوقع ساري شيئاً كهذا على الإطلاق، نظر إلى كفاح متعجباً وقال: "بعد كل ما جرى! هل أنت مصاب بفقدان للذاكرة؟" ضحك كفاح قائلاً: "أبداً، كل ما أردته أن نلعب قليلاً" ظل ساري واقفاً لا يدري ماذا يفعل، عندها اقترب كفاح منه وأمسك يده قائلاً: "هناك ملعب قريب، نستطيع أن نلعب كرة القدم" ابتسم ساري قائلاً: "لن يلعب الأولاد معي إذا شاهد أحدهم التلفاز" قال كفاح: "لا يشاهد الأطفال الأخبار في الغالب، لنجرب" نظر ساري إلى كفاح وقال: "أنت لست خائفاً مني؟" سكت كفاح قليلاً ثم قال: "لا أشعر أنه من المفترض أن أخاف" قال ساري منزعجاً: "لقد قتلت الكثيرين، أستطيع أن أقتلك في لحظة" ترك

كفاح يد ساري فأحس ساري أنه لم يرد أن يحدث ذلـك، ولكـن كفاحـاً قال: "هل كـان لـديك أصـدقاء؟" قـال سـاري بهـدوء: "لا" ابتسـم كفـاح وقـال: "جـرب ذلـك مـرة، لـن تخسـر شـيئاً" نظـر سـاري إلى كفـاح قائلاً: "أنت؟" "أجل، أنا" ابتسم ساري قائلاً: "لا أستطيع البقاء معك طويلاً، لديك أخ يمنعك من لقائي، ولدي من يمنعني من لقائك" "هل هو سجال؟" سكت ساري فقال كفاح: "إنه يفعـل ذلـك لأنـه يخشـى أن تؤذيني" "واصل يفعل الشـيء ذاتـه" "إذن أجـبني، هـل تنـوي أن تؤذيني إذا لعبنا معاً؟" سكت سـاري قلـيلاً ثـم قـال: "لا" ابتسـم كفـاح فرحاً وأمسك يد ساري وشده ليركض معه قائلاً: "إذن حُسم الأمر، هيـا لنلعب" ركض ساري حيث يركض كفاح، كان متعجبـاً مـن تصـرفاته! ولكنه يبعث في نفسه راحة غريبة لم يشعر بها من قبل في حياته.

وصلا الملعب ودخـلا ليلعبـا مـع الأولاد، لم يكـن الأولاد مـن نفـس مدرسة كفاح ومع ذلك كانوا يعرفونه لأنه ماهر في اللعب، أدخل كفـاح سارياً معه ليلعب، لا يبدو أن أحدهم قد تذكره أو شاهده من قبل.

لعبا معاً في فريق واحد، وشكلا ثنائيـاً بسـرعة، بـل إن سـارياً بـدأ يضـحك عنـدما يخطـئ كفـاح في التسـديد، أو يسـقط علـى الأرض مـن الحماسة في اللعب، لقد كان الوضع ممتعاً.

★★★

مرام في الجهـة الأخرى كانت تشعر بشـيء غريـب، لمـاذا لم يتقـدم واصل لخطبتها بعد؟ الشخص الوحيـد الـذي كانـت تسـتطيع مناقشـته الموضوع كانت أمها، التي كانت دائمـاً تجيـب: "لقـد قابلـت لميـاء عـدة مرات بعد التخرج، ولكنها لم تذكر شيئاً عن الموضوع، وعندما فتحـت

الموضوع استطاعت تغييره بسرعة" لم تعرف مرام ما تقول، كل ما تعرفه الآن أنها ستبحث عن وظيفة في إحدى الصيدليات.

★★★

عاد واصل إلى المنزل في المساء، لمياء كانت في السوق تشتري بعض الثياب، كانت قد حضرت العشاء له ولكفاح بينما كان مصعب نائماً.

جلسا على المائدة، واصل كان هادئاً يتناول الطعام دون أن يتحدث إلى كفاح، كفاح كان يفكر في شيء ما طول الوقت، بعد فترة قال: "لقد... قابلتُ سارياً" توقف واصل عن تناول طعامه ونظر إلى كفاح فقال كفاح: "لقد لعبنا معاً" قال واصل: "ماذا؟" قال كفاح: "لم أشأ أن أجعل الأمر سراً، لقد لعبنا في الحديقة مع الأولا..." قاطعه واصل قائلاً: "ماذا تظن أنك فاعل؟ أبعد كل هذا؟" قال كفاح: "لقد كان سعيداً، لقد قضى وقتاً ممتعاً معنا" ظل واصل ينظر إلى كفاح لا يصدق ما يسمع، طأطأ كفاح رأسه قائلاً: "أنا آسف، أعلم أنك لن تقبل بهذا" قال واصل: "لست أفهم كيف تقوم بشيء كهذا! لقد أخبرتك أنه قاتل! ماذا تظن أنك تفعل؟" قال كفاح: "أعطيه فرصة، إنه يلعب لأول مرة في حياته" "سبق أن أخبرتك أنك لستَ مَن يفترض أن يعطيه مثل هذه الفرصة، إنه أخطر مما تظن! ثم... إنه يؤذيك بسببي، ماذا تظن أنني سأفعل إذا حدث لك مكروه؟ كل ذلك سيكون بسببي!" قال كفاح: "كلا، أنا أفعل ذلك بإرادتي" "لستَ حراً في ذلك" سكت كفاح وأخذ ينظر إلى طبقه، تنهد واصل ثم قال: "هل ستقابله ثانية؟" لم يقل كفاح شيئاً فنظر واصل إليه وقال: "أنت لست طبيعياً" قال كفاح: "ما الفرق بينه وبين سجال؟" نظر واصل إلى كفاح الذي نظر إليه وتابع

قائلاً: "ساري يخشى سجالاً، إنه أفظع منه" نظر واصل إلى طبقه وقال: "أجل هذا صحيح، سجال يبدو أقوى وأشد من ساري" "إذن لماذا يختلف الوضع مع سجال؟ لماذا تعامله بطريقة مختلفة؟ لماذا ترجو له أن يتحسن وضعه بينما تعادي سارياً؟" قال واصل بهدوء: "أنا لا أعادي سارياً، أنا قلق عليك فقط، ثم... من قال أنني أريدك أن تقابل سجالاً؟" نظر كفاح إلى واصل الذي تابع قائلاً: "لم أكن أعرف أنه هكذا، لطالما ظننت أنه مظلوم، بت لا أعرف ما يجري" فتح كفاح فمه ليشرح لواصل، ولكن واصلاً قال: "ولا أريد أن أعرف" سكت كفاح فقال واصل: "لم يجلبا لي سوى المتاعب، هذا كل ما أعرفه" لم يعد لدى كفاح ما يقول، إنه فعلاً يظن أن سارياً قد تغير، إنه سعيد برفقته، ولكن واصلاً لن يقتنع بشيء كهذا على الإطلاق، ولا يلومه على ذلك.

نهض واصل دون أن يكمل طعامه، شعر كفاح أنه السبب في ذلك، نهض وبدأ ينظف الطاولة.

واصل جلس في غرفته يفكر "لطالما ظننتُ أن سجالاً مظلوم وأن سارياً هو السبب، ولكن نظرات سجال تجاه ساري وخوف ساري منه جعلاني أراجع أفكاري. سجال كان دائماً واثقاً أن سارياً أضعف منه، كان فقط قلقاً على عائلة عمرو منه، ولكنه لم يكن قلقاً على نفسه. وبعد كل هذا يأمر سارياً أن يحصل على دريم!" عندها طرق الباب، دخلت لمياء الغرفة حاملة بعض الأكياس مسرورة، نهض واصل قائلاً: "كيف كان التسوق؟" قالت لمياء سعيدة: "كان أكثر من رائع، انظر ماذا جلبت" باشرت بفتح الأكياس وأحداً تلو الآخر، كان هناك الكثير لواصل، قمصان وبذلات جميلة، حتى أنها اشترت عطراً له أيضاً، ضحك واصل قائلاً: "ماذا جلبت لنفسك؟" ابتسمت قائلة: "أكياسي في

غرفتي، لا تقلق علي" ضحك واصل قائلاً: "ظننت أنكِ آثرتِ شراء الأشياء لنا" قالت: "ماذا تريد أكثر من هذا؟" ضحك واصل قائلاً: "أبداً، بصراحة لم أكن أعلم أنك ستشترين شيئاً لي" حمل زجاجة العطر وشم رائحتها فقالت: "لقد اشتريتها لك من قبل، هل تذكر؟" قال واصل: "كلا، ولكنها جيدة" قالت لمياء: "احترت أي رائحة أشتري فتذكرت أنك كنت تستخدم هذه كثيراً، ظننت أنك أحببتها" "أجل إنها زكية".

بعد فرد الثياب هنا وهناك نظر واصل إليها قائلاً: "ما مناسبة كل هذا؟" قالت لمياء: "أنا لم أشتر شيئاً منذ زمن، ثيابك باتت قديمة" "إنها جيدة حتى لو كانت قديمة" نظرت لمياء إليه فقال: "لا أعني أنني لست بحاجة إلى كل هذا" ابتسمت لمياء ثم حملت بجامة من بين مشترياتها قائلة: "تستطيع تجريب هذه البجامة" "الآن؟" "فوراً".

استبدل واصل البجامة الجديدة بثيابه، لمياء كانت سعيدة جداً بذلك، علقت الثياب الأخرى في الخزانة فخورة بما انتقت، واصل كان سعيداً بسعادتها رغم أنه لم يكن يشعر أن هناك داعياً لكل هذا.

نظرت لمياء إليه قائلة: "إنها تناسبك تماماً" قال واصل: "لا أذكر أنك أخطأت في مقاسي يوماً" ابتسمت لمياء قائلة: "جميل أنك تقدر هذا" ابتسم واصل لحماسة والدته وجلس على الفراش يراقبها ترتب الخزانة بالثياب الجديدة، عندها قالت: "هل تريدني أن أتحدث إلى شادن بشأن مرام؟" زالت الابتسامة عن وجه واصل فوراً، نظرت لمياء إليه قائلة: "ماذا تنتظر؟" قال واصل: "لا أنتظر شيئاً" "إذن تستطيع أن تطلب مني أن أتحدث إليها" لم يقل واصل شيئاً فأغلقت لمياء

الخزانة وجلست إلى جانبه على الفراش وقالت: "ما الأمر؟" ابتسم واصل قائلاً: "ظننت أنك الوحيدة التي تعرفين" قالت لمياء: "بشأن مرضك؟" لم يقل واصل شيئاً فقالت لمياء: "لن يكون هذا السبب الذي يجعلك تتجاهل مرام" قال واصل: "أنا لا أتجاهلها، كل ما في الأمر..." سكت واصل فقالت لمياء: "ما الذي تفكر فيه؟" قال واصل بهدوء: "لا أستطيع أن أخبرها" قالت لمياء: "من حقها أن تعرف" نظر واصل إلى أمه قائلاً: "أعلم ذلك، هذه هي المشكلة" قالت لمياء: "هل تخشى أن ترفض؟" سكت واصل وبات ينظر إلى أي شيء إلا والدته، قالت لمياء: "قد لا ترفض" قال واصل: "وقد ترفض" قالت لمياء: "لن تعرف الجواب إذا لم تسأل" لم يقل واصل شيئاً، عندها وضعت يدها على كتفه قائلة: "صدقني لا تستطيع أن تعرف كيف تفكر الفتيات" قال واصل: "إنها تستحق أن تعيش سعيدة، إنها رائعة ويتمناها أي شاب" ابتسمت لمياء قائلة: "ليس هناك أحد كامل، يجب أن يعلم كلاكما ذلك" قال واصل: "ولكنني لم أكن مريضاً" قالت لمياء: "ليس هذا هو المهم، المهم ألا تظن أيضاً أن مرام كاملة" سكت واصل فقالت لمياء: "يجب أن يفهم كلاكما أنكما ستتعرفان على بعضكما أكثر بعد الزواج، حينها عليكما أن ترضيا، ستكتشفان صفات لم تكونا تعرفانها" لم يقل واصل شيئاً فهو يعرف ذلك، ولكن الوضع مختلف عندما يتعلق الأمر بمرض مزمن. قالت لمياء: "أهم شيء ألا تظن أنك لست أهلاً لذلك، إذا لم تجتز هذه الخطوة فلن تقدم على شيء" تذكر واصل كيف كان كرم يشعر أنه أقدم على زواج أعلى من مستواه، وأنه كان دائماً يحاول أن يقنعه أن لا يقلل من شأنه، الشيء نفسه يحدث الآن له، ولكن... قالت لمياء: "لا تضغط على نفسك كثيراً، عليك أن تعرف أن الله كتب لك الخير، إذا لم

يكن الخير في مرام زوجة لك فلن تصبح، وليس عليك أن تبتئس" قال واصل: "إذا رفضت مرام الزواج بي فلا أظن أن أحدهم سيقبل" ابتسمت لمياء قائلة: "هذا غير صحيح، لماذا تفكر هكذا؟" "لأن مرام تعرفني منذ زمن، لأننا نعلم أننا سنتزوج، لأن علاقتي بها أقوى من أي فتاة" ابتسمت لمياء قائلة: "هذه ليست قاعدة، لا تستطيع أن تقارن جميع الفتيات بمرام حتى وإن كانت تعرفك، فرحٍ مثلاً لم تتزوج ثرياً على الإطلاق" طأطأ واصل رأسه وهو يعلم أن كرماً كان أكبر مثال يجب أن يفكر فيه، تابعت لمياء قائلة: "لقد اختارت أن تعيش حياة بسيطة، هل كنت تتصور أن تقبل؟" قال واصل: "كرم لا ينقصه شيء، النقود ليست كل شيء" ضحكت لمياء قائلة: "هل تظن فعلاً أن كرماً كامل؟" نظر واصل إلى لمياء التي قالت: "أنت ترى ذلك لأنك تحبه، دعني أذكرك، كرم مسؤول عن أخت، ستظل طول الوقت معٍ من سيتزوج، ودعني أذكرك أن أخته هي رند التي تغار عليه كثيراً ولا تستطيع أي فتاة مجاراتها، دعني أذكرك أنه ليس له عائلة وليس لديه اسم يفتخر به، دعني أذكرك أنه ليس غنياً وأنك أغنى منه بكثير، أين ترى الكمال في كرم؟" سكت واصل، كل ما تقوله أمه صحيح، ولكن مايزال الأمر يتعلق بصحته. قالت لمياء: "أنت تظن أن وضعك الآن أسوأ منه، أفهم ذلك إذا نظرت من وجهة نظرك أنت، ولكن عندما تنظر من وجهة نظر مرام، فأنت أفضل من كرم بكثير بكل تأكيد" ابتسم واصل فقالت لمياء: "سأنتظر ردك" نهضت وقبلت جبين واصل وغادرت الغرفة.

واصل تمدد على الفراش، ابتسامته تلاشت قليلاً حيث فكر "ليس من السهل أن تقول ذلك ولكن، هي لا تعلم مدى المعاناة" نظر واصل إلى

دريم "إذا كنت سأتقدم لخطبة مرام فعليها أن تعلم كامل الحقيقة، من سيقبل أن يعيش مع شخص قد لا يعيش أكثر من خمس سنين؟".



★★★

في اليوم التالي قابل سجال سارياً قبل الذهاب إلى المدرسة، جلسا في الغابة قليلا، قال ساري: "ماذا تنوي أن تفعل الآن؟" قال سجال: "سأتابع ما أخبرتك به" "أنت تثق به كثيراً" "هذا أملنا" "أستغرب كيف تثق به! لم يجلب سوى المتاعب" "إنه لا يدري ذلك" "ربما يعرف" نظر سجال إلى ساري قائلاً: "إنه لا يعرف" قال ساري: "أنت تدافع عنه لأنك تحبه" "إلى متى ستظل تلقي اللوم على واصل؟ ليس هو السبب فيما يجري معك" نهض ساري قائلاً: "هذا ليس من شأنك، أنا من يقرر أين أضع ثقتي" ابتسم سجال قائلاً: "ووضعتَها في والدي" "قلتُ لك هذا ليس من شأنك" نهض سجال قائلاً: "أتمنى فقط ألا يقودك ذلك إلى التهلكة" "هذا ينطبق عليك أيضاً" نظر سجال إلى ساري قائلاً: "ولكنك معي في ذلك أليس كذلك؟" "إلى أن نجد طريقة أخرى، نعم" ابتسم سجال قائلاً: "علي الذهاب الآن، أراك بخير". ذهب سجال إلى المدرسة تاركاً سارياً في الغابة يفكر فيما يفعلانه "هل سيقتنع؟ هذا مستحيل".

★★★

واصل كان في المعمل، كان على الأقل مستيقظاً هذا اليوم، سار بين العمال ولكن كان الجميع يظن أنه بات غريب الأطوار.

أثناء العمل حضر كرم لزيارة واصل، نزل إلى حيث العمال، كان صوت الآلات مرتفعاً جداً ومع ذلك كان يسمع صوت صراخ "ارتدِ الخوذة!" "لست بحاجة إليها!" "أنت بحاجة إليها، يجب أن ترتديها!" صرخ العامل ساخراً: "تحتاج ثمنها لتعيد بناء المعمل!" "المعمل على أحسن ما يرام!" "حقاً! لا أظن ذلك!" نظر كرم إلى

المتحدثين، كان واصل يجادل أحد العمال، العامل كـان يلـوح بـالخوذة لواصل. نزل كرم ليقترب منهما ولكن العمال كانوا قد تركـوا مـواقعهمٍ وتجمعوا حول الاثنين، قال أحد العمال: "هذا يكفي، لن تخسـر شـيئاً بارتداء الخوذة" قال العامل غاضباً: "يظـن أنـه بهـذه الأمـور الصـغيرة يستطيع أن يصبح أغنىٍ" قال عامل آخر: "إنـه لم يقـل شـيئاً كهـذا مـن قبل" صرخ العامل قائلاً: "لماذا ينام أثناء العمـل؟ هـل يظـن أنـه يتعـب أكثر منا؟" لم يستطع واصل قول أي شيء فقال أحد العمـال: "يجـب أن لا تحكم عليه هكذا، ربمـا يتحمـل مسؤوليات أخـرى" صـرخ العامـل قائلاً: "أكثر من عائلة بسبعة أنفـار ينتظـرون الخبـز ليعيشـوا؟" طأطـأ واصل رأسه فتابع العامل قائلاً: "أكثر من أصوات بكـاء الصـغار الجيـاع يوقظه كل ليلة؟ أكثر من مصاريف الدولة تطارده كل يـوم وقـد تدخلـه السجن في أية لحظة؟" رفع واصل رأسه قائلاً: "ألم أزد لكـم الأجـر؟ ألم أعطكم طعاماً مجانيـاً؟" "هـل تظـن أنـه كـاف؟ أراهـن أنـك تشـتري حذاءك بسـعر راتـب عشـرة منـا!" أمسـك أحـد العمـال كتـف العامـل قـائلاً: "هـذا يكفـي، لم يكـن وضـعنا أفضـل في السـابق" صـرخ العامـل قائلاً: "سنظل هكذا طول حياتنا، قد لا أهتم بما يجري لي، ولكن لدي من أهتم لأجلـهم، مـاذا سـيفعلون عنـدما أرحـل عـن هـذه الـدنيا؟" لم يستطع واصل قول أي شيء، حتى إن كان ينوي زيادة العمال فإن حـال المعمـل متـدهور ولا يسـتطيع أن يصـرف مـن نقـوده الكـثير. قـال واصل: "حسناً، أفهم ما تقول ولكن، لا أستطيع زيادة أجركم في الوقـت الحالي، المعمل ليس في حالة جيدة، ولكنني أعـدكم إذا تحسـن الوضـع سأرفع أجوركم فوراً" فتح العامل فمه للجـدال ولكـن العمـال الآخـرين أمسكوه وسحبوه بعيداً عن واصل.

بعد أن ابتعد العمال شاهد واصل كرماً يقف خلفهم لم يستطع أن يتقدم أكثر، لم يكن يريد أن يشاهد كرم كل هذا، كرم شعر أنه ما كان عليه أن يكون هنا في هذه اللحظة، ولكن لربما يكون باستطاعته فعل شيء ما. نظر واصل إليه قائلاً: "كما ترى، لا أستطيع الجلوس معك للحديث، يتوجب علي فعل الكثير" قال كرم: "منذ متى كانت هذه حال المصنع؟" "في الآونة الأخيرة فقط" "إذا أردت أية مساعدة فأنا جاهز" ابتسم واصل قائلاً: "شكراً، يجب أن أتدبر الأمر بنفسي، الوضع داخلي كما رأيت" كان الوضع سيئاً فعلاً، لم يتخيل كرم ذلك، نظر واصل إليه قائلاً: "سأزورك عندما ينتهي العمل" "حسناً، سأنتظرك".

غادر كرم المعمل وهو يرجو لواصل التوفيق، واصل كان مستاء من كل ما يجري، لم يعد يعرف كيف يفكر.

★★★

عادت مرام إلى المنزل تخبر أمها أنها حصلت على عمل في نفس الصيدلية التي كانت تتدرب فيها، شادن فرحت لذلك كثيراً ولكن كان من الواضح أن كلتيهما كانتا ماتزالان تفكران بواصل.

عند المساء أراد سجال أن يغادر المنزل، نظر إليه عمرو قائلاً: "إلى أين؟" قال سجال: "سأقابل واصلاً" "أليس الوقت متأخراً؟" "إنه ينهي عمله الآن، لن أتأخر".

فعلاً خرج واصل من المعمل وسار في طريقه إلى منزل كرم، كان يفكر طول الوقت "كل تصرفاتي باتت تقلق من حولي، لابد أن والدتي قلقة جداً، وكرم بات يقلق أيضاً، يجب ألا أؤثر بهما" توقف واصل عن

المشي وأخذ نفساً عميقاً وابتسم "إذا ابتسمت طول الوقت سيكون ذلك أفضل لهما بكل تأكيد" ولكنه ما إن نظر أمامه حتى تلاشت ابتسامته رغماً عنه، كان سجال يقف على زاوية الطريق ينتظره.

مشى واصل بهدوء إلى حيث يقف سجال، قال سجال: "مرحباً" قال واصل متثاقلاً: "أهلاً" ابتسم سجال قائلاً: "ما الأمر؟ لا تبدو سعيداً برؤيتي" نظر واصل إليه قائلاً: "ولماذا أسعد باقتراب المشاكل؟" ابتسم سجال وطأطأ رأسه قائلاً: "في هذه معك حق، أنا لا أجلب سوى المشاكل" مشى واصل فقال سجال: "ولكنني لم أنته بعد" توقف واصل ونظر إلى سجال خلفه فقال: "لا أريد أن أسمع أي جديد" قال سجال: "لا يوجد ما هو جديد، كل ما أردته أن أعقد اتفاقاً معك" استدار واصل ليواجه سجالاً قائلاً: "اتفاق كالذي عقدته مع ساري؟ أبداً" قال سجال: "لا تقلق لن يتأذى أحد من هذا الاتفاق، كل ما هنالك أنني أريدك أن تساعدني" "في ماذا؟" "في البقاء على قيد الحياة" سكت واصل فقال سجال: "إذا عدت إلى المستقبل فإنني سأموت فوراً، أنت تعلم الآن بيد ماذا سأموت" أشاح واصل برأسه، فهو يعلم أن سجالاً يقصد دريم، تابع سجال قائلاً: "كل ما أريده ألا أموت على يده، بذلك تنقذ حياتي" "كيف لي أن أنقذ حياتك؟" سكت سجال قليلاً ثم قال: "لقد وصلتُ إلى قناعة أخيرة أنني وساري لا نستطيع أن نغير أي شيء في المستقبل، ولكن... ولكن هذا لا ينطبق على مستقبلنا نحن، أنا وساري نستطيع أن نغير شيئاً قد يساعدنا عندما نعود" "مثل ماذا؟" "مثل دريم، تستطيع أن تساعدنا" بدأ صبر واصل ينفد فقال: "ما الذي تريده بالضبط؟" قال سجال: "هل تستطيع أن تصمم دريم بأسلوب لا يستطيع أحد استخدامه غيرك؟" قال واصل: "أردت أن

أفعل ذلك منذ البداية ولكنني لم أعرف الطريقة" قال سجال: "من العبث أن تبحث عنها الآن، لأنني أعلم أن والدي استخدمه، لن تستطيع تحقيق ذلك" "ماذا تريد إذن؟" نظر سجال بهدوء إلى واصل وقال: "قنبلة" لم يفهم واصل ما يعني سجال فوضح سجال : "يجب أن تزرع قنبلة في جسد دريم، في مكان لا يمكن لأحدهم أن ينزعها أبداً، إما أن توقتها إلى اليوم الذي أعود فيه إلى المستقبل بالضبط، أو أن تلحقها بجهاز يعمل على تشغيلها متى شئت" "لقد جننت!" ابتسم سجال دون أن يقول أي شيء، قال واصل: "أنت تحلم! لن أزرع قنبلة في جسد دريم مهما كان السبب" "حتى وإن كانت حياتي تعتمد على ذلك؟" سكت واصل قليلاً ثم قال: "ليس هناك دليل على شيء مما تقول" نظر سجال إلى واصل قائلاً: "أنت لا تصدقني؟" قال واصل: "أصدقك إلى أن تلومني على أشياء لم أفعلها، لا أريد أن أصدق شيئاً مما تقول عني" "وهل تصدق أنني من المستقبل منذ البداية؟" "هذا ليس مهماً، إنه شأنك وحدك" سكت سجال، بات الوضع سيئاً، على الأقل كان واصل يصدقه من قبل، الآن اهتزت ثقته به تماماً. ابتسم سجال قائلاً: "هذا وضع مختلف" "لقد اختلف منذ زمن، ليس لكفاح علاقة بكل ما يجري، هل تفهم؟" ابتسم سجال قائلاً: "لم يحدث شيء لكفاح، ثم ساري هو من كان يضايقه ولست أنا" "لا فرق" زالت الابتسامة عن وجه سجال عندما شعر أن واصلاً الآن يراه وساري في نفس الكفة. استدار واصل وتابع سيره دون أن يقول أي شيء، سجال ظل واقفاً مكانه، لم يسر شيء على ما يرام، عندها تدلى ساري من على جذع شجرة وقال: "أخبرتك ألا تثق به" قال سجال: "سأفعل ما أفكر به مهما كلف الثمن"



نزل ساري عن الشجرة ونظر إلى سجال الذي يبدو الإصرار في عينيه وهو يقول: "لن أموت على يد دريم مهما كان الثمن".

★★★

فرح كانت في المنزل تختار أي ثوب ستلبس عندما تخرج مع كرم في الغد، طرق الباب ودخلت والدتها قائلة: "جاءت ميساء لزيارتك" فرحت فرح لذلك وقالت: "تستطيع أن تدخل".

دخلت ميساء الغرفة ونظرت حولها إلى مجموعة الثياب في كل مكان فقالت: "ماذا هناك؟" قالت فرح: "أبداً، فقط أفكر أي ثوب سأرتدي غداً" نظرت ميساء إليها قائلة: "لماذا كل هذا؟" قالت فرح: "لا شيء، أنا أفعل ذلك كل مرة أخرج فيها مع كرم" قالت ميساء: "هل هو من النوع الذي ينتبه إلى ما تلبسين؟" فكرت فرح قليلاً ثم

قالت: ″حسناً... لا أظن ذلك″ ضحكت ميساء قائلة: ″إذن لماذا كل هذا؟″ قالت فرح: ″ألا تظنين أن هذا ممتع؟″ ابتسمت ميساء مشيرة إلى ثوب وقالت: ″البسي هذا، لونه جميل″ قالت فرح: ″لبست ثوباً يشبهه المرة الماضية″ نظرت ميساء إلى فرح قائلة: ″لماذا تشترين ثوبين يشبهان بعضهما؟″ ابتسمت فرح قائلة: ″إنه اللون فقط″ أشارت ميساء إلى ثوب آخر قائلة: ″إذن البسي هذا، سيكون جميلاً عليك″ سكتت فرح قليلاً فقالت ميساء: ″ما الأمر؟″ قالت فرح مترددة: ″هذا هدية من ابن عمي، ماذا إذا سألني كرم...″ قاطعتها ميساء قائلة: ″لن يسأل، أنت تقولين أنه لن ينتبه″ قالت فرح: ″ماذا إذا انتبه هذه المرة؟″ قالت ميساء: ″إذن اختاري بنفسك، لقد عجزت!″ قالت فرح: ″الأمر ليس سهلاً″ قالت ميساء: ″هناك مهرجان سيقام في الحديقة غداً، هل تذهبين معي؟″ سكتت فرح ودون أن تنظر إلى ميساء فهمت ميساء ما يجري فقالت: ″ستذهبين مع كرم أليس كذلك؟″ أشارت فرح بالإيجاب فقالت ميساء: ″هل هناك مكان لم تذهبا إليه؟″ أشارت فرح بالنفي، تمددت ميساء على الفراش قائلة: ″إذن علي أن أنتظر حتى تملي منه لتخرجي معي″ نظرت فرح إليها قائلة: ″هذا ليس لطيفاً″ قالت ميساء: ″كنت أمزح، أظن أنه علي أن أطلب من مرام الخروج معي″ ″ما أخبار مرام؟″ ″لقد استلمت وظيفة جيدة″ سكتت فرح فنهضت ميساء من الفراش قائلة: ″كلا ليس بعد″ نظرت فرح إلى ميساء التي قالت: ″لم يخطبها واصل بعد، لست أدري ماذا ينتظر، مرام لا تحب الحديث في هذا الموضوع″ ″هل حدث شيء بينهما؟″ ″ظننت أنك ربما تعرفين من كرم، أود مساعدة مرام فعلاً″ ″لم يمض وقت طويل على تخرجها، عليها أن تصبر قليلاً″ ″الوقت ليس ما تفكر فيه، السبب

هو الأهم" لم تعرف فرح ما تقول، هي فعـلاً لا تعـرف شـيئاً، تمنـت فعلاً أن تساعد مرام، ولكن ليس هناك ما تستطيع فعله.

★★★

كرم كان يساعد رندَ على حل مسألة في الرياضيات عندما طرق واصل الباب، أغلقت رند الكتاب منزعجة ونهضت إلى غرفتها دون أن تقـول شيئاً، واصل كان يقف خلف الباب يحاول أن يبتسم، كرم فـتح البـاب واستقبل واصلاً الذي كان قد استطاع أن يبتسم فعلاً.

جلسا معاً في الصالة أمام التلفـاز، وضـع كـرم العصـير والبسـكويت وبـدآ الحـديث حـول الكـثير مـن المواضـيع، حتـى أنهمـا تـذكرا أيـام الجامعة في بعض الأحيان.

سأل كرم واصلاً عن حال المعمل، واصل كان مـا يـزال مبتسـماً، ولم يكن ينوي أن يذكر أي شيء سيء في هذه الزيارة "كل شيء سيكون على مـا يـرام، لـيس مـن السـهل أن تكـون الأصـغر بيـنهم" ضـحك كـرم قائلاً: "أصغر! أنت بعمر أحفادهم" ضحك واصل قائلاً: "ربما".

استمر الحـديث وكـل شـيء علـى مـا يـرام، كانـا يضـحكان معظـم الوقت، تحدث كرم عن جلساته مـع فـرح، عـدد الأمـاكن الـتي تنزهـا فيـها، الثياب التي اشترتـها، بعض المواضيع التي تحـدثا فيهـا، وكمـا توقع واصل فـإن هـذا لموضـوع سيقودهما إلى الحـديث عـن مـرام. قـال كرم: "هـل تنـوي أن تخطـب مـرام بعـد أن أتـزوج؟" نظـر واصـل إليـه يقول: "لماذا تفكر بهذه الطريقة؟" "ظننت أنك ربما تريـد أن تطمـئن عليّ أولاً، فأنا كالأخ" ابتسم واصل قائلاً: "هـذا ظريـف" "مـاذا إذن؟ هل تحدثت إلى مرام؟" بـدأ الوضـع يسـير بشـكل لم يـرده واصـل فعـلاً

"كلا، ليس بعد" اقترب كرم من واصل قائلاً: "ماذا تنتظر إذن؟ أن تبدأ هي بالكلام؟" "بالطبع لا!" "ماذا إذن؟" سكت واصل لا يدري ما يقول، بل لا يريد أن يتحدث حول هذا الموضوع، قال كرم: "هل تعلم مرام لماذا لم تتقدم للزواج بعد؟" "كلا، هل أطلب منك طلباً، لا أريد التحدث في هذا الموضوع" تراجع كرم سانداً ظهره على الأريكة ثم قال: "أنا لا أحب أن أفاتحك بموضوع لا تحبه، ولكن... أظن أن مرام تنتظرك" لم يقل واصل شيئاً، كان ما يسمع مزعجاً جداً، ولكن كرماً تابع قائلاً: "قد لا أكون معنياً بالأمر ولكنني على الأقل أحس، لابد أن مرام منزعجة لما يجري والحق معها" ابتسم واصل قائلاً: "أنت تقف في صفها ضدي؟" اقترب كرم من واصل ثانية وقال: "هذه ليست معركة، ليس هناك ضد في الموضوع، ولكن إذا أردتَ أن أقول الصدق، في هذه الأثناء سأكون إلى صف مرام" حدق واصل في كرم فترة، كرم حدق به أيضاً دون أن يرمش لحظة، ابتسم واصل حينها وقال: "ألم أقل لك أن أي فتاة ستتمنى الزواج بك، أنت دائماً تفكر بحنان" فتح كرم فمه للكلام ولكن واصلاً قاطعه قائلاً: "قلت لك لا أريد التحدث في هذا الموضوع، أرجوك، إذا استمر ذلك فسأغادر" سكت كرم لم يستطع أن يتابع فعلاً، بصعوبة غيرا الموضوع وتابعا الحديث، ولكن الوضع كان متوتراً ومشحوناً طول الوقت إلى أن غادر واصل المنزل.

عاد واصل إلى المنزل ليجد شادن هناك تجلس مع لمياء، كان حديثه مع كرم كافياً لهذا اليوم. رحب بشادن بكل هدوء وصعد إلى غرفته، شادن لم تكن قد تحدثت إلى لمياء بعد عن الموضوع، لمياء كانت متوترة لما يجري، واصل تهرب من الجلوس بشكل واضح، فقد كان غالباً ما يمزح ويضحك معهما.

غادرت شادن ولم تخبر مرام أنها قابلت واصلاً أبداً، فلم يكن هذا خبراً ساراً على الإطلاق.

★★★

الفصل السابع والخمسون

في اليـوم التـالي غـادر الأولاد المدرسـة بعـد انتهـاء الـدوام، كفـاح كالعادة ذهب للعب الكرة مع الأولاد، ولكنـه لم يـذهب وحـده، كـان ساري معه هذه المرة أيضاً.

لعب كفاح وساري في نفس الفريق وحققا فـوزاً كـبيراً، كـان سـاري سعيداً بذلك، كفاح كان متحمساً جداً فسعادته لا توصف.

سجال كان يسير في الغابة يبحث عن سـاري دون فائـدة، ذهـب إلى حيث منزل والديه ولكنه ليس هناك أيضاً "أين هو يا ترى؟".

سار سجال قرب الملعب حيث يلعب كفاح، رغم أنـه كـان بعيـداً إلا أنه استطاع لمح ساري يلعـب بـين الأولاد! ركـض سـجال إلى الملعـب و انتبه ساري أنه رآه، توقف ساري عن اللعـب فجـأة فنظـر كفـاح إليـه قائلاً: "ما الأمر؟" لم يجب سـاري وظـل ينظـر في نفـس الاتجـاه، نظـر كفاح إلى حيث ينظر ساري فـرأى سـجالاً يسـير متجهـاً إليهمـا، قـال ساري: "سأغادر الآن" أمسك كفاح يد ساري قائلاً: "ليس عليك أن تفعل ذلك لأحد" قال ساري: "إنه لن يصدق ما يجري" "ليس مهماً" ولكـن ساري أبعد يد كفاح وسار مغادراً الملعب إلى حيث سجال.

ما إن وصل ساري إلى سجال أمسكه سجال بقوة قـائلاً: "مـاذا تنـوي أن تفعل؟" قـال سـاري ببسـاطة: "لا شـيء" "ألا تكـف عـن مضـايقة الآخرين؟" "هذا ليس من شأنك" "إياك أن تقترب من كفاح، هو لا ذنب له في كل ما يجري" لم يقل ساري شيئاً. كفـاح كـان ينظـر إليهمـا من بعيد، عندها لم يحتمل الجلوس بعيداً وركض إليهما. لاحظ سجال

اقتراب كفاح فترك سارياً.

قال كفاح لسجال فور وصوله: "ماذا تفعل؟ لقد كنا نلعب" نظر سجال إلى ساري وهو لا يصدق أنه يمكن أن يفكر في اللهو واللعب خاصة الآن! قال كفاح: "لماذا لا تريد تصديق ذلك؟ لقد كنا نلعب" ابتسم سجال ابتسامة ساخرة وقال: "هذا أسوأ وقت للعب" قال كفاح منزعجاً: "لماذا تقول ذلك؟ تستطيع أن تلعب أنت أيضاً معنا" نظر سجال إلى كفاح، يبدو أنه بات الشخص الغريب هنا، قبل أيام فقط كانا مع رند يشكلان ثلاثياً مميزاً، الآن بات ساري كل ما يشغل كفاحاً، بل وبات سجال المشكلة أمامه، لماذا ينقلب كل شيء ضده فجأة؟ قال سجال: "انس الأمر، كن حذراً فحسب" غادر سجال المكان تاركاً كفاحاً وسارياً، ساري كان هادئاً طول الوقت، أمسك كفاح يده قائلاً: "تستطيع أن تفعل ما تشاء هنا، لا تقلق بشأنه" قال ساري: "كلا، أنا لا أستطيع أن أفعل شيئاً يغضب سجالاً" "لماذا؟" لم يقل ساري شيئاً، كان سجال يفكر بطريقة ينجوان فيها بينما هو يلعب هنا وهناك، سجال ضحى بالكثير من الأمور إلى الآن بينما لم يفعل ساري أي شيء يذكر، لابد أن يكون سجال منزعجاً.

★★★

في المساء عاد واصل إلى المنزل، قبل أن يدخل من الباب لمح مرام تدخل منزلها أيضاً، كان من الواضح أن كليهما قد رأى الآخر، ولكن أحدهما لم يقل شيئاً ودخلا المنزل بهدوء.

واصل تمدد في فراشه منزعجاً بينما دخلت مرام المنزل وبدأت تبكي بحرارة، ركضت شادن إليها لتعلم ما يجري، الجدة أيضاً اقتربت

مستخدمة الكرسي المتحرك، مرام أخبرت والدتها بما جرى وكيف لم ينطق واصل بأي كلمة ودخل المنزل بهدوء كأنه لم يرَ أحداً. عانقت شادن مرام التي تابعت البكاء، لم يكن لدى شادن ما تقول، هي نفسها لا تدري ما يجري. ظلت الجدة تنظر إليهما وقالت: "لا شيء كامل" لم تكن مرام تود سماع شيء كهذا، فهذا يزيد الأمر سوءاً. حاولت شادن تهدئتها، وصعدت بها إلى الغرفة لتنام قليلاً بينما ظلت الجدة مكانها تحدق بالباب حيث كانت مرام تبكي كأنها تذكرت أشياء كثيرة مرة واحدة.

★★★

ظل واصل في غرفته ولم يتناول الطعام أيضاً، بعد فترة رن هاتفه حيث كان كرم، رفع واصل السماعة: "نعم كرم" "أين أنت؟" "في المنزل" "ماذا تفعل في المنزل؟" لم يعرف واصل ماذا يقول حيث كان وضعه طبيعياً على ما يظن، قال كرم: "ألم نتفق أن تحضر إلي بعد العمل اليوم؟ ألم أخبرك أن رندَ ستقضي الليلة عند فرح؟" لم يتذكر واصل حتى بعد أن قال كرم كل ذلك، لقد نسي. قال كرم: "ما بالك؟" "لا شيء، لقد... نسيت. أنا آسف" "لقد بت تنسى كثيراً هذه الأيام" حزن واصل لما سمعٍ، حتى كرم بات ينتبه إلى ذلك. قال كرم: "ماذا تنتظر؟ تعال فوراً" "حسناً أنا قادم" أغلق كرم السماعة وهو يشعر بشيء غريب، وأغلق واصل السماعة متجهاً إلى منزل كرم.

★★★

في الغابة كان يعلو صوت النقاش بين سجال وساري، سجال أمسك

قميص ساري قائلاً: "أنا أضحي بكل شيء هنا لأصنع مستقبلنا، وأنت ما تزال عالقاً بقضية الانتقام السخيفة تلك!" قال ساري: "هذا ليس من شأنك" "أنت لا تساعد في شيء! لماذا علي أن أساعدك؟" "أنت تفعل ذلك لنفسك، لا تقل لي أنك تفكر بي" ترك سجال قميص ساري وحدق به قائلاً: "للأسف كنت أفكر بك" "ليس صحيحاً" انزعج سجال قائلاً: "كيف تفكر؟ نحن عالقان هنا معاً! كلانا في نفس الورطة!" لم يقل ساري شيئاً ومشى ليبتعد عن سجال الذي قال: "أنا لم أنهِ كلامي بعد!" قال ساري: "إذا أردتَ أن أساعدك في شيء أخبرني، أنت تتفق مع واصل وأنا لست معك في ذلك" "إذن ماذا تنوي أن تفعل أنت؟ هات ما لديك" لم يقل ساري شيئاً فقال سجال: "ليس هناك خيار آخر، إذا لم تكن لديك خطة أخرى فعلينا التمسك بخطتي" استدار ساري لينظر إلى سجال وهو يقول: "هل تظن أن واصلاً سيقتنع بما تقول؟ ليس هناك مجنون يقبل أن يضحي من أجلنا" "الوضع ليس كذلك، إنه..." "لا يصدقنا" هذا كان صحيحاً، هذه هي المشكلة الآن، ابتسم ساري حيث لم يستطع سجال قول أي شيء وتابع سيره مبتعداً عن سجال الذي قبض يده غاضباً مما يجري.

★★★

فتح كرم باب المنزل يستقبل واصلاً، قال كرم سعيداً: "أهلا بك، رغم أنك قد تأخرت ساعة" قال واصل: "آسف لذلك" قال كرم: "لا عليك، لا أصدق أنني أرتاح وحدي في المنزل" "أليس لدى رند امتحانات هذه الأيام؟" "صدّق أو لا تصدق، عرضت فرح على رند أن

تقوم بتدريسها فوافقت رند! هذا أجمل ما يمكن أن يحدث في حياتي، وربما تنام عندها الليلة أيضاً" ابتسم واصل فرحاً بفرح كرم، أجلسه كرم في الصالة ليتحدثا.

قال كرم: "ما أخبار المعمل؟" قال واصل ببساطة وكأنه لا يفكر في الأمر: "بخير، كل شيء على ما يرام" "ألا يعلم العمال بعد أنك صاحب المعمل؟" "كلا، أنا حريص ألا يعرف أحدهم ذلك" "ولكنهم لا... أعني، ربما يحتاجون لبعض الانضباط، لست أدري" "تريد أن تقول أنهم لا يحترمونني كما يجب خاصة كصاحب الشركة، لا تقلق، لن يتحسن ذلك حتى لو علموا أنني أملكها، إنهم يعانون الكثير" "ألم تساعدهم؟" "بلى، ولكن ربما استطعت مساعدة عائلة مكونة من أربعة أفراد، ليس عشرة!" "مساكين" سكت واصل وهو يتمنى فعلاً لو يغير كرم الموضوع ولكن هذا لم يحدث، ظل الاثنان صامتين لا يصدقان أنه ليس هناك حديث بينهما، كان على واصل أن يفعل شيئاً، فهو سبب هذا الصمت فقال: "ما أخبار النادي؟ لم أتدرب منذ مدة" "هل تحب أن نتدرب قليلاً؟" لم يكن واصل يعرف إذا كان يستطيع فعل ذلك أم لا ولكنه يحب أن يفعل.

دخلا صالة التدريب وصدى خطواتهما ينعكس على كل الجدران، نزع واصل معطفه ليتحرك بحرية أكثر. قال كرم: "ما رأيك بمبارزة؟" وضع واصل معطفه جانباً وقال: "مرة واحدة! أنا لم أقم بالتحمية بعد" قال كرم: "شيء خفيف، لن نبدأ القتال الحقيقي فجأة" وقف واصل أمام كرم مباشرة وقال: "حسناً، لنبدأ".

كرم كان البادئ، وجه إلى واصل ضربات خفيفة استطاع واصل تجاوزها بكل سهولة، ابتسم واصل قائلاً: "ليس إلى هذه الدرجة،

تستطيع القيام بأفضل من ذلك" ابتسم كرم قـائلاً: "لا تتعجـل، مـايزال لدي الكثير" وجه كرم ضربات أخـرى إلى واصـل ولكـن واصـلاً تفاداهـا أيضاً وبدأ بالهجوم هو الآخر، كان كلاهمـا مسـتمتعاً بتفـادي ضـربات الآخر، واصل بدأ يضحك، إنه فعـلاً ينسـى كـل مـا يجـري معـه هـذه الأيام، كرم كان سعيداً جداً أيضاً، ولكن هذا لم يطل عندما أحس واصل أن يده لم تعد تطيعه فأصيب بلكمة قوية على وجهه وسقط أرضاً.

هرع كرم إليه ليساعده على النهوض "هل أنت بخير؟" قـال واصـل وهو يمسك خده متألماً: "لابأس، أنا بخير" قال كرم قلقاً: "أنا آسف! لم أقصد إيذاءك" "كان من المفترض أن أتفاداها بكـل بسـاطة، لا عليـك" كرم شعر أن وجه واصل قد تغير، إنه حزين جداً، قبـل لحظـات كانـا مستمتعين، كان لهذه اللكمة أثر كبير في نفس واصل نـدم كـرم عليهـا كثيراً.

ساعد كرم واصلاً على النهوض وعادا إلى غرفة الضـيوف في المنـزل، أجلس كرم واصلاً على الأريكة قائلاً: "سأحضر الكمادات".

واصل نظر إلى يده التي كانت قد تحركت الآن، كان حزيناً جـداً لمـا جرى. عاد كرم بالكمادات ووضعها واصل على خده بهدوء.

لم ينطق أحدهما بأي كلمة، ظل واصل يضع الكمـادات وكـرم ينظـر إليه وهو يشعر أن هناك أموراً كثيرة تفوته.

بعد لحظات نهض كرم قائلاً: "سأجلب العصـير". ظـل واصـل يضـع الكمادات مستاء مما جرى، ربما لم يسمع كرماً يقول شيئاً أيضاً.

جلب كـرم كـوبين مـن عصـير البرتقـال ووضـعهما في (الصـينية)، اقترب من واصل ليقدمها، نظر واصل بهدوء إلى الكـوب ولكـن قبـل أن يمد يده كانت الصينية قـد انزلقـت مـن يـد كـرم وسـقط الكوبـان علـى

الأرض إلى جانبهما. وسط ذهول واصل كان كرم قد عانقه بشدة! واصل أنزل الكمادة بهدوء حيث سمع كرماً يقول بصوت يرجف: "ما الذي يجري؟" شعر واصل بالحزن لأجل كرم، ترك الكمادات من يده واستمع إلى كرم يقول: "ما الذي تغير؟ لماذا أشعر أنك بعيد عني؟" شعر واصل بحزن كرم الكبير، ربما توقعه من قبل ولكنه لم يكن يتصور أن شيئاً كهذا سيحدث. تابع كرم قائلاً: "لماذا تصر على الابتسام أمامي وإخفاء كل ما تشعر به؟ لم لا تخبرني بما يجري؟" في هذه اللحظة ابتسم واصل ابتسامة هادئة حيث علم أن كرماً يريد أن يشاركه حزنه بكل إصرار، رفع واصل يديه وأمسك بثياب كرم وقبض عليها بشدة وقال: "أنا مريض" توقف جسد كرم عن الارتجاف من هول ما سمع.



كان يريد أن ينظر إلى وجه واصل ولكن واصلاً كان يمسكه بشدة فلم يستطع، تابع واصل بصوت وكأن الدموع بدأت تنهمر من عينيه: "مرض لا أمل في الشفاء منه" لم يستطع كرم تمالك نفسه فرفع وجه واصل لينظر إليه قائلاً: "ماذا تقول؟" ولكن واصلاً كان فعلاً يبكي! لم يستطع كرم تصديق ذلك، وضع واصل رأسه ثانية على صدر كرم قائلاً: "ربما لا أعيش طويلاً..." لم يستطع كرم قول أي شيء، لم يستطع استيعاب الصدمة بعد. سكت الاثنان، لم يكن هناك صوت سوى البكاء الذي يحاول واصل حبسه قدر ما يستطيع. جلس كرم على الأريكة إلى جانب واصل الذي قال: "لطالما حاولت الابتسام للجميع ولكنني لم أستطع، لم أكن أريد أن يعلم أحد الحقيقة فرأيت نفسي أدفع ثمن كل شيء، أنا الوحيد الذي يتألم" بدأ صوت واصل يعلو في البكاء ومع ذلك كان يحاول حبسه، ضم كرم واصلاً إلى صدره مع أنه مايزال مصدوماً مما يسمع، ثم قال لواصل: "لا تحبس دموعك، تستطيع أن تنفس عن نفسك" ما إن سمع واصل هذا حتى بدأ بالبكاء بصوت مرتفع وكأنه حصل على ما كان قد منع منه طول الوقت. ظل واصل يبكي على صدر كرم منفساً عن كل ما جرى، ربما ليس فقط عن حقيقة مرضه، بل وعن المستقبل الأسود الذي يعلم أنه قادم من سجال. ظل كرم يربت على ظهر واصل، ربما لم يفهم بعد الكثير، ولكن رؤية واصل يبكي كانت تكفي.

كرم كان حائراً جداً مما يجري، واصل بكى كثيراً، كان يقول بعض الأشياء كل فترة: "لم أعد أستطيع فعل شيء، كل شيء يتدهور بسرعة"... "لم أكن أريد لأحد أن يعلم" عندها سأله كرم: "ألا تعرف والدتك ذلك؟" قال واصل وما يزال صوته راغباً في البكاء: "إنها تعلم

أنني مريض، ولكنها لا تعلم مدى الضرر..." لم يستطع واصل متابعة الكلام، ربت كرم على شعره لا يدري ما يقول، بل ربما لم يستطع استيعاب ذلك بعد، قال: "كيف عرفتَ ذلك؟ من أخبرك بهذا؟" قال واصل والدموع تسيل من عينيه: "لقد شعرتُ بذلك، بين فترة وأخرى كانت حواسي لا تطاوعني، فقدت سمعي مرة، بصري مرة، لم أعد أسيطر على يدي أو قدمي، كان هذا واضحاً بالنسبة لي، خشيت أن يكون الأمر بهذا السوء" سكت كرم يتذكر بعض اللحظات التي ربما حدث فيها ذلك فعلاً مع واصل أمامه، حتى اليوم في التمرين. قال واصل: "حتى أنت انتبهت لذلك، حاولتُ إخفاء الأمر قدر المستطاع ولكنني لم أستطع، فقدتُ وعيي في كثير من الأحيان أيضاً، لم أعد أعمل كما يجب في الشركة" تذكر كرم أن واصلاً كان ينام كثيراً في الشركة، لم يكن يتصور أنه... فاقد الوعي! تابع واصل قائلاً: "بل وبت أنسى أيضاً، لست أدري كيف سأتحمل ذلك بعد" قال كرم: "لا بأس، سنحاول تدبر الأمر" قال واصل منزعجاً: "ولكن الوضع يسوء كل يوم! الوضع يتدهور بسرعة! ربما... ربما أصاب بالشلل في أية لحظة!" عانق كرم واصلاً بشدة قائلاً: "لا تقل ذلك" ولكن للأسف كانت هذه الحقيقة التي يكره واصل أن يقولها، تابع واصل البكاء قليلاً على صدر كرم، لم يكن لدى كرم ما يقوله أبداً، فالوضع أسوأ مما يظن.

بعد فترة بدأ صوت بكاء واصل ينخفض تدريجياً، بدأ يهدأ قليلاً، كرم كان سعيداً بذلك رغم أنه كان يعلم أن شيئاً لم يتحسن، ولكن على الأقل ربما يكون واصل قد نفس عن نفسه. قال واصل: "لا أظن أنني سأعيش خمس سنوات القادمة" "لا تقل ذلك، ستكون بخير إن شاء الله" ابتسم واصل قائلاً: "هل تعلم، أفضل ألا أعيش طويلاً على أن أصاب

بالشلل" قال كرم منزعجاً: "كف عن قول هذا!" رفع واصل رأسه أخيراً ينظر إلى وجه كرم، ولكن كرماً أمسك رأس واصل ووضعه إلى جانب رأسه وضمه بقوة ثانية لكي لا يرى الدموع قد جرت أخيراً من عيون كرم وهو يقول ثانية: "لا تقل ذلك".

حدث أخيراً ما كان يخشاه واصل، لقد أخفى ذلك عن الجميع طول الوقت لكي لا يشعر أحدهم بالحزن، خاصة كرم، فقد كان يعرف أنه لن يحتمل شيئاً كهذا، قال واصل: "أنا آسف، لم أكن أريد أن أسبب لك هذا الحزن" قال كرم منزعجاً: "أحمق! كيف لك أن تخبئ شيئاً كهذا عني؟ لماذا كنتَ تعاني وحدك؟" وضع واصل يده حول ظهر كرم قائلاً: "لكي لا أجعلك تعاني" قال كرم منزعجاً: "وهل تظن أنني سأكون سعيداً لأنك تتألم وحدك؟ لا تستطيع أن تحمل كل ذلك" شعر واصل فعلاً أن كرماً يبكي، ابتسم قائلاً: "هل تعلم، كان هذا هو السبب الذي يجعلني غير قادر على التقدم لمرام" هدأ كرم قليلاً مستمعاً إلى ما يقول واصل الذي تابع قائلاً: "يحق لها أن تعلم شيئاً كهذا بكل تأكيد، ولكنني لا أستطيع أن أقوله لها" أخيراً استطاع كرم فهم الموضوع، ولكن واصلاً قال بصوت منخفض: "لقد قلتَ حينها أنك تقف إلى جانب مرام ضدي، كان ذلك يقتلني" شعر كرم بذنب كبير لذلك، عندها انفجر بالبكاء وضم جسد واصل إليه بقوة قائلاً: "أنا آسف... آسف!" وتابع البكاء بحرارة.

★★★

في منزل فرح كانت تجلس رند على مكتب فخم تحل مسائل رياضيات بمساعدة فرح، شعرت رند بشعور غريب ونظرت إلى

النافذة، نظرت فرح إلى حيث تنظر رند، لا شيء هناك سوى ظلام الليل، قالت فرح: "ما الأمر؟" قالت رند وهي ما تزال تنظر إلى النافذة: "لست أدري، أشعر بشيء غريب" "ربما تشعرين بالتعب الآن، لقد مرت ساعتان على جلوسنا هنا" نظرت رند إلى فرحٍ قائلة: "حقاً!" ابتسمت فرح قائلة: "جميل أنك لم تشعري بذلك" فعلاً لم تشعر رند أنها قضت كل هذا الوقت في حل مسائل متنوعة، لم يبق لديها الكثير. نهضت فرح قائلة: "حان وقت العشاء، لننزل" نظرت رند إلى فرح قائلة: "هل لي أن أتصل بكرم؟" ابتسمت فرح قائلة: "أنت تفكرين فيه، تستطيعين الاتصال به بعد تناول العشاء" نهضت رند وهي ماتزال تشعر بشيء غريب، نظرت إلى النافذة ثانية، ربما تريد أن تعود إلى المنزل.

★★★

سجال كان في منزل عمرو يجلس أمام التلفاز في الصالة، سناء كانت تنظف المطبخ بينما كان الجميع في غرفهم يدرسون للامتحانات.

عمرو كان مايزال في الخارج، كان عليه القيام بزيارة لأحد معارفه.

نظرت سناء إلى سجال، كان من الواضح أنه لا ينظر إلى التلفاز، إنه يحدق في الأرض يفكر في أمر ما. تابعت سناء التنظيف قائلة: "ماذا تفعل هذه الأيام؟" بما أن سجالاً كان الوحيد في الطابق شعر أن سناء تتحدث إليه هو، قال ببساطة: "أذهب إلى المدرسة أقدم الامتحانات" ابتسمت سناء قائلة: "أنت لا تدرس للامتحانات" لم يقل سجال شيئاً، التفتت سناء إليه قائلة: "هل تسير الأمور على ما يرام؟" قال سجال: "الامتحانات سهلة، ستشاهدين الشهادة بنفسك" كانت سناء

تعلم تماماً أن سجالاً لا يكذب في ذلك، فهو قد تعلم ما يؤهلـه للتخـرج من الجامعة بشهادة متميزة.

تابعت سناء التنظيف قائلة: "ولكنك لا تفعل شيئاً هذه الأيام" نظـر سجال إليها فالتفتت إليه قائلة: "عليك أن تقوم بإنجاز ما" قال سـجال بصوت وكأنـه يصـدر مـن الفـراغ: "إنجـاز! مثـل مـاذا؟" تركـت سـناء التنظيـف واقتربـت مـن سـجال وجلسـت علـى الأريكـة مقابلـه وقالت: "تقرأ كتابـاً، ترسم لوحـة، تلعـب رياضـة، أي شـيء" "ألا يعتبر التفكير إنجازاً؟" سكتت سناء قليلاً ثم قالت: "ربما يعتمـد ذلـك على ما تفكر" "لماذا أنت من يحدد ذلك؟" سـكتت سـناء لا تفهـم مـا يقول سجال فقال ثانية: "لماذا أنت من يقرر إذا كان ما أفعله إنجـازاً أم لا؟" بات هذا أعقد مما تصورت، مر زمن لم يسـأل سجال فيـه أسـئلة كهذه! ابتسمت قائلة: "ربما عليك أن تنتظر عمـراً ليجيبـك عـن شـيء كهذا" قال سجال محدقاً بسناء قبل أن تنهض لتتابع العمل: "أريدك أن تجيبيني" ظلت سناء جالسة، فكـرت فيمـا يمكـن أن تقـول، ولكـن لم يخطر ببالها شـيء محـدد، سـجال مـايزال ينتظـر منهـا الـرد، بعـد التفكير قالت: "ربما لا يحق لي أن أقرر هذا الشيء بالنيابة عن أحـد، ربما... هذا أمر نسبي يختلف من شخص لآخر" لم يقـل سـجال شـيئاً فقالت سناء: "يحق لك أن تعتبر ما تفعله إنجازاً إذا كان كـذلك، ربمـا لا يكون بالنسبة للآخرين إنجازاً ولكن... مـن يهـتم" نظـر سـجال إلى شاشة التلفاز، نوعاً ما كانت سناء سعيدة أنه توقف عن التحديق بها، إنه مخيف نوعاً ما عندما يفعل ذلك. نهضت سناء بهدوء حيث شعرت أنهـا تسـتطيع أن تفعـل ذلـك الآن، سـارت قلـيلاً إلى المطـبخ لتكمـل التنظيف، عندها قال سجال: "لا تنتظـري الإجابـة مـن عمـرو دائمـاً"

نظرت سناء إليه حيث كان ينظر إلى التفاز، قالت: "نحن نتناقش دائماً، الوضع ليس كأنني لا أملك رأياً، ثم... إنه والدك، منذ متى كنت تسميه عمراً؟" لم يقل سجال شيئاً وكأنه في عالم آخر، لم يكن الوضع جيداً أبداً، ربما كان من المفترض أن يفتح أحدهم نقاشاً مع سجال، فقد مر وقت لم يتحدث فيه إلى أحد، ويبدو أن هناك أموراً تتغير في داخله.

★★★

فتح واصل عينيه بهدوء، إنه يرى الصالة في منزل كرم، إنه ما يزال هنا. رفع رأسه فإذا به كان مايزال على صدر كرم، كرم لم يكن نائماً، كان من الواضح على وجهه أنه بكى كثيراً حتى وإن لم يكن يبكي الآن، قال واصل: "هل نمت؟" قال كرم: "أجل، بعض الوقت" نظر واصل إلى الساعة، بعض الوقت كانت ما يقارب الساعة والنصف! قال واصل: "لقد فقدت وعيي" لم يقل كرم شيئاً، كان هذا ما يحصل لواصل دوماً. عدل واصل جلسته على الأريكة، كرم كان هادئاً والوضع يبدو متوتراً بعض الشيء. نهض كرم قائلاً: "سأحضر لك كوباً من الماء".

ذهب كرم إلى المطبخ، واصل كان يعلم أنه سبب هذا الجو الكئيب، لم يكن يرغب في ذلك على الإطلاق، كان عليه أن يغير الجو ولو بتمثيلية صغيرة.

عاد كرم بكوب الماء، شرب واصل قليلاً ثم نظر إلى كرم قائلاً: "أنا جائع" نظر كرم إلى واصل مباشرة، ثم لم يستطع إلا أن يضحك، ضحك واصل أيضاً وقال: "أنا جاد، لم آكل مذ خرجت من المعمل" قال كرم: "ماذا تحب أن تأكل؟" "كل ما تقدمه سيكون شهياً" قال كرم

متفاخراً: "بالطبع أعلم ذلـك، تعـال لنحضـر شـيئاً معـاً" نهـض واصـل مسروراً لأنه استطاع تغيير الجو حتى لو كان في الظاهر فقط، إنه يعلـم أن قلب كرم يعتصر حزناً كما هـو حـال قلبـه هـو، ولكـن علـى الأقـل يستطيعان قضاء وقت ممتع.

أثناء التحضير رن الهاتف، رفع كرم السماعة فإذا بها رند "مرحباً رند، كيف حالك؟" رند كانت تتحدث من منزل فـرح بهـاتف الصـالة "أنا بخير، كيف حالك أنت؟ كيف تقضي وقتك؟" لم يكـن يسـتطيع أن يقول لها مباشرة أن واصلاً عنده، قال: "أنا بخير، مشتاق لك" سـكتت رند قليلاً ثم قالت: "هل واصل معـك؟" سـكت كـرم، لم يكـن عليهـا أن تسأل ذلك مباشرة، كان واصل إلى جانبه في المطبخ يتذوق طبقاً أخرجـه من الثلاجة، قال: "أجل" شعرت رند وكأن واصلاً استغل غيابهـا عـن المنـزل، لم يكـن هـذا جيـداً علـى الإطـلاق. قـال كـرم بسـرعة مغـيراً الموضوع: "كيف الوضع مع فرح؟ هل درست جيداً؟" قالت رند: "أجـل، كل شيء على مايرام" لم يكن صوت رند متحمساً أبداً، علم كرم أنها لم ترد لواصل أن يكون في المنزل حتى وإن كان كرم سيقضي الليل بمفرده. لم يطل الهاتف، أقفلا السماعة كل في عالم آخر.

واصل نظر إلى كرم قائلاً: "لقد علمت بوجـودي" قـال كـرم: "طبعـاً، أظن أنها فكرت في الأمر منذ اللحظة التي ركبت فيها السيارة مغادرة" قال واصل: "لن أتأخر على أي حال، ستقلق والـدتي إذا تـأخرت أكثـر من ذلـك" "أنـت لسـت طفـلاً لتقلـق عليـك" "الأمـر مختلـف، أنـا مسؤول عما أفعل، ولكن لدي أم تخاف علي، لا يوجد تناقض في ذلـك" "معظم الشباب يكرهون ذلك" "من يكره أن يهتم بـه النـاس شـخص مغفل، ليس هناك من سبب لتـأخر أحـدهم خـارج المنـزل إلى منتصـف

الليل، إذا لم تقلق الوالده على ولدها تكون أماً فاشلة" ابتسم كرم قائلاً: "إنهم لا يحبون أن يقلق أحدهم عليهم لكي يفعلوا ما يشاؤون" "تعني لكي يخطؤوا كما يشاؤون، ليس هناك ما يميز منتصف الليل إلا المشاكل". في هذه اللحظة رن هاتف واصل، رفعه من جيبه وابتسم لكرم، علم كرم أنها والدة واصل تسأل عنه، رد واصل قائلاً: "مرحباً أمي" قالت لمياء: "أين أنت؟" قال: "في منزل كرم، نتناول العشاء" أشار كرم إلى واصل ليعطيه الهاتف، أخذ كرم الهاتف قائلاً: "مرحباً خالتي" تفاجأت لمياء وقالت: "أهلا كرم، كيف حالك؟ وكيف حال فرح ورند؟" "الجميع بخير، خالتي، أردت أن أستأذنك أن ينام واصل عندي الليلة" تفاجأ واصل لذلك فلم يخططا لذلك قبلاً، قالت لمياء: "ليست هناك مشكلة، ولكن كان عليه أن يخبرني قبلاً" "رند تنام مع فرح، فأردت أن يقضي الليلة معي" "حسناً، استمتعا بوقتكما، فهو في بيته الثاني" "شكراً" أغلق كرم السماعة، إنه حتى لم يستشر واصلاً في ذلك. واصل لم يكن لديه مانع، فهو يعلم أن هناك سبباً قوياً يجعله ينام عند كرم، سبباً أقوى مما قاله للمياء، بعد ما سمع ما سمع لا يستطيع أن يترك واصلاً يغادر بهذه السهولة.

جلس كرم إلى الطاولة وبدأ يتناول قرصاً من الفلافل، جلس واصل ينظر إليه، قال كرم: "ما الأمر؟" قال واصل: "ظننت أنك تنوي أن تغلق الباب على نفسك لتبكي اليوم" توقف كرم عن تناول الطعام وقال: "وهل ظننت أنني سأدعك تغلق الباب على نفسك لتبكي؟ إذا كان ولابد أن تكون هناك دموع، فسنبكيها معاً" لم يستطع واصل قول أي شيء بعد ما سمع، ولكن كل ما كان يعرفه الآن أنه لن يجد صديقاً مثل كرم في أي مكان.

بدآ تناول الطعام، بعد فترة استطاعا تغيير الجـو، تحـدثا معـاً ثـم نظفا المكان.

★★★

عمرو عاد إلى المنزل بعد أن خلد الجميع للنوم، سناء كانت الوحيدة المستيقظة، رحبـت بـه قائلـة علـى الفـور: "لقـد تـأخرت كـثيراً" قـال عمرو: "ظننت أنني الوحيد الذي يزوره ولكن الناس تجمعوا فجـأة، لم أستطع المغادرة مبكراً"   "هل تناولت شيئاً هناك؟"   "نعم، لم يعد في متسعي أن أكل أي شيء" جلس عمرو على الأريكـة، جلسـت سـناء إلى جانبه فقال: "هناك ما تريدين قوله" قالت: "بصراحة، أريد أن أحدثك عن سجال" نظر عمرو إلى سناء التي تابعت قائلة: "إن حالـه يتـدهور، إنه يعود كما كـان، هـذا لـيس جيـداً علـى الإطـلاق"   "هـل تـأذى؟" "كلا، ولكنه عاد يسأل أسئلة غريبة، يسرح كثيراً، بل يفكـر جيـداً في أمور لا يفصح عنها لأحد، أنا قلقة" لم يقل عمرو شيئاً، هذا أقلق سناء أكثر، قالت: "ما الأمـر؟"   "لا أبـداً، ظننـت أنـه بخـير طالما لم يعـد أحـدهم وراءه، ولكـنني أظـن الآن... أنـه مـن يحـوم وراء الآخـرين" "ماذا تقصد؟" تنهد عمرو ونهض قائلاً: "فكرت كثيراً في الأمـر، يبـدو أن سجالاً لا يريد أن يفلت زمام الأمور من بـين يديـه، لديـه مـاض لا يستطيع نسيانه، ربما لا يستطيع الهروب منـه أيضـاً، لـذلك عليـه أن يظل مركزاً"   "يعيش هنا وهنـاك؟"   "ربمـا، لـن يكـون هـذا سـهلاً حتى على سجال" لم تقل سـناء شـيئاً، مـاذا عساهما أن يفعـلا؟ قـال عمرو: "أنا مرهق، أريد أن أنام".

في غرفة الأولاد كان سجال نائماً يحلـم، كـان العـرق يتصـبب منـه

ويتمتم، بدأ يتقلب يميناً ويساراً إلى أن استيقظ ماهر، نظر إلى سجال حيث كان من الواضح أنه يعاني كابوساً مزعجاً جداً، هزه ليستيقظ "سجال... سجال انهض" فتح سجال عينيه فجأة وتوقف عن الحراك عندما رأى ماهراً ينظر إليه، قال ماهر: "لقد كان كابوساً" نهض سجال من الفراش وكأنه لم ير ماهراً أو يسمعه على الإطلاق، مشى إلى باب الشرفة وفتحه، ناداه ماهر: "إلى أين؟" ترك سجال الباب مفتوحاً وقفز من الشرفة خارج المنزل، عندها صرخ ماهر راكضاً إلى الشرفة: "سجال! أين تذهب؟".

عمرو وسناء كانا يصعدان الدرج عندما سمعا ماهراً ينادي سجالاً، ركضا إلى غرفة الأولاد، مالك كان قد نهض على صوت ماهر أيضاً، ماهر وسجال ليسا في الفراش وباب الشرفة مفتوح، ركض عمرو إلى الشرفة وقال لماهر: "ما الذي يجري؟" قال ماهر: "قفز سجال من الشرفة مغادراً المنزل، لقد كان يحلم كابوساً مزعجاً" نظر عمرو من الشرفة ولكنه كان يعلم أنه يستحيل عليه أن يجد سجالاً الآن.

★★★

سجال كان يركض حافي القدمين يرتدي البجامه، كان الكابوس مايزال يلف في رأسه والعرق يتصبب منه، مايزال الخوف مسيطراً عليه.

لحظات وصل فيها إلى منزل واصل وهو يلهث، وقف تحت شرفة غرفته وقفز إليها، نظر داخل الغرفة، واصل ليس هنا، دريم والحقيبة كلها ليست هنا أيضاً.

نزل سجال من على الشرفة بهدوء يحاول أن يهدئ نفسه، جلس

خلف السياج بين الأشجار يلتقط أنفاسه، حينها شاهد شخصاً يقف خلف الأشجار، إنه ساري. نظر سجال إليه فقال ساري: "هل تريد أن تعلم أين هو؟".

أوصل ساري سجالاً إلى منزل كرم، نظرا من بعيد إلى غرفة كرم، كان واصل وكرم ينامان معاً، سجال لاحظ الدموع في عينيهما.

استدار سجال فقال ساري: "هل يحزنك منظره؟" قال سجال: "أنا السبب في معظم ما يعانيه" استدار ساري قائلاً: "هو السبب في كل ما يعانيه" لم يقل سجال شيئاً، إنه يعلم أنه يختلف عن ساري في أمر واصل، لقد كان واصل قبل أيام أفضل صديق لسجال، أما الآن.

★★★

عمرو كان جالساً في الصالة ينتظر عودة سجال وحده، فقد عاد ماهر ومالك إلى النوم. فتح سجال باب المنزل ودخل، عندما وصل الصالة كان يتوقع أن يرى عمراً هنا. نهض عمرو قائلاً: "أتعجب كيف تدخل المنزل وأنت لا تملك مفتاحاً!" لم يقل سجال شيئاً، إنه معتاد على فعل أكثر من ذلك. نظر عمرو إليه يرتدي البجامة، ثم نظر إلى قدميه الحافيتين مغبرتين جداً، أشار عمرو إلى الحمام قائلاً: "اغسل قدميك" دخل سجال الحمام وغسل قدميه كما طلب منه عمرو دون أن يقول شيئاً ثم عاد إلى الصالة حيث كان عمرو جالساً، قال عمرو: "اجلس" جلس سجال بهدوء دون أن يقول شيئاً، كان يعلم أن الكثير آت.

لم يقل سجال شيئاً، كان من الواضح أنه ينتظر من عمرو أن يقول ما لديه، لم يكن يريد أن ينظر في عيني عمرو لذلك ظل محدقاً بالأرض حيث قدميه. قال عمرو معلقاً على ذلك: "أليست هذه نظرات المذنب؟"

قال سجال دون أن ينظر إلى عمرو: "ومنذ متى لم أكن مذنباً؟" قال عمرو: "لم يسبق لنا أن اتهمناك بشيء يا سجال" وضع سجال يده على رأسه قائلاً: "أنا مذنب منذ أكثر من عام، بل ربما مذ ولدت" علم عمرو أن سجالاً يتحدث بما لا يعلمه، إنه ما كان يخفيه عن عمرو طول الوقت، قال عمرو: "أنت لا تخبر أحداً بما يجول في خاطرك، يجب أن تفصح عنه في النهاية" وضع سجال يده الأخرى على رأسه وقال: "فعلت وندمت، ظننت أن أحدهم ربما يفهم الوضع ولكن... حصل ما كنت أخشاه" سكت عمرو لحظة يفكر، لقد أفصح سجال عما يجول في خاطره لأحدهم! إنه... قال عمرو: "واصل؟" قال سجال: "وقد كرهني" سكت عمرو يستمع، لقد حصل الكثير مما لا يعلم. تابع سجال قائلاً: "ظننت أن بإمكانه أن يفهمني، ولكنه... طردني من المنزل" لم يستطع عمرو أن يصدق ذلك! واصل لا يمكن أن يفعل ذلك لأي كان، قال: "طردك واصل! هل أنت متأكد؟" قال سجال دون أن يرفع رأسه: "لا ألومه على ذلك، ولكنني... لم أرد أن أخسره، كما لم أرد أن أخسرك أنت" نظر سجال إلى عمرو الذي كان مايزال مصدوماً مما يسمع، قال سجال: "لوهلة كنت سأخبرك بكل شيء، ولكنني خشيت أن يحدث ما حدث مع واصل، من الجيد أنني لم أجرب ذلك معك، خسارة واصل شيء، وخسارتك شيء آخر" ظل الاثنان صامتين فترة ثم وضع عمرو يده على جبين سجال وقال: "كنتَ تلتقي بواصل طول الوقت تحدثه عما تخفي، والآن لم تعد تستطيع أن تراه" قال سجال: "لا تستطيع عيني أن تنظر في عينه" لم يستطع عمرو أن يقول شيئاً آخر فقال سجال: "أنا واثق أن الوضع سيكون مماثلاً هنا" قال عمرو: "لا أحب أن تكون واثقاً من شيء كهذا، ولكن..." نظر سجال إلى

عمرو الذي تابع قائلاً: "ما أعرفه هو أنني لا أريد أن أخسر ولدي" عانق سجال عمراً لسماع أغلى كلمة في نفسه، ولدي... كانت هذه الكلمة ذات أثر كبير في نفس سجال لا يريد أن يخسرها مهما كلف الثمن، قال سجال: "لا أريد أن تكرهني" قال عمرو بهدوء: "أنا لا أكره أولادي مهما حدث".

ظل عمرو يربت على شعر سجال، بعد فترة قال: "والآن ذهبت إلى منزل واصل؟" قال سجال: "حلمت حلماً مزعجاً، كان علي أن أرى واصلاً، ولكنه لم يكن في المنزل" "لن يكون الوضع جيداً إذا أيقظته من النوم" "هناك أمور أهم من النوم بكثير" سكت كل من عمرو وسجال، سجال يفكر بحلمه حيث حلم بدريم المستقبل يراه في كل مكان، بينما عمرو كان يفكر بواصل، كيف يطرد سجالاً من المنزل؟ من الغريب أن يصدر تصرف مثل هذا من واصل! إنه حتى لا يستطيع تخيل منظره يفعل ذلك.



الفصل الثامن والخمسون

في الصباح استيقظت رند، كانت تنام في غرفة واسعة جميلة، نسيت للحظة أنها تنام في منزل فرح.

نهضت من الفراش ناظرة إلى الساعة، إنها الخامسة صباحاً. نزلت إلى الصالة الرئيسية حيث سمعت صوت أحدهم يقلي شيئاً في المطبخ.

دقت الباب ودخلت المطبخ فوجدت فرحاً تقلي، نظرت فرح إليها قائلة: "صباح الخير، كيف كانت الليلة؟" قالت رند: "جيدة، ماذا تفعلين؟" تابعت فرح القلي قائلة: "أحضر الفطور" "وماذا يفعل الطاهي؟" "أمي ستفطر عند زميلتها، والدي في العمل، ليس هناك سوانا، خطر ببالي أن أجرب الطهو لأول مرة" "لأول مرة!" نظرت فرح إلى رند قائلة: "لا أحب أن أشعر أن الوضع غريب، لم أفكر بالطهو في حياتي" نظرت رند إلى الطاولة، معظم الأشياء كانت جاهزة ولا تحتاج للطهو على الإطلاق، ربما حتى ليست بحاجة إلى تسخين.

أنهت فرح القلي ووضعت الطبق على الطاولة، إنه بيض مقلي، قالت فرح: "هذا بيض بالجبن، أرجو أن يعجبك" لم تكن هذه أول مرة تجرب رندَ فيها هذا الطبق، على كل حال كان جيداً، فرحت فرح كثيراً بذلك ولكن رندَ كانت متعجبة، إنها تستطيع أن تفعل أكثر من ذلك بكثير!

جلستا تتناولان الطعام، خلافاً للبيض كان هناك بعض البقوليات والمعلبات، وهناك ما هو جاهز من السوق.

تذوقت فرح البيض الذي قلته وقالت: "إنه شهي، إنه أفضل مما

يطبخه الطاهي" لم تقل رند شيئاً حيال ذلك، نظرت فرح إليها قائلة: "هل حلمت بشيء سعيد اليوم؟" قالت رند ببساطة: "لم أحلم أبداً" نظرت فرح إليها قائلة: "لقد كنت تريدين العودة إلى المنزل، أكان ذلك بسبب واصل؟" لم تقل رند شيئاً فقالت فرح: "بم يزعجك؟" قالت رند بسرعة دون تفكير: "ليس بيننا شيء مشترك" ابتسمت فرح قائلة: "حب كرم؟" نظرت رند إليها بعيون لا تريد أن تسمع شيئاً من هذا، ضحكت فرح قائلة: "أظن أنني أفهم ذلك تماماً، ولكن ألا تشعرين بذات الشيء معي؟" "شعرت بذلك في بداية الأمر، ثم وُضعت في الأمر الواقع" "لا أريدك أن تكوني في الأمر الواقع فحسب، سنعيش معاً" لم تقل رند شيئاً، لم يكن مزاجها جيداً أبداً.

نهضت فرح وحملت حقيبة صغيرة أعطتها لرند، قالت رند: "ما هذا؟" "غداء اليوم، ستتناولينه في المدرسة" "هل صنعته بنفسك؟" ضحكت فرح خجلة وقالت: "كلا، لن أخاطر بشيء مهم كهذا، لقد أعده الطاهي" فتحت فرح الحقيبة، ما إن نظرت رند إلى ما فيها حتى تغير مزاجها فوراً، إن منظره شهي جداً، طبق مقسم إلى مساحات في كل مساحة صنف، فطائر وسندويشات، سلطة مع ملعقة، وحساء، كلها شهية جداً. أشارت فرح إلى السندويشات قائلة: "هذه المربعة محشوة بالفراولة، وهذه بخبز الحمام بالجبنة، وبالخبز المدور دجاج معلب" كادت رند تبدأ تناول الطعام فوراً، تابعت فرح قائلة: "فطائر سبانخ ولحمة، أرجو أنك تحبينها، والحساء بالخضار، إنه لذيذ أؤكد لك" لم تكن فرح مضطرة لتأكيد شيء كهذا، فالمنظر كان كافياً. نظرت فرح إلى رند التي لم تقل شيئاً فقالت: "هل أعجبك؟" أشارت رند بالإيجاب دون أن تزيح نظرها عن الحقيبة، عندها أغلقت فرح

الحقيبة ثانية وقالت: "تستطيعين تناولها مع زملائك" أشارت رند بالإيجاب دون أن تزيح نظرها عن الحقيبة أيضاً. ظلت فرح واقفة تنظر إليها إلى أن نظرت رند إليها أخيراً فقالت: "هل سيكفيكم هذا؟" لم تفهم رند قصدها فقالت: "هل تحبين أن تأخذي معك حقائب للآخرين؟" قالت فرح متعجبة: "هل أستطيع؟" قالت فرح: "بالطبع، هناك الكثير" لم تعرف رند ما تقول، عندها وضعت فرح الحقيبة إلى جانب حقيبة رند المدرسية وقالت: "كم علبة تريدين؟" قالت رند بسرعة وهي تفكر بسجال: "حقيبة أخرى..." ثم تذكرت أن كفاحاً ربما سيكون معهما أيضاً فقالت بصوت منخفض: "اثنتان" ضحكت فرح شاعرة أن هناك فرقا كبيراً بين الإجابتين فقالت: "لمن الحقيبة الأولى ولمن الثانية؟" نظرت رند إليها قائلة: "الأولى لسجال، والثانية لكفاح" لم تقل فرح شيئاً في البداية، كلاهما صبي! ثم انتبهت إلى اسم (سجال) فقالت: "سجال! أهو نفسه سجال الذي غنى في التلفاز؟" ابتسمت رند لأن فرحاً تعرف سجالاً وقالت: "أجل هو" ضحكت فرح قائلة: "سبق أن أخبرني كرم أنه قد زاركم، هذا رائع، هل حصلت على توقيعه؟" تعجبت رند مما سمعت! إن فرح مهتمة بأمر سجال، إن هذا كان جيداً، قالت رند بصوت منخفض متذكرة الصورة التي وقع عليها سجال: "نعم" قالت فرح بسرعة: "هل ستريني إياها؟" قالت رند: "إنها في المنزل" "أعلم، هل أستطيع أن أراها عندما أحضر إلى المنزل؟" أشارت رند بالإيجاب، إنها أول مرة ستشارك أحدهم بموضوع سجال خاصة بعد أن علمت أن كرماً لم يعد يحب أن يسمع شيئاً عنه.

شكرت رند فرح على الطعام ولكن لم ينته الأمر إلى هنا، طلبت

فرح من السائق الخاص أن يوصل رندَ إلى المدرسة، نظرت رند إلى السيارة، إنها كبيرة ومن أفخم سيارات البلاد! لم تستطع تصديق أنها ستركب شيئاً كهذا، ماذا سيقول الطلاب عندما يشاهدونها وهي تنزل منها؟

★★★

في منزل كرم استيقظ واصل وقد كان يرتدي بجامة كرم، نظر حوله حيث لم يكن كرم في الغرفة، نهض وتوجه إلى المطبخ حيث علم أنه سيجد كرماً هناك، كانت الروائح شهية جداً حيث كان كرم يعد الفطور. قال واصل: "صباح الخير" نظر كرم إليه وابتسم قائلاً: "صباح الخير، أرجو ألا أكون قد أيقظتك" "كلا، لقد نهضت بمفردي، ماذا تقلي؟" "بيض باللحم، وقد سخنت الفول أيضاً، هل تريد شيئاً معيناً؟" نظر واصل إلى الطاولة، لم يكن هناك شيء ينقصها، قال واصل: "سلمت يداك، لم تدع شيئاً إلا وضعته" وضع كرم البيض في طبق ووضعه على الطاولة وجلس أخيراً ليفطر.

نظر واصل إلى الساعة قبل أن يبدأ الفطور وقال: "لقد تأخرت عن العمل" وضع كرم الخبز إلى جانب واصل وقال: "آسف لأنني لم أوقظك قبل الآن، ولكنني لم أستطع" لم يكن يبدو على كرم أنه يبالي بتأخر واصل عن المعمل أبداً، واصل أيضاً كان يعلم أن الحال سيء هناك، وأنه سيصاب بخيبة أمل كلما ذهب إلى المعمل. بدأ تناول الطعام مع كرم.

أثناء الفطور قال كرم: "ستعود رند اليوم إلى المنزل، أتمنى أن تتفوق في الامتحان" توقف واصل عن تناول الطعام لحظة وقال: "آسف لأنني أفسدت البارحة" نظر كرم إليه قائلاً: "أنت لم تفسده على

الإطلاق، على العكس، أُفضل أن يكون كـل شـيء واضـحاً" "كـان مـن الواضح أنني بت غريباً أليس كذلك؟" "ربما تستطيع إخفاء ذلـك عـن الغريب، ولكنني أشعر بذلك" لم يقـل واصـل شـيئاً فقـال كـرم: "تـابع تناول الطعام قبـل أن يـبرد" تـابع واصـل تنـاول الطعـام بهـدوء إلى أن انتهى وخرج إلى المعمل. أوصل كرم واصلاً بسيارتـه ثم اتجـه إلى منـزل فرح.

★★★

في المدرسة وصلت سيارة رند إلى المـدخل، كـل مـن كـان يتحـدث في الساحة صمت، الجميع ينظرون إلى السيارة، سـجال كـان جالسـاً علـى حافة حوض الشجر نظر إلى حيث ينظر الناس، نعم إنـها سيارة فخمة ولكنه لم يهتم، حدق في الأرض يفكر بكل ما يجري معـه، عنـدها لمح من يخرج من السيارة، إنها رند!

صدرت أصوات من الطلاب عندما رأوها تنزل، بعضهم كان يصـفر، والآخـر كـان يصـفق، آخـرون كـانوا متعجـبين ممـا يـرون، وآخـرون مبهورين.

سجال نـهض عنـدما رأى رنـدَ، بـدا متعجبـاً في البدايـة ثـم ابتسـم عندما توقع أن هذا مـن فضـل فـرح. مشـى إلى رنـد الـتي كانـت تسـير مطأطئة رأسها من الأصوات التي تسمع.

توقف سجال أمامها وقال: "هـذه السـيارة لفـرح ألـيس كـذلك؟" أخـيراً رفعـت رنـد رأسـها وقالـت: "إنـه سـائق خـاص للعائلـة" ضـحك سـجال قائلاً: "لابد أنك سعيدة بذلك" أشارت رند بالإيجاب، بالنسبة لسجال فقـد ترك كل هذه الأمور بكل بساطة ولم يحزن على أي منها على الإطلاق.

وصل كفاح راكضاً إلى المدرسة وتوقف عندما شاهد رندَ وسجالاً وقال لهما بسرعة: "هل رأيتما السيارة الفخمة؟ إنها من أفضل سيارات البلاد! أتساءل من الطالب الذي يملك شيئاً كهذا؟ بل لماذا يدرس في مدرسة كهذه؟" تنهدت رند وضحك سجال لذلك، لم يفهم كفاح شيئاً مما يجري.

دق الجرس وحان موعد الامتحان، الآن ستثمر جهود فرح في تدريس رند.

★★★

مرام عادت إلى المنزل تخبر والدتها أنها قُبلت للعمل في مستشفى المدينة، إنه من أفضل المستشفيات، كان من المفترض أن تكون مرامٍ أسعد من ذلك بكثيرٍ، لم تكن شادن تلومها أبداً فما زالت تتذكر واصلاً عندما تجاهلها كلياً.

ذهبت مرام إلى المستشفى للمرة الأولى، دخلت مكتب شؤون الموظفين، هناك كان يقف طبيب في الغرفة مع المسؤول، نظرا إلى مرام عندما طرقت الباب للدخول.

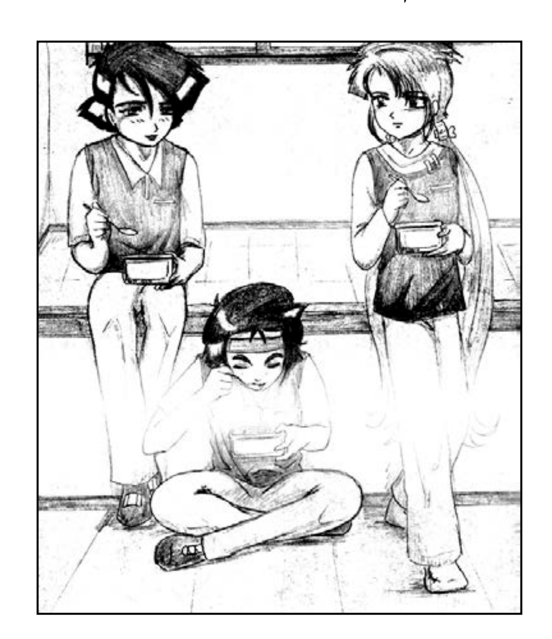
قال المسؤول: "تفضلي، هل من خدمة؟" قالت مرام: "عفواً، لقد تعينت حديثاً في المشفى" قال المسؤول: "وما اختصاصك؟" "أنا أعمل في الصيدلة" بحث المسؤول في الحاسوب إلى أن وصل إلى ملفات مرام وقال: "أجل، لقد بعثنا لك الطلب اليوم، تفضلي" "شكراً" نظرت مرام إلى الطبيب في الغرفة، كان واقفاً طول الوقت ولم يقل شيئاً



جلست مرام بهدوء على الأريكة وأخيراً نطق الطبيب: "مرحباً بك في المشفى، أتمنى أن يكون العمل مريحاً" قالت مرام: "شكراً" "أنا الدكتور مازن، مقيم جراحة في السنة الثانية، تشرفت بلقائك" "أنا مرام، خريجة كلية الصيدلة في الجامعة العامة، يسعدني العمل هنا" نظر الطبيب مازن إلى المسؤول الذي كان مايزال يعمل إلى الحاسوب وقال: "حسناً، سأمر عليك في نهاية الدوام" قال المسؤول: "حسناً، سأحاول أن تكون جاهزة حينها" "شكراً" وغادر الطبيب مازن المكتب، عندها بدأ المسؤول يوضح لمرام طبيعة العمل الذي ستقوم به.

★★★

أنهى كل من سجال وكفاح ورند الامتحان وخرجا إلى الساحة يتناولون الغداء، أخرجت رند الحقائب التي صنعها الطاهي في منزل فرح وقدمتها لسجال وكفاح، كفاح فتح العلبة قائلاً: "لا تطبخين شيئاً كهذا في العادة! ما هذا؟ هل هذا من صنع كرم؟" ردت رند على اندهاش كفاح قائلة: "كلا، إنه الطاهي في منزل فرح، أعد الثلاثة لنا" فتح سجال علبته وقال: "لقد قضيتِ وقتاً ممتعاً البارحة" قالت رند: "لقد نمت عند فرح الليلة، درست الرياضيات معها" قال كفاح: "ألم يكن كرم من يفعل ذلك؟" "لقد قام بذلك قبل البارحة، ثم تابعت فرح تدريسي، أرادت أن تفعل ذلك لأول مرة" تذوق سجال الحساء، إنه لذيذ، أما كفاح فقد تناول كل شيء بسرعة كبيرة، كان سعيداً جداً. رند تناولت الطعام بهدوء، حدق سجال بالطعام قائلاً: "ألم يكن طهو كرم ألذ؟"



نظرت رند إليه فنظر إليها فقالت: "الطعام مميز فعلاً، ولكن..." نظر كفاح إليهما لا يفهم ما يجري، ابتسم سجال قائلاً: "لم أكن أميز هذه الأمور فعلاً، ولكنني أظن أنني أفهم الآن، هناك شيء آخر غير الطعم" رند كانت تفهم تماماً أن كرماً يطهو لها الغداء مغموراً بحب لا يوصف، أما الطاهي فهي لا تعرفه. كفاح لم يكن يفهم ذلك بعد، كل ما يعرفه أنه قد أنهى طبقه، وكان يتمنى لو كان هناك المزيد. تابعت رند تناول الطعام بهدوء مع سجال دون أن تقول أي شيء.

★★★

كان كرم يجلس مع فرح في إحدى المطاعم يشربان العصير، فرح كانت سعيدة جداً البارحة، رند كانت سعيدة جداً معها، أخبرت فرح كرماً بما فعلاً معاً: "ثم أعطيتها الغداء، وأوصلتها السيارة الخاصة إلى المدرسة" سكتت فرح عندما لاحظت أن كرماً لم يكن مستمتعاً بما تقول، قالت: "ما الأمر؟" طأطأ كرم رأسه قائلاً: "لم أرد لذلك أن يحدث، لم أكن أريد أن تعتاد رند على نمط من الحياة لا أستطيع توفيره لها" سكتت وقد عرفت الآن بم يشعر كرم، حرك كرم عصيره قليلاً وتابع قائلاً: "لم أكن لأبخل عليها بشيء كهذا لو كان معي ما يكفي، ولكن..." قالت فرح: "أنا آسفة، لم أفكر بهذه الطريقة" نظر كرم إليها قائلاً: "الأمر أيضاً ينطبق عليك، أنا لا أستطيع توفير كل ذلك بكل تأكيد، قد لا أكون فقيراً ولكنني لا أملك طاهياً خاصاً ولا سيارة بسائق" ابتسمت فرح قائلة: "لذلك أحاول تعلم الطبخ" ولكن كرماً لم يبتسم، طأطأت فرح رأسها قائلة: "أنا آسفة" أمسك كرم يد فرح وقال: "أنا جاد، لن تعيشي الحياة نفسها في منزلك" "سبق أن

أخبرتني ذلك فوافقت" ظل كرم صامتاً فقالت فرح: "أعلم أنني لن أملك كل ما كان لدي، ولكنني لن أموت من الجوع أليس كذلك؟" "بالطبع لا" ترك كرم يد فرح، فكر قليلاً ثم قال: "كان علي أن أريك المنزل، المنزل الذي ستعيشين فيه ليس كبيراً" "لقد سبق وتحدثنا بذلك من قبل" "كلا، يجب أن تريه بأم عينك، لم لا نذهب إلى المنزل؟" "لن يوافق والداي على ذلك أبداً" "نحن متزوجان الآن، يحق لنا أن نذهب إلى المنزل" "أبداً، ليس قبل الزفاف" تنهد كرم فقالت فرح: "سأخبر والدتي لتأتي معي إلى المنزل، ليس هناك حل آخر" ظل كرم صامتاً فقالت فرح: "لا تفكر في الأمر كثيراً، سأتدبر أمري" "وماذا عن رند؟" "لا أظن أنها ستظل تفكر في الأمر، إنها تحبك" "هل تستطيع تمييز ذلك حقاً؟ لست أدري" "ما الذي تقوله؟ أنت أغلى ما تملك في هذه الدنيا، لن تفرط بك من أجل المظاهر" "إنها أصغر من أن تفكر بهذا العمق" "على العكس، الصغار هم الذين يبحثون عن الحب قبل المظاهر، صدقني إنها تحبك كثيراً".

ظلت الجلسة تدور حول هذه المحاور إلى أن غادرا، كرم كان يعلم أنه السبب في ذلك، فمزاجه معكر إلى أبعد الحدود، لم يكن ليشارك فرحاً بشيء كهذا على الإطلاق، فواصل لديه خصوصية كبيرة، ماذا يستطيع أن يفعل له؟

★★★

في المعمل كان الوضع سيئاً بما فيه الكفاية، لم يستطع واصل فعل الكثير، كان العمل مرهقاً جداً دون فائدة. غادر المعمل متعباً جداً يتمنى أن يصل إلى فراشه بلمح البصر.

★★★

كرم كان يجلس مع رند في منزلهما يشاهد التلفاز بينما كانت رند تدرس للامتحان القادم –العلوم. كرم كان يفكر في الكثير من الأمور، نظر إليها قائلاً: "رند، كيف كان يومك عند فرح؟" قالت رند ببساطة: "جميلاً" قال كرم: "هل استمتعت عندها؟" قالت رند ببساطة دون أن ترفع عينها عن الكتاب: "أجل" لم يشعر كرم بأي انبهار في كلمات رند، توقع أن تبدأ بوصف المنزل وما جرى بالتفصيل، كان ذلك جيداً بالنسبة له، تابع مشاهدة التلفاز، على الأقل استطاع أن يخفف عن ذهنه بعضاً مما يشغله.

★★★

سار واصل من المعمل إلى منزله، في الطريق رأى عمراً أمامه، شعر واصل على الفور أنه سيتحدث إليه بشأن سجال.

توقف واصل أمامه قائلاً: "السلام عليك" ابتسم عمرو قائلاً: "وعليك السلام، هل لي بكلمة؟" "بشأن سجال؟" "ليس هناك شيء آخر" سكت واصل قليلاً فقال عمرو: "سؤال بسيط فقط، هل حدث أن طردت سجالاً من منزلك يا واصل؟" أشاح واصل برأسه وقال: "طلبت منه أن يخرج لأنني لم أكن في مزاج يسمح لي بالحديث إليه" لقد حصل ذلك فعلاً، فقال عمرو: "هل لي أن أعرف السبب؟" "هل أخبرك سجال بأي شيء؟" "بصراحة، لا. ظننت أنك ربما تظن أنني يجب أن أعرف" "لقد وعدتُ ألا أخبر أحداً" سكت عمرو فنظر إليه واصل وقال: "آسف لذلك" ابتسم عمرو قائلاً: "أبداً، لقد حضرت إلى هنا لأخبرك أن سجالاً حزين جداً، إنه لم يكن يريد خسارتك على الإطلاق، لقد خشي أن يحدث ما حدث" لم يقل واصل شيئاً، هو أيضاً

لم يكن يريد أن يحدث كل ما حدث، كان من المفترض ألا يعلم شيئاً.
قال عمرو: "آسف للإزعاج، أراك بخير" استدار عمرو مغادراً المكان، ظل واصل واقفاً مكانه فالتفت عمرو إليه قائلاً: "سؤال آخر، هل أنت نادم أنك سمعت سر سجال؟" هز واصل رأسه بالإيجاب، تفاجأ عمرو بإجابته السريعة دون أي تفكير، سجال كان محقاً في كل ما قاله، لم يكن عمرو يكذبه فعلاً ولكن كان يصعب عليه تصديق أن كل ذلك حصل مع واصل، شكره عمرو ثانية وغادر المكان.

وصل واصل المنزل أخيراً وألقى بجسده المرهق على الفراش، لمياء لم تره منذ يوم، صعدت إلى غرفته فوجدته قد غط في النوم بسرعة دون أن يستبدل ثيابه، كان التعب واضحاً عليه، غطته بالفراش وأطفأت النور وغادرت الغرفة بهدوء.

كان سجال يجلس على الشرفة، ما إن غادرت لمياء حتى فتح الباب ودخل. واصل كان نائماً لم يشعر بدخول سجال مطلقاً.

نظر سجال إلى حقيبة واصل حيث دريم، فتح الحقيبة بهدوء وفعلاً دريم كان فيها، سجال كان يعلم أنه لا يستطيع لمس دريم، كان عليه العثور على المحرك الذي يضعه واصل في أذنه. بحث في الحقيبة إلى أن وجده، حمله بيده وقربه من أذنه إلى أن تذكر أن واصلاً أخبره أن الجهاز أثّر في أعصابه، وهو الآن مريض بسبب دريم. أنزل سجال الجهاز ونظر إليه وفكر "لم يجد واصل حلاً لهذه المشكلة بعد، أنا واثق أن والدي لا يعاني ما يعانيه واصل، هل يمكن أن يكون والدي من توصل إلى الحل؟ لا أظن ذلك، إنه ليس بهذا الذكاء" حدق سجال بالجهاز طويلاً لا يدري ماذا يفعل "إذا لم أفعل ذلك فلن أنجو، إذا فعلت ذلك قد أمرض كما مرض واصل، وقد لا أعيش طويلاً أيضاً" نظر

إلى الحقيبة حيث دريم "لست مضطراً لاستخدام الجهاز طالما أستطيع حمل الحقيبة بدريم إلى الخارج" فعلاً حمل الحقيبة بهدوء وفتح باب الشرفة ليخرج عندها سمع صوتاً حزيناً يقول: "توقف" نظر سجال خلفه فقد كان واصل قد استيقظ بل ربما لم يكن نائماً، جلس على الفراش ناظراً بيأس إلى سجال وقال: "لديك أسلوب مميز في الحياة، تدخل وتخرج دون أن يشعر أحد" لم يقل سجال شيئاً فقال واصل: "خشيت أن تضع الجهاز فعلاً، جيد أنك لم تفعل" أغلق سجال باب الشرفة وظل داخل الغرفة ليواجه واصلاً مرة أخرى، لم يكن موقفه جيداً بكل تأكيد حيث يسرق دريم من الغرفة، ولكن واصلاً كان يعلم أن هذا سيحدث بكل تأكيد.

قال واصل: "أمازلت مصمماً؟" قال سجال: "بكل تأكيد" وضع واصل يده على رأسه ثم قال: "سبق أن أخبرتك رأيي في ذلك" "أنت لم تعد تصدق كل الحكاية فماذا تريدني أن أقول؟ لم تترك لي خياراً آخر" نظر واصل إلى سجال، كان يبدو فعلاً أن سجالاً صادق بكل ما يقول ولكن واصلاً لا يريد أن يصدق شيئاً على الإطلاق، وضع سجال الحقيبة جانباً وقال: "تمنيت فعلاً أن تساعدني، ظننت أن مشكلتي قد حلت بمجرد وجودك إلى جانبي" قال واصل: "أردتك دائماً أن تكون بخير، ولكنني لم أتوقع أن أكون سبباً في تعاستك" نظر سجال إليه بسرعة وقال: "تستطيع أن تصلح كل شيء، صدقني، تستطيع أن تساعدني" ظل واصل صامتاً، سكت سجال لا يدري بم يفكر واصل، عندها نطق واصل وقال: "أنت تريد أن أضع قنبلة في دريم حتى تتمكن من تفجيره عندما تعود أليس كذلك؟" "نعم" "أنت لا تستطيع أن تغير شيئاً من المستقبل أليس كذلك؟" "نعم" "إذن لم يفت الأوان بعد، مهما طال

الوقت هنا فسيظل هناك متسع من الوقت لما تريد أن تفعل" لم يفهم سجال ما يعني واصل فقال واصل: "أعني لن يكون هناك فرق إذا فعلت ذلك اليوم أو في الغد، أو حتى بعد عام، أنت تريد ذلك بعد أكثر من عشر سنين" "ولكنني لا أعرف متى سيحصل والدي على دريم" "إليك عرضي الوحيد، سأضع القنبلة في جسد دريم عندما تعودان إلى المستقبل" سكت سجال مستمعاً إلى واصل، قال واصل: "هكذا تكون قد قدمت دليلك على صدق ما تقول، وأضع القنبلة في زمني، لن يكون هناك فرق، ستكون القنبلة جاهزة عندما تصل إلى هناك لأنني أكون قد وضعتها في الماضي" سكت سجال لا يدري ما يقول، إنه بحاجة إلى ثقة عمياء بواصل لكي يستطيع أن يصدق أنه سيفعل شيئاً كهذا في غيابه بينما لم يفعله في حضوره، قال واصل: "هذا عرضي الوحيد" قال سجال: "وكيف تضمن أننا عدنا إلى المستقبل؟" "إذا رأيت ذلك بأم عيني يكون أفضل، ولكنني سأكتفي باختفائك مع ساري في ظروف غامضة" "وهل أستطيع فعلاً أن أثق أنك ستفعل؟ لقد ألححتُ عليك كثيراً فلم تفعل" "لا أريد لأحد أن يعلم بشأن القنبلة على الإطلاق، عليك ألا تكون هنا عندما أفعل" "هل تخشى أن أفجره هنا؟" لم يقل واصل شيئاً فقال سجال: "لا يمكن أن يحدث لدريم مكروه لأنني أعلم أنه على ما يرام في العشر سنين القادمة" "هذا رأيك أنت، رأيي أنا أنك ربما لا تكون من المستقبل" سكت سجال وكأنه عاد إلى نقطة الصفر، واصل لا يثق به، وعليه أن يثق به ثقة عمياء وأن يسلم روحه له بكل بساطه، قال سجال: "أستطيع أن أحصل على دريم بكل بساطة كما تعلم" "وأعلم أنك لا تريد أن تفعل" نظر سجال إلى واصل الذي قال: "لقد طلبتَ ذلك من ساري كي لا تفعل ذلك بنفسك" ابتسم سجال

قائلاً: "لم يكن قراراً حكيماً، لقد أفسد كل شيء" ظل كلاهما صامتاً حتى قال سجال: "حسناً حسناً، سأقبل بذلك الآن، ولكنني قد لا أضمن لك ما يمكن أن يحدث" "تستطيع أن تبقى على اتصال" فرح سجال بذلك رغم كل ما حدث، وغادر الغرفة من الشرفة كما حضر.

واصل عاد للتمدد في الفراش، هل اتخذ القرار السليم يا ترى؟

***

في اليوم التالي حضرت فرح مع أمها إلى بيت كرم، إنها المرة الأولى التي ستشاهد فيها المنزل الذي ستعيش فيه، كرم كان خائفاً أن يكون وضع المنزل أسوأ مما تصورت، ولكنها فرحت كثيراً بالنادي كجزء من المنزل أكثر من أي شيء آخر "هذا رائع، أستطيع أن أتدرب هنا متى شئت؟" قال كرم بكل بساطة: "بالتأكيد" تجولت فرح في قاعة النادي مسرورة وقالت: "هذه أول مرة أشاهد فيها كل هذه الآلات، هذا جميل!" سأل كرم: "ألم تشتركي في نادٍ من قبل؟" قالت الأم: "كلا، ليست من محبي الرياضة" تعجب كرم لذلك ولكن فرح قالت: "ليس الآن، بوجود صالة كهذه ومدرب خاص محترف يكون الوضع مختلفاً" ضحك كرم قائلاً: "هذا استغلال واضح" ضحكت فرح قائلة: "ألن تدربني؟" قال كرم: "بلى سأفعل".

المنزل كان بسيطاً ولكنه لم يكن أسوأ مما توقعت فرح، ما لفت انتباهها فعلاً أن المنزل والصالة كانا نظيفين جداً، كرم كان المسؤول عن التنظيف بالطبع، إنه ماهر في كل شيء.



سجال غادر المدرسة بعد الامتحان شارد الذهن "هل فعلت الصواب؟ هل أستطيع فعلاً أن أثق بما يفعل؟" عاد إلى المنزل فرأى الجميع يلعبون المونوبولي على أرض الصالة، نظر الجميع إليه فرحين وقال مالك: "تعال نلعب، نحن لم نبدأ بعد" قالت لينا: "جميعنا الآن أنهى امتحاناته، لقد بدأنا العطلة" تذكر سجال الآن أن ذاك الامتحان كان الأخير، لقد بدأت العطلة فعلاً.

وضع سجال حقيبته جانباً وجلس يلعب معهم. وضعت سناء طبقاً من الحلوى إلى جانب كل واحد منهم ليستمتعوا باللعب.

سأل ماهر: "أين والدي؟" قالت سناء: "هناك اجتماع في الجامعة، لن يتأخر" قالت لنا: "ألا تلعبين معنا؟" قالت سناء: "هناك بعض الأعمال، سألعب في فرصة أخرى".

بدأ الأولاد اللعب، سجال جلس معهم ولكن ليست لديه الرغبة في اللعب فعلياً، ما إن جاء دوره حتى حمل النرد ليرمي، قالت لنا: "لا تفكر بالرقم الذي تريده" قال مالك: "العب لعبة عشوائية" نظر سجال إليه قائلاً: "هذا ليس سهلاً" قالت لنا: "إذن دعني أرمي الرند لك" قالت لينا: "هذا ليس ممتعاً" ولكن سجالاً أعطى النرد للنا فعلاً، رمت لنا النرد، وقبل أن يستقر الرقم كان سجال قد حرك مؤشره سبع خطوات، نظر الجميع إلى النرد، إنه مايزال يلف، استقرت الأولى على الرقم ستة، ثم استقرت الثانية على الرقم واحد وسط ذهول الجميع! قال ماهر: "لا أكاد أصدق ذلك!" تجاهل سجال ذلك ونهض حاملاً حقيبته وقال: "ليست لدي رغبة في اللعب، تابعوا بدوني" سار سجال خارجاً من المنزل، نظرت سناء إليهم قائلة: "ماذا جرى؟" قالت لينا: "لقد أصرت لنا أن تلعب بدلاً منه" غضبت لنا قائلة: "هذا ليس

السبب" قال ماهر: "إنه لم يكن يريد أن يلعب منذ البداية" سكت الجميع، ليس هناك ما يقولونه.

***

ذهب سجال إلى الغابة، بحث عن ساري ولكن لا أثر له، فكر قليلاً بالمكان الذي يمكن أن يكون فيه الآن فذهب إلى الملعب حيث كان يلعب مع كفاح من قبل. فعلاً كان ساري يلعب كرة القدم مع كفاح والأولاد كما في المرة الماضية، كان ساري مستمتعاً بينهم، سجال هو الوحيد الذي يعاني، كيف له أن يمرح في مثل هذا الوقت؟

وقف سجال قرب الملعب فلمحه ساري وتوقف عن اللعب، صرخ كفاح قائلاً: "لماذا توقفت؟ هيا بنا!" ولكن سارياً قال: "سأغيب قليلاً، تابعوا من دوني" نظر كفاح إلى حيث سجال، علم فوراً أن سجالاً يريده قليلاً، قال كفاح: "لا تتأخر، سنفوز معاً".

في الغابة صرخ ساري على سجال قائلاً: "هل جننت؟" قال سجال بهدوء: "هذا ما حدث" سكت ساري ينظر إلى سجال لا يصدق ما يسمع ثم قال: "هل تعلم، أنت فاشل جداً في عقد الاتفاقات" ابتسم سجال قائلاً: "اكتشفتُ ذلك مؤخراً" "وماذا تنوي أن تفعل؟" "ما فعلت" "كلا، لن أقبل بهذا أبداً" نظر سجال غاضباً إلى ساري وقال: "وماذا فعلتَ أنت؟" سكت ساري فترة ثم قال: "وهل يفترض واصل أنني معك في العقد؟" "أظن ذلك" "أبداً، لن أضع يدي في يدك على الإطلاق" "أخشى أنه عليك أن تفعل" صرخ ساري قائلاً: "هل تريدني أن أثق به بعد كل هذا؟ لقد دمر حياتي مرة فلن أسمح له بتدميرها ثانية" نهض سجال قائلاً: "هذا شأنك، هذا ما جرى" "ماذا تعني؟" "إذا كان

لديك حل آخر فأخبرني، لقد خارت قواي، لم أعد أستطيع أن أفكر بشيء" "يبدو ذلك واضحاً على وجهك" نظر سجال منزعجاً إلى ساري وقال: "أما أنت فتلهو هنا وهناك" ابتسم ساري ابتسامة ساخرة وقال: "لم أفعل شيئاً كهذا من قبل في حياتي، قلت: إذا كنت سأموت ولابد، على الأقل أستطيع أن أجرب اللهو مرة" "تستطيع أن تلهو مدى الحياة إذا استطعنا النجاة" تنهد ساري فقال سجال: "هل أفهم من ذلك أنك يائس؟" "إذا كان الاعتماد على واصل في نجاتنا هو الحل فيمكنك أن تعتبرني يائساً" "هذا خلاف بيننا، إذا كان لديك حل آخر فتفضل" نهض ساري قائلاً: "لا، ليس لدي شيء آخر، وحتى لو كنت سأموت دون أدنى شك، فلن أضع يدي في يد واصل على الإطلاق" علم سجال أنه لا فائدة من كل هذا الحديث، هو نفسه لا يدري إذا كان قراره سليماً أصلاً، قال ساري: "إنهم بانتظاري" غادر المكان عائداً إلى حيث كفاح والأولاد. سجال ظل واقفاً في الغابة لا يدري ماذا يفعل، أو كيف يستطيع ساري اللعب في مثل هذه اللحظات.

★★★

في النادي كان كرم يلعب التنس الأرضي مع واصل، لم يكن واصل يرغب في التحدث عن أمور المعمل فكل شيء متدهور، كل ما أراده أن يستمتع بوقته مع كرم قدر الإمكان.

كرم في الجهة الأخرى كان يريد أن يجعل واصلاً سعيداً بأي ثمن، هذا كل ما كان يفكر به.

لعبا كثيراً، كانت الشمس تغرب فوقهما، لم يبق على نهاية المباراة الكثير، جولة واحدة لكرم وينهي المباراة لصالحه. كان يتوجب

علــيٍ واصــل أن يكســب هــذه الجولــة بــأي ثمــن، رمــى كــرم الكــرة قائلاً: "سأختم المباراة يا واصل" قال واصل: "تحلـم" قـذف كـرم إرسـالاً قوياً ركض واصل إليه، مد يده ليضرب الكـرة بالمضـرب ولكـن المضـرب طار من قبضته عندما توقفت يده عن الحراك فجأة، والأسوأ في الأمر أن الكرة ارتطمت بوجهه مباشرة.

سقط واصل عليٍ الأرض فركض كرم إليه قلقاً، نهـض واصـل بهـدوء يمسح وجهه قائلاً: "لا بأس، أنـا بخـير" قـال كـرم قلقـاً: "لقـد كانـت قوية" "قلت لك لابأس، أنا بخير" نهض واصل دون مساعدة كـرم، نظر إلى المضـرب ثـم إلى يـده، إن إصـابعه لا تتحـرك. نظـر كـرم إليـه قائلاً: "مـا الأمـر؟" اتجـه واصـل إلى المضـرب قـائلاً: "لا شـيء، انزلـق المضـرب مـن يـدي" حمـل واصـل المضـرب بيـده اليسـرى عنـدها قـال كرم: "هل نكتفي اليوم؟" قال واصل: "ماذا تعني، لم تنته المباراة بعد، أم أنك تظن أنك ستهزمني؟" ولكن كرماً لم يتلق كلماته بمرح كمـا كـان يفترض لها أن تكون، قال واصل: "أنا بخير، تابع".

وقف كرم مكانه عليٍ الطرف الآخر، قال واصل: "إنهـا نقطـة لـك" نظر كرم إلى واصل قائلاً: "لن تلعب بيدك اليسرى" ابتسم واصـل وبـدل المضرب إلى يده اليمنى التي كانت قد تحركت أخيراً. رمى كـرم الكـرة وتابع المباراة.

حصـل واصـل علـى الجولـة، كـان عليهمـا متابعـة المبـاراة في هـذه الحال، جلس واصل على كرسي الاستراحة، جلس كرم إلى جانبـه ثـم قـال: "لقـد حصـلتَ علـى الجولـة، هـل تريـد المتابعـة؟" قـال واصـل منزعجاً: "لِم تساهلت معي؟" نظر كرم إلى واصل وقال: "أنـا لم أتسـاهل معك، لقد كسبتَ الشوط كمـا حـدث في الأشـواط السـابقة" قـال واصـل

منزعجاً أكثر: "غير صحيح، لقد تساهلت لأن الكرة لطمت وجهي" قال كرم: "إذا كان هذا صحيحاً فكان من الأحرى أن أنهي المباراة على أن يظل لدينا شوط آخر" سكت واصل، لا يبدو أنه اقتنع بما قاله كرم، تنهد كرم ونهض قائلاً: "سأجلب العصير" وذهب إلى حيث آلة بيع العصير وترك واصلاً على الكرسي وحده.

عاد كرم بالعصير إلى واصل بعد لحظات، كان واصل يضع المنشفة على وجهه يحاول أن يهدأ



وضع كرم عصير واصل على الكرسي إلى جانبه وفتح عصيره وبدأ يشرب.

شرب كرم جزءاً من عصيره دون أن يحرك واصل ساكناً، لم يقل

كرم أي شيء فلربما يحتاج واصل إلى شيء من الهدوء. ولكن بعد فترة قال واصل بلهجة ساخرة: "إذا كان لابد من الموت فليكن سريعاً" رفع واصل منشفته عن وجهه وحدق في الأرض بينما أنزل كرم العصير من فمه ببطء ثم قال: "وماذا عني أنا؟" نظر واصل إلى كرم الذي كان يحدق بالعصير بين يديه وقال: "ألم تفكر كيف ستكون حياتي بعد ذلك؟" شعر واصل أنه قد أحزن كرماً كثيراً بما قال، ولكن كرماً تابع قائلاً: "أنت لا تعرف معنى أن تفقد شخصاً عزيزاً عليك، لطالما تمنيتُ أنني من مات بدلا من والديّ، أنا من يعاني" نظر كرم إلى واصل وتابع قائلا: "لا أريد أن أفكر كيف ستكون حياتي من دونك" طأطأ واصل رأسه شاعراً أن كرماً سيبكي في لحظات فقال: "أنا آسف" عاود كرم النظر إلى العصير بين يديه اللتين كانتا ترجفان، بقيا صامتين فترة ثم وضع واصل رأسه على كتف كرم وقال: "لن أقول ذلك ثانية، أعدك" بدأت الدموع تسيل من عيون كرم رغماً عنه، شعر واصل بألمه الكبير، إنه يذكره بوالديه، كان هذا كثيراً على كرم بكل تأكيد.

★★★

عاد عمرو من الجامعة حضّرت له سناء الغداء فتناوله ثم جلس إلى التلفاز قليلاً، كان الأولاد عدا سجال يلعبون في غرفهم، قال عمرو لسناء: "أظن أنه علينا التخطيط لرحلة صغيرة بمناسبة العطلة، يجب أن يلعب الأولاد في الحقول" سناء لم تقل شيئاً، كان هناك ما تريد التحدث عنه، نظر عمرو إليها قائلاً: "هل حدث شيء جديد مع سجال؟" قالت سناء: "إنه متوتر جداً هذه الأيام، لست أدري ما يجري معه، لقد رفض اللعب مع الأولاد وخرج" "هو ليس في المنزل الآن؟"

"كلا، ولا أحد يعلم أين يذهب" هذا أكثر ما كان يزعج عمرو في تصرفات سجال، جلست سناء إلى جانب عمرو وقالت: "إنه يخفي عنا الكثير" نظر عمرو إلى التلفاز قائلاً: "أعلم، لقد قال لي ذلك عدة مرات" "وهل ستتركه هكذا؟ يجب أن تعرف ما يخفي" أغمض عمرو عينيه وقال: "لقد أخبرتكِ من قبل أنني لست طبيبه" "ولكنك قلت أيضاً أنك والده، أليس عليك أن تعرف ما يفعل؟" نظر عمرو إلى سناء وقال بجدية: "لا يستطيع أن يخبرني لأنه يخشى أن يزعجني، لقد أخبرتك أنني لست طبيبه الذي يستطيع أن يخبره أي شيء، إنني أحمل له مشاعر كبيرة، هو يعلم ذلك، ولا يريد أن يخسرني، لذلك لا يستطيع أن يبوح بأي شيء" "ألا يقلقك أن تسمع شيئاً كهذا؟" نظر عمرو إلى التلفاز ثانية وقال: "كل يوم أكتشف شيئاً جديداً في أمر سجال، إلى الآن لا توجد مشاكل" "ماذا تقصد بإلى الآن؟ يجب أن لا تحدث مشاكل على الإطلاق" ابتسم عمرو بهدوء وقال: "آسف، قد لا أضمن لك ذلك" لم تصدق سناء ما تسمع فقال عمرو: "بدأت أتوقع حدوث أي شيء" قالت سناء منزعجة: "لقد وعدتني، أتذكر؟" طأطأ عمرو رأسه فتابعت سناء قائلة: "لقد وعدتني إذا كان في كل ما تفعل أذى لأولادي فإنك ستتراجع على الفور" "وهل تستطيعين التراجع الآن؟" لم تقل سناء شيئاً ولكنها ما تزال منزعجة، قال عمرو: "هل أنا الوحيد الذي يشعر أن سجالاً ولدي؟" "مهما حدث فإن أولادي من صلبي أعز علي من سجال" "قد لا أخالفك الرأي ولكن، هل تستطيعين أن تنامي وهو ينام خارج المنزل؟" لم تقل سناء شيئاً فقال عمرو: "قد لا أضمن لك أنه سيكون على قيد الحياة إذا لم تراقبيه دوماً" نهض عمرو ولم تقل سناء شيئاً، صعد إلى الطابق العلوي وظلت سناء جالسة أمام التلفاز الذي بدأ

يعرض إنجازات وأعواناً لشاكر الذي حاول سجال وساري قتله.

★★★

في المستشفى كانت مرام قد استلمت وظيفتها وبدأت العمل على الفور، كانت لها غرفة في الطابق الرابع تشرف على أدوية المرضى فيه.

كانت مرام تسجل الأدوية المطلوبة على الحاسوب عندما طرق الدكتور مازن الباب قائلاً: "هل هناك الكثير من العمل؟" تذكرته مرام على الفور، إنه الدكتور الذي قابلته عند مكتب الموظفين، قالت: "لا بأس، أكاد أنتهي" "هل تحتاجين إلى مساعدة؟" ابتسمت مرام قائلة: "شكراً، إذا احتجت للمساعدة فسأطلبها بكل تأكيد" "سأكون في الخدمة" تابعت مرام العمل على الحاسوب قليلاً ولكن مازناً كان ما يزال واقفاً على الباب، نظرت إليه، كان من الواضح أن هناك ما يريد أن يقوله فابتسمت قائلة: "هل هناك شيء ما؟" ابتسم مازن واقترب من مرام قائلاً: "فكرت كثيراً كيف يمكن أن أفاتحك بالموضوع" "بشأن ماذا؟" ركز مازن يده على مكتب مرام وقال: "مرام، هل أنت مخطوبة؟" لم تتوقع مرام شيئاً كهذا، ضحكت قائلة: "أبهذه السرعة؟" قال: "أحب أن أتعرف عليك أكثر" لم تدر مرام ما تقول، كان من المفترض أن يكون واصل المبادر بهذا الأمر، والآن ماذا ستقول لمازن؟ سرحت مرام قليلاً فقال مازن: "هل كان هذا مفاجئاً؟" ابتسمت مرام قائلة: "نوعاً ما، لم يمض على عملي هنا الكثير" رفع مازن يده عن المكتب قائلاً: "ليس عليك أن تردي علي الآن، كم من الوقت تريدين؟" لم تدر مرام ما تقول ولكنها أجابت: "يومان، أظنها تكفي" قال مازن: "كما تشائين، سأمر عليك بعد الغد، أراك بخير" خرج مازن من

الغرفة تاركاً مرام في حيرة من أمرها، ماذا يجب أن تفعل الآن؟

★★★

رند كانت قد ذهبت لزيارة فرح وحدها، فرح كانت سعيدة جداً بها، ولكنها كانت تخشى أن ما يخشاه كرم صحيح، و أن رندَ تزورها حباً في المنزل.

جلست رند في الصالة وقالت لفرح: "كرم مع واصل، ليست لدي الرغبة في الجلوس وحدي في المنزل، إنها عطلة" قالت فرح: "هل تحبين أن نخرج معاً؟" "إلى أين؟" فكرت فرح قليلاً ثم قالت: "متنزه أو شيء من هذا القبيل" نهضت رند قائلة: "موافقة، هيا بنا" لم يبدِ على رند أنها ترغب في الجلوس في المنزل الفخم، هذا كان مطمئناً قليلاً ولكن كان على فرح أن تفاتح رندَ بالموضوع بطريقة أو بأخرى.

ارتدت فرح ثيابها وخرجتا إلى حديقة جميلة، اشترت فرح مثلجات لهما وتمشيتا في كل مكان.

قالت فرح: "هل أعجبتك المثلجات؟" أشارت رند بالإيجاب قائلة: "نعم، إنها شهية، بالمناسبة... شكراً لك على غداء المرة الماضية، كان لذيذاً جداً" ابتسمت فرح قائلة: "في المرة القادمة سأحاول أن أصنعه لك بنفسي" لم تلاحظ فرح ردة فعل معينة لرند على ما قالت، كان عليها أن تدخل في الموضوع أكثر فقالت: "من كان طعامه ألذ، الطاهي أم كرم؟" قالت رند ببساطة: "الطاهي" لم تسر فرح بهذا الجواب ولكن رندَ تابعت قائلة: "إنه محترف في مهنته، كرم يطهو لأنه مضطر لذلك، ولكنه يتقنه" قالت فرح: "هل تحبين أن أطلب من الطاهي أن يطهو لك كل يوم؟" أشارت رند بالنفي فنظرت فرح إليها

قائلة: "لقد قلت أنه ألذ من طعام كرم" قالت رند: "ولكنه لا يعرفني، ولا يحبني، الوضع مختلف عندما يتعلق الأمر بكرم، إنه يفعل كل شيء لي لأنه يحبني" فرحت فرح أخيراً بجواب رند فقالت: "أنا سعيدة بسماع شيء كهذا، هل تعلمين، أنت تفكرين بعمق، هذا التفكير أكبر من عمرك" قالت رند: "سجال جعلني أحس بذلك" "سجال! لقد تناول الغداء معك أليس كذلك؟" "نعم، هو من نبهني إلى الحب في ما يفعله كرم لي، إنه دائماً يقول أشياء غريبة ولكنها في النهاية تكون مهمة" "أنت تتحدثين عن سجال كثيراً" نظرت رند إلى فرح التي قالت: "أنت تفضلين الجلوس معه أليس كذلك؟" أشارت رند بالإيجاب فقالت فرح: "خسارة أنه لم يعد يغني ثانية، لقد كنت معجبة به جداً، لديه صوت مميز رغم صغر سنه، إنه معجزة" "لقد ترك الغناء لأنه لم يرتح للعمل في هذا السن" "أنت تعرفين عنه الكثير" نظرت رند إلى فرح التي قالت: "أخبريني عنه" كانت هذه أول مرة ستتحدث رند فيها عن سجال، في العادة كانت تحاول ألا تتحدث عنه أمام كرم، فرح هي أول شخص يسألها عن سجال راغباً أن يعرف عنه أكثر. لا تبدو فرح منزعجة من جلوس رند مع سجال على عكس كرم، ربما تستطيع التحدث إليها بكل بساطة. قالت فرح: "ما الأمر؟ أنت تعرفين عنه الكثير أليس كذلك؟" أشارت رند بالإيجاب وقالت: "نحن دائماً نجلس معاً في المدرسة، نتحدث كثيراً ونلعب معاً" جلست فرح مع رند على حوض قريب من النوافير لتبدأ رند بالحديث عن سجال كما تشاء.



في هذه الأثناء عادت مرام إلى المنزل، دخلت فإذا بها تجد الجدة تجلس على الكرسي المتنقل أمام التلفاز، قالت مرام: "مساء الخير، أين أمي؟" قالت الجدة: "مساء الخير، أمك ذهبت إلى لمياء، لقد أصلحت لها فستاناً وتريد أن تعيده، لن تتأخر" لم تكن مرام على مايرام، صعدت الدرج ببطء عندها سمعت الباب يفتح، نظرت فكانت شادن قد عادت من عند لمياء، ولكنها كانت تلهث! نزلت مرام عن الدرج ونظرت إلى أمها عند الباب كما كانت تحدق الجدة بها أيضاً. شادن لم تستطع أن تتمالك نفسها، كانت عيونها تدمع فسألتها مرام: "ما الذي جرى؟" جلست شادن مرتكزة على الباب وغطت وجهها قائلة: "لقد، تشاجرت مع لمياء" مرام والجدة كانتا متأكدتين أن خلافهما كان بسبب واصل، ولكن شادن بدأت تبكي، جثت مرام عندها وأمسكت بها قائلة: "اهدئي" ثم سندتها لترفعها عن الأرض قائلة: "لا تجلسي عند الباب هكذا، تعالي" أجلست مرام شادن على الأريكة في الصالة، كانت شادن ماتزال تبكي صديقتها العزيزة.

★★★

دخل واصل المنزل، كان الجو هادئاً بطريقة غريبة، كفاح ومصعب في غرفتهما يلعبان إلى الحاسوب، ولمياء لم تستقبله على الباب، سأل واصل كفاحاً: "هل خرجت والدتي؟" قال كفاح: "كلا" وتابع اللعب. نزل واصل إلى الطابق السفلي، لا يتوقع أن تكون في المطبخ ولم تستقبله عند الباب! ولكنه ما إن فتح باب المطبخ حتى شاهد لمياء تجلس على كرسي تنظر إلى الخارج من خلال النافذة. كان الصمت غريباً، لم تنظر لمياء إلى من فتح الباب، إنها تعلم أنه واصل. اقترب واصل من أمه قليلاً

وقال: "أمي!" قالت لمياء: "أهلاً بك" ولكن شيئاً لم يغير الجو الكئيب في الغرفة، اقترب واصل أكثر من أمه إلى أن نظرت إليه أخيراً، كان الحزن بادياً على وجهها، قال واصل: "هل كنت تبكين؟" ابتسمت لمياء قائلة: "هل تريد أن تتناول شيئاً؟" قال واصل: "كلا، أردت أن أراك فقط" قالت: "أنا بخير". سكت الاثنان فعاودت لمياء النظر من خلال النافذة إلى الخارج لا تريد النظر في عيون واصل فقال: "هل والدي بخير؟" قالت لمياء بسرعة: "بخير، إنه على أحسن مايرام" "إذن ماذا حدث؟" لم تقل لمياء شيئاً عندها جثا واصل واضعاً يديه على ركبة أمه وابتسم قائلاً: "ما الذي يزعج ملكة الدنيا؟ ما عليك إلا أن تطلبي من روميو أن يهزم الأعداء"



ابتسمت لمياء لمحاولة واصل هذه، ولكنه لف وجه أمه بيده لتنظر إليه وقال: "لم أعتد أن تخفي شيئاً عني، إذا لم أعرفه أنا فمن سيعرفه؟" بدأت لمياء تدمع فنظرت حيث يديها لا تريد أن تواجه عيون واصل. جر واصل كرسياً مقابل أمه وجلس عليه ليسمع ما لديها. قالت لمياء: "كنت أعلم أن هذا اليوم آت، لقد خُيِّرتُ بينك وبين أعز صديقة لي فاخترت" أحس واصل أنه بدأ يفهم شيئاً على الأقل فقال: "شادن؟" لم تقل لمياء شيئاً فقال واصل: "لقد تشاجرت مع شادن بسببي أليس كذلك؟" قالت لمياء: "لا ألومها، لو كنت مكانها لربما فعلت الشيء ذاته" "أنا الملام على ذلك" نظرت لمياء أخيراً إلى واصل وقالت بسرعة: "كلا، ليس كذلك أيضاً، أنا أفهمك تماماً" ظل واصل صامتاً فترة فقالت لمياء: "لا تفكر في الأمر، لقد توقعت حدوث ذلك، كانت مسألة وقت فقط" نهض واصل قائلاً: "لا تقلقي، سيكون كل شيء على مايرام" قالت لمياء: "ماذا تنوي أن تفعل؟" أعاد واصل كرسيه إلى مكانه حول الطاولة وقال: "ما كان يجب أن أفعله منذ البداية" نهضت لمياء قائلة: "لا أريدك أن تفعل شيئاً تكره أن تفعله" ابتسم واصل لها قائلاً: "أنا حر في أن أفعل ما أشاء لنفسي، ولكنني لست حراً فيما يتعلق بالآخرين" لم تستطع لمياء أن تقول شيئاً، وصعد واصل إلى غرفته وتمدد في الفراش يفكر ماذا سيفعل بالضبط.

★★★

شادن في الجهة الأخرى كانت قد هدأت، مرام والجدة ما زالتا جالستين معها وهناك كوب من العصير كانت قد شربت منه شادن قليلاً لتهدأ وتبل ريقها.

بعد فترة قالت مرام: ″هناك طبيب في المشفى يريد أن يخطبني″ نظرت شادن والجدة إلى مرام حيث قالت: ″اليوم طلب مني أن أفكر في الموضوع، إنه مقيم في السنة الثانية يعمل في نفس المشفى″ ظلت شادن صامتة فقالت الجدة: ″وهل قلت له شيئاً؟″ قالت مرام: ″طلبتُ مهلة يومين″ لم تقل شادن شيئاً ولكن مرام لم تكن متحمسة لما يجري، قالت الجدة: ″وهل تريدينه؟″ قالت مرام: ″لا أعرف عنه شيئاً بعد، من الوهلة الأولى أقول أنه ممتاز″ تناولت شادن كوب العصير عن الطاولة وشربت منه قليلاً ثم قالت: ″هل يعرفك من قبل؟″ قالت مرام: ″لا أظنه كان في نفس جامعتي، لست أدري لماذا ولكنني لا أظن أنه يعرفني أيضاً″ سكت الجميع فترة فقالت مرام: ″ما الأمر؟ أنا لم أشاوركما في الأمر لتظلا صامتتين″ قالت شادن بحزن: ″أظن أنه علينا جميعاً أن ننسى أمر واصل″ ولكن الجدة قالت: ″ربما هناك ما يؤخره، لقد تأخر جدك في خطبتي أيضاً″ قالت مرام منزعجة: ″إنه لم يقل شيئاً على الإطلاق، إنه يتجاهلني!″ سكتت الجدة وهي تعلم أنه لا فائدة من النقاش هكذا، قالت شادن أخيراً تحسم الموقف: ″أخبريه أن يتفضل لنتعرف عليه أكثر هو ووالدته″ هدأت مرام قليلاً ثم نهضت قائلة: ″سأفعل″ وصعدت إلى غرفتها، شادن رفعت كوب العصير وأفرغته في جوفها ثم قالت: ″لم أكن أريد لزواجها أن يكون هكذا، إنها ليست سعيدة″ ظلت الجدة صامتة فتنهدت شادن قائلة: ″بصراحة كنت أريد لواصل أن يكون زوج مرام دون كل الشباب، نحن ثلاثة فتيات في المنزل، هذا الشاب سيكون رجل الجميع، كنت متأكدة أن واصلاً سيكون الأفضل، ولمياء ستكون ضمن العائلة، كنت أثق أنها ستكون عائلتي″ قالت الجدة: ″ماذا تقول لمياء؟″ انزعجت شادن

قائلة: "لا شيء! أظن أنها أبرد من المطلوب" ونهضت تعيد الكوب إلى المطبخ. ظلت الجدة جالسة مكانها حزينة على ما يجري مع مرام.

***

في منزل عمرو كان سجال جالساً على فراشه يفكر "لماذا بت قلقاً هكذا؟ إذا كان هناك وقت أقضيه هنا فيجب أن أستمتع به قبل فوات الأوان، أليس هذا ما يفكر به ساري؟ لم يتغير شيء منذ قدومي إلى هنا، لقد قضيت أوقاتاً جميلة، لِم لا أنسى كل شيء عن المستقبل و أعيش هنا الآن، لا أعلم متى يمكن أن أعود إلى المستقبل كما لا يعلم أحدهم متى سيموت، إنه الشيء نفسه" عندها سمع صوتاً خارج الغرفة "لا تستطيعين فعل ذلك" "لم لا، سجال سيعلمني" فتح باب الغرفة فإذا به مالك يناقش لينا التي تحمل كمان سجال بيديها، نهض سجال قائلاً: "ما الأمر؟" قال مالك: "تظن أنها تستطيع العزف على الكمان، إنها أول مرة تلمس فيها الكمان في حياتها" قالت لينا مصححة: "لم أقل أنني أستطيع العزف، قلت أنني أريد تعلمه" ثم نظرت إلى سجال قائلة: "ألا تساعدني؟" ابتسم سجال قائلاً: "لا بأس" فرحت لينا كثيراً وركضت لتجلس إلى جانب سجال على الفراش فقال مالك: "أفضل أن أسمع شيئاً يعزفه سجال على سماع شيءٍ عشوائيٍ" نظرت لينا إلى مالك غاضبة وقالت: "بعد أيام لن تسمع شيئاً عشوائياً" ضحك سجال قائلاً: "قد يأخذ ذلك وقتاً، ولكن المهم أنك تريدين ذلك فعلاً" قالت لينا: "أجل" قال مالك: "أحب أن أسمع شيئاً من عزفك يا سجال" قالت لينا: "سيكون ذلك رائعاً" نظر سجال إليهما حيث يتوقان لسماع شيء من عزفه المميز فحمل الكمان من يد لينا ونهض مستعداً للعزف.

بدأ سجال العزف، كما هو متوقع كان عزفاً لا يوصف، سمع كل من في المنزل العزف، كان عمرو سعيداً جداً بسماع شيء من عـزف سـجال مجدداً. الجميع توقف عما كان يعمـل مسـتمعين لعـزف سجال، إنـه يتقن ذلك جيداً. حتى لنا توقفت عن اللعب تستمع للعزف مـن الطـابق السفلي.

أنهـى سـجال العـزف فصـفق مالـك ولينـا بحـرارة، عنـدها قـال مالك: "سأعترف بكِ عازفة متألقة إذا عزفـت شـيئاً كهـذا" قالـت لينـا منزعجـة: "وسـتدين لـي باعتـذار عمـا تقـول الآن" ضـحك مالـك قائلاً: "اتفقنا" وغادر الغرفة تاركاً لينا مع سجال ليبدأ تعليمهـا كيـف تعزف.

وقفت لينا وحملـت الكمـان، لم تكـن لـدى سجال خـبرة في تعلـيم الآخرين ولكنه سيحاول.

وضّح سجال للينا كيف تحمل الكمان، وضح لها عمل الأسـواط، ثـم طلب منها أن تجرب شيئاً بنفسها.

جربت لينـا العـزف فحركـت يـدها لأول مـرة عازفـة لحنـا حـاداً وطويلاً، كل من في الأسفل سمع الصوت، كان مزعجاً جـداً، مالـك كـان يضحك مستمتعاً، ولكن سـجالاً لم يكـن مرتاحـاً، هـذا الصـوت الحـاد جعله يتذكر أياماً لا يحب تذكرها. تابعت لينا عزف لحن حاد مـزعج أيضاً، وضع سجال يديه على أذنه منزعجاً من ذكرياته أكثر من صـوت الكمان، إنه يتذكر غرفة صغيرة مسلطاً عليها ضوء قـوي وصـوت حـاد يصدر من خلف الجدران طول الوقت. لينـا تابعـت العـزف بينمـا بـدأ سجال يعرق، جلس على السرير مغمض العيـنين وقـال: "هـذا يكفـي" ولكن لينا لم تسمعه، عندها صرخ بصوت عال: "يكفـي!" توقفـت لينـا

عن العزف فجأة لسماعها صراخ سجال، نظرت إليه، إنه ليس على ما يرام! كان مايزال يغطي أذنيه ووجهه يتصبب عرقاً. لم يكن ينظر إلى لينا بل كان ينظر إلى الأرض حيث قدميه فقالت: "هل كان هذا مزعجاً جداً؟" لم يقل سجال شيئاً، إنه مايزال يحاول نسيان ما مر به في الماضي، أحست لينا بخيبة أمل، كان مالك على حق، لا تستطيع أن تعزف أبداً. وضعت الكمان إلى جانب سجال قائلة: "أنا آسفة" لم يحرك سجال ساكناً فغادرت الغرفة بهدوء وتركته على حاله.



الفصل التاسع والخمسون

مـرام كانـت تعمـل في المستشـفى في الصـيدلية تنظـر إلى العينـات الجديدة عندما دخل عليها مازن مستعجلاً يقول: "صباح الخير" نظرت مرام إليه مبتسمة وقالت: "صباح الخير" قال مازن: "المريض في الغرفـة 306، أوقفناه عـن الهيبـارين، عـدلي لـه القائمـة" جلسـت مـرام إلى الحاسوب وعدلت القائمة كما طلب ثم قالت: "أوقفته له، هل من شـيء آخـر؟" قـال مـازن: "شـكراً" وهـم بمغـادرة الغرفـة فاسـتوقفته مـرام قائلة: "عفـواً، دكتـور" نظـر إليهـا فقالـت: "بشـأن الأمـس... والـدتي ترحب بك في المنزل لتتعـرف عليـك أكثـر" ابتسـم مـازن قـائلاً: "هـذا جيد، إذن سأحضر الليلة لمقابلة والديك" قالت مـرام: "سـتكون والـدتي فقط، والدي توفي منذ زمن" تغيرت ملامح مـازن قلـيلاً وقـال: "آسـف" قالت مرام: "لا عليك، مر وقت طويل على ذلك-رحمه الله- وأنا أعـيش الآن مع أمي وجدتي في المنزل" قال مازن: "حسناً سأحضـر مـع والـدتي الليلة، هل يناسبك ذلك؟" قالت مرام: "جداً" سـلم عليهـا قـائلاً: "أراكِ الليلة" وغادر مستعجلاً ليتابع عمله.

أخيراً سيتم كل شيء، هذه كانت بالنسبة لمـرام مرحلـة حاسمـة في علاقتها مع واصل.

★★★

واصل كان عند كرم، بات يذهب إلى هناك أكثر مـن السـابق بعـد أن علم كرم كل ما يخفيه، كـرم كـان دائمـاً يحـاول ألا يُشـعر واصـلاً أنـه

يشفق عليه لأنه لا يحب ذلك، ولكنه لا يستطيع أن ينسى أنه ربما يجلس مع واصل آخر جلسة، هذا الشعور كان يقلق كرماً كثيراً، غالباً ما كان يحاول أن يظل واصل تحت نظره إلى آخر لحظة.

كانا يجلسان معاً في صالة التدريب، واصل ممدد يرفع الأثقال على الآلة، وكرم يلكم كيس الرمل يدرب قبضته عندما سمعا صوت أذان العشاء. توقف كرم عن التدريب قائلاً: "لقد مر الوقت بسرعة" توقف واصل أيضاً وجلس قائلاً: "يجب أن أغادر الآن" قال كرم: "دعنا نصلي العشاء هنا ثم تغادر" وافق واصل على الفور، توضأ كل من واصل وكرم في مغاسل الصالة، وقفا إلى جانب بعضهما ليبدآ الصلاة، قال كرم: "أمّ بي" قال واصل: "ستفعل أنت ذلك هذه المرة" لم يناقش كرم واصلا وتقدم للصلاة.

أنهيا أربع ركعات الجماعة، ثم صلى كل منهما السنة والوتر. ظل واصل جالساً يفكر بشيء ما فسأله كرم: "بم تفكر؟" قال واصل: "أكثر ما يزعجني بمرضي" علم كرم أن الوضع سيكون سيئاً بالحديث عن مرضه ولكن على واصل أن يتحدث عن كل ما يزعجه، إذا لم يكن كرم من سيستمع له فمن؟

جلس كرم مقابله وقال: "ما الذي يزعجك؟" قال واصل: "النسيان" قال كرم: "تستطيع أن تكتب ما تريد أن تفعله، بذلك لن تنسى" "ليس هذا ما يزعجني" "إذن ماذا؟" سكت واصل قليلاً ينظر إلى يديه ثم قال: "لقد... نسيت شيئاً مما كنت أحفظ من القرآن" فهم كرم على الفور ما يعني واصل، فهو يعلم تماماً أنه كان يحفظ القرآن عن صغر، ويجيد التجويد والتلاوة بشكل مميز، قال كرم: "تستطيع أن تسمعه من جديد، أنا أعلم أنك تستطيع" نظر واصل إلى كرم وهو لايزال حزيناً

فقال كرم: "كل فجر، سأساعدك على ذلك" "سوف أنسى" "ليس مهماً، المهم أن تبذل جهدك، الله لا يكلف نفساً إلا وسعها" سكت واصل قليلاً، ليس من السهل أن يعيد شيئاً كان يعلم أنه قد أنجزه بكل تفان. طبطب كرم على كتف واصل قائلاً: "لا تقلق، أنا واثق أنك لن تعود من البداية، لابد أن يكون قد ظل الكثير في ذهنك، ستتذكر بسرعة" قال واصل: "ولكن لن نفعل ذلك في المسجد" هنا سكت كرم، إنه يعلم أن واصلاً لا يريد أن يراه أحدهم يعيد حفظ القرآن من جديد خاصة أولئك الذين يعرفون أنه يحفظه، اقترب كرم أكثر من واصل وقال بكل جدية: "كف عن التفكير بما سيقوله الناس" قال واصل منزعجاً: "أنا لا أفكر بالناس، لماذا تقول ذلك؟" قال كرم: "ليس مهماً أين تفعل ذلك" "أريد أن أكون وحدي معك، هذا كل ما في الأمر، لماذا تظن أنني أفكر برأي الناس؟" لم يقل كرم شيئاً فانزعج واصل أكثر وأمسك قميص كرم قائلاً: "أنا لم أفعل شيئاً للتباهي أمام الناس، لم أفعل!" قال كرم ببساطة: "حسناً حسناً..." ولكن واصلاً انزعج أكثر وقال: "أيُعقل أنك تفكر هكذا طول الوقت؟ كلا! رأي الناس لم يكن همي على الإطلاق!" أمسك كرم يدي واصل قائلاً: "حسناً، هدئ من روعك" قال واصل بصوت حزين: "أن يظن الجميع شيء، وأن تظنه أنت شيء آخر" عانق كرم واصلاً قائلاً: "أنا لم أقصد ذلك صدقني، أنا آسف" ظل واصل صامتاً، لقد انزعج كثيراً مما حدث، لم يكد يصدق أن كرماً يظن أنه تعلم الكثير وفعل الكثير لكي يتباهى أمام الناس، هذا أسوأ ما يمكن أن يكون، خاصة بشيء مثل حفظ القرآن، يجب أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى وإلا قد لا يحصل على أي ثواب مقابله.

ظل الاثنان صامتين فترة إلى أن رفع واصل رأسه عن صدر كرم

قائلاً: "عليّ المغادرة" قال كرم: "أنا آسف مرة ثانية، أنا فعلاً لم أقصد" وقـف واصـل قـائلاً: "لقـد تـأخرت" سـار واصـل إلى البـاب فقـال كرم: "واصل! لقد أخـذتَ ذلـك علـى محمـل الجـد كـثيراً، لا تفكـر في الأمر" نظر واصل إليه وقال: "عدني ألا تفكر هكذا ثانيـة" ابتسم كـرم قائلاً: "أنت تقول ذلك وكأنني كنت أفكر هكذا طـول حيـاتي، ليـ..." قاطع واصل كرماً قائلاً: "عدني" قال كرم: "أعدك" عندها غادر واصل.

شعر كرم بندم شديد على الحوار الـذي دار بينهمـا، لقـد كـان كـل شيء على مايرام، لماذا كان عليه أن يقول شيئاً كهذا؟

★★★

مرام تجهزت للقـاء مـازن ووالدتـه، ارتـدت قميصـاً أزرق سمـاوي وتنـورة بـيج، و حجابـاً كـان لونـه أزرق كلـون القمـيص، إضـافة إلى الاكسسوارات.

دخلت عليها شادن الغرفة حيث كانت شادن أيضاً جهـزت نفسـها وارتدت طقماً بنفسجياً وحجابـاً أبـيض. نظـرت إلى مـرام وقالـت: "ألا تضعي قليلاً من المكياج؟" قالت مرام غير مبالية: "إنه يعـرفني هكـذا، ليس هنـاك داع للمكيـاج" سـكتت شـادن قلـيلاً تحـدق بمـرام، عنـدما انتبهت مرام لنظرات شادن قالت: "ما الأمر؟" قالت شـادن بحـزن: "لا أراك متحمسـة" قالـت مـرام ترسـم ابتسـامة علـى وجههـا قـدر المستطاع: "لماذا تقولين ذلـك؟ أنـا مرتبكـة قلـيلاً فحسـب" ظلـت شـادن صامتة فقالـت مـرام منزعجـة هـذه المـرة: "لا أسـتطيع أن أنتظـر طـول حياتي" مرام معها كل الحق في ذلك ولكن شادن ماتزال تفضل أن يكون واصل هو زوج مرام كما تخيلت وعاشت منذ سـنين، قالـت: "أتمنـى أن

يكون جيداً" قالت مرام: "إنه جيد لا تقلقي".

غادرت شادن الغرفة تجهز غرفة الجلوس، حتى الجدة كانت قد استبدلت ثيابها بثوب جميل أخضر لتقابل الضيوف.

لم يمض الكثير من الوقت حتى رن جرس المنزل معلناً حضور مازن مع والدته، فتحت شادن الباب واستقبلتهما بابتسامة عريضة ورحبت بهما وأدخلتهما غرفة الجلوس، الجدة كانت في الغرفة أصلاً، رحبت بهما أيضاً.

جلس مازن مع أمه يتحدثان إلى شادن، ينتظران قدوم مرام. لم يمض وقت حتى نزلت مرام لتراها أم مازن لأول مرة، كان يبدو على أم مازن الطيبة، إنها بسيطة ترتدي عباءة وحجاباً وردياً، مازن كان يرتدي بذلة كحلية، ربما كان روب الطب أجمل عليه.

قدّمت مرام العصير للجميع وجلست، كان من الواضح أنها أثارت إعجاب أم مازن كثيراً فلم تُخف أم مازن شيئاً مما يدور في ذهنها إلا صاغته بكلمات على اللسان "ما شاء الله، كنت أعلم أن ابني يجيد الاختيار، تبدين كالأميرات حرسك الله" وما إلى ذلك...

استمرت الجلسة وقتاً كانت أم مازن وشادن أكثر من يتكلم، مازن نظر حوله إلى الجلوس، كلهم نساء إلا هو. نظر إلى الجدة حيث انتبه أنها تحدق فيه منذ زمن، ولكنه أدار وجهه بسرعة لينظر إلى شادن التي كانت تتكلم، الجدة لم تبعد نظرها عن مازن أبداً، لم تتفوه بأي كلمة إلا ما ندر.

شرب الجميع القهوة ونهضت أم مازن والفرحة بادية على وجهها تقول: "سنستأذن الآن" نهضت شادن قائلة: "مايزال الوقت مبكراً" قالت أم مازن: "سيكون لدينا لقاءات أخرى كثيرة" نهض مازن فرحاً

أن أمه تعني أنها أُعجبت بمرام وتريدها فعلاً زوجة له، مرام نهضت أيضاً فنظرت إليها أم مازن قائلة: "سنترك لكم وقتاً للتفكير، سنتصل بعد يومين، أتمنى أن نسمع رداً طيباً" ابتسمت شادن قائلة: "خيراً إن شاء الله" نظر مازن فرحاً إلى مرام التي ابتسمت له فرحة أيضاً بجلسة طيبة وجميلة.

غادرا المنزل، كانت شادن مرهقة جداً ولكنها نظرت إلى مرام قائلة: "يبدو أنه محترم ومهذب جداً" قالت مرام: "إنه كذلك" قالت شادن: "ولكن كيف سنسأل عنه؟ ومن سنسأل؟" ظل ثلاثتهن صامتات إلى أن نظرت مرام إلى الجدة وسألتها: "كيف وجدتهما؟" قالت الجدة: "عائلة كريمة" نظرت شادن لا تصدق ما تسمع! الجدة تمدحهم! هذا شيء يحدث كل قرن. نظرت مرام إلى شادن تضحك، ربما يغني رأي الجدة عن السؤال.

★★★

مر اليومان بسرعة دون أي جديد، اتصلت أم مازن بشادن التي وافقت على قراءة الفاتحة، مرام باتت على وشك أن تنسى أمر واصل نهائياً خاصة بعد قراءة الفاتحة باتت متحمسة لمعرفة المزيد عن مازن.

شادن جلست مع الجدة وحدهما بعد كل هذا وقالت: "سيكون رجل المنزل" قالت الجدة: "إنه شاب جيد" ابتسمت شادن قائلة: "يسعدني أن أسمع شيئاً كهذا حقاً" قالت الجدة: "المهم أن تنسى مرام أمر واصل" "إنها ليست طفلة، أنا واثقة أنها واعية بما فيه الكفاية لتقرر ما هو في مصلحتها" "أجل".

في المشفى اليوم التالي، شاهدت مرام مازناً يسير في الطابق يتفقد

المرضى، نهضت من مكتبها وخرجت لتشاهده يسير إلى جانبه مقيم أصغر منه سناً يدخلان معاً أول غرفة، مشت مرام ونظرت من الباب إلى حيث مازن يتحدث إلى المريض: "متى استبدلوا لك المصرف؟" قال المريض: "منذ يوم" قال مازن: "هذا جيد، لم تعد بحاجة إليه، سننزعه وتستطيع أن تعود إلى المنزل" قال المريض فرحاً: "حقاً! هل أخرج اليوم؟" "سنجهز لك ترتيبات الخروج، تستطيع أن تخرج اليوم بإذن الله" فرح المريض كثيراً، ثم غادر مازن الغرفة ورأى مرام تراقبه مسرورة، ولكنه لم يكن يبدو عليه أنه راض عما تفعل، وقف أمامها على انفراد وقال: "ماذا تفعلين؟" قالت ببساطة: "أحببت أن أراك تعمل" قال مازن منزعجاً: "أنا لست تاجراً لتتفرجي على المنتجات تباع وتشترى، أنا طبيب أتعامل مع المرضى، إنهم ليسوا جمادات دون أحاسيس" شعرت مرام أن مازناً يعاتبها بشدة فتابع قائلاً: "لا يجوز أن تتفرجي على المرضى، كل منهم لديه خصوصية، إذا لم يكن هناك عمل جاد معهم فيجب أن لا تقتحمي خصوصياتهم" شعرت مرام بالذنب فطأطأت رأسها قائلة: "آسفة، لم أقصد" قال مازن: "لا تفعلي ذلك ثانية" "أكيد" وتابع عمله داخلاً الغرفة التالية بينما عادت مرام إلى صيدليتها في الطابق وجلست حزينة لما جرى.

★★★

كان واصل في منزل كرم يسمّع القرآن من جديد: "قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ

يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ " توقـف واصـل فقـال كـرم: "قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ " قـال واصـل: "لقـد نسـيت الآيـات الـتي قبلـها" "لـماذا تعـود إلى الآيـات السـابقة؟" "لأنـه يفـترض بـي أن أكـون قـد حفظتـها" وضع كرم يده على كتف واصل وقال: "لا تفكـر بمـا أنجزنـاه قبل هذه اللحظة، سنعود إليه لاحقاً، المهم أن تحفـظ هـذه الآيـة الآن" "ولكـن، مـا الفائـدة إذا كنـت أنسـى؟" "الفائـدة أنـك تحـاول مـا في وسعك، عندما تقف أمام الله يوم الحساب تسـتطيع أن تقـول لـه يـارب لقـد فعلـت كـل مـا في وسـعي" سـكت واصـل فطبطـب كـرم علـى كتفـه قائلاً: "لا تقلق بشأن ما سبق، سنعود إليه مرة ثانيـة فيمـا بعـد" نظـر واصل إلى الساعة وقال: "هذه آخر آية، عليّ المغادرة" "حسـناً" سمّـع واصل الآية ثم غادر منزل كرم متجهاً إلى منزله.

★★★

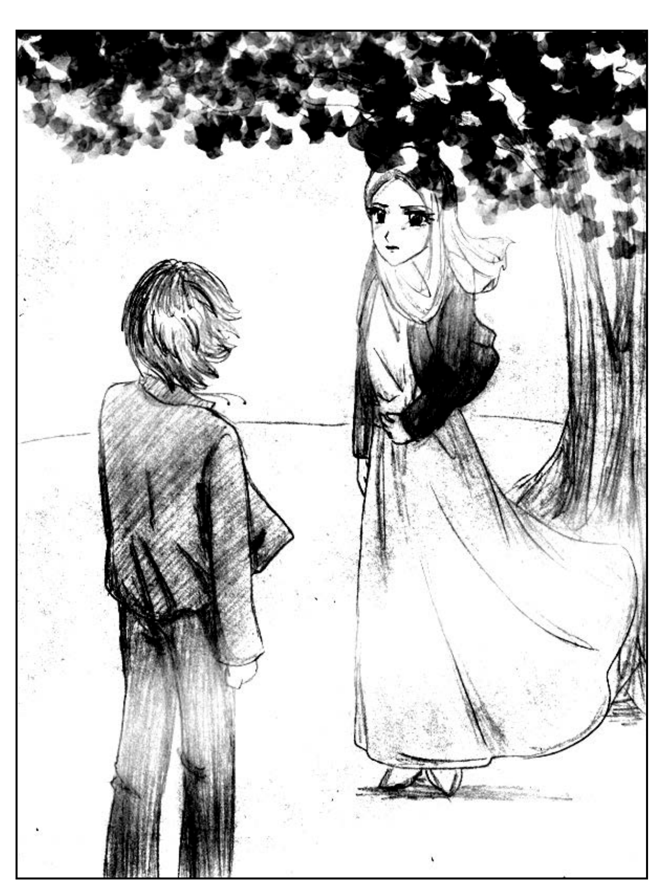
في الطريق كانت مرام عائدة إلى منزلها أيضاً، لم تكن في حالة جيدة بعد ما جرى مع مازن "كان ما فعلتُه غبياً جداً" هذا كل ما كانت تفكـر فيه إلى أن رأت ما لم تتوقعه في الطريق، إنه واصل يقـف علـى الطـرف الآخر من الشارع، واصل انتبه إلى مرام التي تجاهلته وتابعت سيرها، ولكن واصلاً هذه المرة قرر ألا يتجاهل الأمر، تمالك نفسه وقطع الشارع إلى حيث مرام، سار إليها قائلاً: "عفواً، هل لي بكلمـة؟" نظـرت مـرام إليه، لا يبدو عليه أنه سيقول شيئاً جيداً، فلم تقل شيئاً فقال: "خمـس دقائق فقط، من بعد إذنك" لم تعتد مرام هذه الرسمية مـن واصـل علـى الإطلاق، ولكنها قالت: "ماذا لديك؟" ابتسم واصل قائلاً: "أظن أنه لـدي

الكثير، هل نستطيع أن نقف في مكـان آخـر؟"   "طبعـاً" ابتعـدا عـن الشارع ووقفا تحت شجرة على تلة قريبة، قالت مرام: "مـا الأمـر؟" لم يدر واصل فعلاً كيف يبدأ، مرام بكل تأكيد تعرف عن الموضـوع بشـكل عام، قال واصل: "في البداية أريد أن أعتذر لما جرى، أعلم أنـني المـذنب الوحيد في كل ذلك، كان من المفترض أن أخطبك منـذ مـدة، وفـوق ذلـك فإن والـدتي تشـاجرت مـع والـدتك بسـببي" لم تقـل مـرام شـيئاً فقـال واصل: "مرام، أنا لم أستطع طلب يدك"   "لماذا؟" ظل واصل صامتاً فترة يصعب عليه قول ذلك، ولكن لا مفر الآن، مرام كانت تنظر إليه تنتظر عذراً مقنعاً بكل تأكيد فقال: "لأنني مريض" ظلت مرام صـامتة وكأنـهـا لم تسمع ما قال، واصل أيضاً لم يستطع قول أي شيء آخـر ظـل الوضـع هكذا إلى أن قالت مرام: "ماذا قلت؟" قال واصل منزعجاً: "نعم مـريض! يحق لك أن تعلمي شيئاً كهذا مادمـت سـتكونين زوجـتي، ولكـنني لم أسـتطع أن أخـبرك، أنـا مـريض مرضـاً لا يمكـن الشـفاء منـه، قـد لا تستطيعين العيش معي حياة طبيعية، وفوق ذلك قـد لا أعـيش طـويلاً" لم تستطع مرام تصديق ذلـك علـى الإطـلاق، قالـت: "هـل أنـت جـاد؟" انزعج واصل قائلاً: "أرجـوك مـرام، لـيس مـن السـهل أن أقـول ذلـك" سكتت مرامٍ لا تصدق ما تسمع فقال واصل: "ظننت دائماً أنكِ تستحقين الأفضل دوماً، أنا لا أستطيع تحقيق ذلك لك، أنا آسف"



نظرت مرام إليه قائلة: "منذ متى؟" قال واصل بسرعة يدافع عن نفسه: "كلا، بدأ ذلك فقط بعد الجامعة، أنا لم أخدعك ولم أتلاعب بك يوماً صدقيني" ظلت مرام صامتة لا تدري ما تقول، ولكن واصلاً طأطأ رأسه لينهي المحادثة قائلاً: "آسف لما جرى، وآسف لما سببت لوالدتي ووالدتك، لا أريد أن تنشب خلافات بيننا" ولكن مراماً كانت تقريباً لا تسمع ما يقول، كانت تنظر إلى الأرض فقط، عندما انتبه واصل لذلك قال: "يجب أن أغادر الآن، ليس من المفترض أن يرانا أحدهم" ولكن مرام قالت دون أن تحرك عينيها عن الأرض: "إذا قبلت هل يعني أنك

ستخطبني؟" نظر واصل مندهشاً لما قالت مرام، رفعت مرام رأسها لتنظر إلى واصل الذي قال: "يجب أن لا تقرري شيئاً كهذا بهذه البساطة، لن يكون الوضع سهلاً أبداً..." "أجبني" ظلت مرام تنظر إلى واصل الذي قال بعد برهة: "على الفور"



ظلت مرام صامتة وغادر واصل المكان متابعاً سيره إلى المنزل دون أي كلمة.

لم تصدق مرام ما يجري، ظلت واقفة فترة تحدق حيث كان يقف واصل، هل كان هذا فعلاً حقيقة؟ دارت الأفكار بسرعة في رأس مرام، كان ذلك صعب الاستيعاب، حتى أن واصلاً لا يعرف أنها قد خطبت.

★★★

سجال ذهب إلى الغابة ليقابل سارياً، رآه يجلس خلف شجرة يلعب بلعبة الكترونية جديدة أعطاه إياها كفاح. نظر سجال قائلاً: "تبدو منسجماً جداً" نظر ساري إلى سجال قائلا: "لقد ختمتها عدة مرات، ماذا تريد؟" جلس سجال إلى جانبه وقال: "لا شيء، أردت فقط أن أراك" تابع ساري اللعب قائلاً: "أنت لا تأتي بالأخبار الطيبة" كان لهذه الكلمة وقع أكبر من الذي تصوره ساري، فسجال فعلاً يجد نفسه سبب المشاكل في كل مكان يحل فيه، ولكنه قال: "لقد استسلمت" نظر ساري إليه فتابع قائلاً: "رفعت يدي عن الموضوع نهائياً، لا يهمني ما سيحدث في المستقبل، قررت أن أعيش هنا" تابع ساري اللعب دون أن يقول شيئاً فقال سجال: "أليس هذا ما كنت تريد أن تقوله من قبل؟" قال ساري: "كلا، ظننت أنه يمكنني الاعتماد عليك" نظر سجال منزعجاً وقال: "ولكنك لم تساعدني في شيء!" "لأنني رفضت الطريقة التي تعمل بها" "ماذا تعني؟ أنت تلعب طول الوقت!" وضع ساري اللعبة جانباً وقال: "لقد قضيتَ وقتاً هنا أكثر مني، وأظن أنه كان ممتعاً ألم يكن كذلك؟" "بلى" "لي الحق في قضاء بعض الوقت الممتع أيضاً" هز سجال رأسه قائلاً: "لقد رفعت يدي عن الموضوع نهائياً، أريد أن أتابع حياتي الممتعة هنا، هل تنوي أن تفعل شيئاً ما؟" "هل أنت قلق من ذلك؟" ابتسم سجال ابتسامة

ساخرة وقال: "أنت أيضاً تجلب المتاعب" نهض ساري قائلاً: "لم يخطر ببالي شيء بعد" قال سجال: "لا فرق، عندما يخطر شيء ببالك، أعلمني به قبل تنفيذه" تجاهل ساري ما قاله سجال وقال: "ماذا تنوي أن تفعل؟" نهض سجال قائلاً بكل بساطة: "قد يطول بقاؤنا هنا على ما أرجو..." "أعني ماذا ستفعل منذ اليوم؟" سكت سجال قليلاً ونظر إلى السماء حيث كانت توشك على الغروب ثم قال: "أريد أن أنام بين عائلة تحبني، أستيقظ بين عائلة تحبني، آكل مع عائلة تحبني، أعيش بهدوء لم أحلم به من قبل" نظر ساري إلى السماء وقال: "أريد أن ألعب" نظر سجال إلى ساري الذي قال: "هذا كل ما في الأمر" ابتسم سجال لبساطة ساري وقال: "هل تلعب معي؟" قال ساري بسرعة: "لا" قال سجال: "لماذا؟" سار ساري في الاتجاه المعاكس يقول: "لا تحلم بذلك" لم يقل سجال شيئاً، ساري مايزال يعتبره منافساً حتى بعد كل هذا. سار سجال إلى منزله يفكر: "ربما لو فقدت ذاكرتي سيكون حالي أفضل" وابتسم ساخراً مما يفكر فيه.

كان هناك شخص آخر يكره فكرة النسيان حيث سببت له الكثير من المتاعب.

★★★

مرام دخلت منزلها، أغلقت باب المنزل خلفها وظلت واقفة عنده متجمدة. كانت الجدة وحدها تجلس على التلفاز في الصالة، شادن كانت تطهو في المطبخ. نظرت الجدة إليها حيث ظلت واقفة وقالت: "ما الأمر يا عزيزتي؟" مرام لم تستطع أن تنطق بكلمة، الدموع تقف على حواف عيونها تنتظر أول كلمة لتنهمر. أطلت شادن من المطبخ

قائلة: "أهلاً بك حبيبتي، سيكون الطعام معداً بعد دقائــ..." ولكن شادن توقفت عن الكلام عندما رأت ابنتها تقف على الباب مرتجفة، قالت شادن قلقة: "ما الأمر؟" فتحت مرام فمها لتنطق أول كلمة ولكن صوتها لم يخرج على الإطلاق، ونزلت دموعها على وجنتيها فوراً. اقتربت شادن من مرام ولكن مرام كانت تنظر إلى الجدة، شعرت الجدة بشيء غريب خاصة عندما ركضت مرام إليها وجثت أمامها سائلة: "لماذا... تأخر جدي في خطبتك يا جدتي؟" نظرت الجدة إلى الدموع في عيني مرام حيث ذكرها ذلك بحالها تماماً في الماضي، فربتت على شعر مرام قائلة: "لم أكن أعلم أنه... مريض بالسرطان" هذه الكلمات جعلت مرام تنهار باكية بشدة، شادن قلقت على مرام كثيراً وركضت إليها تعانقها قائلة: "ما الذي جرى؟ ما الأمر؟" قالت مرام بصعوبة: "واصل... مريض..." انصدمت شادن لما سمعت، أما الجدة فقد أشاحت برأسها آسفة لما تسمع، تابعت مرام قائلة: "لقد أخبرني اليوم... أنه مريض مرضاً مزمناً لا علاج له... لم يستطع إخباري... قد... قد لا يعيش طويلاً..." تركت شادن مرام، ونهضت ببطء لا تصدق ما تسمع! وفوق ذلك تذكرت لمياء وما جرى معهما، لقد فعلت شيئاً فظيعاً في حق أعز صديقة لها، إنها تتألم. قالت شادن تتمتم: "ماذا فعلت؟ لقد كانت تتألم... وأنا... وأنا..." كانت الجدة تنظر إلى شادن تعلم أنها ندمت كثيراً على ما فعلت بلمياء، شادن كانت ماتزال في هول الصدمة، بينما كانت مرام تبكي بشدة والجدة تربت على شعرها.

واصل دخل منزله أيضاً، استقبلته لمياء ولكن كان مايزال هناك شيء من الحزن في نظراتها رغم الابتسامة التي تحاول رسمها على وجهها،

قال واصل: "قد تسمعين اعتذاراً خلال أيام" لم تفهم لمياء في البداية عم يتحدث واصل، مشى واصل ليصعد الدرج فقالت لمياء: "ماذا فعلت؟" توقف واصل على الدرج وقال: "ما كان يجب أن أفعله منذ مدة" "هل أخبرتهم؟" "أخبرتُ مرام" سكتت لمياء فقال واصل: "كانت مصدومة، لم تقل أي شيء" كان من المتوقع أن تصمت مرام في موقف كهذا، تابع واصل سيره إلى غرفته بينما ظلت لمياء واقفة مكانها.

تمدد واصل في فراشه، لقد حسم الأمر أخيراً، ربما كان هذا أفضل من حمل كل شيء على ظهره.

★★★

في اليوم التالي كانت عائلة عمرو جالسة تلعب الشدّة، عمرو كان الغائب الوحيد عن اللعبة، الجميع مستمتعون ولكنهم ينظرون إلى سجال الذي حقق فوزاً باهراً رغم كل التحذيرات ألا يغش. سجال كان مستمتعاً بتعليقاتهم هذه المرة.

في هذه الأثناء رن جرس المنزل، نهض ماهر وفتح الباب فدخل عمرو بسرعة مسروراً وقال: "تهانينا!" نهضت سناء قائلة: "هل حصلت على ترقية؟" أشار عمرو بالنفي ثم قال: "حصلت على شيء للجميع" قالت لنا: "لي أيضاً؟" قال عمرو: "شيء من هذا القبيل" قال مالك: "ما هو يا أبي؟" أخرج عمرو من جيبه بطاقات سفر، نظر الجميع إليها فقال عمرو: "نستطيع أن نقضي ثلاثة أيام خارج البلاد" قفز كل من ماهر ومالك، عندما رأت لنا فرحتهما بدأت تقفز معهما دون أن تفهم شيئاً. قالت سناء: "إلى أين؟" قال عمرو: "إلى حيث الطبيعة والهواء النقي والناس الطيبين" ابتسم سجال قائلاً: "يبدو ذلك

جميلاً" قالت لينا: "متى سنغادر؟" قال عمرو: "غداً صباحاً، جهزوا أمتعتكم بسرعة" قالت سناء: "أبهذه السرعة!" أمسك عمرو يد سناء وركض بها إلى الطابق العلوي قائلاً: "ليس هناك وقت نضيعه، هيا نحزم أمتعتنا" ماهر أيضاً قفز قائلاً: "سأحزم أمتعتي أيضاً" ركض مالك خلفه قائلاً: "انتظرني" بقي سجال ولنا ولينا في الصالة، نظر إليهما قائلاً: "هل تحتاجان مساعدة في حزم الأمتعة؟" نهضت لينا قائلة: "هذا لطف منك، لديك أمتعة أيضاً عليك تجهيزها" قال سجال: "ليس بالأمر الصعب" قالت لنا: "أظن أن أمي ستحزم أمتعتي معها" نهض سجال قائلاً: "حسناً، إذا احتجتما للمساعدة فلا تترددا في طلبها" وصعد إلى الطابق العلوي، نظرت لينا إلى لنا وقالت: "لم يهتم ماهر ولا مالك بأمرنا، بينما سجال من يفكر بنا" نظرت لنا لا تفهم ما تعني أختها وقالت: "ماذا تقصدين؟" قالت لينا: "لا عليك، هيا لنحضر أمتعتنا" وصعدتا أيضاً لتجهزا للسفر.

★★★

واصل اتصل بكرم من المعمل يريد أن يخبره بما جرى مع مرام، كان كرم في صالة التدريب حيث كانت مليئة بالطلاب من مختلف الأعمار يتدربون تحت إشرافه، نظر كرم إلى المتصل في الهاتف فرد عليه: "مرحباً واصل" في الجهة الأخرى سمع واصل أصوات التدريبات من على الهاتف فقال: "هل هناك تدريب؟" قال كرم: "إنه موعد التدريب الأسبوعي" نظر واصل إلى الساعة حيث نسي ذلك تماماً، قال كرم: "هل تريد أن تقول لي شيئاً؟" قال واصل بسرعة: "كلا كلا أبداً، آسف على الاتصال وسط التدريب" قال كرم: "إذا كان هناك ما تريد

قوله تستطيع أن تخبرني به الآن" سكت واصل قليلاً فقال كرم: "ماذا جرى؟" قال واصل أخيراً: "لقد تحدثت إلى مرام" تفاجأ كرم قائلاً: "حقاً! ماذا قالت؟ أو بالأحرى ماذا قلت أنت؟" قال واصل: "سأحدثك عندما تنتهي" قال كرم: "هل كان الوضع سيئاً؟" قال واصل: "كان محايداً جداً، سأحدثك فيما بعد" "حسناً، إلى اللقاء".

★★★

لمياء كانت جالسة في منزلها لا تعرف ماذا سيحدث، لقد علمت شادن بما يجري، هل يعقل أنها ستطرق الباب ثانية؟ فجأة رن جرس الباب، نهضت لمياء بسرعة وركضت إلى الباب وسألت: "من الزائر؟" قال أحدهم: "هل هذا منزل السيد واصل؟" نظرت لمياء من النافذة فرأت شاباً لم تره من قبل، كان مازن، قالت: "نعم إنه هو" قال مازن: "هل لي أن أتحدث إلى واصل قليلاً بعد إذنك سيدتي" "واصل ليس في المنزل الآن، لديه عمل إلى ساعة متأخرة، هل لي أن أعرف من تكون؟" "اسمي مازن، أعمل في المشفى المجاور" "أهلاً بك، سأخبر واصلاً بقدومك" "لابأس، سأمر عليه في المساء، مع السلامة".

غادر مازن وعادت لمياء إلى ما كانت عليه من التفكير بشادن.

مرام لم تتحدث إلى أحد في الموضوع بعد، كان الحزن بادياً على وجهها ولا تريد التفكير في الكثير من الأمور.

شادن كانت أكثر حزناً من مرام، ماذا كان عليها أن تفعل؟ ماذا ستفعل الآن؟ الوضع لم يكن هيّناً بينها وبين لمياء.

أما الجدة فكانت أهدأهم، إذا أرادت مرام التحدث إلى أحدهم فإنها ستكون الجدة.

★★★

وفي دولة أخرى كانت عائلة عمرو تعيش أسعد لحظاتها، دخلت العائلة فندقاً كبيراً وجميلاً، دخلوا جناحاً استأجره عمرو للجميع، سجال كان مسروراً جداً بهذا التغيير، لقد سافر من قبل ولكن ليس للاستجمام.

وضع الجميع حقائبهم واستعدوا للخروج إلى الشاطئ، مالك كان أكثرهم تحمساً للسباحة، ما إن وصل الشاطئ حتى ركض داخل الماء يسبح مستمتعاً.

سناء وماهر لعبا بالكرة على الشاطئ، لينا تبني أشكالاً مختلفة برمل الشاطئ الناعم، أما عمرو فقد وضع لنا على كتفه ودخلا الماء ليسبح معها.

سجال كان سعيداً باللهو مع الجميع، سبح مع مالك وابتعدا عن الشاطئ إلى أن طلب منهما عمرو الاقتراب.

مضى زمن لم يشعر سجال فيه بمتعة كهذه، إنه يمرح مع الجميع ويضحك بسهولة، عمرو كان سعيداً بمراقبته يلهو، فقد مر وقت ولم يكن سجال على ما يرام.

سناء كانت سعيدة جداً بلعب الكرة خاصة بعد هزيمة ماهر، عندها استنجد ماهر بوالده ليلعب عنه الكرة، فعلاً أخذ عمرو مكانه ليسبح ماهر وتلعب لنا مع لينا.

ظل الجميع يلعبون إلى أن ناداهم عمرو ليجتمعوا لتناول الطعام. جلس الجميع قرب الشاطئ حيث فرش عمرو وسناء مفرشاً وضعا فيه ما أحضرا من الطعام. كان الطعام شهياً وتسابق الجميع على تناوله حتى سجال. كانت هذه أسعد لحظات تجتمع فيها العائلة معاً.



مرام في الطرف الآخر كانت تفكر كثيراً، تقضي معظم وقتها في غرفتها وحدها، كانت الأمور تسير على ما يرام مع مازن حيث لم تشأ أن يؤثر شيٍء على علاقتها معه قبل أن تقرر ماذا ستفعل بالضبط. شادن أيضاً ما تزال لا تدري ماذا تفعل، كانت تقضي معظم وقتها تشرب القهوة وتشاهد التلفاز، الجدة كانت تجلس إلى جانبها دوماً دون أن تتحدثا في أي موضوع.

باتت هذه حال المنزل مذ صرح واصل لمرام عن السبب الذي أخره عن التقدم للزواج بها، مرام باتت ستنفجر، نزلت إلى حيث شادن والجدة جالستان على التلفاز لا تنطقان بأية كلمة، نظرت شادن إلى حيث تقف مرام عند الدرج تنظرٍ إليهما، ابتسمت شادن قائلة: "كيف الحال؟" ولكن مرام لم تقل شيئاً وتقدمت لتجلس على الأريكة معهما ثم قالت: "ماذا أفعل؟" أخيراً نطقت مرام هذه الكلمة، ولكن شادن فعلاً لم تكن ترغب في سماعها حيث لم تجهز إجابة شافية بعد. قالت مرام ثانية: "ماذا أفعل؟ ساعداني" ظلت شادن والجدة صامتتين قليلاً ثم قالت شادن: "يصعب على إحدانا التأثير في قرارك، نحن نعلم أنه ليس بالأمر السهل" قالت الجدة: "لا يحق لأحد التدخل" قالت مرام منزعجة: "إنه ليس تدخلاً، انصحاني" سكتت كل من شادن والجدة حيث لم تكونا مستعدتين بعد لشيء كهذا أيضاً، قالت شادن: "واصل لم يتقدم لخطبتك" قالت مرام منزعجة: "لقد فعل، أنا سألته ذلك وقد فعل، إنه ينتظر ردي فقط" قالت الجدة: "مع من ستكونين سعيدة؟" هذه لم تستطع مرام الإجابة عنها، قالت الجدة: "عليك أن تقرري ذلك بنفسك" طأطأت مرام رأسها قائلة: "سأكون أسعد مع واصل، ولكن قد لا نقضي معاً وقتاً طويلاً" قالت شادن: "هل يعني هذا أنك لن تكوني

سعيدة مع مازن؟" رفعت مرام رأسها بسرعة قائلة: "ليس كذلك، إنه شاب مميز، وأظن أنني سأكون سعيدة معه أيضاً" سكت الجميع ثانية فقالت مرام للجدة: "أخبريني هل تندمين على زواجك بالجد؟" نظرت الجدة إلى مرام وقالت: "أبداً" قالت مرام: "ولكنك لم تقض وقتاً طويلاً معه" قالت الجدة: "كانت أسعد أيام حياتي، لا يهم كم يوماً كانت" "ولكن والدي عاش دون أب، لقد قمت بتربيته وحدك" "وهل كنت تتصورين أن أرميه في ميتم؟ إنه ابني وابن الغالي" سكتت مرام، هل يمكن أن تكون كالجدة؟ بل كيف استطاعت الجدة اتخاذ قرار كهذا من قبل؟ ألم يكن صعباً جداً؟ قالت شادن مقاطعه أفكار مرام: "لا تقارني نفسك بالآخرين، كل لديه تجربته" لم تقل مرام شيئاً وعادت إلى غرفتها ثانية تعاود التفكير. بعد فترة شعرت بالضيق فاتصلت بميساء لتتمشيا قليلاً في الخارج. نوعاً ما تمنت مرام لو لم يكن القرار بيدها، لو لم يكن لديها خيار آخر لكان الوضع أفضل، ولكن كيف ذلك؟

★★★

واصل مر على منزل كرم بعد انتهاء عمله، وقف أمام المنزل حيث صندوق البريد يرى تحته رسالة ربما تكون قد سقطت منه، تناول واصل الرسالة ونظر إلى المرسَل إليه فإذا به كرم فعلاً، نظر إلى المرسِل "International Committee for Martial Arts" "اللجنة الدولية لفنون القتال".

لم يخطر ببال واصل أي شيء وحمل الرسالة معه ورن جرس المنزل حيث فتح له كرم "توقعت أن تحضر" ناول واصل كرماً الرسالة قائلاً: "لقد كانت على الأرض، جيد أن الريح لم تبعدها كثيراً" نظر

كرم إلى الرسالة وقـرأ اسـم المرسِل، هـو أيضـاً لم يعـرف مـا يمكـن أن تحوي، المهم أن واصلاً لديه ما يقول الآن، أدخله وجلسا في غرفة كـرم حيث كانت رند تشاهد التلفاز في الصالة، طبعاً لا تفضـل رؤيـة واصـل على الإطلاق.

في الغرفة جلسا علـى الفـراش، قـال كـرم: "حسـناً، أخبرنـي الآن بالتفصيل ماذا جرى" سرد واصل لكرم ما جرى معـه بالضـبط، لم يكـن يبدو على واصل الحزن، كان يتحدث بهدوء وكأنه أمـر محـزن حصـل مع شخص آخر.

بعد أن أنهى واصل قال كرم: "لا بأس في ذلك" قال واصل: "هل تظـن أن ما حدث كان جيداً؟" "بالنسبة للطرفين أظن ذلك، لا تسـتطيع أن تظل تفكر في الأمر لوحدك، هكذا تستطيع أن ترتاح" لم يظن واصل أنه قد ارتاح بإخبار مرام عن حالته، قال كرم: "صدقني، كنتَ ستفعل ذلك عاجلاً أم آجلاً، خاصة عندما تعلم أنه قد يخطـب أحـدهم مـرام" نظـر واصل إلى كرم غير مصدق أنه يقول شيئاً كهذا! رغم أن مـا يقولـه كـان صحيحاً.

نظـر كـرم إلى الرسـالة وقـال: "هـذه أول مـرة يبعثـون لـي" قـال واصل: "ألا تقرؤها؟" "بلـى" فـتح كـرم الرسـالة وبـدأ يقـرأ: " Mr. Karam, this is a formal invitation from the- International Committee for Martial Arts- to join our greatest competition to be number one in this art. This competition starts at October the first.

You’ll have everything for free all the period of the competition.

The International Committee for Martial Arts"

بمعنى: السيد كرم، هذه دعوة رسمية من –اللجنة الدولية لفنون القتال– لتلتحق بمنافستنا الكبرى على الفائز الأول بهذا الفن. المنافسة تبدأ في الأول من شهر أكتوبر.

سيكون كل شيء بالمجان خلال مشاركتك بالمسابقة.

اللجنة الدولية لفنون القتال.

نظر كرم إلى واصل الذي كان منبهراً مما سمع، قال واصل: "ستشارك في المسابقات الدولية؟" قال كرم: "يبدو ذلك" ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه واصل، مر زمن لم يشاهدها كرم، إنها فرحة غامرة، قال واصل سعيداً: "ستنافس أناساً من كل أنحاء العالم!" ابتسم كرم لفرح واصل الشديد وتحمسه الكبير قائلاً: "يبدو ذلك" نهض واصل من الفرحة قائلاً: "هذا أفضل ما يمكن أن يحدث، يجب أن تفوز، أنا أعلم أنك ستفوز" ضحك كرم فقد كان واصل سعيداً أكثر مما تخيل! حتى أن كرماً نسي سعادته هو بهذا العرض. تابع واصل قائلاً: "سأشاهدك على التلفاز، كلا بل سأسافر معك، يجب أن أراك تلعب كل المباريات" وقف كرم قائلاً: "أنت تعلم أنك مرحب بك في أي وقت" نظر واصل إلى كرم وقال: "ماذا تنتظر؟" قال كرم: "أنتظر ماذا؟" قال واصل: "يجب أن تتدرب" ضحك كرم قائلاً: "أنا أتدرب كل يوم مع الطلاب" هز واصل رأسه قائلاً: "كلا، هذا شيء آخر. يجب أن تتدرب بشكل جدي للمنافسة" قال كرم: "حسناً حسناً، سأبدأ ذلك في الغد" "بل الآن وحالاً!" قال كرم بهدوء: "لن أتدرب الآن، أنا مرهق من التدريب في النادي، سنؤجل ذلك إلى الغد" هدأ واصل قليلاً، ربما لم يكن كرم يريد له أن يهدأ، فقد كان مستمتعاً به حقاً، ولكن واصلا قال: "ألا تنوي أن تفوز بالمركز الأول؟" قال كرم: "بالطبع أريد، لا

تقلق علي" سكت واصل فقال كرم: "عندما أبدأ التمرين في الغد سأتصل بك كي تساعدني، لا تقلق سيكون كل شيء على مايرام" قال واصل متحمساً من جديد: "وستعود بالمركز الأول" قال كرم متفاخراً: "ولا شيء سوى المركز الأول" فرح واصل ثانية وعانق كرماً مسروراً، كرم أيضاً بدأ يضحك فرحاً مما يجري، مضى وقت على مثل هذا الشعور، إنها فرصة ذهبية.

★★★

سجال كان في الجهة الأخرى في المدينة المجاورة، كان مسروراً جداً، كان يقضي مع العائلة أجمل أيام حياته.

بعد فترة أحس الجميع بالإرهاق واستلقوا في الفراش بينما جلس سجال وحده على الشرفة يراقب السماء حيث كانت النجوم تتلألأ.

الوقت لم يكن متأخراً ولكن قضاء اليوم كاملاً في اللعب والركض والسباحة كان أكثر مما يتحمله الأولاد، الساعة ما تزال التاسعة.

كان الوضع هادئاً عند سجال، الشرفة مطلة على أمواج البحر ومنارة بعيدة تلمع كما تلمع النجوم. قبل أن يبدأ سجال بالتفكير في شيء معين دخل عمرو يحمل بطانية وضعها حول سجال قائلاً: "الجو بارد في الخارج" شكر سجال عمراً على البطانية حيث كان يرتدي قميصاً خفيفاً. جلس عمرو إلى جانب سجال ونظر إلى ما ينظر ثم قال: "المنظر جميل جداً من هنا" ابتسم سجال قائلاً: "نعم" قال عمرو: "هل أنت سعيد؟" نظر سجال وابتسم لعمرو قائلاً: "أنت تسألني ذلك كل فترة" قال عمرو: "أفعل ذلك مع كل أولادي" قال سجال: "نعم، بفضل الله ثم بفضلك أنا سعيد" عاود عمرو النظر في السماء قائلاً: "هذا

جيد، أردت أن يغير الجميع الجو فترة، فقد بتَّ في عالم آخر مؤخراً" قال سجال: "انس الأمر" "ألم يتحسن شيء؟" ظل سجال صامتاً، يبدو أنه لم يتحسن شيء فعلاً. بعد فترة صمت قال عمرو: "هل تريد أن تجلس وحدك؟" أمسك سجال يد عمرو بسرعة قائلاً: "أنا لم أقل ذلك" كان ذلك وكأن سجالاً يخشى أن ينهض عمرو، ابتسم عمرو له قائلاً: "مجرد سؤال" ترك سجال يد عمرو ثم قال: "لا أريد أن أكون وحيداً" وضع عمرو ذراعه حول كتف سجال وقال: "أنت لست وحيداً، هناك خمسة ممن تركت خلفك مرهقون من اللعب طول اليوم" ضحك سجال حيث يعد عمرو سناء بينهم، بعد فترة من الهدوء قال سجال: "شكراً" قال عمرو: "لا شكر على واجب".

★★★

أمضى واصل وكرم الجلسة مسرورين جداً، نظر واصل إلى الساعة حيث مر الوقت بسرعة ونهض ليغادر. عرض كرم على واصل أن يوصله ولكن واصلاً رفض ذلك لكي يستريح كرم جيداً ليتدرب بجدية في الغد، شعر كرم أن هذا كثير ولكن واصلاً رفض العرض رفضاً باتاً وغادر مسروراً.

مرام كانت تتمشى مع ميساء تحاول الترفيه عن نفسها دون فائدة، كانت ميساء تريد أن تسأل مرام عما يزعجها، ولكن كان من الواضح أن مرام تحاول نسيان شيء ما لا الحديث فيه.

حاولت ميساء الترفيه عن مرام ولكن دون فائدة، لم تستطع مرام التوقف عن التفكير في الموضوع لحظة، بعد كل محاولات ميساء تأسفت مرام لها وشكرتها على ما تفعل، ولكن ميساء لم تيأس أيضاً، تصرفت

وكأنها لم تسمع شيئاً وتابعتا السير.

فجأة توقفت مرام تنظر إلى الطرف الآخر من الشارع، نظرت ميساء فإذا به واصل، يقف هناك يقطع الشارع إلى الشارع المقابل لهما، ولكن لا يبدو عليه أنه قد رآهما. ظلت مرام واقفة لا تدري ماذا تفعل، لم تتوقع أن تراه الآن، بل لم تكن تريد أن ترى أحدهما أصلاً.

مع ذلك ظلت مرام تنظر إليه وهو يقطع الشارع، مع أن الساعة كانت التاسعة إلا أن هذا الشارع مليء بالسيارات طول الوقت، ركض واصل يقطع الشارعٍ من الطرف إلى الطرف الآخر، مرام وميساء كانتا تنظران إليه تماماً، عندها جفلت مرام، لقد تعثر واصل قبل أن يصل الرصيف بخطوات! لقد فقد توازنه بسبب قدمه التي لم تطاوعه فجأة، وهناك سيارة قريبة كانت تمضي بسرعة! حاول السائق الابتعاد قدر المستطاع ولكن...

سمع الجميع صوت ارتطام قوي على عمود حديدي في الشارع، مرام لم تستطع تصديق ما ترى! لقد رأت ذلك بأم عينها! لقد ارتطمت السيارة بواصل ودفعته بقوة ليرتطم بالعمود المجاور وسقط أرضاً مغشياً عليه! ميساء صرخت بأعلى صوتها، لقد رأت ذلك هي أيضاً. مرام وضعت يدها على فمها ترجف، لم يكن هناك صوت تستطيع أن تخرجه كما فعلت ميساء، كانت الصدمة أكبر من ذلك بكثير.

لفترة ظلت ميساء تبكي بأعلى صوتها ومرام تحدق بواصل حيث دماؤه باتت تسيل على الأرض.



وبدأ الناس يتجمعون. عندما حجب أحدهم الرؤية عن مرام شعرت أن عليها أن تفعل شيئاً، نظرت إلى ميساء وقالت بحزم: "اتصلي بالاسعاف بسرعة" ميساء التي كانت ما تزال تبكي حملت هاتفها المحمول بسرعة واتصلت كما طلبت مرام، ومرام ركضت إلى حيث واصل، تدافعت بين تجمع الناس لتصل إليه حيث كان بعض الناس يحاولون المساعدة فصرخت قائلة: "لا يلمسه أحدكم!" نظر الجميع إليها حيث جلست إلى جانب واصل وقالت للجميع: "يجب أن لا يتحرك، ستصل الإسعاف فوراً!" نظرت مرام إلى واصل حيث كان ينزف بشدة من مكان ما يبدو أنه صدره مباشرة، وهناك دم أيضاً يخرج من فمه، حتى الاسعافات الأولية باتت صعبة جداً على مرام، ولكن وقبل أن يسنح لها الوقت بالتفكير بما تفعل كانت سيارة الإسعاف قد وصلت بفضل ميساء، فرحت مرام لذلك فقد كان المشفى قريباً جداً.

تولت الشرطة والإسعاف المهمة، أبعدوا جميع الناس ونقلوا واصلاً

بعناية إلى سيارة الإسعاف. مرام ظلت واقفة لا تدري ماذا تفعل ولكن ميساء التي كانت الدموع ما تزال في عينيها دفعتها قائلة: "اذهبي معه!" عندها حملت مرام حقيبة واصل وركضت إلى الإسعاف وقبل أن تسير قالت لميساء: "أخبري أم واصل" وسارت سيارة الإسعاف قبل أن تستطيع ميساء رفض شيء كهذا، هذه أصعب مهمة يمكن أن يقوم بها أحدهم.

في الإسعاف جلست مرام على كرسي في المؤخرة تعانق حقيبة واصل بين يديها بينما كان ممرضان يحاولان تقديم المساعدة ما أمكن ولكن يبدو أن واصلاً غير قادر على التنفس، فالدم يخرج من فمه طول الوقت بشكل كبير. مرام كانت خائفة جداً، لا تصدق أن شيئاً كهذا قد حدث! كشف أحد المرضين عن صدر واصل حيث النزيف فرأت مرام ضلعاً من أضلاع صدره قد اخترق الجلد بعد أن كسر! أغلقت مرام عينيها بسرعة وبدأت تبكي، هذا أكثر مما تتحمل.

★★★

في منزله كان كرم ممدداً على الفراش يقرأ بكتاب، عندها شعر للحظة أن واصلاً يطلب منه أن يتدرب. نهض وذهب إلى صالة التدريب وفعلاً بدأ يتدرب.

لمياء كانت في منزلها تحاول تحضير كوب من القهوة ولكنها كانت ترجف بشكل غريب، سكبت القهوة في الفنجان ولكن الكثير منه سكب خارج الفنجان أيضاً. توقفت قليلاً وأخذت نفساً عميقاً، هناك شيء ما يقلقها وليست تدري ما هو إلى أن رن هاتف المنزل، كانت لمياء قلقة، شعرت أن هذا الهاتف لن يكون شيئاً ساراً على الإطلاق، بعد

ثلاث رنات رفعت لمياء الهاتف بحذر وقالت: "مرحباً، هذا منزل مراد" قالت ميساء: "مرحباً، خالتي أم واصل؟" قالت لمياء: "نعم، عفواً من المتحدث؟" كان صوت ميساء مايزال يرجف، لم تدر ما تقول، كل ما ستقوله سيكون عنيفاً، قالت لمياء ثانية: "من المتحدث؟" قالت ميساء: "أنا ميساء صديقة مرام، عفواً خالتي... إن واصلاً... في المشفى" حدث أسوأ ما يمكن أن يحدث، لم تستطع لمياء تمالك نفسها فصرخت قائلة: "ماذا؟ لماذا؟" بدأت ميساء تبكي وقالت: "حادث" لم تستطع لمياء تصديق ما تسمع! قالت: "أين هو؟" قالت ميساء بما تبقى لها من قوة: "في المشفى الكبير" رمت لمياء السماعة وخرجت مرتدية روباً وحجاباً كانا معلقين عند الباب وركضت إلى المشفى بأقصى سرعة.

★★★

مرام كانت تجلس على كرسي في ممر يقابل الغرفة التي فيها واصل، الغرفة مغلقة والأطباء مستنفرون، كانت حالته طارئة جداً. لم يتحدث أحدهم إلى مرام على الإطلاق، كانت تبكي في الخارج لا تدري ماذا تفعل.

لحظات ووصلت لمياء تركض وتلهث بشدة، وجهها كان أبيض من الخوف، ولكن منظر مرام أيضاً لم يكن مطمئناً، ركضت إليها وأمسكت بها قائلة: "أين واصل؟" أشارت مرام إلى الغرفة فركضت لمياء لتدخل ولكن مرام منعتها قائلة: "لا يمكنك الدخول، يمنع الدخول!" صرخت لمياء تمد يدها للباب قائلة: "إنه ولدي! ولدي!" مرام أمسكتها بكل ما أوتيت من قوة قائلة: "الأطباء يعتنون به الآن، سيكون بخير طالما هو بينهم" توقفت لمياء حيث خارت قواها وجثت على الأرض تبكي، جثت

مـرام معهـا وعانقتهـا قائلـة: "سـيكون بخـير، تـوكلي علـى الله" قالـت لمياء: "يا رب!" وبكت كـثيراً. مـرام لم تكـن مطمئنـة أبـداً، ولكـن كـان عليها أن تقول شيئاً كهذا لتهدئة لميـاء، كانـت متأكـدة لـو أن لميـاء رأت نصف ما رأت هي لكانت في عالم آخر الآن.

★★★

كرم كان مايزال يتـدرب في الصـالة، في كـل زاويـة كـان يـرى واصـلاً يتدرب معه ويمازحـه، كان هذا أغرب تدريب تدربه في حياتـه، ولكنـه كان مستمتعاً بـه جداً. كان أحياناً ما يسمعه يقول: "لن أرضى إلا بـالمركز الأول... تستطيع فعل ذلك... هذه فرصة ذهبية" كان ذلك جميلاً فعـلاً، تدرب كرم طويلاً وإلى جانبه واصل في كل لحظة يدفعه للأفضل.

أنهى التدريب و اقترب من باب الصالة ليغادرها، ولكنه نظر خلفـه إلى الصالة وهو يتخيل واصلاً يسلم عليه مودعاً وابتسامة جميلـة ترتسـم على وجهـه متفائلاً بفـوز كـبير، ابتسـم كـرم وغـادر الصـالة إلى منزلـه وجلس على الفراش، نظر إلى هاتفه إلى جانبـه، حملـه واتصـل بهـاتف واصل يريد أن يطمئن أنه وصل إلى المنزل.

في المشفى كانت لمياء ماتزال تبكي ومرام تحاول تـهدئتها بـلا فائـدة، رن هاتف واصل في حقيبته ولكن أحداً لم ينتبـه إليـه، كـان صـوت بكـاء لمياء أعلى بكثير من صوت الهاتف.

قـرر كـرم الاتصـال بـالمنزل، نهـض إلى الهـاتف الأرضـي في المطـبخ واتصل.

كفاح ومصعب كانا نائمين في غرفتهمـا، سمـع كفـاح صـوت الهـاتف ولكنـه لم يجب لأن أمه سـتجيب بكـل تأكيـد، ظـل الوضـع كـذلك إلى أن

توقف الهاتف عن الرنين وتابع نومه.

شعر كرم بشيء من القلق، لا أحد يجيب.

في منزل واصل رن جرس المنزل، كان مازن يعيد زيارته لواصل، ولكن أحداً لم يجب، كفاح لم يسمع الرنين، وظل مستغرقاً في النوم مع مصعب. تعجب مازن من ذلك وغادر المكان.

★★★

كانت الغرفة في المشفى ما تزال مغلقة، يبدو أن حالة واصل سيئة جداً، فقد مرت ساعتان دون أن يتحدث أحد إليهما.

رن هاتف مرام، نظرت إلى المتصل فإذا به منزلها، لابد أن شادن قد قلقت عليها، ردت مرام قائلة: "مرحباً" قالت شان: "أين أنت؟ الوقت بات متأخراً جداً" سكتت مرام قليلاً حيث أن لمياء تجلس إلى جانبها تبكي، سمعت شادن صوت البكاء فقالت: "أين أنت؟" قالت مرام: "في المشفى الكبير" "ماذا تفعلين في المشفى؟" سكتت مرام، كان يبدو أنها حزينة ولا تستطيع أن تقول شيئاً، قالت شادن وقد بدأت ترتبك الآن: "من يجلس إلى جانبك؟" قالت مرام: "الخالة لمياء" قلقت شادن كثيراً، لمياء تبكي! ومرام أيضاً هناك، ما الذي يجري؟ قالت شادن حيث كان يبدو أن مرام لا تستطيع قول أي شيء: "هل حدث مكروه لأحدهم؟" كل ما استطاعت مرام قوله كان: "إمٍ" للموافقة، قلقت شادن أكثر وكانت الجدة إلى جانبها تنظر إليها أيضاً لتفهم ما يجري، قالت شادن: "من؟" لم تستطع مرام قول شيء فقالت شادن بحذرٍ شديد: "واصل؟" لم تستطع مرام إلا أن تبكي، قلقت شادن كثيراً وقالت: "هل حدث مكروه لواصل؟" قالت مرام: "أجل" لم تستطع شادن

تصديق ما تسمع، وأغلقت السماعة والصدمة كبيرة في نفسها، نظرت إلى الجدة التي كانت قد فهمت كل شيء فقالت الجدة لها بكل حزم: "اذهبي" لم تقل شادن شيئاً، الجدة ستظل وحدها في المنزل ولا تستطيع تركها، ولكن الجدة قالت بحزم أكبر: "سأتدبر أمري، إنها تحتاجك، اذهبي!" تذكرت شادن لمياء وما ستعانيه من حزن في مثل هذه اللحظات، عندها ركضت فعلاً إلى الباب وارتدت أيضاً روباً وحجاباً كانا عند الباب وخرجت تركض بسرعة إلى المشفى.

★★★

كرم كان مايزال يحاول الاتصال بواصل، ولكن أحداً لا يجيب على الهاتف، لمياء ومرام كانتا تحدقان في الباب تنتظران أحدهم ليخرج ويتحدث إليهما ولكن دون فائدة.

كرر كرم الاتصال ثانية وثالثة، عندها انتبهت مرام إلى صوت الهاتف يرن في حقيبة واصل التي كانت قد وضعتها إلى جانب الكرسي، بهدوء فتحت الحقيبة، حملت الهاتف ونظرت إلى اسم المتصل فإذا به كرم. قلقت مرام أكثر، كيف سيعلم كرم ما يجري؟ وماذا ستكون ردة فعله؟ ولكن قبل أن تقرر مرام أن تجيب على الهاتف أو لا وصلت شادن، نظرت لمياء إليها حيث كانت تلهث من الركض بأقصى سرعة، اقتربت شادن من لمياء بهدوء فقفزت لمياء إليها وعانقتها وهي تبكي بحرارة، شادن ضمت لمياء إلى صدرها تشعر بالحزن الذي يغمرها، مرام أيضاً بدأت تبكي عندما رأت والدتها لا تدري ماذا تفعل.

بعد أن جلستا قالت شادن لمرام: "عودي إلى المنزل، الجدة وحدها" أشارت مرام بالإيجاب ونهضت، عندها قالت شادن: "وخذي كفاحاً

ومصعباً إلى منزلنا أيضاً، يجب أن لا يبقيا في المنزل وحدهما" أشارت مرام بالإيجاب وحملت حقيبة واصل معها.

★★★

وصلت مرام منزل واصل ورنت الجرس، اضطرت للرن عدة مرات حيث لم يكن كفاح ينوي أن ينهض، فنهض مصعب وطلب منه أن ينظر من في الباب لأنه بدأ يقلق.

نزل كفاح متثاقلاً على الدرج ونظر من النافذة فإذا بها مرام. فتح كفاح الباب فقالت مرام: "أين مصعب؟" قال كفاح: "في الفراش، ما الأمر؟" قالت مرام: "تعاليا معي، ستقضيان الليلة في منزلنا" "لماذا؟ أين والدتي؟" "ستقضي الليلة في الخارج، أحضر مصعباً معك" "هل لي أن أفهم ما يجري؟" "فيما بعد، المهم ألا تبقيا وحدكما في المنزل" كان يبدو أن مرام حزينة جداً، كفاح أحضر مصعباً معه، أقفلا باب المنزل وذهبا إلى منزل مرام حيث كانت الجدة في الانتظار، ما إن رأت الجدة مرام حتى سألت: "كيف الحال؟" هزت مرام رأسها أن لا شيء جديد، عندها نظر كفاح إلى مرام حيث بدأ يقلق وقال: "ماذا يجري هنا؟" لم تعرف مرام ما تقول، عندها رن هاتف واصل ثانية، لا يبدو أن كرماً مرتاح أيضاً. نظر كفاح إلى الحقيبة قائلاً: "هذه حقيبة واصل، وهذه رنة هاتفه!" لم تقل مرام شيئاً فقال كفاح منزعجاً: "ماذا يجري هنا؟" جثت مرام لتواجه كفاحاً أخيراً، وضعت يدها على كتفه وقالت: "لقد تعرض لحادث سير، إنه الآن في المشفى وأمك تجلس إلى جانبه" خاف كل من كفاح ومصعب مما سمعا، قال كفاح: "كيف حاله؟" قالت مرام: "سيكون بخير إن شاء الله، لا تقلق" سكت كفاح ليس هناك ما

يقوله، أما مصعب فقد بدأ يبكي، مرام صعدت إلى غرفتها حيث كان الهاتف ما يزال يرن وقررت أن ترد عليه "مـ... مرحباً" كان غريباً جداً أن يسمع كرم صوت فتاة على الهاتف غير أم واصل! إنه متأكد أنه اتصل به، قال: "عفواً، أليس هذا هاتف واصل؟" قالت مرام مرتبكة: "أجل" قال كرم: "هل لي أن أكلمه؟" سكتت مرام لا تدري ما تقول، عندها قال كرم: "من المتحدث؟" قالت مرام بصوت على وشك البكاء: "مـ... مرام" تفاجأ كرم لذلك، لماذا يكون هاتف واصل مع مرام؟ قال كرم: "مرام!... ولكن أين واصل؟" أخيراً قررت مرام أن تتكلم: "كرم... واصل تعرض لحادث سير ونقل إلى المشفى الكبير..." لم تستطع مرام متابعة حديثها، كرم قاطعها قائلاً: "ماذا؟" سكتت مرام وبدأت تبكي من جديد، كان صوت بكائها واضحاً عند كرم فقال: "مرام، أخبريني ما الذي يجري؟" قالت مرام: "ما أخبرتك، إنه في المشفى مع الخالة لمياء وأمي" "كيف حالته؟" سكتت مرام يصعب عليها الإجابة عن شيء كهذا، قال كرم ثانية: "كيف هو؟" قالت مرام: "لم يتحدث إلينا أحد عندما كنا في المشفى، مايزال الأطباء يساعدونه" لم يصدق كرم ما يسمع! حدث ذلك بسرعة كبيرة، للحظات كان واصل يضحك عنده. لم يعد لدى مرام ما تقول خاصة بعد أن بدأ كرم يركض خارجاً من منزله إلى المشفى، أقفلت الهاتف وبدأت تبكي، عندها نظرت إلى الباب حيث كان يقف كفاح ومصعب لا يصدقان ما يسمعان، ولكن مرام لم تستطع حبس دموعها. اقترب كفاحٍ ومصعب وجلسا إلى جانبها وبدآ يبكيان أيضاً فعانقتهما ليبكوا معاً.



كرم ركض بأقصى سرعة إلى المشفى، كل ما يتذكره أن واصلاً للحظات كان عنده يضحك ويمرح، كان سعيداً، تذكر أيضاً أنه عرض عليه أن يوصله إلى المنزل بالسيارة فرفض، كان عليه أن يصر على أن يوصله، ما كان عليه أن يستمع إليه. ثم تذكر تدريبه وكيف رآه يودعه، قلق أكثر وأسرع أكثر إلى المشفى لا يريد تصديق ما يفكر فيه.

دخل كرم المشفى وسأل عن واصل، اتجه فوراً إلى الغرفة وفعلاً رأى كلاً من لمياء وشادن تجلسان معاً تنتظران خلف الباب أية أخبار، وقف كرم أمامهما فقالت شادن على الفور: "سيكون بخير إن شاء الله" قال كرم: "هل رأيتماه؟" أشارت شادن بالنفي فسأل كرم: "هل من أخبار؟" أشارت أيضاً بالنفي، نظر كرم إلى الباب لا يصدق أن واصلاً في الداخل! اقترب منه بهدوء وفجأة فتح الباب وخرج طبيب كان من الواضح أنه يعمل في الداخل وقد غسل يديه للتو، نهضت لمياء وشادن بسرعة وقالت لمياء: "كيف هو؟" قال الطبيب: "هل أنتم أقرباؤه؟" قالت لمياء: "أنا أمه" كان من الواضح أن لمياء قلقة جداً فقال الطبيب: "لقد وصل بسرعة إلى المشفى وهذا جيد، لقد سيطرنا على النزيف ووضعه الآن أفضل" رغم أن لمياء كانت واثقة أنها لن ترتاح حتى تراه إلا أن كلام الطبيب هدأها قليلاً، قالت شادن: "ألا نستطيع رؤيته؟" قال الطبيب: "ما يزال الأطباء يعملون، قد لا يسمح لكم بالدخول قبل فترة" جلست لمياء وقد خارت قواها، سار الطبيب مبتعداً ولكن كرماً لحق به قائلاً: "أرجوك أيها الطبيب، أخبرني كيف حاله" نظر الطبيب إلى كرم ثم قال: "تعال معي".

فعلاً ذهب كرم مع الطبيب إلى غرفته، جلس الطبيب وأجلس كرماً وقال: "لا أخفي عليك أن الحادث كان كبيراً، هناك كسور في الأضلاع،

ونزيف خارجي إضافة إلى النزيف الداخلي عبر الرئة" كان هذا مخيفاً جداً، لم يستطع كرم قول أي شيء فتابع الطبيب قائلاً: "الآن استطعنا إعادة التوازن في جسده، ضغطه جيد وحالته تستقر نوعاً ما، كما قلت كان أفضل شيء أنه وصل إلى المشفى في وقت قياسي" كرم لم يكن يعرف شيئاً عن الحادث وكيف كان الفضل لمرام في ذلك، ولكنه قال: "هل سيكون بخير؟" قال الطبيب: "إن شاء الله، مايزال هناك الكثير لنفعله، سنظل نعمل ولكن قد يستغرق ذلك وقتاً، حتى عندما ننتهي فسيظل في العناية المركزة، لا يستطيع أحد زيارته" لم يقل كرم شيئاً فقال الطبيب: "نحن نعمل كل جهدنا" نظر كرم إلى الطبيب وقال: "أجل، شكراً جزيلاً لكم" نهض كرم وغادر المكتب لا يدري أهو مرتاح فعلاً أم ماذا. عاد إلى لمياء التي ركضت إليه فوراً سائلة: "ماذا قال الطبيب؟" قال كرم: "الشيء نفسه، لم يزد على ما أخبركما به، سيكون بخير إن شاء الله، ولكن قد تطول مدة بقائه في المشفى".

عاودت شادن ولمياء الجلوس على الكرسي بينما ظل كرم واقفاً إلى جانب الباب ينتظر أي خبر أو حتى ربما يسمع شيئاً ما في الداخل. مع ذلك كان يبدو أن الغرفة ليست خلف الباب تماماً، كان يبدو أن هذا الباب مجرد ممر إلى غرف الجراحة.



الفصل الستون

أشرقت شمس فجـر اليـوم التـالي والجميـع علـى حـالهم، لم ينطـق أحدهم بأية كلمة علىٍ الإطلاق لا في المشفى ولا في منزل مرام.

شادن جلبت علباً من الطعام لها وللمياء وكرم، أعطت لمياء فشـكرتـها ووضعتـها على الكرسي، وأعطت كرماً فنظر إليها قـائلاً: "شـكراً، لسـت جائعاً" قالت شادن: "لقد بقيتَ واقفاً هنا طول الليل، هذا أمر مرهـق" لم يشعر كرم بذلك، لقد ظل واقفاً قرب الباب طول الليل دون حـراك، بـات لا يشعر بقدميه على الإطلاق، أخذ العلبة من شـادن وشـكرها ولكنـه لم يكن يستطيعٍ تناول أي شيء، فقد كان يشعر أن كل أعضـائه متوقفـة عـن الحركة تماماً، ولن يستطيع هضم أي شيء.

نظر إلى لمياء التي أرغمتها شادن على تناول الطعام، لقد بكت بما فيه الكفاية بينما هو لم يذرف دمعة واحدة، ربما لم يصدق ما يجري بعـد، أو ربما تخطّى ذلك حد الدموع عنده، أو ربما لأنـه الرجل الوحيـد الـذي يقف هنا، فكان عليه أن يكون أصلبهم دون أن يدري.

كل ذلك لم يكن مهماً، المهم أن يطمئن على واصل، لقد مضت أكثر من أربعة عشر ساعة وليس هناك جديد.

بدأت لمياء تبكـي ثانيـة، كانـت هكـذا معظـم الليـل، تهـدأ لحظـات وتبكـي لحظـات، شـادن لم تبتعـد عنهـا لحظـة واحـدة، ولكنهـا الآن اقترحت أن يعلم مراد ما يجري، لمياء تعلم أنـه يجـب أن يعـرف ولكـن كيف تستطيع أن تخبره؟ ولكن بالنسبة إلى شادن لم تكن الطريقة مهمـة فبكل الأحوال ليس هناك أسوأ مما يجري.

نهضت لمياء بمساعدة شادن لتتصل من هاتف في المشفى بمراد بينما ظل كرم على حاله واقفاً عند الباب حتى عندما فرغ الكرسي أمامه، كان يريد أن يكون أقرب ما يكون إلى واصل.

اتصلت لمياء بمراد الذي كان يجلس في اجتماع كبير مع شخصيات مهمة، لم يظهر أي اسم مألوف على الهاتف، إنه رقم لم يره من قبل، أعطى الهاتف للسكرتيرة لتجيب بينما يتابع الاجتماع. ردت السكرتيرة: "نعم، هذا هاتف السيد مراد، من المتكلم؟" قالت لمياء: "أنا زوجته لمياء، أين هو؟" قالت السكرتيرة: "إنه في اجتماع مهم الآن، قد لا يستطيع التحدث، هل تحبين أن أخبره بشيء ما؟" قالت لمياء: "أريد أن أكلمه لأمر ضروري جداً، ويفضل أن يخرج من قاعة الاجتماعات لذلك".

طلبت السكرتيرة من مراد أن يتحدث إلى لمياء لحظة خارج القاعة، رد مراد على الهاتف قلقاً حيث كانت هذه أول مرة تطلب فيها لمياء شيئاً كهذا: "مرحباً لمياء، ماذا هناك؟" لمياء ترددت قليلاً ولكن شادن أشارت لها أن تقول ذلك بسرعة فقالت لمياء: "إن واصلاً في المشفى" قلق مراد كثيراً وقال: "لماذا؟ ما الذي جرى معه؟" بدأت لمياء البكاء من جديد وقالت: "لقد تعرض لحادث سير، وهو الآن في غرفة العناية منذ البارحة" "لماذا لم تخبريني من قبل؟" "أنا أتكلم من المشفى، بقيت هنا طول الليل" "أنا آت حالاً" أغلق مراد الهاتف وخرج من المبنى ناسياً كل شيء عن الاجتماع واتجه إلى المطار فوراً.

★★★

كان سجال والعائلة مستمتعين جداً بالرحلة، الفندق كان جميلاً

ومريحاً جداً، والإفطار على حسابهم، مالك كان مستمتعاً جداً بالطعام، تناول وحده نصف الأطباق، لنا كانت سعيدة جداً بكل ما حولها، ماهر كان ينتظر الانطلاق إلى الشاطئ ثانية ولكن كان لعمرو مخطط آخر "سنذهب إلى المتنزهات هذا اليوم" لم يكن أحدهم سعيداً بما سمع فقال عمرو: "المتنزهات هنا جميلة جداً وكبيرة، ثقوا بي" في هذه اللحظة حضر شاب إلى حيث طاولتهم ورحب بهم قائلاً: "مرحباً بكم، أتمنى أنكم تقضون وقتاً ممتعاً" نظر الجميع إليه من بينهم سجال حيث كان الشاب يقف خلفه تماماً، انبهر الجميع برؤيته، إنه مغن مشهور اسمه آدم! نهض ماهر مرحباً وقال: "أهلاً بك، تفضل" شكره آدم قائلاً: "هذا من لطفكم، لقد حضرت إلى هنا عندما رأيت سجالاً يجلس بينكم، أنتم عائلته أليس كذلك؟" قال عمرو: "نعم، تفضل" نظر إلى سجال وقال: "لقد كنت معجباً جداً بكل ما تغني، لديك موهبة مميزة" قال سجال: "شكراً، لقد تركت الغناء منذ مدة كما تلاحظ" قال آدم: "لذلك حضرت إلى هنا، تمنيت لو تستطيع أن تشاركني الغناء الليلة" قالت سناء: "الليلة؟" قال آدم: "سيكون هناك حفل غنائي الليلة، سأقدم باقة متنوعة، أحببت لو تشاركني الغناء يا سجال" ظل سجال صامتاً لا يدري ما يقول، نظر إلى عمرو الذي ترك له كامل الحرية لاتخاذ القرار، قال آدم: "سيكون حفلاً خيرياً، ستجمع التبرعات وتقدم للفقراء، فرصة لاشتراكك في شيء كهذا" قال سجال: "وأين سيكون ذلك؟" قال آدم: "في هذا الفندق" فكر سجال قليلاً، ليس من الممتع أن يكون الحفل داخل الفندق فقال: "لم لا تقدمونه في الخارج، على الشاطئ مثلاً؟" لم يقل آدم شيئاً فتابع سجال قائلاً: "ما دام حفلاً خيرياً فليحضره الجميع، ومن أراد التبرع فليفعل" قال آدم بكل بساطة: "سأعرض هذه الفكرة على

الجميع، أظن أنهم لن يمانعوا، هل أعتبر هذه موافقة منك للاشتراك؟" فكر سجال قليلاً ثم قال: "حسناً، سأغني أغنية واحدة أكون فيها معك، ليس لدي وقت طويل للتدريب" قال آدم: "لن يطول التدريب، ساعتان ويكون كل شيء جاهزاً" نظر سجال إلى عمرو وقال: "هل تنتظروني لنذهب معاً إلى المتنزهات؟" قال ماهر: "هل تريد فعلاً أن تذهب إلى المتنزهات؟" قال سجال: "أريد أن أقضي الوقت معكم" قال عمرو: "سننتظرك، لا تتأخر" نهض سجال قائلا: "سيكون كل شيء على مايرام" وغادر مع آدم ليجهز نفسه لحفل المساء.

★★★

كرم ولمياء وشادن كانوا على حالهم، ينتظرون أي جديد، عندها رن هاتف كرم، رد كرم قائلاً: "مرحباً رند" قالت رند متعجبة جداً: "أين أنت؟ كيف تتركني أنام الليلة وحدي في المنزل ودون أن أدري؟" قال كرم: "آسف لذلك، كنت مضطراً" "أين أنت؟" سكت كرم قليلاً ثم قال: "في المشفى، سأخبرك بكل شيء فيما بعد" "في المشفى! ما الذي جرى؟ هل أنت بخير؟" "أجل، سأخبرك فيما بعد" شعرت رند أن كرماً حزين جداً ولا يريد أن يتحدث على الهاتف فقالت: "حسناً، لا تتأخر". أغلق كرم الهاتف فإذا آخر يرن فوراً، هذه المرة كانت فرح، رفع كرم الهاتف قائلاً: "مرحباً" قالت فرح متحمسة: "صباح الخير، خشيت ألا تكون مستيقظاً، هل أيقظتك؟" قال كرم: "كلا" لم يكن يبدو على كرم أنه طبيعي فقالت فرح: "ألم تنم جيداً؟" قال كرم: "سأتحدث إليك فيما بعد، الوضع ليس مناسباً" تعجبت فرح من ذلك! إنها أول مرة يقول كرم شيئاً كهذا وبهذه اللهجة، قالت: "هل هناك شيء ما؟" قال

كرم: "سأخبرك فيما بعد" أنهيا المكالمة ووضع كرم هاتفه في جيبه يتمنى ألا يرن على الإطلاق.

بعد لحظات فتح الطبيب الباب فنهضت لمياء بسرعة إليه قائلة: "هل هو بخير؟" قال الطبيب: "لقد قمنا بالجراحة اللازمة، ونقلناه الآن إلى غرفة العناية المركزة في الطابق الخامس" قال كرم: "هل هو بخير؟" قال الطبيب: "ضغطه جيد وحرارته أيضاً، والنبض طبيعي، ولكن عليه أن يظل على جهاز التنفس الصناعي فترة" قالت لمياء: "هل نستطيع أن نراه؟" قال الطبيب: "على فترات، واحدٍ في كل مرة، ولكنه لم يستيقظ بعد، لا أخفيكم أننا ننتظر أن يستيقظ أيضاً لكي نتأكد أنه بات بخير" قال كرم: "ماذا تعني؟" قال الطبيب: "إلى أن يستيقظ يكون لنا حديث آخر" استأذن الطبيب وذهب كرم مع لمياء وشادن إلى الطابق الخامس بأقصى سرعة.

وقفوا أمام غرفة العناية المركزة، نظر كرم إلى لمياء وقال: "ادخلي" دخلت لمياء وحدها تنظر أين يكون واصل، استوقفها الطبيب فأخبرته أنها تزور ابنها واصل، قيل لها أنه قد نُقل إلى هنا. ألبسها الطبيب ثوباً لتدخل وأوصلها إليه، ما إن نظرت لمياء إليه حتى انتابها شعور كبير بالحزن والأسى، إنها تراه هكذا لأول مرة في حياتها، ممدد على الفراش وأنبوب التنفس في فمه، ضماد حول رأسه وفي أماكن أخرى من أثر السقطة.



جلست لمياء بهدوء تحاول ألا تبكي، ربتت على شعره بحنان وقالت بصوت خافت: "ستعود إلى المنزل عما قريب، أنت دائماً لا تحب البقاء في المشفى" ولكن واصلاً كان غائباً عن الوعي، هذا أحزن لمياء كثيراً ولكنها ظلت صامدة تقول: "الجميع بانتظارك، كرم هنا أيضاً يريد أن يراك" بعد لحظة سكوت بدأت لمياء تدمع فقالت: "لا تجعلنا نقلق عليك، نحن نحبك، نحبك كثيراً" لم يحرك واصل ساكناً أيضاً، لم تعد لمياء قادرة على حبس دموعها أكثر، ولكن في هذه اللحظة حضر الطبيب وطلب منها المغادرة حيث لا تستطيع البقاء في الغرفة أكثر من ذلك.

كان هذا قليلاً جداً بالنسبة للمياء، ولكن كان عليها أن تخرج، فواصل بكل الأحوال لم يكن الوحيد في الغرفة، هناك أيضاً أربعة مرضى.

خرجت لمياء فركضت إليها شادن تمسح لها دموعها قائلة: "كيف حاله؟" لم تستطع لمياء قول أي شيء، إنه لا يستجيب أبداً. جلست على الكرسي مرهقة، لا يبدو الوضع مطمئناً. نظر كرم إلى غرفة في آخر الطابق، يبدو أنها غرفة انتظار.

ذهب مع لمياء وشادن ليجلسوا هناك، كانت الغرفة معدة للزائرين، وهناك أيضاً زاوية للصلاة، صلى كرم فيها من بعده صلت لمياء وشادن، الجميع دعوا لواصل وأكثروا الدعاء.

★★★

بعد ساعتين من التدريب عاد سجال إلى الشقة حيث كان عمرو وسناء هناك ينتظرانه، الأولاد كانوا يتجولون في المكان وفي أي زاوية تحوي بعض الألعاب.

ما إن اجتمعوا حتى ركبوا السيارة ذاهبين إلى المتنزه.
عندما وصلوا كان المتنزه كبيراً وجميلاً كما تخيل عمرو، فرح الجميع وركضوا فيه مسرورين، سجال أيضاً كان مسروراً جداً، لا يبدو عليه أنه مرهق من التدريب، يبدو أن كل شيء سار على مايرام.
كان هناك الكثير من الشلالات والنوافير، تصور الجميع في كل مكان، لنا تصورت تحمل بطة كانت تسبح في الماء، كانت في قمة سعادتها وهي تفعل ذلك.
بعد فترة من المشي في المكان الواسع توقف عمرو ليتناول الطعام في أحد المطاعم التي كانت تملأ المكان، اختاروا مطعماً وتناولوا فيه طعاماً يتذوقونه لأول مرة، لقد كان شهياً.
هكذا كان الجميع يقضون أوقاتاً جميلة إلى المساء حيث كان عليهم العودة إلى الفندق من أجل حفل سجال.

★★★

في المشفى كانت لمياء ما تزال جالسة مع شادن في غرفة الزوار، كرم طلب الدخول لرؤية واصل، قال له الطبيب: "خمس دقائق فقط، وارتد ذاك الثوب" فعل كرم ما طلبه الطبيب ولكنه كان يرجف حتى قبل رؤية واصل، حتى منظر الطبيب جعله يشعر أن الوضع جدي جداً.
عند سجال كان الكثير من الناس قد تجمعوا حول الشاطئ حيث سيكون الحفل، عمرو والعائلة أيضاً وقفوا في مكان مناسب ليشاهدوا سجالاً، كانت العتبة التي سيغني عليها سجال وأدم مستديرة حتى يراه الناس من كل مكان.
كرم سار قليلاً داخل الغرفة يبحث عن واصل.

في هذه الأثناء بدأ الاحتفال بأضواء جميلة أنارت الشاطئ، وقـف آدمٍ فصفق الجميع تحية له، بعد لحظات صعد سجال، هو أيضاً نـال نصـيباً كبيراً من التصفيق حيث كان لديه الكثير من المعجبين حتى بعد أن تـرك الغناء فترة. أشار آدم للعازفين بالبدء...

كرم وقف ببطء أمـام سـرير واصـل، واصـل كـان غاطـاً في نـوم عميـق يتنفس الأوكسوجين من الآلة.

بدأ آدم يغني مقطعه:

You said you'd never leave me	قلتَ لن تتركني
but then you passed away	ولكنك رحلت
remembered by a smile	تُذكر بابتسامة
that shines a rainy day	تنير اليوم الممطر
if your death were just a trial	إذا كان موتك مجرد اختبار
I would fight for night and day	سأقاوم ليل نهار
but I think I'm in denial	ولكنني ما زلت غير مصدق
about your death	أنك مت
and this separate	وأننا افترقنا

بدأ سجال يغني مقطعه:

I miss you like a child	افتقدك كطفل
who misses his mother in play	يفتقد أمه في اللعبةٍ
because I found a friend	لأنني وجدت صديقاً
on one fine day	في يومٍ جميل
a friend whom I can trust	صديقاً أثق به
and wouldn't like to exchange	ولن أستبدله
for gold and silver piles	فما قيمة الذهب والفضـة
are worthless to your face	إذا أشرق وجهك

كان كرم يمسح على شعر واصل بهدوء لا يصدق أنه يرقد أمامه.
وبدأ آدم وسجال يغنيان معاً :



لن أنسى أسلوبك
بالتظاهر بالهدوء
حتى في أصعب الأيام
فكان ذلك دائما يرسم الابتسام
على وجهي
عندما أكون في موقف صعب

**I'll never forget your style
of playing cool
even on a stressful day
which always brought a smile
to me
when in a bad state**

ترك كرم شعر واصل، يشعر أنه سيبكي إذا نطق بأية كلمة.
غنى آدم مقطعه :

But I guess I lost the trial
because you're not here today
to lift the pain and sorrow
which clouded a clear day
and put a wrinkle
in a perfect smile
and a tear
in every face

ولكنني اظن انني تهت
لأنك لست هنا اليوم
لترفع الحزن والألم
اللذان عكرا صفو اليوم
وشوّها
الابتسامات الجميلة
ووضعا دمعة
فوق كل وجه

خرج كرم من الغرفة بهدوء وكـان لايـزال يرجـف، ذهـب في اتجـاه معاكس لمقاعد لمياء وشادن.

غنى سجال مقطعه:

But I guess
I can't believe I'm saying
goodbye old friend
till we meet someday
in God's heaven
a most precious place

ولكنني
لا أصدق أنني أقول ذلك
وداعا يا صديقي
إلى أن نلتقي يوماً
في جنة الله
أفضل مكان

شعر سجال بشعور غريب وكأنه كان فعلاً يقول ذلك ويعنيه!

أما كرم فقد دخل دورة مياه لم يكن أحد فيها سواه، وقف أمام مغسلة ونظر إلى المرآة فيها، إنه يلهث ووجهه أصفر، فتح صنبور المـاء وغسـل وجهه.

عاود آدم وسجال الغناء معاً:

With a rose placed on

اقول وانا اضع الوردة علـى

your grave
I say good night
and friends we will stay

قبركِ
نوماً هانئاً
وسنبقى أصدقاء

شعر سجال وكأنه ينظر إلى الناس وأحداً وأحداً، هناك شخص ما قد غاب، ولكنه لم يعرف فعلاً من هو، عائلة عمرو كاملة، ما الذي يشعر به فعلاً؟ ظل ينظر حوله ولكن دون جدوى.

نظر كرم إلى المرآة أمامه، فانعكست على المرآة صورة واصل يبتسم له مودعاً كما فعل في النادي، وكأنه يقف خلف كرم مباشرة، التفت كرم بسرعة ولكن لم يكن أحدهم خلفه أبداً. جثا على الأرض وأخيراً بدأ يبكي.

انتهى الحفل، صفق الجميع لآدم وسجال، سجال كان مايزال يشعر بشيء غريب! ولكنه ما إن نظر إلى حيث عمرو والعائلة حيث كان الجميع سعداء ويصفقون له بحرارة حتى ابتسم متناسياً كل ما يشعر به.

شكر آدم سجالاً على المشاركة والاقتراح الجميل أن يكون الحفل قرب البحر حيث استمتع كثير من الناس، إضافة إلى القدر الكبير من التبرعات التي قد جمعوها. كان سجال سعيداً أنه استطاع المساعدة، ودع آدم وعاد مع عمرو والعائلة إلى الفندق.

★★★

كرم ظل وحده في دورة المياه إلى أن هدأ قليلاً، كأنه لم يستطع تصديق ما يجري إلى أن رأى واصلاً بأم عينه يستلقي على الفراش مغشياً عليه.

رن هاتفه حيث كانت فرح، رد كـرم عليهـا قـائلاً: "مرحبـاً فـرح، آسف أنني لم أستطع زيارتك اليوم" قالت فرح: "ولكنني أحمل أخبـاراً سارة جداً، جدي سيحضر غداً، نستطيع تحديد موعد الزفـاف" سـكت كرم، إنه أسوأ وقت لتحديد زفافه. قالت فرح: "ما بك؟ ألست سعيداً؟" قال كرم: "سأتحدث إليك فيما بعد" "ما الأمر؟ لا تبدو على مـايرام" "سأخبرك فيمـا بعـد" "حسـناً، اعـتن بنفسـك" أغلـق كـرم السـماعة مايزال غير قادر على التحدث في أمر واصل، ربما إذا نطق شـيئاً كهـذا أصبح حقيقة أكثر مما هو عليه الآن.

عاد كرم إلى غرفة الاستقبال حيث لمياء وشادن، نظر إليهمـا حيـث لم يكونا وحدهما هذه المرة، لمياء كان تعانق أحدهم وتبكي، إنه مراد، وصل للتو.

نظر مراد إلى كرم، لم يتعجب وجوده هنا على الإطلاق، قـال مـراد يسأل كرماً: "كيف حاله؟" لم يعرف كرم ما يقول، ولكن كان عليـه أن يقول شيئاً: "كما قال الأطباء، حالته مستقرة ولكنه غاط في نوم عميـق" قال مراد: "ألا يحرك ساكناً؟" كان يصعب على كرم الإجابـة علـى مثـل هذه الأسئلة خاصة وهو يحاول حبس دموعه أمام الجميـع: "لم أحـاول اختبار أي شيء كهذا، جلست إلى جانبه فقط" نهض مراد قائلاً: "هـل أستطيع أن أراه؟" قالت شادن: "كرم كان عنده الآن، أظن أن الطبيب لن يسمح لك بالزيارة إلا بعد ساعة علـى الأقـل" شـعر مـراد بخيبـة أمـل وبشيء من التوتر، واصل في الغرفة بجانبه ولا يستطيع رؤيته، ولكنه عاود الجلوس إلى جانب لمياء وعانقها حيث كان يعلم أنها بحاجـة لمـن يقف صلباً إلى جانبها.

كرم شعر أنه لم يعد يستطيع الجلوس هنا، خرج من الغرفة وذهب

إلى شرفة ليستنشق بعض الهواء وحده.

★★★

كفاح ومصعب كانا جالسين في منزل مرام مستاءين حيث لا يتحدث أحد إليهما، كانا قلقين أيضاً فلماذا لا يطمئنهما أحدهم؟ أو أن الوضع لا يطمئن أصلاً.

مصعب كان يبكي بين الحين والآخر، كان على كفاح أن يظل صامداً أمام مصعب حتى يخفف عنه، ولكنه كان يعلم أنه قلق أيضاً، بل خائف من الجو الذي يحيط بهما، إنهما وحيدان تماماً.

ساري كان يقف على سطح منزل واصل ينظر إلى كفاح في منزل مرام، لم ينتبه كفاح له ولكن سارياً كان حزيناً "لا لعب بعد الآن" هذا كان كل ما يفكر فيه "حتى هذه حرمتني منها يا واصل" وقفز مبتعداً عن المنزل يلوم واصلاً على كل ما يجري معه في حياته.

★★★

كرم كان مايزال يقف على الشرفة، ولكنه لم يكن يستطيع أن يهنأ بوقت قصير لنفسه حيث اتصلت رند: "أين أنت؟ هل ستدعني أقضي الليلة وحدي مجدداً؟" قال كرم بهدوء: "رند أرجوك، أنا أعلم أنك شخص يُعتمد عليه، تستطيعين تدبر الأمر هذه الليلة أيضاً" لم تصدق رند ما تسميع فقالت: "أين أنت؟ ماذا تفعل؟ هل أنت مع فرح؟" قال كرم: "كلا، رند... واصل..." ما إن سمعت رند اسم واصل حتى قلبت نظراتها تعلم أن كل ما يحدث سيكون بسبب واصل، ولكن كرماً تابع قائلاً: "تعرض لحادث..." قالت رند متفاجئة: "ماذا تقول؟" قال

كرم: "هذا ما حدث، إنه فاقد الوعي في المشفى منذ يوم، لا أستطيع تركه، آسف" كانت رند ماتزال في هول الصدمة، كان واصل في منزلهم منذ يوم فقط! قال كرم: "رند، هل أستطيع أن أعتمد عليك؟" قالت رند بسرعة: "أجل، أجل، بكل تأكيد... إم... أنا آسفة" قال كرم: "لا عليك، أنا آسف أنني تركتك يوم العطلة" "لا عليك، لا تفكر في الأمر، سأتدبر أمري" "شيء آخر، تأكدي أن الأبواب مقفلة وإذا احتجت شيئاً فاتصلي بي، لا تخرجي من المنزل لإحضار أي شيء وحدك" "حسناً، سأتدبر أمري، لا تقلق" قال كرم بصوت تعب: "شكراً".

أغلقت رند السماعة لا تصدق ما سمعت، بل باتت الأفكار تلف في رأسها كثيراً، كفاح أيضاً، كيف سيكون حاله الآن؟

★★★

سجال كان يجلس على الشرفة يراقب النجوم كما فعل في الليلة الماضية، ويستمع إلى ألحان الموسيقى بسماعة في أذنه من مسجل محمول



حضر عمرو ليجلس إلى جانبه يراقب النجوم معه وقال: "لقد كانت حفلة موفقة، كنتما رائعين" رفع سجال السماعة عن أذنه وابتسم قائلاً: "شكراً" نظر عمرو إلى سجال الذي كان يبدو عليه أنه يفكر في أمر ما، سأله: "بم تفكر؟" قال سجال: "لست أدري، أشعر أنني فقدت شيئاً ما، شيئاً مهماً" "شيئاً! مثل ماذا؟" "لست أدري، ولكن بينما كنت أغني لمعت في عيني صور غريبة" ابتسم عمرو قائلاً: "ألا تفكر أن تغني بشعر سعيد لمرة في حياتك؟" نظر سجال إلى عمرو الذي تابع قائلاً: "كلمات الأغنية كانت حزينة جداً، لا عجب أن تتخيل شيئاً كهذا" "هل تظن ذلك حقاً؟" "ربما" تنهد سجال ثم قال: "لست من اختار الأغنية في كل الأحوال" قال عمرو: "المهم أنه بقي لدينا يوم واحد هنا، يجب أن تستمتع به" "أجل، سأفعل" نهض عمرو معه سجال ليذهبا إلى الفراشويناما للغد.

★★★

كرم عاد إلى غرفة الانتظار حيث كانت لمياء مستندة على مراد، وشادن تجلس إلى جانبها أيضاً ولم يتغير شيء. نظر مراد إلى كرم وقال: "لقد طلبتُ نقله من الغرفة، سينقلونه إلى غرفة منفردة، ونستطيع أن نراه طول الوقت من خلف غرفة زجاجية" لم يكن هناك فرق بالنسبة لكرم، طالما كان واصل فاقد الوعي يصعب عليه أن ينظر إليه. لاحظ مراد تعابير الأسى على وجه كرم فطلب منه أن يجلس إلى جانبه. جلس كرم إلى جانب مراد في الجهة المقابلة للمياء ووضع مراد ذراعه على كتف كرم قائلاً: "أعلم أنك تحملت دور الرجل هنا وأنا شاكر، ولكنني هنا الآن، وتستطيع أن ترفع هذا العبء عن نفسك" لم

يفهم كرم ما عنى مراد، بل لم يتعب نفسه بـالتفكير فيـه، علـم مـراد ذلـك مـن وجـه كـرم فضـمه إلى صـدره قـائلاً: "أنـت أيضـاً بحاجـة لمـن يواسيك، وأنا هنا الآن" فعلاً كان مراد أول من يواسي كرماً علـى أعـز صديق له، فعلاً كان على كرم أن يكون الرجـل المسؤول طـول الوقـت، شعر كرم بذلك الآن وبدأ يدمع، قال مـراد: "سـيكون بخـير بـإذن الله، سندعو له جميعاً" بكى كرم بهدوء على ذراع مراد، كـان مـراد كـالأب لكـرم طـول الوقـت، وأخـيراً يسـتطيع أن يعتمـد علـى أحـدهم في هـذا الموقف.

مضى الوقت، نظر مراد إلى كرم وقال له: "عليك أن تنام قليلاً، تبدو مرهقاً" قال كرم: "لابأس، أنا بخير" أشار مراد إلى كرسي مرتكز علـى زاوية الحائط وقال: "تستطيع أن ترتكز علـى ذاك الكرسـي، حـاول أن تنام" نهض كرم كما طلب منه مراد وجلس على الكرسي راكزاً جسـده على الحائط، ما إن أغمض عينيه حتـى غـط في النـوم مـن التعـب، فقـد سهر يومين متواصلين، مراد غطاه بمعطفه ثم نامت لميـاء علـى صـدره. نظر إلى شادن التي ظلت جالسة وحدها وقال: "شكراً لك على المسـاندة" قالت شادن: "أبداً، أنا لم أفعل شيئاً" قال مـراد: "هـلا اعتنيـت بكفـاح ومصعب، إنهما بحاجـة لعنايـة كـبيرة" قالـت شـادن: "مـرام والجـدة هناك، سيكونان بخير" أشار مراد بالنفي وقال: "إنهما بحاجـة لأكثـر من ذلك، لا أريد أن يكونا مصدومين مما يجري" فهمت شادن أن عليها أن تعـود إلى المنـزل، نهضـت قائلـة: "سـأعود في الغـد" قـال مراد: "سنخبرك في أي غرفة نقلوه" قالـت شـادن: "شـكراً" ونظـرت إلى لمياء التي نامت أخيراً ثم غادرت إلى المنزل.

★★★

كان كفاح ومصعب يجلسان وحدهما دون أن يتحدثا إلى أحد أو حتى إلى نفسيهما، دخلت شادن وقد كانت مرام تحبس نفسها في غرفتها والجدة جالسة على التلفاز لا تتحدث إلى أحد. شعرت شادن باستياء كبير لذلك، كفاح ومصعب وحدهما، ما إن لمح كفاح شادن حتى ركض إليها وركض مصعب خلفه وأمسكا بها قائلين: "كيف هو؟ ما الذي جرى؟" ربتت شادن على رأسيهما وابتسمت قائلة: "سيكون بخير إن شاء الله، أمك ووالدك هناك يجلسان إلى جانبه" قال كفاح: "هل سيكون بخير فعلاً؟" قالت شادن: "ماذا تقول؟ واصل أقوى من ذلك بكثير، لن تكون هناك مشكلة" مع أنه كان يبدو على شادن التعب إلا أن كلماتها أراحت كلاً من كفاح ومصعب، عندها قالت: "هيا إلى النوم" سار كفاح ومصعب معها إلى الطابق العلوي سينامان إلى جانبها في الفراش. بعد أن وضعتهما في الفراش قالت: "سأعود فوراً" وغادرت الغرفة.

نظر مصعب إلى كفاح وقال: "هل فهمت ما يجري؟" نظر كفاح إلى مصعب وابتسم قائلاً: "سيكون كل شيء على ما يرام، لا يبدو الوضع سيئاً" فرح مصعب بذلك كثيراً، كان ينتظر ذلك فقط من كفاح، أغمض عينيه ونام فوراً، كفاح لم يكن مرتاحاً، لقد قال ذلك لكي لا يقلق مصعب، أما هو فلم يستطع حتى أن يغمض عينيه، والده هنا بهذه السرعة! الوضع ليس جيداً.

★★★

شادن دخلت غرفة مرام، مرام كانت على الفراش ممددة تبكي لحظة وتسرح أخرى، جلست شادن إلى جانبها فسألت مرام: "هل هو

بخير؟" قالت شادن هذه المرة بصراحة: "إنه فاقد الوعي، الجميع ينتظر أن يستيقظ" قالت مرام: "هل رأيته؟" قالت: "لا، ولكن لمياء وكرماً دخلا، يبدو في وضع مستقر الآن" سكتت مرام فقالت شادن: "لقد تركت كفاحاً ومصعباً في رعايتك فوجدتهما خائفين يجلسان وحدهما" قالت مرام: "هذا أفضل من أن يرياني في هذه الحالة" "ما كان عليك أن تريهما هذه الحالة أصلاً" "لم أستطعٍ" تنهدت شادن وربتت على شعر مرام قائلة: "أعلم أن هذا كان كثيراً..." لم تتابع شادن كلمتها فنهضت مرام بسرعة قائلة: "لقد رأيت ذلك بأم عيني، لقد كان يقطع الشارع و... و..." الآن فقط علمت شادن أن مرام رأت ذلك بأم عينها بينما كانت تتمشى مع ميساء، عانقتها شادن فبدأت تبكي بحرارة، ربتت على شعرها تتساءل ما الشيء الذي يمكن أن يهدئها أو يجعلها تنسى.

نزلت شادن إلى حيث تجلس الجدة، نظرت الجدة إليها قائلة: "هل ناموا؟" قالت شادن: "أظن ذلك، ستنامين اليوم إلى جانب مرام" "حسناً" "إنها بحاجة لعناية، لقد شاهدت الحادث بأم عينها" نظرت الجدة إلى شادن قائلة: "حقاً؟" "أجل، أخبرتني الآن بذلك، لقد كانت هناك، الأمر ليس سهلاً عليها أبداً" شعرت الجدة بحزن كبير لما تسمع فطلبت من شادن أن تصعدها إلى الغرفة لتنام إلى جانب مرام. عادت شادن إلى غرفتها لتنام إلى جانب كفاحٍ ومصعب حيث كان كفاح يتظاهر بالنوم بينما ينام مصعب نوماً عميقاً.

★★★

الفصل الحادي والستون

أشرق فجر اليوم الثالث والأخير في رحلة عمرو والعائلة، أيقظ عمرو العائلة في الفجر ليصلوا جماعة، بعدها جلسوا معاً يتحدثون عن مخططات اليوم، قال عمرو: "اليوم سنذهب إلى الآثار" استاء الجميع بهذا القرار فقال عمرو: "سبق أن سمعت ردة الفعل هذه عندما قلت أننا سنذهب إلى المتنزهات، لقد كانت جميلة" قال ماهر: "ولكن الآثار أمر مختلف، لن تجد شيئاً ممتعاً هناك بكل تأكيد" قال مالك: "لم لا نقضي اليوم الثالث على الشاطئ ثانية؟" قالت سناء: "ماذا تعرف عن الآثار هنا يا عمرو؟" قال عمرو: "هناك الكثير، كلها يعود إلى آلاف السنين، حجارة منحوتة بـ..." قاطعة مالك قائلاً: "حجارة! لا أريد أن أشاهد حجارة" قال عمرو: "إنها ليست كأي حجارة، إنها منحوتة بعناية، وتدل على عمل متقن جداً" قال ماهر: "أجل، كان السلف أخبر وأمهر منا بكثير، ويجب أن نتعلم منهم الإخلاص في العمل ليبقى لدينا ما نقدمه للأمم القادمة، ولكن ألا نستطيع أن نلهو على الشاطئ؟" سكت عمرو ونظر إلى الباقين ممن لم يبدوا أي اقتراح، لنا لم تقل شيئاً، لينا قالت: "لا فرق لدي" أما سجال فقال: "هلاّ قضيناه على الشاطئ؟" تفاجأ عمرو بجواب كهذا، إنه معتاد على أن يكون سجال محايداً معظم الوقت. لابأس في أن يقدم اقتراحاً فهذا أمر جيد، ولكن لا يبدو أنه اقترحه لأنه يفضل الشاطئ على الآثار. لم يشأ عمرو أن يسأل سجالاً مجدداً خاصة عندما قفز ماهر ومالك سعيدين باشتراكه معهما فقال عمرو: "حسناً حسناً، إذا ظل لدينا وقت سنذهب إلى

الآثار، سنقضي اليوم على الشاطئ مجدداً" فرح سجال بسعادة ماهر ومالك خاصة عندما أمسكوا يده وأخذوه معهما ليسبحوا، ولكن عمراً ذكرهم أن الوقت مبكر على ذلك جداً ولكن مالكاً قال: "لن نسبح الآن، سنتمشى على الشاطئ فقط" قال ماهر: "سيكون الجو جميلاً جداً" وخرجا ساحبين سجالاً معهما.

وقفت سناء أيضاً قائلة: "سيكون الجو جميلاً الآن على الشاطئ، هلا تمشينا؟" وقف عمرو قائلاً: "طبعاً" وأخذا لينا ولنا معهما.

★★★

في المشفى كان كرم مايزال نائماً على الكرسي، مراد دخل الغرفة يقول للمياء: "لقد نقلوه إلى غرفة خاصة الآن، تستطيعين رؤيته من خلال الزجاج طول الوقت" نهضت لمياء بسرعة لتراه على الفور، نظر مراد إلى كرم الذي بدأ يستيقظ على الأصوات حوله فاقترب منه مراد وهزه قليلاً قائلاً: "كرم، سننتقل إلى غرفة واصل" استيقظ كرم ونهض ليذهب معهما.

كانت غرفة مفردة، واصل كان الوحيد فيها، للغرفة بابان، باب حيث ينام واصل وباب لغرفة صغيرة ببضعة مقاعد تطل على واصل من خلال الزجاج.

جلست لمياء تنظر إلى واصل، إنه على حاله مايزال موصولاً بالأجهزة، كرم كان مستاء لرؤية واصل هكذا، فكلما رآه تأكد أن هناك مشكلة وأن حاله سيء جداً. مراد جلس إلى جانب لمياء ينظر إلى واصل أول مرة، ولكنه لم يعلق أبداً، ظل ينظر إليه فقط.

غادر كرم الغرفة قائلاً: "سأجلب بعض العصير" وترك لمياء ومراد وحدهما.



مرام كانت ماتزال ممددة في الغرفة والجـدة إلى جانبهـا، لم تـداوم اليوم أيضاً في المشفى فاتصل مازن ليطمئن عليها.

رن هـاتف المنـزل ولكـن مـرام لم تُـرد أن تـرد عليـه فـردت الجدة: "مرحباً، من المتكلم؟" سمعت مرام المتصل يقـول: "مرحبـاً، أنـا مازن، هل مرام هنا؟" نظرت الجدة إلى مرام التي أشارت لهـا بـالنفي على الفور فقالت الجدة: "نعم إنها هنا، ولكنها لا تستطيع التحدث إلى أحد الآن" انصدمت مرام مما قالت الجدة، لم يكن من المفترض أن تقول ذلك! قال مازن: "لم تداوم اليوم والبارحـة، لقـد قلقـت عليهـا" قالـت الجدة: "لقد رأت حادث سير بأم عينها..." قاطعت مرام حديث الجـدة حيث سحبت السماعة منها على الفور ووضعتها علـى أذنهـا لتتحـدث لعلها تقول شيئاً أفضل مما تقول الجدة، ولكنها لم تعـرف مـا تقـول، ظلت صامتة لا تدري ماذا يُفـترض أن تفعـل، بعـد لحظـات نظـرت إلى الجـدة الـتي كانـت تنظـر إليهـا بهـدوء فأعـادت الهـاتف لهـا، قـال مازن: "ما الذي جرى؟" قالت الجدة: "لا شيء، فقط كنت أقول أن مرام شاهدت حادث سير كبيراً لجارنا، لذلك لا تستطيع التحدث إلى أحـد" لفّـت مـرام وجههـا بـالفراش لا تريـد أن تسـمع شـيئاً آخـر، قـال مازن: "هذا فظيـع! كيـف حالهـا؟" قالـت الجـدة: "تتخلـل كـل دمعـة دمعة" رفعت مـرام الفـراش عـن وجههـا بسـرعة تشـير إلى الجـدة أن تنهي المكالمة على الفور، قال مازن: "هل أستطيع أن أمر عليها؟" قالـت الجدة: "لا تقلـق، سـتكون بخـير، إنهـا بحاجـة لـبعض الوقـت" قـال مازن: "حسناً، سلمي لي عليهـا" "سـأفعل" أغلقـا الهـاتف، نظـرت مرام إلى الجدة وقالـت: "مـا الـذي تفعلينـه؟" قالـت الجـدة: "عليـك أن تعتادي على الصراحة، لست مضطرة للكـذب" قالـت مـرام: "الكـذب!

وماذا عن تتخلل كل دمعة دمعة؟" قالت الجدة: "هذه هي الحقيقة، إذا كنت لا تريدين أن تظهر الحقيقة غيريها" سكتت مرام وهي تعلم أن الجدة على حق ولكن ليس من السهل أن تتمالك نفسها.

★★★

عاد كرم إلى لمياء ومراد يحمل عصيراً لهما فقط، قال مراد: "ماذا عنك؟" قال كرم: "شربته في الخارج" فتح مراد العصير للمياء ونهض قائلاً: "سأسأل الطبيب إذا كان بإمكاني الدخول" ترك مراد لمياء وكرماً ينظران إلى واصل، جلس كرم على الكرسي ينظر إليه لا يدري أيظل جالساً أم يفضل ألا يكون هنا. قاطعت لمياء أفكاره قائلة: "أنت صديق حقيقي يا كرم" نظر كرم إليها فتابعت قائلة: "أنت الوحيد الذي يجلس هنا من كل معارفه، أنت فعلاً صديقه الوحيد" تذكر كرم واصلاً يقول له شيئاً كهذا، لن يلتف أحد حوله في الشدائد، ولكنه واثق أن كرماً سيكون إلى جانبه وهذا كاف، بدأ كرم يدمع، عليه فعلاً أن يظل إلى جانبه مهما كلف الثمن.

عندها دخل مراد الغرفة من جهة واصل، يبدو أن الطبيب وافق على ذلك، جلس إلى جانبه ومسح جبينه بحنان وأخذ يتحدث إليه بصوت خافت لا يسمعه كل من لمياء وكرم، ولكن كرماً كان حزيناً جداً على مراد، أن يحضر إلى البلاد بسرعة هكذا ليرى ولده على سرير المشفى كان أمراً صعباً بلا شك.

★★★

على الشاطئ جلس سجال إلى جانب عمرو بعد لعب طال في الماء،

نظر عمرو إليه قائلاً: "هل أنت سعيد؟" قال سجال: "أجل، لا تقلق علي" ضحك عمرو قائلاً: "لا أقصد أن أكون قلقاً بهذا السؤال، أنا أسأله دائماً" بعد هدوء قال سجال: "آسف بشأن الآثار" نظر عمرو إلى سجال قائلاً: "لا عليك، ليس أمراً مهماً" قال سجال: "ظننت أنه ربما تكون أردت ذلك فعلاً" قال عمرو: "أحب الآثار فعلاً، ولكنني أكون أسعد عندما أرى أولادي سعداء، الرحلة كانت مخصصة لهدف واحد هو إسعادكم" سكت سجال فقال عمرو: "لماذا لم ترد الذهاب إلى الآثار؟" قال سجال بسرعة وكأنه كان ينتظر هذا السؤال: "لدي ذكريات سيئة هناك" فكر عمرو بشيء كهذا من قبل، ولكنه لم يشأ أن يسمع ذلك، قال سجال: "آسف لذلك" قال عمرو: "كلا أبداً، أنا سعيد أنك اتخذت القرار، كنتُ سأندم إذا سببت لك الحزن بعد كل هذا" ابتسم سجال وكأنه لم يَدُر حوار كهذا بينهما قائلاً: "هل تسبح معي؟" نهض عمرو قائلاً: "بكل تأكيد" ركض سجال إلى الماء مع عمرو ليسبحا معاً مستمتعان بوقتهما.

★★★

بينما كان كرم جالساً في الحجرة الزجاجية رن هاتفه، إنها فرح. نهض مغادراً الغرفة ليتحدث إليها.

رد كرم قائلاً: "مرحباً فرح" قالت فرح: "أهلاً، أين أنت؟ يوم كامل لم تتحدث إلي فيه" قال كرم: "أنا آسف، لقد انشغلت كثيراً" قالت فرح: "انس الأمر، أردت أن أخبرك أن جدي الآن في منزلنا، نستطيع أن نحدد موعد الزفاف أخيراً" ولكن كرماً لم يبد أي ردة فعل لتحمس فرح فقالت: "ما الأمر؟" قال كرم: "أظن أنني سأؤجل الموعد" "لماذا؟

أنت من كان على عجلة!" سكت كرم لا يدري ما يقول، يصعب عليه شرح ذلك فقالت فرح بصوت خافت: "بعد كل هذا التأجيل من جهتي يحق لك أن تؤجل أنت الآخر" قال كرم: "كلا الأمر ليس كذلك، إنه..." ظلت فرح صامتة تستمع إلى ما يقول فقال كرم أخيراً: "واصل في المشفى، لقد تعرض لحادث، ويجب أن أظل إلى جانبه" "ماذا تقول؟" "ما سمعتِ" سكتت فرح لا تدري ما تقول فقال كرم: "كما ترين، لا أستطيع تحديد موعد للزفاف، إنه فاقد وعيه وعلي أن أظل إلى جانبه" قالت فرح: "بكل تأكيد، يجب أن تظل إلى جانبه، أنا آسفة" "لا عليك" "انس الأمر، يجب أن تبقى معه، سأتدبر الأمر هنا لا تقلق" "شكراً فرح" وأغلقا الهاتف، فرح لم تتصور أن يحدث شيء كهذا وخاصة في هذا الوقت، إنه أسوأ توقيت لأسوء حدث. كرم أخيراً أخبر كلاً من رند وفرح بالأمر، هكذا يستطيع أن يرتاح ويبقى إلى جانب واصل.

★★★

حل المساء وكل شيء على حاله، لا أخبار جديدة في شأن واصل، كرم ولمياء ومراد جالسون يراقبونه، شادن تعتني بكفاح ومصعب ومرام والجدة، بات عملها مرهقاً جداً، رند كانت تتابع التلفاز في المنزل لا تعرف ماذا تفعل، وفرح كانت تجلس في غرفتها حزينة لما يجري، تفكر ماذا يمكن أن تفعل.

أما سجال فقد كان يحزم أمتعته، سيغادرون في الصباح الباكر عائدين إلى الديار.

كان الجميع سعداء بقضائهم وقتاً طيباً في العطلة، حتى حزم

الأمتعة كان ممتعاً بتذكر الأحداث التي جرت للجميع خلال إقامتهم.

في الفجر أقلعت الطائرة وعادت بهم إلى البلاد، ولكن أحدهم لم يتوقع ما حدث.

في المطارِ استوقف الشرطة عمراً، تعجب الجميع لذلك فقال عمرو: "عفواً، هل لي أن أعرف ما يجري؟" قال الشرطي: "أنت متهم بمحاولة قتل متعمد إضافة إلى هربك من البلاد" تفاجأ الجميع لما يسمعون! كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ قال عمرو: "لابد أن يكون هناك سوء فهم، أنا لم أفعل شيئاً كهذا في حياتي" قال الشرطي: "هناك أوامر بالقبض عليك، سنتحدث في المخفر" سجال لم يصدق ما يحدث، والجميع قلق كثيراً ولكن عمراً كان مايزال هادئاً، نظر إلى عائلته وقال: "آسف لما يجري، لن أتأخر، عودوا إلى المنزل ولا تقلقوا، هناك خطأ ما بلا شك" سناء كانت قلقة جداً علماً أنها متأكدة أن عمراً محق فيما يقول. نظر عمرو إليها قائلاً: "رتبي الحقائب وسأكون في المنزل" أشارت سناء بالإيجاب ولكن الشرطي سحبه قائلاً: "أنت متفائل جداً".

فعلاً أخذت الشرطة عمراً بينما عادت العائلة إلى المنزل دونه، كان هذا أسوأ ما يمكن أن يحدث، لا أحد يتحدث طول الطريق، حتى عندما دخلوا المنزل.

جلس سجال يفكر: "إذا كان هناك شيء كالقتل قريب من عمرو فهو أنا" نهض ينظر إلى النافذة ويفكر: "هل يعقل أنه قد حدث التباس بينه وبيني أم أن الموضوع كله بعيد عما أفكر؟" قبض سجال يده قلقاً "أشعر أنني السبب بطريقة أو بأخرى، ماذا أفعل؟ كيف يمكن أن أعرف؟".

قضت سناء يومها أمام الهاتف والباب، تنتظر أي خبر من عمرو.

كل الأولاد كانوا هادئين جالسين في غـرفهم لا يتحـدثون، إذا قـال أحدهم كلمة تكون "لابد أن هناك خطأ ما" "لماذا والدي؟"...

مضى اليوم دون أيـة أخبـار، في المساء رن الهـاتف، رفعـت سـناء السماعة بسرعة قائلة: "عمرو؟" فعلاً كان عمراً المـتكلم، قـال: "مرحبـاً سناء، كيف حال الجميع؟" قالت سناء قلقة: "كيف حالـك أنـت؟ مـاذا يجري؟" قال عمـرو: "إنـه سـوء تفـاهم، ولكـنني أظـن أنـني سـأظل في المخفر اليوم" "ماذا تقـول؟ هـل سـتنام في زنزانـة؟" سـكت عمـرو لا يريد أن يهول الأمر فقالت سناء: "مـاذا يجـري؟ مـن الـذين يتهمونـك بقتله؟" قال عمرو بصوت خافت: "نفس الرجل الذي يظهر على التلفاز دوماً" علمت سناء أنه شاكر الذي يحاول سجال قتلـه، ولكـن لم تكـن تستطيع أن تناقش شيئاً كهذا علـى الهـاتف، لا أحـد يعلـم أن سـجالاً متورط أصلاً، وبكل تأكيد لا يريد عمرو أن يعلم أحد ذلـك، ولكـن لمـاذا يُتهم عمرو بدلاً منه؟ قال عمرو: "اعـتن بـالجميع، سـأكون بخـير" لم تستطع سـناء قـول أي شـيء فقـال عمـرو: "سأتصـل كلمـا سـنحت لـي الفرصة" وأغلق الهاتف.

سناء لم تستطع تمالك نفسها فنادت سجالاً بأعلى صوتها، الجميـع سمع مناداتهـا مـن الطـابق السـفلي، نهـض سـجال وركـض إلى الـدرج بسرعة كما فعل الجميع، فقالت سناء غاضبة: "ألم أنادي سـجالاً؟ لمـاذا الجميع متجمـع هنـا؟" كـان مـن الواضـح أن سـناء غاضـبة جـداً، عـاد الجميع إلى غرفهم بينمـا نـزل سـجال إلى حيـث سـناء وأجلسـته علـى الأريكة.

جلس سجال بهدوء دون أن يقول شيئاً، لم تجـر العـادة أن ينـاقش سناء بشيء مهم، قالت سناء: "ما الذي جرى؟" سجال لم يكن يـدري،

ولكن سناء قالت: "إنه متهم بمحاولات القتل التي تفعلها أنت" حدث أسوأ ما كان يتوقعه سجال، إنه فعلاً السبب فيما يجري. قالت سناء: "كيف حدث ذلك؟" قال سجال: "ما أدراني؟ أنا من كان يفعل ذلك لا والدي" سكتت سناء وجلست وما تزال غاضبة فقال سجال: "أنا لم أفعل شيئاً يُلقي الاتهام على أحدهم، أنا متأكد أنني لم أفعل، بل لست بحاجة لأن أفعل" قالت سناء: "ولكن هذا ما حدث" قال سجال: "لا يهمني إذا ما كنتُ المتهم، ليست أول مرة تبحث الشرطة عني" قالت سناء: "سيقضي عمرو الليلة في الحبس" قال سجال: "أنا من يفترض أن يقضيها بدلاً عنه، ولا يهمني ذلك" نهض سجال فأمسكت سناء بيده قائلة: "إلى أين؟" قال سجال: "إلى المخفر، أنا من يريدون" هدأت سناء قليلاً، تنهدت وقالت لسجال: "اجلس" جلس سجال بهدوء فقالت سناء: "وهل تظن أن هذا ما يريده عمرو؟ إنه يريدك أن تكون أبعد ما تكون عن كل هذا" "ولكن..." "إذا كنت ستفعل ذلك من أجل عمرو فهو لا يريده، إنه بريء وسيثبت ذلك عاجلاً أم آجلاً" "لستُ أدري كيف حصل مثل هذا الالتباس، ثم إن الشرطة تعلم أن سارياً هو من يفعل كل ذلك" "لا تبدو الشرطة متأكدة من أي شيء" سكت الاثنان فطبطبت سناء على كتف سجال وقالت: "لا تفعل شيئاً متهوراً، عمرو يريدك أن تبتعد عن كل هذا" لم يقل سجال شيئاً فقالت سناء: "عدني أنك لن تتدخل" نظر سجال إليها وقال: "لا أعدك" قالت سناء منزعجة: "ستعدني! لا أريد أن أراقبك طول الوقت" قال سجال: "ماذا إذا استمر الوضع هكذا؟ ماذا إذا لم تثبت براءته؟" "وهل تظن أنهم سيصدقونك؟ أنت صغير على ذلك" "هناك ألف طريقة يصدقونني بها" "ولكنك لن تفعل" سكت سجال، لا يبدو أنه

موافق أيضاً. قالت سناء: "ثلاثة أيام، لن تفعل بها شيئاً، إذا طال الأمر عن ذلك فلنا حديث آخر" نظر سجال إلى سناء ثم قال: "حسناً، ثلاثة أيام فقط".

نهض سجال وذهب إلى غرفة الكتب التي كانت غرفته في السابق ليجلس فيها وحيداً، فعلاً حدث أسوأ ما يمكن أن يحدث، ولكن كيف؟

★★★

كرم كان قد قضى يوماً آخر في المشفى إلى جانب واصل مع مراد ولمياء، ولكن لم يكن هناك جديد، واصل غاط في نوم عميق.

مراد اقترب منه قائلاً: "كرم، تستطيع العودة إلى منزلك" نظر كرم إليه لا يرغب في ذلك، ولكن مراد قال: "لاعليك سيكون بخير إن شاء الله، سنعلمك بأي جديد" قال كرم: "لا مانع لدي في البقاء هنا" قال مراد: "أعلم ذلك جيداً، ولكن لديك ما تفعله أيضاً، يجب أن لا تترك الجميع الآن، لديك أخت وخطيبة" طأطأ كرم رأسه يفضل البقاء هنا على العودة إلى المنزل، طبطب مراد على كتفه قائلاً: "يجب أن ترتاح قليلاً، نحن شاكرون لمساندتك جداً" لم يعد لدى كرم طاقة للجدال، أشار بالإيجاب وقال: "سأمر كل يوم" ابتسم مراد وربت على شعره قائلاً: "اعتن بنفسك".

غادر كرم المشفى لا يصدق أنه فعل، وعاد إلى منزله.

هناك نظر إلى الباب حيث علقت رند لافته كتب عليها "لا تدريب اليوم" دخل كرم دون أن ينزع اللافتة ورن الجرس. رند كانت ممددة على الأريكة تشاهد التلفاز، ما إن سمعت الجرس حتى نهضت

قائلة: "من هنـاك؟" قـال كـرم: "أنـا كـرم" قفـزت رنـد بسـرعة لتفـتح الباب، ولكن قبل أن تفعل في آخر لحظة ركضت إلى غرفـة كـرم لتنظـر من النافذة من الطارق فعلاً، إنه كرم، فتحت النافذة قائلة: "كرم! لقـد عدت" نظر كرم إلى النافذة وقال: "افتحي الباب" ركضت رند إلى البـاب وفتحته بسرعة تنظر إلى أخيها، قالت: "ما الأخبار؟" كان التعب بادياً على كرم، دخل المنزل قـائلاً: "إنـه فاقـد الـوعي" قالـت رنـد: "ولكنـه بخير" قال كرم: "يقول الأطبـاء أن حالتـه مسـتقرة، ولكنـه لم يحـرك ساكناً بعد" شعرت رند أن كرماً مستاء من الوضع جداً فقالت: "لابأس، لـن يطـول ذلـك إن شـاء الله" قـال كـرم: "أتمنـى، لا يبـدو أن الأطبـاء متعجبون مما يجري" قالت رند: "هذا لأنه حـدث ذلـك مـن قبـل بكـل تأكيد، سيستيقظ عما قريب" ذهب كرم إلى غرفته وتمدد على الفراش، تبعتــه رنــد ســائلة: "هــل تريــد أن أرفــع اللافتــة في الخــارج؟" قــال كرم: "كلا دعيها، لا أرغب في التدريب اليوم" توقعت رند هذه الإجابة فقالت: "هل تريد أن أحضر لك شيئاً تأكله؟ أو تشربه؟ أي شـيء" نظـر كرم إليها وابتسم قائلاً: "شكراً، يبدو فعلاً أنـك تـدبرت أمـرك بشـكل جيد" قالـت رنـد: "لا تقلـق علـي، سأحضـر لـك عصـيراً" نهـض كـرم قائلاً: "لقد عشت هذه الأيام على العصير، سأُحضّر شـيئاً نأكلـه سـوياً" فرحت رند بذلك وذهبت إلى المطبخ.

كرم ظل جالساً علـى الفـراش فـترة، نظـر إلى الطاولـة أمامـه فـإذا بالرسالة ماتزال هناك، الدعوة للمشاركة بالمنافسة العالمية. حدق كـرم بها وتذكر كم كان واصـل متحمسـاً لهـا... "سـتعود بـالمركز الأول"... نهض كرم وحمل الرسـالة محـدقاً بهـا ثـم قـال: "ولا شـيء إلا المركـز الأول" عندها ذهـب إلى رنـد في المطـبخ وقـال لهـا: "احزمـي أمتعتـك،

سنسافر في الغد" نظرت رند لا تفهم ما يجري فقال كرم: "أنا مدعو للمشاركة بمنافسة عالمية، ستذهبين معي" لم تصدق رند ما تسمع! ولكن هذا كان أمراً ساراً فعلاً، نظرت إلى الطعام قائلة: "ألا نتناول شيئاً؟" نظر كرم إلى الطاولة حيث وضعت رند أصنافاً متنوعة من الطعام ورتبت الطاولة بشكل شهي فقال: "سنأكل أولاً ثم نتجهز" فرحت رند بذلك، فعلاً جلس كرم وبدأ يتناول الطعام فقد اهتمت رند بكل شيء في غيابه، أما رند فقد كانت تتساءل كيف يهتم كرم بشيء كالمنافسة وواصل في المشفى؟ ولكنها لم تشأ أن تسأله.



الفصل الثاني والستون

في اليـوم التـالي ذهبـت شـادن إلى منـزل لميـاء لتتفقـده في غيابهـا، تأكدت من أن النوافذ مغلقة، والموقد مطفأ، وكل شيء هادئ. بعد ذلـك صعدت ووقفت أمام غرفة واصل ينتابها شعور بالأسى، ولكنها فتحـت الباب وما إن نظرت إلى الداخل حتى جفلت وركضت إلى قفص الببغاء! الببغاء مستلق في قفصه يبدو أنـه جـائع جـداً ولم يحصـل علـى الطعـام الكافي.

قلقت شادن عليه كثيراً، بحثت في الغرفة عن طعامه إلى أن وجدتـه وناولته شيئاً منه، من شدة جوع الببغاء نقر إصبعها بقوة، ولكن شادن كانت حزينة من أجله.

بعـد أن نظفـت مـا اسـتطاعت نتظيفـه وحملـت مـا يحتاجـه كفـاح ومصعب من منزلهما أخذت الببغاء معهـا أيضـاً، لا يمكـن أن يبقـى في المنزل دون أن يطعمه أحد.

سجال لم ينم الليلة، كان يفكر طول الوقت كيف وصلت الشرطة إلى عمرو، ولماذا؟ كيف له أن يعرف الآن؟

شعر بانزعاج شديد من البقاء في المنزل وسط هذا الجو الكئيب، كان عليه أن يناقش أحدهم، ولكن من؟

لم يكن لدى سجال خيار آخر، خرج مـن المنـزل متجهـاً إلى منـزل واصل لعله يستمع إليه كما كان في الماضي.



مراد كان في المشفى يقف خارج الغرفة يتحدث بالهاتف "نعم، الغي كل الاجتماعات هذا الأسبوع... لا بأس، هذه أجليها أيضاً... لن أحضر هذا الأسبوع لا تتركي أي موعد... أجل، أجل" أغلق مراد السماعة، لمياء كانت تعلم تماماً ما كان يفعل، سيظل هنا مدة أسبوع وكان هناك الكثير ليفعله.

نظر مراد أمامه بعد أن أقفل هاتفه فإذا به كرم مع رند، لم يكن يتوقع أن يُحضر كرم رندَ معه لشيء كهذا ولكن كرماً قال: "سنسافر الآن، أردت أن أودعه" قال مراد: "إلى أين؟" قال كرم: "أنا مشارك في بطولة عالمية" قال مراد بكل ما يستطيع إظهاره من حماسه في مثل هذا الموقف: "عالمية، هذا مذهل!" قال كرم: "سأطلب من الطبيب أن أدخل" ترك كرم رندَ مع مراد، لم تقل رند شيئاً ولم يرد مراد أن يدخلها الغرفة الزجاجية، قالت: "أنا آسفة، حتى أنني لا أدري كيف يقرر كرم السفر في هذا الوقت" هز مراد رأسه قائلاً: "لم يكن واصل ليكون سعيداً إذا ما فوت فرصة كهذه، يجب أن يشارك من أجل واصل" لم تفكر رند بهذه الطريقة من قبل، ولكن يبدو الأمر منطقياً، يبدو أن مراداً قد فهم كرماً على الفور.

دخل كرم إلى حيث واصل، كان واصل مايزال على حاله تماماً كما تركه. جلس إلى جانبه مبتسماً وأمسك يده قائلاً: "سأسافر الآن، وسأعود فور انتهاء المنافسة" حدق كرم بواصل الذي لم يحرك ساكناً فابتسم أيضاً وقال: "أعدك أنني لن أقبل بمركز أقل من الأول، وأعدك أنني سأعود أحمل الكأس الذي ستحمله أنت أيضاً" سكت كرم قليلاً ينظر إلى واصل ثم ربت على شعره قائلاً: "ويستحسن بك أن تحمله واقفاً، اتفقنا؟" ظل واصل على حاله رغم ذلك كان كرم متأكداً أنه

يسمعه بطريقة أو بأخرى. قبّل جبينه مودعاً وغادر الغرفة ليغادر المشفى مع رند.

★★★

سجال وصل منزل واصل، رن الجرس ولكن لم يكن أحد هناك. صعد على شرفة واصل كما اعتاد أن يفعل، ونظر من خلال النافذة، لا أحد هنا أيضاً، المكان هادئ جداً، حقيبته ودريم ليسا هنا، الغريب أن الببغاء أيضاً ليس هنا.

نزل سجال عن الشرفة لا يدري أين سيذهب الآن، حتى كفاح ولمياء ليسا في المنزل.

مشى مبتعداً، مايزال يفكر بعمرو والمشكلة التي أوقعه فيها، الأمر ليس بسيطاً.

★★★

توقف كرم على باب المشفى مع رند قبل أن يدخلا السيارة وقال: "علي أن أتصل بفرح، اركبي وسأحضر حالاً" علمت رند أنه يريد أن ينفرد بهذا الاتصال، وعلمت أن عليه إقناعها بفكرة السفر المفاجئة في هذه الظروف وتركها وحدها هنا.

فعلاً اتصل كرم بفرح، ردت فرح على الهاتف: "مرحباً... أهلاً كرم، ما الأخبار، كيف حال واصل؟" قال كرم: "كل شيء على حاله، أردت فقط أن أخبرك أنني استلمت رسالة للمشاركة في البطولة العالمية لفنون القتال، أنا متجه الآن للمطار مع رند، سأشترك بالمنافسة" سكتت فرح لا تدري ما تقول، لقد رفض حتى المجيء إلى منزلها

بحجة مرض واصل والآن يريد أن يسافر! قال كرم: "فرح، هذه المنافسة سأشارك بها لأنني وعدت واصلاً بذلك، أريد أن أفعل له شيئاً، أريد أن أحقق له شيئاً مما يطلب" قالت فرح: "ستفعل ذلك من أجل واصل وتتركه وحيداً؟" "إن والديه إلى جانبه، ثم... لا أظنه سيكون سعيداً إذا تركت المنافسة، أعلم أنه سيلومني كثيراً ولا أريد لهذا أن يحدث، أرجوك فرح افهميني..." "كم من الوقت ستستغرق المنافسة؟" قال كرم: "أسبوعاً كاملاً على ما أظن، ليس وقتاً طويلاً كمنافسة عالمية" كان على فرح تفهم الأمر ولكنها كانت ما تزال صامتة، قال كرم: "ستُنقل المباريات على التلفاز دون شك" قالت فرح: "سأشجعك بكل تأكيد، بالتوفيق" "شكراً" أغلق كرم السماعة لا يدري هل اقتنعت فرح أم لا، فرح في الجهة الأخرى كانت حزينة لأنها لم تستطع أن تفعل أكثر مما فعلت، إنها تفهم كرماً نوعاً ما ولكن... لا تظن أن بإمكانها شرح شيء كهذا لوالدها وجدها.

★★★

سجال ظل ماشياً حيث تقوده قدماه، لا يبدو أنه يريد العودة إلى المنزل، نظر أمامه فإذا به بات داخل الغابة، بات معتاداً جداً على القدوم إلى هنا.

تعمق سجال في الغابة إلى أن وجد سارياً يجلس وحده لا يفعل شيئاً، نظر ساري إليه قائلاً: "هل كانت الرحلة ممتعة؟" أشار سجال بالإيجاب فنهض ساري قائلاً: "هذه الأيام مملة بشكل فظيع" قال سجال: "وماذا عن كفاح؟ ألم يعد يلعب معك أم أن واصلاً منعه من ذلك؟" حدق ساري بسجال الذي يبدو عليه أنه لا يعرف شيئاً عن

الموضوع بعد. لم يفهم سجال ماذا تعني هذه النظرات فقال ساري بكل بساطة: "كفاح لم يعد يلعب أبداً، لأن واصلاً قد مات" جفل سجال مما يسمع! بعد برهة قال: "ما الذي تقوله؟" قال ساري ببساطة: "لماذا أنت متفاجئ هكذا؟ ألم يسبق أن أخبرتك أنه سيموت عما قريب؟" صرخ سجال لبرود ساري وقال: "ما الذي تقوله؟ لقد غادرتُ ثلاثة أيام فقط..." قال ساري أيضاً بلهجة غير مبالية: "أثناء سفرك تعرض لحادث سير كبير ونُقل إلى المشفى" قال سجال: "هل هو في المشفى؟" قال ساري: "لا فرق، أنت تعلم أنه سيموت" أمسك سجال بقميص ساري قائلاً: "هل مايزال في المشفى؟" قال ساري: "في المشفى الكبير، غرفة منعزلة للعناية المركزة".

ترك سجال سارياً وركض بأقصى سرعة إلى المشفى الكبير لا يصدق ما سمع! لماذا تأتي المشاكل تباعاً؟ أولاً عمرو والآن واصل.

دخل سجال المشفى الكبير، وبسرعة وصل إلى حيث واصل، توقف عن الركض عند الباب وفتحه بهدوء ليدخل الغرفة الزجاجية حيث كان مراد ولمياء هناك فقط، ظنت لمياء أن كفاحاً من أخبره.

دخل سجال بهدوء ونظر من النافذة إلى حيث واصل الذي كان فعلاً ممدداً هناك دون حراك، ساري كان على حق في كل ما يقول. ظل سجال واقفاً لا يصدق كيف تحدث كل هذه الأمور له فجأه. مراد كسر الصمت قائلاً: "سيكون بخير إن شاء الله" نظر سجال إليه بعيون تستغرب ما يقول، سجال كان يعلم ويثق أن واصلاً لن ينهض، إنه سيموت، ولكن أحداً لا يعرف، الجميع يجلس هنا يأمل نجاته.

لم يستطع سجال تمالك نفسه فخرج من الغرفة بسرعة وغادر المشفى.

كان شعور الحزن والقلق ينتابه بشكل كبير، كان يركض بسرعة في الطريق لا يكاد يرى الناس حوله، لقد فقده... فقد واصلاً. هو من أحس به أثناء غنائه، واصل وعمرو كانا أغلى شيء حصل عليه في حياته، لماذا تركاه فجأة؟

★★★

كرم وصل مع رند المطار، أنهيا المعاملات وركبا الطائرة، كان وضع كرم قد تحسن قليلاً، كلما فكر أنه يفعل ذلك من أجل واصل، وأنه سيعود إليه بكأس البطولة كما طلب، وأنه سيحمّله إياه سالماً، كان كل شيء يسير على مايرام.

رند كانت سعيدة بذلك، وسعيدة أيضاً بركوب طائرة كبيرة وفخمه.

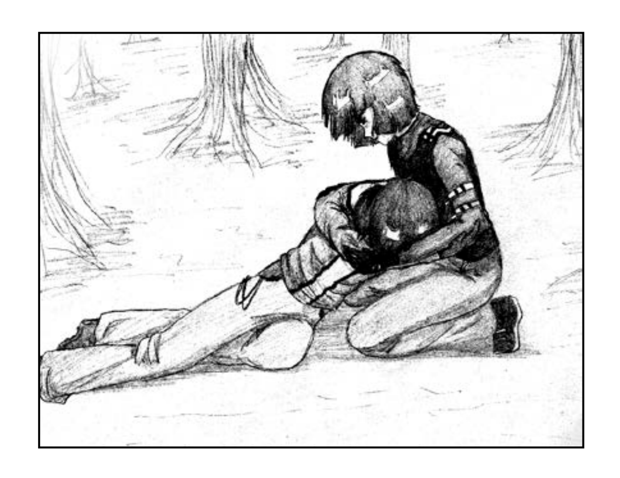
ما إن جلسا على الكرسي حتى فتحت رند الشاشة أمامها لترى تلفازاً وحاسوباً، وبعد لحظات ستطلب العصير ووجبة طعام. لم تكن تحلم بأكثر من ذلك. كرم كان سعيداً أنها فرحة بهذه الرحلة، كان على كرم أن يحمل المنافسة محمل الجد حيث عليه ألا يقبل إلا بالمركز الأول، ولم يتدرب جيداً في الأيام الأخيرة.

★★★

عاد سجال إلى الغابة دون أن يشعر، ساري كان الشخص الوحيد الذي يستطيع التحدث إليه رغم كل ما يقول. نظر ساري إليه لا يصدق أنه عاد إلى هنا، ابتسم ساري قائلاً: "ما الأمر؟ هل بت تصدق ما أقول؟" قال سجال وكأنه لم يسمع ما يقول ساري: "أمسكَت الشرطة بعمرو وهو الآن في السجن" قال ساري ببساطة: "علمتُ ذلك" تابع

سجال متجاهلاً: "وواصل الآن في المشفى، لن ينهض أبداً" ابتسم ساري قائلاً: "أنا من أخبرك بذلك" جثا سجال على الأرض يشعر بإرهاق لم يشعر به في حياته من قبل، نظر ساري إليه لا يصدق أن سجالاً قد خارت قواه فعلاً، قال ساري: "لماذا أنت هكذا؟ لقد أخبرتك من قبل أن هذا سيحدث" لم يقل سجال شيئاً، فقط كان ينظر إلى الأرض يشعر بالضياع، تنهد ساري فقال سجال: "لقد فقدتُ كل شيء، لماذا لا أستطيع أن أهنأ بحياتي؟" لم يقل ساري شيئاً فنظر سجال إليه قائلاً: "لقد انتهى كل شيء" انزعج ساري قائلاً: "لماذا تقول لي كل هذا؟ أنت حر بما تفعل، أنا لا فرق لدي... أنت تعلم كم أكره واصلاً، وتعلمٍ أن عمراً لا يهمني في شيء على الإطلاق" كان سجال يعلم ذلك تماماً، طأطأ رأسه ثانية ينظر إلى الأرض.

ظل ساري واقفاً مكانه بينما سجال ظل على حاله لا يحرك ساكناً، فجأة اقترب ساري منه وعانقه فهو يعلم أن هذا كل ما كان سجال بحاجة إليه الآن.



أمسكه سجال بقوة يريد فعلاً أن يبكي ولكن الدموع لا تخرج من عينيه. قال ساري بهدوء: "لا بأس، لقد مررنا بأصعب من هذا، نستطيع دائماً تخطي الشدائد" ولكن سجالاً ظل يقبض عليه بشدة، فقال ساري: "هذه أول مرة أراك فيها هكذا، أنت أقوى من ذلك" ولكن سجالاً لم يقل شيئاً، وظل يقبض على ذراع ساري.

بعد فترة رفع سجال رأسه قليلاً وقال: "شكراً" ابتسم ساري قائلاً: "لا أصدق فعلاً أنني أفعل شيئاً كهذا" نظر سجال إليه وابتسم رغماً عنه، ساري أيضاً بادله الابتسام وعانقه من جديد بهدوء يقول: "مهما حدث، أظن أنه لا مفر لنا من البقاء معاً، نحن أقرب لبعضنا مما نظن" أغمض سجال عينيه يريد أن يشعر أنه في عالم آخر بعيداً عن كل ما يحدث.

★★★

سناء كانت في المنزل منزعجة من غياب سجال الذي طال، وسط هذه الظروف أيضاً لا يستطيع أن يكون أكثر انضباطاً. ماهر كان يحاول الجلوس معها ليفهم ما يجري، أخبرته سناء أنه متهم ظلماً بمحاولة قتل الرجل الذي يظهر على التلفاز، لم يكن هناك أكثر من ذلك لتقوله.

باتت الأعباء كبيرة جداً على سناء، وطبعاً يزيدها سجال صعوبة.

أما سجال فقد كان نائماً على رجل ساري، بدأ يفتح عينيه بعد نوم عميق، نظر ساري إليه قائلاً: "استيقظت؟" نهض سجال بهدوء قائلاً: "لقد نمت!" قال ساري: "لا بأس، يبدو أنك هدأت قليلاً" وقف ساري فنظر سجال إليه وقال: "شكراً لك" قال ساري: "لا تقل ذلك، أنا

فعلاً لا أدري كيف فعلت هذا" ابتسم سجال لذلك فمشى ساري مبتعداً وقال: "قد يحتاج عمرو إلى المساعدة، إنه في موقف سيء" نظر سجال إليه وقال: "هل تعرف ماذا جرى معه؟" نظر ساري إلى سجال لا يصدق أنه لا يعرف! قال: "لقد عثروا على بصماته في موقع الجريمة" وقف سجال يريد أن يسمع التفاصيل، كان يبدو عليه أنه فعلاً لا يعرف تماماً ما جرى. تابع ساري قائلاً: "عندما رآك تفعل ذلك أول مرة، كان الرجل يحترق" "أجل..." "لم يستطع عمرو تمالك نفسه، كانت هناك بطانية قريبة أمسكها بيديه وألقاها عليه لتنطفئ النار" لم يصدق سجال ما يسمع! هذا فعلاً ما كان لا يعرفه من كل ما جرى فقد غادر قبل كل ذلك. قال ساري: "استغرقت الشرطة وقتاً حتى تصل إلى صاحب البصمات فكان عمراً، هذا كل ما جرى" ظل سجال صامتاً من الدهشة، هذا بالتكيد ما جرى، ولكنه قال: "كيف عرفت ذلك؟" ضحك ساري وقال: "أنا من بعث رسالة لعمرو في ذلك الوقت ليراك تقتل شاكراً، كنت أراقبكما طول الوقت" لم يكن الوقت مناسباً للغضب من ساري، ولكن سارياً قال بكل بساطة: "إنه ساذج جداً، كيف له أن يخطئ خطأً تافهاً كهذا" لم يقل سجال شيئاً، كل ما كان يفكر فيه المشكلة التي وقع عمرو فيها فعلاً، وكيف له أن ينجو؟ نظر ساري إليه حيث كان سجال سارحاً يفكر فقال: "لست مضطراً للتفكير، فلن يقبل منك أية مساعدة" نظر سجال إلى ساري الذي كان يبدو عليه أنه يعرف كل ما يجري، ابتسم ساري قائلاً: "يبدو أنك فقدت موهبتك بالتحري" "لم أكن أريد أن أفعل ذلك، لم أكن بحاجة إلى ذلك" "وأنت الآن بحاجة، المهم لقد تأخر الوقت، ستقلق سناء عليك إذا لم تعد، ألا تكفي المناقشة الحادة التي دارت بينكما؟" فعلاً

كان ساري محقاً في ذلك، استدار سجال ليغادر المكان ولكنه نظر إلى ساري قائلاً: "أنا مدين لك" أشار له ساري بيده ألا تقول شيئاً كهذا، همّ سجال بمغادرة المكان فقال ساري: "على فكرة..." نظر سجال إليه ثانية فقال ساري: "كانت أغنيتك جميلة" ابتسم سجال، حتى أخباره في الدولة الأخرى كانت تصله، لم يكن ذلك غريباً على ساري، سلم عليه وغادر المكان.

★★★

سناء كانت متوترة، تلف المنزل وتقف هنا وهناك تفكر، ماهر كان الوحيد الذي يجلس معها في الطابق السفلي، الجميع كانوا في غرفهم.

فتح سجال الباب ودخل بهدوء، نظرت إليه سناء نظرة غاضبة وقالت: "أين كنت؟" نظر سجال إلى الغرفة حيث لاحظ وجود ماهر أيضاً، كان من السهل أن يخبر سناء عن واصل ولكن ماهر... سناء كررت السؤال ثانية: "سألتك أين كنت؟" لم يكن باليد حيلة، قال سجال: "واصل... في المشفى" سكتت سناء خاصة عندما نهض ماهر، نظر سجال إليه عندما قال: "ماذا تقول؟" قال سجال: "تعرض لحادث سير وهو في المشفى الآن، ينام في العناية المركزة فاقداً وعيه" قال ماهر: "هل أنت متأكد؟" قال سجال: "لقد كنت عنده" سكتت سناء نهائياً خاصة بعد الصدمة التي تلقاها ماهر، جلس ماهر على الأريكة يفكر فيما قاله سجال، أما سجال فقد سار بهدوء ليصعد إلى غرفته ولم يستوقفه أي منهما.



الفصل الثالث والستون

مر يومان على هذا الحال، الجميع في منزل عمرو هادؤون نادراً ما يدور حوار بينهم، وواصل مايزال على حاله، تجلس لمياء إلى جانبه مع مراد، شادن تزورهما بين الحين والآخر وتعتني بكفاح ومصعب ومرام والجدة.

مرام لم تعد للدوام بعد، ولم تتحدث إلى مازن، أما كرم فقد جهز نفسه وبدأ يتدرب بجد للمنافسة.

رند كانت ترافق كرماً حيثما تدرب، كان فعلاً يتدرب بجد، لم تره يتدرب هكذا من قبل، كان تدريبه جميلاً ومتعباً.

★★★

اليوم الثالث كان آخر يوم في اتفاق سناء وسجال، سناء كانت مصرة ألا يقوم سجال بتصرف يفسد كل ما تعب عمرو من أجله، ولكن سجالاً لم يكن يفكر كما تفكر أبداً، كل ما كان يفكر فيه أنه هو سبب المشكلة ومهما كلفه الأمر عليه أن يصلح ما أفسد.

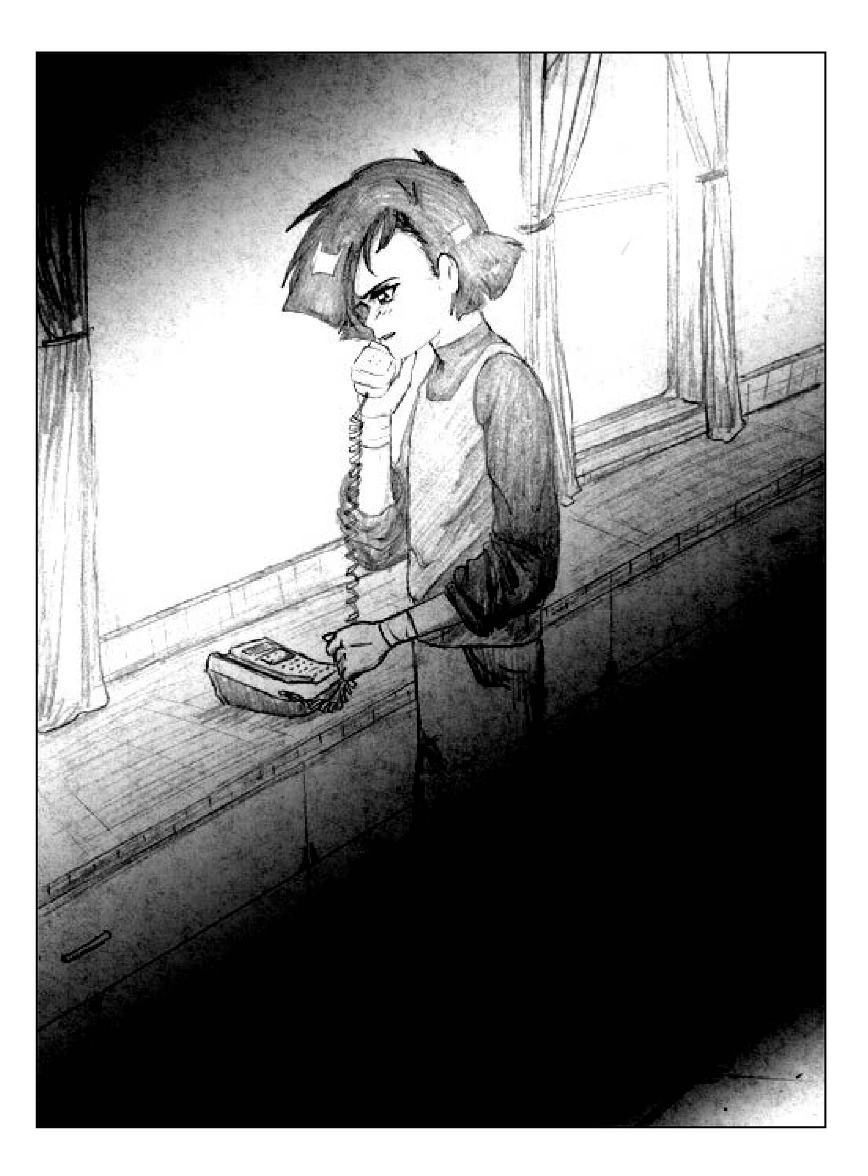
في المخفر كان عمرو يقول: "أخبرتك من قبل، لقد ألقيتُ البطانية عليه عندما رأيته يحترق، لم أكن لأتركه" كان يجلس أمامه شرطي ويقف إلى جانبه آخر، قال الأول: "لماذا لم تُعلم الشرطة على الفور؟" "كي لا ينتهي بي الوضع كما هو عليه الآن" "من فعل ذلك إذن؟" "ظننت أنكم تبحثون عن فتى، لست أفهم شيئاً عن الموضوع" نظر الشرطيان إلى بعضهما حيث لم تتغير أقوال عمرو نهائياً خلال ثلاثة

أيام، لا فائدة. عندها قال الشرطي: "ستعود إلى الزنزانة إلى أن تغير أقوالك" قال عمرو: "إلى أن أغير ما أعرف!" "إلى أن تقول الحقيقة" تنهد عمرو ثم قال: "هل لي أن أتصل بزوجتي لأطمئن على أولادي" "أجل".

رن هاتف المنزل وردت سناء: "عمرو! ماذا جرى معك؟" قال عمرو: "لا شيء جديد، كيف حال الجميعِ عندك؟" قالت سناء: "جالسون في غرفهم، الوضع هادئ جداً، متى سيطلقون سراحك؟" "لست أدري، ما أخبار سجال؟" سكتت سناء قليلاً ثم قالت: "إنه يفكر بطريقة لمساعدتك" قال عمرو: "إياكِ" "أعلم ذلك ولكنني اتفقت معه ألا يفكر في شيء مدة ثلاثة أيام، وهذا الثالث، لست أدري ماذا أفعلٍ معه" قال عمرو: "أريد أن أكلمه".

سجال كان ممدداً على فراشه كما كان يفعل كل الأولاد، كان يفكر "لقد كان هذا غباءً فعلاً، كيف يفعل شيئاً كهذا؟ ألم يفكر أن هذا اليوم آت؟" التف على جنبه ثم بدأ يفكر بشيء آخر "ماذا أفعل هنا الآن؟ عمرو ليس هنا، وواصل لن يعود أبداً، حتى أنه لم يفعل شيئاً بشأن دريم. ما الفرق بين هنا والمستقبل؟ ألست أقضي الوقت هنا مع من أحب؟ ولكنهم الآن غابوا، ماذا أفعل هنا؟" قاطعت سناء أفكار سجال عندما نادته ليتحدث إلى عمرو، نهض الجميع يريدون التحدث إليه، ولكن سناء قالت: "إنه يريده في موضوع معين" نزل سجال إلى الهاتف بينما ظل الأولاد يسألون سناء عن حاله.

رفع سجال السماعة قائلاً: "مرحباً..." قال عمرو: "لا تفعل"



سكت سجال شاعراً برجفة خفيفة في جسده، كان يعلم أن هـذا هـو
رد عمرو بكل تأكيد ولكنه كان أسرع مما توقع، قال عمرو: "أنا بخير،

وسيكون كل شيء على مايرام" لم يقل سجال شيئاً أيضاً، ظل صامتاً فقال عمرو: "لا تفكر في الأمر..." قال سجال منزعجاً: "كيف تطلب مني ألا أفكر في الأمر... أنا أجلب المتاعب" ابتسم عمرو قائلاً: "أنت دائماً تفكر هكذا، سجال... أنت لست من يجلب المتاعب، والدك هو من يفعل" لم يقل سجال شيئاً، ما يقوله عمرو صحيح تماماً ولكن والده بعيد الآن واللوم سيقع عليه وحده، قال عمرو: "اهدأ واصبر، سيكون كل شيء على مايرام بإذن الله" لم يعد لدى سجال ما يقوله، فقال عمرو: "العبء كبير على سناء، ساعدها على إدارة المنزل" قال سجال: "إنها ممتازة" قال عمرو: "لا تفعل ما يزعجها" "لن أفعل" "سلم على الجميع، مع السلامة" "بالتوفيق" أغلق سجال السماعة شاعراً بشيء غريب، إنه لم يناقش أبداً، كان يعلم أن الأمور ستسير هكذا.

★★★

كرم استعد للمنافسة، الجولة الأولى ستبدأ، كانت جولة تصفية كبيرة، خمس قاعات كل قاعة فيها ستة متنافسين سيقاتلون سوية إلى أن يبقى أحدهم.

كرم كان في القاعة الثانية، نظر إلى المتنافسين الخمسة حوله، كلهم يبدون أقوياء ولا يستهان بأحدهم، كان عليه أن يكون حذراً من كل ناحية.

رند كانت تجلس بين المتفرجين في المقاعد الأمامية، كلما نظرت إلى المتنافسين شعرت بالخوف، كرم يبدو لطيفاً جداً بينهم، هل يعقل أن يهزمهم؟

رنت صافرة البداية، كـان يبـدو أن جميـع المتنافسـين الخمسـة قـد اتفقوا على هزيمة كرم حيث ظنوا أنه الأضعف بينهم، كرم دافـع عـن نفسه جيداً، لم يكن من المفترض أن يهجم الخمسة عليه فوراً، كان من المفترض أن ينشغل كل بمقاتل أو اثنين على الأقل.

رند قلقت عليه كثيراً، ولكنه كان يبلـي بـلاء حسـناً، سـقط واحـد خارج الحلبة، الثاني تعرض للكمة قوية وسقط أرضاً، بقي ثلاثة باتوا أكثر حذراً بعد أن رأوا مصير الآخرين.

اسـتغل كـرم الفرصـة وبـادر بـالهجوم، حـاول الاثنـان الباقيـان استغلال الفرصة والهجوم عليه من الخلف ولكنه رمى المتنافس الثالث عليهما فسقط الجميع أرضاً.

هدأت القاعة، كان من الواضح أن كرماً هـو الوحيـد الواقـف فيهـا، أعلنت الصافرة انتهاء المنافسة بفوز كرم فقفزت رند تصـرخ مسـرورة، قفزت من بين المشاهدين إلى الحلبة حيث كرم، كرم فرح بها وعانقها.

نظرت رند إلى وجهه فإذا ببعض الخدوش عليه، قالـت رنـد: "هـل ضربوك؟" ابتسم كرم قـائلاً: "هـذا طبيعـي" قالـت رنـد: "لم ألمـح شـيئاً كهذا!" أمسك كرم بيدها ليغادرا المكان قائلاً: "إنها منافسة قويـة، قـد لا تلحظين كل ضربة" ولكنه توقـف عنـدما رأى شخصـاً يعرفـه، إنـه المدرب. توقف كرم عن السير فجأة فقال المدرب: "إذا ما كنـتَ سـتتلقى اللكمات القوية من بداية المنافسة فلن تصمد طويلاً يا كرم" نظرت رنـد إليه فقال لها كرم: "إنه المـدرب عـادل، أفضـل مـدرب في الـبلاد، قـام بتدريبنا أنا وواصل" ابتسم المدرب قائلاً: "لقد كبرتْ رند كثيراً" نظرت رند إليه وقالت: "هل تعرفني؟" قال المدرب: "كنـتِ صـغيرة وجريئـة" قال كرم: "يسـرني أنـك تراقـب المنافسـة، سـيبعث هـذا الطمأنينـة في

نفسي"   "ولكنه لن يبعث الطمأنينة في نفسي أنا" نظر كرم إليه فتابع المدرب قائلاً: "لن تصمد طويلاً" لم يقل كرم شيئاً، انزعجت رند وقالت: "لقد كان الأفضل، لقد هزم الخمسة بسرعة..." قاطعها كرم قائلاً: "كلا، ما يقوله صحيح، لقد تعرضتُ للكمات موجهة كان من المفترض أن أتفاداها" قال المدرب: "ظن الجميع أنك لست أهلاً للمنافسة فلم تكن الضربات قاسية" سكتت رند تنظر إلى كرم فقال كرم: "آسف لذلك، سأكون أكثر حذراً" أشار المدرب بالنفي ثم قال: "أنت بحاجة لتدريب، مارأيك؟" تفاجأ كرم مما يسمع وقال: "هل ستدربني ثانية؟" قال المدرب: "إذا أردت ذلك" قال كرم متفائلاً: "يشرفني ذلك" أشار إليه المدرب أن يتبعه، فرح كرم لذلك كثيراً، رند لم تفهم شيئاً، ولكن بما أن كرماً كان سعيداً فإن كل شيء سيسير على مايرام.

تبع كرم المدرب، إنه سعيد جداً بالتدرب على يده ثانية، كان يظن دوماً أنه تدرب على يده لأن واصلاً أراد ذلك، كان يظن دوماً أن المدرب يدرب واصلاً أولاً ويدربه لأنه صديقه فقط. كان ذلك شعوراً مزعجاً انتابه طويلاً، ولكن الآن... إنه وحده، قد لا يكون سعيداً بكونه كذلك، كان يفضل مئة مرة لو كان واصل يقف إلى جانبه ويشترك في المنافسة ويفوز عليه على ما هو عليه الآن، ولكن تذكُّر المدرب له واعتناءه الشخصي به كانا أمرين سيفخر بهما كثيراً.

فرح أغلقت التلفاز كان يبدو أنها حضرت المنافسة، كانت سعيدة بفوز كرم ولكنها كانت ماتزال حزينة على الفوضى التي تدور بينهما.

★★★

سجال عاد إلى فراشه لا يدري ماذا يفعل، فجأة سمع صوتاً في

الأسفل، نهض ووقف عند الدرج فسمع ماهراً يقول: "لماذا؟ ما الذي يجري؟" قالت سناء بصوت وكأنها تبكي: "إنه بريء، أؤكد لك أنه بريء" "إذن لماذا؟ وما علاقة سجال بذلك؟" اعتاد سجال أن يسمع اسمه في كل جدال هذه الأيام، نزل إلى الطابق السفلي بهدوء حيث ماهر وسناء، سناء لم تكن تبكي فعلاً ولكنها كانت تحمل بيدها رسالة لم يعلم سجال عنها شيئاً، نظر إلى ماهر الذي سكت وأشاح برأسه عنهما، سأل سجال سناء: "هل هناك جديد؟" لم تقل سناء شيئاً، قبضت على الرسالة وطأطأت رأسها فقط، علم سجال أن هناك أمراً سيئاً قد حدث، قبل أن ينطق بكلمة أخرى قال ماهر: "لقد فُصل من الجامعة" نظر سجال إلى ماهر الذي لم يكن ينظر إليه بعد، نظر إلى سناء التي جلست على الأريكة منهكة ماتزال الرسالة في يدها، اقترب سجال منها وطلب منها أن تناوله الرسالة، كان هذا أسهل من أن تشرح له ما يجري.

قرأ سجال الرسالة، إنها فعلاً رسالة من الجامعة تفصل فيها عمراً عن العمل بسبب تواطئه في عمليه القتل وحبسه. لم يستطع سجال حتى متابعة القراءة، كان يبدو على سناء الحزن الشديد، أما ماهر فقد كان غاضباً. قال سجال: "هل يعلم والدي ذلك؟" قالت سناء: "لا أظن" عندها قال ماهر منزعجاً: "لماذا أنت من يعلم كل شيء؟ لماذا نجلس في المنزل كالأطفال يجب أن لا نفهم شيئاً، وأنت الوحيد..." قالت سناء: "ماهر... هذا يكفي، سجال ليس في حالة أفضل منك" نظر ماهر أخيراً إليهما وقال غاضباً: "لماذا تخبئان كل شيء إذن؟" لم يقل أحدهما شيئاً، سناء وسجال بقيا صامتين، هذه المرة طأطأ سجال رأسه لا يستطيع أن ينظر في عيون ماهر، إنه السبب في كل ما يجري بلا شك.

لم يتحمل ماهر ما يجري فصعد منزعجاً إلى الطابق العلـوي ودخـل غرفة الكتب ليجلس وحده. سجال وسـناء لم ينطقـا بأيـة كلمـة، مـن السيء جداً أن يكون هناك اعتقال في سيرة حياة عمـرو، والآن هـو بـلا عمل، ماذا سيفعل؟

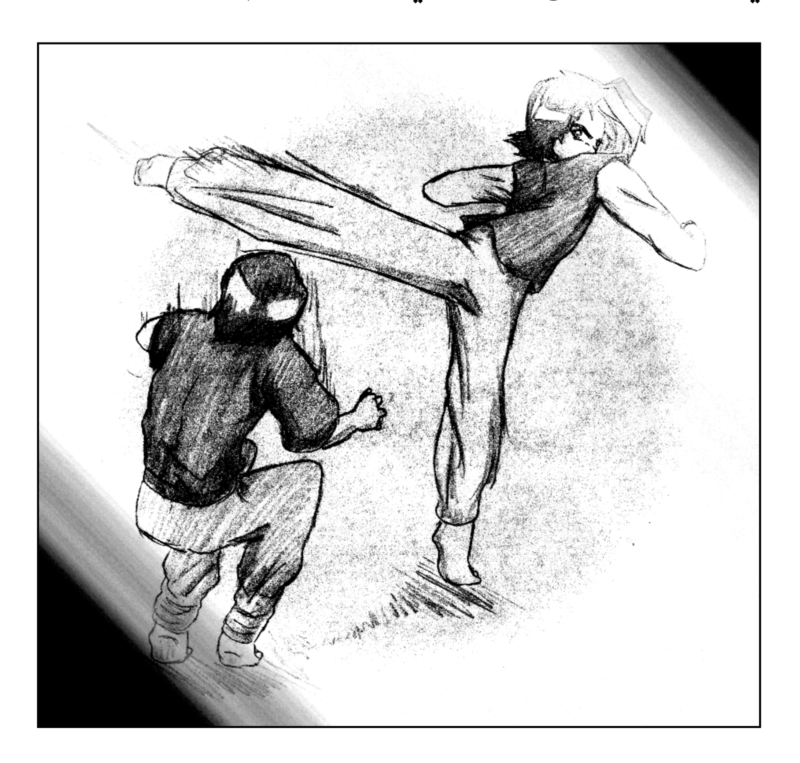
سجال صعد إلى حيث ماهر بعد هـدوء مـزعج دام فـترة مـع سـناء، دخل الغرفة حيث مـاهر كـان يجلـس علـى الأرض إلى جانـب النافـذة مايزال منزعجاً. أغلق سجال الباب خلفه واقترب منـه، مـاهر لم يبـد أي ردة فعل لوجود سجال، أغلق سجال النافذة أيضاً عندها نظر مـاهر إليه، قال سجال: "هل تريـد أن تعلـم الحقيقـة؟" ظـل مـاهر ينظـر إلى سجال، إنه يعلم كل شيء.

جلس سجال على كرسي قريب من ماهر بعد أن تأكد من أنـه أغلـق الباب والنافذة، ومع ذلك ظل يتحدث بصوت خافت لكـي لا يسـمعهما أحد، قال: "أنت تعلم أن الأمر يتعلق بـي ولكنـك لا تعـرف كيـف" لم يقل ماهر شيئاً وظل ينظر إلى سجال، تنهد سجال ثم قال: "أنا من كان يحاول قتل الرجل" اندهش ماهر لما يسمع! ولكن سـجالاً لم يـترك لـه المجال ليقول شيئاً وتابع قائلاً: "نعم، والدك متهم بتهمة أنا فاعلـها، وقـد رفـض كـل مسـاعدة ولا يريـدني أن أتصـرف علـى الإطـلاق" قـال ماهر: "أنت من فعل ذلك!" قال سجال: "حدث ذلك منـذ فـترة، الأمـر ليس جديداً" "لمـاذا؟" ابتسـم سـجال ثـم قـال: "هـذه قـد لا أسـتطيع الإجابة عنها بالتفصيل، ولكن..." نظر سجال إلى النافذة يتـذكر مـا لا يحب تذكره على الإطلاق وقـال: "كيـف كنـتَ تظـن أنـني أعـيش قبـل المجيء إلى هذا المنزل؟" قال ماهر بهـدوء: "لم أفكـر في ذلـك، ميـتم؟" ابتسم سجال قائلاً: "أنا لدي أب وأم، لست يتيماً، ولكنني أعيش حياة

مختلفة تماماً عما تعيشون" ظل ماهر يسمع ما يقوله سجال، الغريب أنه هدأ بسرعة أكبر مما تصور، تابع سجال قائلاً: "لقد كنتُ أقتل" تفاجأ ماهر لما يسمع فتابع سجال قائلاً: "نعم، هكذا كانت حياتي، أقتل كل من يقف في طريقي أو طريق والدي، لم يكن الأمر مهماً أو غريباً كما ترى أنت، لقد تربيتُ على ذلك منذ الصغر" "تربيتَ على ذلك!" ابتسم سجال ساخراً وقال: "لا تظن أن كل الآباء كعمرو" "كلا، ولكن... إلى هذه الدرجة!" "وأكثر، دعك مما كان يجري معي أنا، يهمك الآن ما جرى مع والدك" ركز ماهر مع سجال أكثر حيث قال سجال: "لقد حاولتُ قتل الرجل في الزقاق ذات يوم، أشعلت بجسده ناراً عظيمة لا يمكن لأحدهم أن يتحملها، ولكن والدك كان في الجوار، رأى كل ذلك ولم يستطع تصديقه، عندما غادرت وجد بطانية قديمة ملقاة في المكان فحملها وألقاها على الرجل وهرب حتى لا يجده أحدهم في موقع الحادث. هذه البطانية حملت بصماته، بحثت الشرطة عن حاملها كثيراً إلى أن وجدوه، هذا كل ما في الأمر" "هذا كل ما في الأمر! هذا ليس بسيطا أبداً" "هذا ما جرى، لقد طلبتَ أن تعرف، هل يريحك ذلك؟" لم يقل ماهر شيئاً ووقف سجال لا يريد أن يقول أي شيء، اقترب من باب الغرفة فقال ماهر: "ولكنك لم تعد تفعل ذلك أليس كذلك؟" قال سجال: "وعدتُ والدك ألا أفعل" غادر سجال الغرفة تاركاً ماهراً في حيرة من أمره، لم يستطع تخيل الوضع، ووالده يعلم كل ذلك ولكنه يتكتم عن سجال، كل هذا من أجله، هل يستحق فعلا كل هذا العناء؟



في التدريب ارتطم كرم بقوة بالحائط، رند قلقت عليه مما ترى، التدريب أقسى مما تظن. وقف كرم ثانية ليتابع، نظر إليه المدرب قائلاً: "لدينا مشوار طويل" قال كرم: "لابأس" ولكن رندَ هي الوحيدة التي كانت ترى الوضع غير طبيعي، سيتأذى كرم بكل تأكيد.



أشار المدرب له أن يهجم فركض كرم إليه ووجه له ضربات بكل ما أوتي من قوة ولكن المدرب تفاداها كلها ببساطة وقلب كرماً ليسقط أرضاً، وضع كرم قدميه بسرعة على الأرض متفادياً السقطة ووجه ضربة إلى المدرب فابتعد. وقف كرم يركز في المدرب ثانية حيث قال المدرب: "لابأس، هذه كانت جيدة".

استمر التدريب بشكل قوي، رند كانت لا تصدق ما ترى، لم تكن تتوقع أن ترى قتالاً كهذا في المنافسة العالمية حتى تراه في التدريب.

كرم والمدرب كانا يعلمان تماماً أنه ليس هناك الوقت الكثير، المباريات جارية وعليه أن يتعلم الكثير بسرعة.

★★★

كاد ماهر أن ينسى أن عطلته انتهت، وعليه أن يداوم فصلاً صيفياً في الجامعة.

غادر المنزل بهدوء متجهاً إلى الجامعة يفكر بوالده طول الوقت، لم تكن هذه بداية جيدة للفصل بكل تأكيد.

وصل الجامعة ودخل القاعة للمحاضرة الأولى، دخل قبل أن تبدأ المحاضرة بخمس دقائق، جلس وفتح دفتره ليجهزه للكتابة، ولكنه شعر حينها بشيء غريب، الجميع هادؤون رغم أن القاعة مليئة، هناك همس في الخلف، ما هذا الجو الغريب؟

لم يأبه ماهر بذلك فلديه الكثير يشغله، ولكن الطلاب لم يتركوه بحاله حيث اقترب منه أحدهم يقول: "ما أخبار الوالد؟" نظر ماهر إليه لا يدري عن ماذا يتحدث بالضبط، قال الطالب ساخراً: "هل كان يقبض نقوداً على ذلك؟" قال ماهر: "على ماذا؟" ضحك الطالب قائلاً لجميع الطلاب: "إنه لا يدري" بعض الطلاب ضحكوا والبعض طأطأوا رؤوسهم تحت الأدراج، نفد صبر ماهر وقال: "ما الذي تريده؟" عندها ألقى الطالب جريدة على درج ماهر، نظر ماهر إليها وفوراً لاحظ صورة والده، العنوان مكتوب بخط عريض "محاولة قتل متعمد..." لم يستطع ماهر حتى قراءة العنوان عن آخره، لقد فهم فوراً ما يجري، لقد

انتشر الخبر بسرعة كبيرة. نظر إلى الطالب وقال: "إنه بـريء" ضحك الطالب قـائلاً: "أجـل أجـل مـاذا كنـتَ تتوقـع مـن ولـده" نهـض مـاهر منزعجاً وقال بصوت عال: "قلت لـك أنـه بـريء، لم يفعـل ولـن يفعـل شيئاً كهذا في حياتـه! الشـرطة لا تـدري مـاذا تفعـل، تريـد أن تـبرر إخفاقها المستمر بـالقبض علـى الفاعـل" قـال الطالـب سـاخراً: "فلمـاذا والـدك إذن؟" قـال مـاهر: "كـان يمكـن أن يكـون والـدك أنـت" قـال الطالب: "لا دخان بدون نار" أمسك ماهر قميص الطالـب يكـاد يضـربه عندها دخل أستاذ المادة، نظر إليهما فترك ماهر الطالـب وجلـس علـى كرسيه دون أن يقول شيئاً، الطالب عاد إلى كرسيه في السـطور الخلفيـة تاركاً الجريدة على درج ماهر. لم يكن ماهر يستطيع النظر إليها، قلب الجريدة عن المقال لينتبه إلى المحاضرة ولكنه لم يستطع التركيز.

كانت هناك ساعة فراغ بين المحاضرة الأولى والثانية، تمنـى مـاهر لو لم تكن، كل من يمرون عليه يشـيرون بأصـابعهم أو يتمتمـون، كـاد ماهر ينفجر إلى أن سمع طالباً يصرخ يقول: "كفوا عن هذا، لا يمكـن أن يكون هذا صحيحاً!" نظـر مـاهر إلى الطالـب، إنـه لا يعرفـه، وقالـت طالبة أخرى: "من بين الجميع لم تستطع الشـرطة إلا أن تختـار أفضـل أستاذ في الجامعة، هذا سخف!" توقع ماهر أنهم طلاب والده، لابد أن لديه شعبية جيدة.

انفض الطلاب من حول ماهر بفضل طلاب عمرو، ظل مـاهر يجلـس وحده إلى أن اقترب منه طالب من طلاب عمرو قائلاً: "آسف لما يجـري" ابتسم ماهر، أخيراً سمـع شـيئاً جيـداً، قـال: "شـكراً لمـا فعلـت" قـال الطالب: "أبداً، إنهم يبحثون عن شيء يشغلهم، من المؤسف أن يقع كل ذلك على الدكتور عمرو" ابتسم ماهر، جميل أن يسمع شيئاً كهذا بعـد

كل مـا سمـع، قـال الطالـب: "إذا احتجـت لأيـة مساعدة فـلا تـتردد" "شكراً جزيلاً لك، أنا على مـايرام" غـادر الطالـب تاركـاً مـاهراً يفكـر وحده، جميل أن هناك من يثق بوالده حتى دون أن يعلم الحقيقة.

★★★

في معمل واصل كانت الأوضاع تزداد سوءاً، المالك السابق والذي بات المشرف على المعمل الآن بات يستلم الكثير من الرسائل تطالب المعمـل بدفع الديون، لم يعد يعرف ما يفعل بعد أن غاب واصل المالك الرسمـي للمعمل.

اتصل بمنـزل واصـل عـدة مـرات دون فائـدة، قـرر أن يـزوره بعـد الدوام.

رن جرس المنزل، لا أحد هنا أيضاً، كان يجـب أن يقابلـه وإلا فـإن المعمل سيتوقف، قرر أن يسأل الجيران أخيراً فرن جرس منزل شادن.

أجابت شادن فسألها عن واصل، قالت شادن: "قد لا يعود إلى المنـزل قبل فترة" شرح لها موقفه وأنه بحاجة إلى من ينقذ المعمل مـن الـديون المتراكمة، شادن كانت حزينة لسماع ذلك، لمياء ومراد ليسا بحاجة إلى ما يزيد الوضع سوءاً، ولكن كانت تعلم تماماً أن مراد هـو المسؤول عـن أي شيء بعد واصل، وهي لا تلوم العامل أبداً.

قررت شادن أن تخبر العامل كل ما جرى، وأن تنصحه بالذهاب إلى مراد.

وسط الدهشة والصدمة سار العامل إلى المشفى الكـبير، هـذه المـرة لا يدري ماذا سيقول لمراد، ولده في خطر والمعمل مديون، لـماذا كـان عليـه هو أن يقوم بهذه المهمة السيئة؟

وصل العامل المشفى، وفعلاً وصل غرفة واصل حيث لمياء ومراد كانا هناك صامتين، دخل وسلم عليهما، نظرا إليه بهدوء لا يعرفان من يكون، نظر العامل إلى واصل من خلال الزجاج فعقد لسانه ولم يعد قادراً على الكلام، نهض مراد وسار معه خارج الغرفة ليتكلم.

قال مراد: "هل لي أن أعرف من تكون؟" قال العامل: "أ...أجل، أنا المشرف على المعمل الذي يديره واصل" قال مراد: "أجل المعمل، ما أخبار المعمل؟" طأطأ العامل رأسه لا يدري ما يقول، قال مراد: "ليس على مايرام؟" قال العامل: "يعاني الكثير من الديون، للأسف" تنهد مراد، لم يكن يتوقع أفضل من ذلك فقال: "كيف أستطيع أن أخدمك؟" سكت العامل لا يدري ما يقول، ابتسم مراد قائلاً: "سؤال سانج، لا بأس، سأتولى أمر الديون" ناول العامل مراداً الأوراق، نظر مراد إلى المبالغ، كانت كبيرة فعلاً، قال العامل: "آسف لذلك..." قال مراد: "لا بأس، سأتولى أمرها كلها، أتمنى أن تسير الأمور على مايرام في المعمل إلى أن يعود مالكه الرسمي" "أجل".

غادر العامل المشفى، كان فعلاً يشعر بالأسى والخجل من نفسه، يدخل المشفى لأول مرة حاملاً أخباراً سيئة.

★★★

ماهر عاد إلى المنزل بعد يوم متعب، لم تكن بداية حسنة أبداً.

سجال كان يجلس على فراشه في غرفة النوم مع مالك ولينا ولنا، مالك كان يسأله عما يجري يريد أن يعلم أي شيء، سجال لم يكن يلومه ولكنه ليس مستعداً لإخبار مالك ما أخبر ماهراً، هناك فرق بينهما.

بعد فترة من الجدال بدأ مالك ينفعل منزعجاً: "لماذا لا تريد أن تقول شيئاً؟" قال سجال بكل بساطة: "والدتك لا تريد لأحدكم أن يعرف" قال مالك: "دعك من والدتي فهي ماتزال تعاملنا كالأطفال، أنا واثق لو كان والدي هنا لأخبرنا" ضم سجال يديه إلى قدميه وقال: "لا أظن ذلك" فتح مالك فمه ليتحدث أكثر ولكن لينا قالت: "هذا يكفي، لماذا تسأل سجالاً بالذات؟" ارتاح سجال فعلاً لما تقول لينا، لطالما كان يظن أن تصرفاتها أكبر من عمرها بكثير، ولكنها تابعت قائلة: "إنك تعامله كالمجرم" وضع سجال يديه على رأسه، هذه كانت صحيحة، إنه فعلاً المجرم هنا.

فتح ماهر باب الغرفة منقذاً سجالاً، نظر الجميع إليه فقال: "ما الأمر؟ لماذا تنظرون إليّ هكذا؟ هل هذه أول مرة ترون فيها شاباً يعود من الجامعة إلى المنزل؟" لم يقل أحد شيئاً، استغل سجال الفرصة ونهض مغادراً الغرفة، بل نزل إلى الطابق السفلي واستأذن سناء أن يذهب إلى الغابة ليغير الجو، قبلت سناء ببساطة وغادر سجال متجهاً إلى الغابة أبعد ما يكون عن مالك والباقين.

★★★

حان وقت القسم الثاني من المنافسة العالمية، رسم المديرون شجرة المنافسة، هناك عشرة أقسام تنتهي كلها بالفائز الأول، كرم في المجموعة السابعة عليه أن يلعب مباراة واحدة الآن ومباراة أخرى في المساء إذا فاز. رند كانت تجلس هذه المرة مع المدرب على مقاعد مخصصة تنظر قلقة إلى كرم. المدرب كان يحدق به يتذكر ما قاله له كرم البارحة: "هذه المباريات ليست لي، إنها لواصل". كان كرم قد

أخبر المدرب عادلاً بما جرى بعد انتهاء تدريبهم، عادل كان فعلاً يتمنى له الأفضل.

بدأت المنافسة وحان دور كرم، كما هو متوقع لم يكن منافسه سهلاً أبداً، بدأ قتالهما وكان قتالاً عنيفاً حقاً، تلقى المنافس ضربات مباشرة من كرم ولكنه لم يحرك ساكناً، كان صلباً كالصخر، بينما تفادى كرم ضربات منافسه مدركاً أنها ستكون النهاية إذا تعرض لضربة واحدة من يده الصلبة.

رند كانت تصرخ مشجعة كرماً وقلقة في الوقت ذاته، ولكنها فجأة أغمضت عينيها، لقد تلقى كرم ضربة قوية على وجهه وكاد يسقط أرضاً! وضع كرم قدمه بسرعة وتوازن واقفاً من جديد، ارتاحت رند لذلك ولكن الضربة كانت قوية فعلاً، مسح كرم خده مدركاً ألا فائدة من المماطلة هكذا، حتى أن منافسه لم يترك له الوقت للاسترخاء، ركض إليه بسرعة فجهز كرم له ضربة قاضية ضربت ذقنه مباشرة، ولكن منافسه عاد يتابع الهجوم رغم كل ذلك، وجه كرم له أيضاً ضربة قاضية ضربت وجهه عدة مرات، ولكن منافسه عاد متوازناً ثانية! ماذا كان عساه أن يفعل أكثر من ذلك؟ هذا كان ما يفكر فيه كل الحضور، إنها النهاية. ولكن كرماً قرر أخيراً أن يجعله يسقط بالحيلة، فعلاً عندما هجم المنافس ثانية ترك له كرم فرصة ذهبية بضربة قوية مباشرة على صدره، صرخت رند، الضربة قوية بكل تأكيد ولكن كرماً قبض على يده ولفه وأسقطه أرضاً.

صمت الجمهور، منهم من لا يصدق أن كرماً مايزال واقفاً بعد ضربة كتلك، والبعض صامت لا يصدق أن منافسه سقط على الأرض وخسر المنافسه.

بعد لحظات علا صوت التصفيق وركضت رند تبكي من الفرحة بفوز كرم، عادل صفق من على كرسيه، مايزال لدى كرم مشوار طويل، هـذه البداية فقط.

تمالك كرم نفسـه إلى أن دخـل غرفتـه في الصـالة مـع عـادل ورنـد، كانت آخر ضربة مؤلمة جداً، أجلسه عـادل وبـدأ يفحصـه، بعـد فـترة قال: "لا بأس، الوضع ليس خطيراً" لم يقل كرم شيئاً، كـان ذلـك مؤلمـاً فعلاً، ورند ماتزال قلقة عليه. قال عادل: "كان تصرفك متهـوراً جـداً" قال كـرم: "لم يكـن لـدي خيـار آخـر" قـال عـادل: "أنـت محظـوظ لأن الضربة لم تؤذك، ضربة كهذه كانت شبه قاتلة" خافت رند كثيراً، إذا كانت هذه هي البداية، ابتسم كرم قـائلاً: "هـذا يسـتحق العنـاء" جثـا عادل على ركبته أمام كرمٍ وقال: "كلا، واصل لا يريـدك أن تعـود إليـه محمولاً" لم يقل كرم شيئاً فعادل محق بكل تأكيد، ولكن كرماً أيضـاً لا يستطيع أن يعود إلى واصـل دون الكـأس، عـادل كـان يفهـم ذلـك أيضـاً فقال: "أمامك الكثير من التدريب" قال كرم بسرعة: "وأنا جاهز".

لم تر رند كرماً بهذا التصميم من قبل، كل هذا كان من أجل واصل.

★★★

سجال وصل الغابة وقابل سارياً، ساري كان يجلس وحده ينظـر إلى البحر، يبدو الملل مسيطراً عليه فقـال سـجال: "ألم تلعـب بعـد؟" قـال سـاري: "كفـاح لا يخـرج مـن المنـزل" جلـس سـجال إلى جانبـه فقـال ساري: "ما الأخبار عندك؟" قال سجال: "سيئة".

سكتا فترة، كل منهما ينظر إلى الشاطئ، عندها قـال سـجال: "لمـاذا نحن هنا؟" نظر ساري إليه فتابع سـجال قـائلاً: "أنـت كنـت تريـد أن

تلعب، وأنا كنت أريد أن أجلس مع من أحب" ابتسم ساري قائلاً: "أنا لا ألعب الآن، وأنت فقدت من تحب، أهذا ما تريد أن تقوله؟" طأطأ سجال رأسه قائلاً: "قد لا يكون لدي أي مانع الآن من العودة إلى المستقبل" قال ساري: "نوعاً ما مازلت لا أحب فكرة الموت على يد والدنا" نظر سجال إليه قائلاً: "الموت هنا أهون" قال ساري: "كلا، لا أريد أن أموت في الماضي أيضاً" سكت الاثنان، فنظر ساري إلى سجال قائلاً: "لقد حاولتَ ذلك من قبل أليس كذلك؟ الانتحار؟" قال سجال: "أجل، عدة مرات وفشلت بشكل مضحك" قال ساري: "لا أظن أنني أستطيع فعل ذلك، أخاف ذلك إذا ما أردت الصراحة" ابتسم سجال قائلاً: "وأنا أيضاً لم أعد أستطيع فعل ذلك" نظر ساري إليه قائلاً: "لماذا؟" قال سجال: "لأنني بت مسلماً، لا يجوز أن أفعل ذلك" ابتسم ساري قائلاً: "غريب!" قال سجال: "الوضع هكذا" قال ساري: "كلا، لا أعني الانتحار، أعني أنه غريب أن تتمسك بديانة" ابتسم سجال قائلاً: "ربما هذا ما يجعلني على قيد الحياة" نهض ساري قائلاً: "هنيئاً لك" نظر سجال إلى ساري وقال: "ساري، هلا ساعدتني؟" أشار ساري بالنفي على الفور، حدق سجال به فقال ساري مفسراً: "لست مسؤولاً عن خطأ غبي كهذا، عمرو كان ساذجاً جداً بفعل ذلك" قال سجال: "أعلم ذلك، ولكن... تستطيع أن تساعده، فأنت متهم بذلك في كل الأحوال" ابتسم ساري والتف إلى سجال قائلاً: "دعني أوضح لك شيئاً، هذه القضية أنت المتهم فيها ولست أنا" قال سجال: "ما الفرق؟ أنا متأكد أنه لا فرق لديك في ذلك" ضحك ساري قائلاً: "هذا أغرب طلب سمعته في حياتي، هل تريدني أن أضحي من أجلك ولرجل لا تربطني به أية صلة؟" "تضحي؟ هل تسمي هذه

تضحية؟ إنها لعبة أطفال" "ربما، ولكنني لست مضطراً لفعل ذلك" حدق سجال به فترة ثم قال: "ماذا تريد؟" فهم ساري أنه مستعد لقبول أي عرض يطلبه، ابتسم ساري قائلاً: "ماذا تستطيع أن تفعل لي؟" قال سجال: "أي شيء، اطلب فقط" ضحك ساري ثم قال: "أنت فعلاً لا تجيد عقد الصفقات" سكت سجال فقال ساري: "عمرو لا يريد لك أن تتدخل" "لذلك أطلب ذلك منك، يجب أن تفعل شيئاً لا يبدو أنني مشترك فيه، عمرو لا يعلم أننا يمكن أن نتفق على شيء" "نحن لا نستطيع أن نتفق على شيء" "ربما، ولكن هذا جيد الآن" تنهد ساري ثم قال: "أنت فعلاً تريد ذلك" سكت سجال، كان يبدو ذلك واضحاً عليه، ابتسم ساري قائلاً: "ماذا تظن؟ سأفعل ذلك" قال سجال: "وماذا تريد في المقابل؟" "لم أقرر بعد، عندما أطلب أي شيء في المستقبل ستؤده لي" "اتفقنا".

بذلك أنهى سجال الاتفاق مع ساري، كان على عمرو أن يخرج من السجن بأي ثمن.

★★★

مرام كانت في غرفتها على حالها، حاولت شادن إخراجها مما هي فيه ولكن دون فائدة، لم تداوم في المشفى مذ حصل الحادث.

أخيراً قرر مازن زيارة مرام مهما حصل، رن جرس المنزل ففتحته شادن، لم تكن تتوقع قدومه ولكنها رحبت به وأدخلته الصالة وصعدت لتنادي مرام.

لم تكن مرام تريد رؤيته بعد، ولكن كان على شادن إقناعها بارتداء شيء والنزول ولو لدقائق.

دخل كفاح ومصعب الصالة ينظران إلى الزائر، مازن انتبه إليهما وأشار لهما أن يقتربا. اقترب كفاح منه ومن خلفه مصعب فسأل مازن: "من تكونان يا ترى؟" قال كفاح: "أبناء الجيران، ولكن من تكون أنت؟" علم مازن أنهما هنا بسبب الحادث، قال مازن: "أنا أدعى مازن، خطيب مرام" اندهش كفاح لما يسمع: "خطيب مرام!" قال مازن: "وما الغريب في ذلك؟" في هذه اللحظة نزلت شادن لتجلس قليلاً مع مازن ريثما تحضر مرام، كفاح ومصعب صعدا إلى الطابق العلوي، مصعب لم يفهم شيئاً مما يجري ولكن كفاحاً كان مستغرباً، كان يظن منذ البداية أن مرام ستتزوج واصلاً، لماذا تخطب شخصاً آخر؟

جلست شادن مع مازن إلى أن نزلت مرام أخيراً، كانت ثيابها أنيقة ولكن التعب باد عليها، وقف مازن يستقبلها فقالت: "شكراً للزيارة" قال مازن: "ماذا تقولين؟ إنها متأخرة جداً" أشارت مرام بالنفي وجلست، نظر مازن إليها حيث لم يكن يبدو عليها أنها ستنطق بأي حرف فقال: "آسف لما جرى" قالت: "لا عليك" صمت الاثنان مرام لم تنظر لحظة في عيون مازن، نهضت شادن لتحضر العصير، نظر مازن إلى مرام وقال: "ألا تظنين أنه قد حان الوقت للعودة إلى المستشفى؟" لم تقل مرام شيئاً فقال مازن: "إذا احتجت إلى المساعدة فستجدينها هناك" قالت مرام: "شكراً لك، ظننت أنه إذا بقيت وحدي قليلاً قد أهدأ" قال مازن: "قد لا يكون ما حدث بسيطاً ليُحل هكذا، تستطيعين مراجعة الطبيب النفسي في المشفى، سيساعدك على نسيان ما جرى" قالت مرام: "شكراً، أردت فقط أن أكون وحدي بعض الوقت" "بعض الوقت! لقد مضى وقت طويل" قالت مرام دون أن تنظر في عينيه أيضاً: "آسفة، سأعود إلى العمل عما قريب" أشار مازن بالنفي وقال: "ليس من أجل

العمل، أنا لست صاحب المشفى كما تعلمين، أنا أعني أن تغيري من هـذا الجو قليلاً، يجـب أن لا تظلـي هكـذا" حضـرت شـادن بالعصـير لهمـا، شرب مازن شيئاً منه بينما وضعت مرام الكوب على الطاولة. حينها قال مازن: "سأغادر الآن" قالت شادن: "مايزال الوقت مبكـراً علـى المغـادرة" قال مازن: "لا أريد أن أثقل عليكم" نظر إلى مرام التي نظرت إليـه أخـيراً وقال: "سأنتظرك في المشفى، لا تتأخري" أشارت مرام بالإيجـاب وغـادر مازن المنزل.

لم تكن زيارة موفقـة، صـعدت مـرام إلى غرفتهـا واسـتبدلت ثيابهـا وعاودت ملازمة الفراش تبكي على مـا جـرى وعلـى تصـرفها مـع مـازن أيضاً، لقد كان لطيفاً جداً وخدوماً أيضاً، ولكنهـا لم تسـتطع مبادلتـه أي شعور.

★★★

فرح كانت تجلس في منزلها تقلب الأشرطة التي سجلت فيهـا قتـال كرم، دخل والدها عليها قائلاً: "مـاذا تفعلـين؟" قالـت فـرح: "لا شـيء، أقلب في الأشرطة" جلس إلى جانبها ونظر إلى الأشرطة قائلاً: "ألم يخـرج من المنافسة بعد؟" نظرت فرح إليه قائلة: "لماذا تقـول ذلـك؟ إنـه لاعـب ممتـاز!" قـال الأب: "حتـى يعـود إلى هنـا" نظـرت فـرح إلى الأشـرطة قائلة: "لا فرق، حتى وإن عاد فلن يتغير شيء إذا لم ينهض واصـل" قـال الأب: "الذنب ليس ذنبك" "وليس ذنبه أيضاً" وقف الأب قائلاً: "ولكن هناك عمل في الشركة، كان عليه أن يأخذ الإذن قبل الذهاب" "لقد أخذ الإذن مني" "أنا صاحب الشركة" نظرت فرح إلى والدها قائلة: "وأنا من أعطاه الإجازة" ابتسم الأب ووضع يده على خد فـرح قـائلاً: "لـيجلس إلى

جانبك" "أعطيته الحق ليذهب" تنهد الأب، لا فائدة من هذا الجدال، وقف ليغادر الغرفة فقالت فرح: "أبي، إذا لم يفعل كرم ذلك..." نظر إليها الأب فتابعت قائلة: "سيموت من الأسى" التفت الأب ليواجه فرح وقال: "يجب أن يكون صلباً، إنه رجل وعليه أن يتحمل" لم تقل فرح شيئاً وعادت للتقليب في الأشرطة وغادر الأب الغرفة بهدوء.

★★★

عاد سجال إلى المنزل، جلس في المكتبة وحده يفكر كيف سيتصرف ساري؟ وهل سيكون كل شيء على مايرام؟ وهل يستطيع فعلاً أن يعتمد عليه؟ عندها دخل ماهر الغرفة، نظر سجال إليه، كان ماهر هادئاً يبدو الانزعاج بادياً على سجال أكثر منه.

قال ماهر: "هل أستطيع أن أجلس؟" أشار سجال بالإيجاب فجلس، قال ماهر: "آسف لأنني جعلتك تتحدث فيما تكره" قال سجال بكل بساطة: "لا عليك، انس الأمر" قال ماهر: "لم يكن ذلك سهلاً أبداً، شكراً لك" ابتسم سجال قائلاً: "علام تشكرني؟ أنا السبب في كل ما يجري" قال ماهر: "ولكن والدي يعرف ما يفعل، سيكون بخير" انزعج سجال قائلاً: "كيف تظن أنه سيكون بخير؟ إنه يحمل بصمات هناك، لا يمكن أن تخرجه الشرطة، هذا مستحيل!" قال ماهر بهدوء: "أنا أثق به، سيكون بخير" ابتسم سجال ابتسامة ساخرة وقال: "هذه أول مرة أسمعك تتحدث بسذاجة، والدك فعل شيئاً غبياً جداً أدى به إلى ذلك وتثق أنه يستطيع الخروج!" بدأ ماهر ينزعج وقال: "لا تتحدث عن والدي هكذا" قال سجال منزعجاً: "إنه غبي، لقد ترك بصماته وسط الجريمة، لن ينجو" أمسك ماهر قميص سجال غاضباً وقال: "قلت لك لا

تتحدث هكذا عن والـدي! أنـت مـدين لـه بـالكثير!" قـال سـجال: "ولا يريدني حتى أن أساعده، هل يظن أنه يستطيع تدبر أمـره وحـده؟ أشـك في ذلك" قال ماهر منزعجاً: "قلت لك إنه يعرف ما يفعـل!" قـال سـجال بهدوء: "إنه يفعل ذلك من أجلي فقط" ترك ماهر قميص سجال بهـدوء، سجال تابع قائلاً: "إنه يؤذي الجميع الآن، لـك الحـق أن تكـرهني فهـو يفعل كل ذلك بسببي ومن أجلي" قال ماهر: "ليس صحيحاً، أبي لا يمكن أن يؤذينا" لف سجال رأسه لا يريد أن ينظر في عيون مـاهر وقـال: "إنـه يظن أنني لم أحظ بشيء مما حصلتم عليه في حياتكم، يريد أن يعطيني ما لا يستطيع أن يقدمه أحد لي، والآن هو يفعل ذلك ويظن أنه أكبر ما يستطيع أن يعطيني إياه، ألا أسلم نفسي إلى الشرطة، إنه يظن أن الأمر كبير ومهم، إنها لعبة أطفال ويظن أنها النهاية" قال مـاهر: "لا أحـد يريـد أن يلقـى في الحبس يا سجال" نظر سجال إلى ماهر قائلاً: "الحبس بالنسبة لـك نهايـة الدنيا، قد لا تحظى بعمل، قد لا تلتحق بالجامعة، قد لا تتزوج، ولكن كل هذا ليس مهماً بالنسبة لي، لطالما عشت حياتي مطارداً من قبل العدالة" قال ماهر: "كم شخصاً قتلت يا سجال؟" لف سجال رأسه من جديد، بعد هـدوء قال: "ما يقارب الألف" قال ماهر: "لا عجب أنك لا تأبه بشيء كهـذا" قـال سجال: "من الأفضل أن يفهم والدك ذلك، لا أن يلقي بنفسه في متاهة هـو في غنى عنها، إنه لا يستحق ذلك" لم يقل ماهر شيئاً، سجال لا يشـعر أبـداً بالتضحية الـتي يقـوم بهـا عمـرو، إنـه يشـعر أن الوضـع غـبي وسـخيف فحسب، خسارة.

أمسك ماهر مقبض البـاب مغـادراً الغرفـة قـائلاً: "كـل مـا يجـب أن تعرفه أن والدي يفعل المستحيل لتكون سـعيداً" قـال سـجال: "أنـا لسـت سعيداً، ويبدو أن السعادة محرمة علي" نظر ماهر إليه قائلاً: "أولم تكـن

سعيداً قبل أيام؟" تذكر سجال عمراً وهو يسأله أكثر من مرة في رحلـتهم إذا ما كان سعيداً، كان دائماً يجيبـه بالإيجـاب، لم يجـب سـجال علـى ماهر، فقال ماهر: "على الأقل لا تنعته بالغبي" وغادر الغرفة.

سجال رمى بجسده على الكرسي لا يريد أن يفكر بأي شـيء، ولكنـه مايزال يظن أن عمراً يتصرف بغباء شديد.

★★★

في المشفى كان مراد ولمياء مايزالان جالسين ينتظـران أيـة حركـة مـن واصل ولكن دون فائدة، ما إن لمح مراد الطبيب يريد الدخول عليـه حتـى استوقفه ليسأله: "عفواً، إلى متى سيظل الوضـع علـى هـذه الحـال؟" قـال الطبيب: "لا يمكننا أن نتوقع أي شيء، إن حالته مستقرة..." "أعـرف ذلك، أعني متى سيستيقظ تقريباً؟" هـز الطبيـب رأسـه قـائلاً: "لا أحـد يعرف" شعر مراد باليأس من هذه الإجابات فقالـت لميـاء: "إنـه مـريض أصـلاً" نظـر الطبيـب إلى لميـاء الـتي تابعـت قائلـة: "مـرض في الجهـاز العصبي" قال الطبيب: "ماذا يدعى؟" قالت لمياء: "لا علم لدي، ما أعرفـه أنه حالة جديدة في الوسط الطبي، ولكنني أستطيع أن أتصل بطبيبه الذي يعالجه" قال الطبيب: "كان عليك أن تقولي ذلك منـذ البدايـة، يجـب أن يحصل على أدويته كاملة" قالـت لميـاء: "لـيس هنـاك دواء معـين" شـعر الطبيب أن لمياء لا تفهم شيئاً مما تقول، قـال مـراد: "سنتصـل بالطبيـب ريثما تخرج من الغرفة" دخل الطبيب غرفة واصل ليطمئن على وضـعه، إنه على ما عليه منذ أيام، يتنفس من الجهاز، ولا يحرك ساكناً.

خرج الطبيب من الغرفة فأعطاه مراد الهـاتف بعـد أن شـرح لطبيـب واصل ما جرى.

فعلاً تحدث الأطباء عن حالتـه المرضـية قبـل الحـادث ولكـن لم يكـن

هناك ما يفعله الطبيب الآن، لا مشلكة في عمل أجهزته، إذا كانت المشكلة في يد أو قدم فليس هناك مشكلة مادام نائماً في المشفى.

لم يتغير شيء، ظل مراد ولمياء على حالهما لا يدريان متى يمكن أن يستيقظ واصل، أو هل سيستيقظ فعلاً أم لا.

★★★

في المعمل كان العمال يعملون بيأس، الأجور لا تكفي عائلاتهم، لا يشرف أحد عليهم، عاد المعمل إلى حالته السابقة قبل حضور واصل.

المشرف كان حزيناً جداً على ما يجري، نزل إلى حيث العمال يحاول أن يشرف عليهم ولكن أحداً لم يأبه به، معظمهم نزع خوذة العمل الواقية وعمل باستهتار.

حاول المشرف أن يطلب منهم ارتداء الخوذة من جديد، والسيطرة على العمل ولكن دون جدوى، قال أحد العمال: "هذه الخوذة لواصل، نحن لم نُردها يوماً" وقال آخر: "ألا ترون أنه قد يئس من المعمل وهرب، لابد أنه يعمل الآن في مكتب فخم" "ربما تزوج" "ألم يكن متزوجاً؟" "كلا، شاب يلهو هنا وهناك" "إنه غنيٍ يفعل ما يشاء"... استمر الحديث على هذا الموال، كان ذلك مزعجاً جداً، واصل يعاني في المشفى والجميع مستهتر، صرخ المشرف قائلاً: "اعملوا بجد وكفاكم لهواً!" توقف جميع العمال عن العمل ناظرين إلى المشرف، شعر المشرف بالخوف حيث لم تكن الوجوه مطمئنة أبداً، قال أحد العمال: "منذ متى كنت تلقي علينا الأوامر؟" قال آخر: "لديك نصيبك من المال كما في السابق، خذه واصمت" قال المشرف: "لماذا تغيرت الحال عندما حضر واصل إلى المعمل؟" سكت العمال قليلاً ثم قال أحدهم: "لقد كان يعاملنا

كبشر" قال آخر: "لطالما شعرت أنه حفيدي" قال المشرف: "إذن لماذا تذكرونه بسوء؟" قال عامل: "سوء! لم نفعل، من الأفضل له أن يعمل في المكتب، إنه يرهق نفسه هنا دون فائدة" قال المشرف: "ستكون هناك فائدة إذا عملتم بجد كما كان يعمل هو" قال عامل: "وما الدافع؟" سكت المشرف قليلاً وطأطأ رأسه وقال: "من أجله هو، ألا تعملون؟" نظر العمال إليه فتابع قائلاً: "إنه مالك هذا المعمل في الأساس" تفاجأ العمال لسماع ذلك! هذه أول مرة يعلمون فيها أنه صاحب المعمل، كان دائماً يجلس بينهم، تابع المشرف قائلاً: "كل الديون تعود إليه الآن، وهو... وهو..." قال عامل: "وهو ماذا؟" قال المشرف: "في المشفى" اندهش العمال بهذا الخبر! قال أحدهم: "لماذا؟" قال المشرف: "تعرض لحادث سير كبير، وهو الآن فاقد الوعي منذ أيام" سكت الجميع، منهم من يحدق في الأرض ومنهم من يحدق في المشرف لا يصدقون ما يسمعون. قال المشرف: "إنه بحاجة لمساعدتكم، على الأقل لا تراكموا الديون على المعمل" ظل الجميع صامتين فترة، بعضهم ندم على ما كان يفعل بواصل عندما كان هنا، والبعض فعلاً تمنى لو أن هذا الكلام مجرد هراء وأنه سينزل من الدرجات في أية لحظة.

بعد صمت دام فترة حمل أحد العمال خوذة العمل ووضعها على رأسه وتابع العمل دون أن ينطق بأية كلمة، الباقون فعلوا الشيء نفسه ، الجميع الآن لبس الخوذة كما كان يريد لهم واصل، وتابعوا العمل من أجله.

★★★

الفصل الرابع والستون

في الطريق كان يقف شرطيان يتحدثان ويضحكان، وقف ساري مقابل محل مجاور لهما ولكنهما لم ينتبها إليه، فكر ساري بصوت منخفض "ليس من المنطق أن أقفز بينهما، سيكون الأمر واضحاً أنني أسلم نفسي" اشترى بعض الأشياء وسار ببطء في الطريق ولكن الشرطيين لم ينتبها إليه أيضاً "يا إلهي، لم أتخيل أن يكون تسليم نفسي صعباً، ماذا سأفعل؟".

سار في شارع آخر حيث وجد شرطيين آخرين يجلسان في سيارة يتحدثان أيضاً "ماذا سيلفت انتباههما يا ترى؟" نظر في الطريق لا يبدو أن هناك الكثير من الناس "إذا ركضت بينهم فسينتبهون لمن يركض" ركض ساري في الطريق وركض أمام السيارة عند المنعطف، ولكن الشرطيين ظلا يضحكان.

توقف ساري عند منعطف آخر وشعر بالملل "ما هذا! ألا يحفظ الشرطة صورتي؟" تأفأف وسار في طريق آخر.

هناك كان يقف شرطيان آخران، كانا هادئين هذه المرة "لا يبدو أنهما صديقان، هذا أفضل" اقترب ساري ولكنه توقف فجأة "قد لا يجدي ذلك نفعاً ثانية، يجب أن يريا شيئاً غريباً".

وجد فكرة جيدة فصعد أعلى المبنى من الجهة الخلفية، وقف على الطابق الثالث ونظر إلى الشرطيين في الأسفل، لم ينتبه أحدهما إليه بعد، أخرج ساري من جيبه قلادة ذهبية وألقى بها في الشارع قرب الشرطيين. نظر الشرطيان إلى القلادة، عندها قفز ساري من الطابق

الثالث إلى الأرض أمامهما، حمل القلادة بسرعة قبل أن يلتقطها أحدهما وركض. ظل الشرطيان واقفين لحظة ثم حدقا ببعضهما وبدآ الركض أخيراً.

فرح ساري أن أحدهم تحرك "ولكن تحتاجون إلى أكثر من شرطيين للإمساك بي" ركض إلى المنعطف الأول حيث كان يضحك الشرطيان ومر بجانبهما، توقف الشرطيان عن الضحك ولكن ما إن وصل الشرطيان اللذان يلاحقان سارياً حتى طلبا منهما المساعدة.

بدأ يركض خلف ساري أربعة أشخاص، ساري بات مستمتعاً "تحتاجون إلى أكثر من أربعة للإمساك بي".

ركض ساري إلى المنعطف الثاني حيث سيارة الشرطة، ولف أيضاً إلى جانبها، وفوراً طلب الشرطة الأربعة المساعدة، وتحركت السيارة خلف ساري.

نظر ساري خلفه "ليس بعد، ليس بعد" وركض إلى منعطف آخر وآخر، تجمع الكثير من الشرطة خلفه، سيارات ودراجات، وهو مايزال يركض.

كان ساري سعيداً بما يجري "إنها كاللعبة التي أعطاني إياها كفاح، تمنيت لو كان معي" تابع ساري الركض، بات معظم شرطة المدينة تسير خلفه "إنهم يسيرون في خط واحد، تحتاجون لأكثر من ذلك للإمساك بي" ركض ساري ولف المدينة كثيراً إلى أن توزع الشرطة ليحاصروه من كل مكان.

فعلاً توقف ساري عند التقاطع، شرطة من أمامه، وشرطة من خلفه، أخرى عن يمينه وعن شماله، ابتسم ساري قائلاً: "هذا أكثر ما تستطيعون فعله على ما أظن" ثم رفع يديه مستسلماً وتنهد "تحتاجون

لأكثر من ذلك للإمساك بي، ولكن يكفي ما فعلتم".

أخيراً أمسكت الشرطة بساري، كانت مطاردة عنيفة بالنسبة للشرطة ولكن سارياً لم يكن يلهث، كان نوعاً ما مايزال يشعر بالعار من الطريقة التي أمسكوه بها، ولكن كان عليه أن يفعل ذلك في النهاية.

★★★

في مركز الشرطة أدخلوا سارياً غرفة الاستجواب، لم يكن يبالي، أجلسوه مقيداً وبدأ الضابط يستجوبه.

كل ما صرح به ساري أنه يعمل لصالح والده، وليس لديه شركاء.

ظل ساري مصراً على ما يقول، ولكن كان يبدو على الضابط أنه لا يزال غير مصدق بعد أنه قد فعل شيئاً كهذا. شعر ساري بذلك ففك القيود من على يديه وحك يده قائلاً: "هذه تسبب لي الحساسية" اندهش الشرطي مما جرى! كيف يفك صبي في العاشرة قيود الشرطة؟ أمر الضابط بتقييده ثانية ثم طلب إحضار المعاونين.

عمرو كان في زنزانته وحده، مر وقت ولم يحلق لحيته، كان منظره مزرياً يجلس في الزاوية. دخل عليه شرطي وطلب منه المجيء معه.

وُضعت القيود في يد عمرو ودخل الغرفة التي يجلس فيها ساري وقد كُبّل من جديد، اندهش عمرو بوجود ساري ولكنه حاول قدر الإمكان ألا يظهر ذلك على وجهه.

وجّه الشرطي سؤاله إلى ساري: "هل تعرفه؟" حدق ساري وعمرو ببعضهما لا يدري عمرو ماذا يفعل ساري بالضبط فقال ساري: "لم أره من قبل" قال الشرطي: "هل أنت متأكد؟" قال ساري باستهتار: "لم أره من قبل، هذا جوابي" وجه الشرطي نفس السؤال لعمرو فقال عمرو

بهـدوء: "بخـلاف التلفـاز لا، لم أره مـن قبـل" تنهـد الشـرطي قـائلاً لساري: "إن بصماته كانت عند الحادث، هل أنت متأكد أنه ليس معاوناً لك؟" ضحك ساري قـائلاً: "معاونـاً لـي! أنـا أعمـل تحـت إمـرة والـدي، ولكنني أعمـل وحيـداً، لسـت بحاجـة إلى أعـوان" عنـدها دخـل شـرطي يقول: "بعثنا الصورة إلى السيد شاكر فقال (إنه هو من حاول قتلـي بكـل تأكيد)" ابتسم ساري قائلاً: "تخشـون عليـه أن يقـابلني وجهـاً لوجـه؟" نظر الضابط إليه قائلاً: "حاولت قتله مراراً بأساليب مختلفة، لن نعرض حياته للخطـر أكثـر" لم يقـل سـاري شـيئاً فقـال الشـرطي الـذي أحضـر عمـراً: "مـاذا سـنفعل بالسـجين؟" نظـر الضـابط إلى عمـرو ثـم قال: "سنستجوب والد شادي أولاً ثم ننظر في أمره".

أعاد الشرطة عمراً إلى الزنزانـة، دخـل فيهـا يفكـر "كيـف أمسـكت الشرطة بساري؟ وهو لا يبالي على الإطلاق، ثـم... هـل يعقـل أن يكـون والد ساري هو نفسه والد سجال؟ إنه هو الـذي سـبب كـل هـذه المتاعـب بكل تأكيد. كيف يستطيع ساري أن يخونه بكل بساطة، ألا يخشى علـى نفسه؟ ولماذا لم يفعل سجال ذلك من قبل إذا كان الوضع بهذه البسـاطة؟" حام عمرو حول الغرفة يفكر "كلا، هناك أمر ما".

أدخل الشرطة والد ساري رغماً عنه، كان والد ساري الحقيقـي الـذي لم تنجب زوجته بعد ساريا، كان يقاوم الشرطة ويصرخ "لماذا تحملونني إلى هنا؟ أنا لم أفعل شيئاً!" ولكن ما إن وقعت عينه على ساري جالسـاً في الغرفة يبتسم حتى اشتاظ غضبه أكثـر وبـات يريـد أن يـركض ويضـرب ساريا، أمسكته الشرطة جيداً وهو يصرخ: "أنت! لماذا أنت؟ مـاذا فعلـت لك؟" قال الضابط بهدوء: "هل تعرف شادياً؟" نظر والد ساري إلى الضابط وصرخ قائلاً: "هذا الولد حاول قتلي أنا وزوجتي في منزلنـا، إنـه خطـير

جداً!" قال الضابط: "إن شادي يقول أنك كنت تأمره أن يقتل" صرخ الأب قائلاً: "كلا! أنا لا أعرفه!" قال ساري بنبرة مظلومة للضابط: "إنه يقول ذلك فقط، إذا خرج يهددني ويأمرني بالسرقة والقتل" صرخ الأب يكاد يجن: "لا، ليس صحيحاً! لماذا تفعل ذلك بنا؟ ماذا تريد؟" لم يقل ساري شيئاً فنظر الضابط إليه قائلاً: "إنه ليس والدك" قال ساري: "والداي ماتوا منذ زمن، يأمرني أن أناديه أبي، لم أعرف أباً غيره، لم أكن محظوظاً يوماً" صرخ الأب أكثر قائلاً: "كذب! لماذا تكذب؟ ما الذي تريده؟ نحن كنا أبعد ما نكون عنك!" أمر الضابط أن يلقى بالأب في الزنزانة للتحقيق.

شد الشرطة والد ساري بصعوبة للحبس، مروا بزنزانة عمرو قبل أن يضعوه في زنزانة أخرى، استوقفوه وسألوه: "هل تعرف هذا الرجل؟" قال والد ساري: "أبداً، لم أره في حياتي" عمرو ميز والد ساري، أخبره سجال من قبل أن سارياً حاول قتله ووالدته أيضاً، والآن يُدخله السجن! هل هو شخص سيء إلى هذه الدرجة؟

★★★

سناء كانت جالسة في المنزل لا تدري ماذا تفعل، رن الهاتف فركضت إليه تتمنى فعلاً أن يكون عمراً، وقد كان، قالت سناء: "كيف حالك؟ ماذا جرى معك؟" قال عمرو: "ظهرت براءتي، وسأخرج الليلة" لم تكد سناء تصدق، وكأنه حلم بعيد يتحقق فجأة! قالت: "الليلة؟ سنراك الليلة؟" قال عمرو: "إن شاء الله، كل شيء على مايرام" دمعت سناء قائلة: "الحمد لله" قال عمرو: "لقد اشتقت لكم جميعاً" قالت سناء: "سأحضر الأولاد ليستقبلوك" "لا أحب أن يروني أخرج من

السجن" "الجميع يعلم أنك بريء، سيكونون سعداء جداً" ابتسم عمرو قائلاً: "حسناً، أراكم بخير".

أغلقت سناء السماعة ثم صعدت للأولاد في غرفهم تركض وتبشر "سيخرج والدكم، ثبتت براءته" فرح الجميع وبدؤوا يقفزون، سجال الوحيد الذي كان يعلم أن شيئاً كهذا سيحدث، لم تكن فرحته كفرحة الباقين، فساري من فعل ذلك، ومايزال هناك اتفاق لو يعلم به عمرو ستكون مشكلة.

★★★

كرم أبلى بلاء حسناً في المباريات، بمساعدة المدرب عادل بات الفوز قريب المنال، بقيت المباراة الأخيرة على كأس البطولة، إنها المباراة الأهم والتي ينتظرها الجميع.

كرم كان سعيداً بما أنجز، ولكنه مايزال يريد الكأس ولا شيء غير الكأس، ربما لو لم يكن ذلك لواصل لكان قد اقتنع بمركز ثالث أو رابع، ولكن يجب أن يحصل واصل على الأفضل، هذا كل ما كان يشغل تفكيره.

رند كانت متحمسة وقلقة في الوقت نفسه، لم يخرج كرم من مباراة إلا بإصابة، فماذا سيفعل في المبارة الأخيرة؟

المدرب عادل كان جالساً أيضاً يراقب كرماً، لم يكن كرم متوتراً، غالباً ما تكون عيناه تحدقان بالكأس الذي وُضع عند اللجنة منتظراً حامله.

دخل منافس كرم، لا تبدو عليه القوة كسابقيه، يبدو أنه وصل بمهارته كما فعل كرم، هذه كانت مشكلة نوعاً ما، هنا مباراة سيكون أساسها التفكير والتخطيط، يجب أن يركز كثيراً.

وقفا وجهاً لوجه ينتظران إعلان البداية، أعلن الحكم بداية الجولة ولكن أحدهما لم يتحرك، ظل الناس يراقبون، كرم ومنافسه واقفان ينتظر كل منهما حركة الآخر بحذر شديد. تعجبت رند لذلك، كانت المبادرة أسلوباً في المباريات الماضية، ولكن الحذر الشديد هنا لا يصدق.

بدآ يتحركان حول الحلبة، مايزال كل منهما ينتظر حركة الآخر، بدأ كرم بلكمة خفيفة صدها المنافس بسهولة ورد عليه بمثلها فصدها كرم وابتعد.

كان الهدوء غريباً، نظرت رند إلى المدرب فقال: "إنه الحذر، كلاهما يعلم أن القوة لن تساعده، يجب أن يبحث أحدهما عن نقطة الضعف في الآخر حتى يفوز".

فعلاً كانت المباراة هادئة، لم يتوقع الحضور شيئاً كهذا، بعضهم شعر بالملل والبعض الآخر بدأ يتوتر، أحياناً يشتبكان وأحياناً يجولان الحلبة يركزان فيما سيفعلان.

"لقد وصلت إلى هنا، هذه هي المباراة النهائية" نظر كرم إلى الكأس "لن أخرج من هنا بدونك" ولكن بدا أن منافسه انتبه إلى انشغال كرم فوجه إليه ضربات سريعة لم يستطع كرم التصدي لها ولا الرد عليها.

استمر الوضع على هذه الحال فترة، كل الضربات كانت خفيفة، ولكن عددها كان يفوق عدد الضربات في نصف مباريات الدوري. كرم تلقى معظم الضربات، منافسه تلقى ضربات أيضاً ولكن ليس بالقدر الذي يعانيه كرم، بدأ يلهث من التعب، جسده بدأ يؤلمه، ويبدو على منافسه الصمود بعد، ماذا سيفعل؟

تحرك المنافس ووجه ضربات أخرى إلى كرم، كانت ضرباته أيضاً سريعة وخفيفة ولكن كرماً بدأ يشعر بالدوار، توقف المنافس عن اللكم

بعد أن شعر أن كرماً بدأ يهوي.

نهضت رند قلقة تراقب كرماً، عادل كان مركزاً في كل ما يجري، والجمهور صامتون تماماً، بعد منافسة طالت ها هو كرم يسقط لإعلان النهاية. لم يصدق كرم أنه قد داخ فعلاً، اللكمات كانت موجهة بعناية، إنه يسقط أمام منافسه والكأس يقف مقابله خلف المنافس. تجاهل كرم المنافس أمامه وركز في الكأس خلفه "أنا أريدك..." مد يده حيث الكأس "أنا بحاجة إليك" أغمض عينيه وبقيت بضع سانتيمترات على ملامسة جسده للأرض عندها رأى وجه واصل يبتسم له مودعاً، فتح عينيه بسرعة ومد قدمه ليتوازن في آخر لحظة، نظر ثانية إلى الكأس من خلف منافسه وقال: "لن أغادر من دونك".

اتزن كرم أخيراً وسط تصفيق الجمهور، كان منافسه مرهقاً ولكنه مايزال في حالة أفضل من كرم. هتفت له رند بكل حرارة بينما يراقبه المدرب بحذر، "ماذا ستفعل الآن يا كرم؟" .

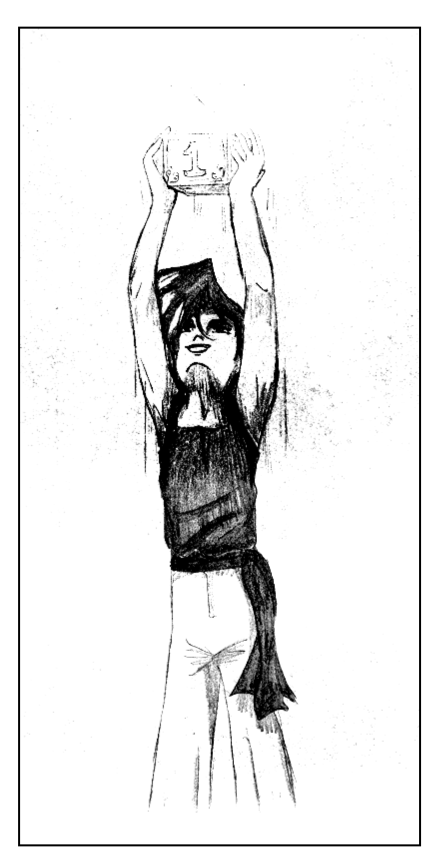
استدار كرم قليلاً لينظر إلى الكأس من جديد، إنه يفعل نفس الخطأ ثانية! ركض منافسه ولكن كرماً كان حذراً هذه المرة، تصدى للضربات بسرعة ووجه ضربة قوية مفاجئة تراجع بسببها المنافس إلى الوراء شاعراً بدوار. لم يترك كرم له المجال ليتوازن فهجم عليه مسرعاً، استعد منافسه لتلقي الضربات ولكن كرماً ارتكز على كتفه وقفز إلى الجهة المعاكسة ووقف خلف منافسه ببراعة، ما إن استدار المنافس حتى تلقى الضربة القاضية بقبضة كرم القوية وأخيراً سقط أرضاً.

صرخ الجمهور مرة واحدة، لقد انتهت المنافسات وكرم هو الفائز! صرخت رند ودمعت من الفرحة وركضت إلى كرم على الحلبة.

عادل ابتسم ينظر إلى كرم يساعد منافسه على النهوض "لم تكن في

المستوى المطلوب يا كرم" وقف المنافس ودخلت رند الحلبة تعانق كرماً بحرارة "هذه الطاقة ليست طاقة المباراة" فرح كرم برند ونظر إلى حيث الكأس أخيراً "إنه حبك لواصل، قلبك هو الذي قادك إلى الفوز" وقف عادل وبدأ يصفق مع الناس.

تقدم الحكم من كرم حاملاً الكأس يقدمه إليه، أخيراً حمل كرم الكأس ورفعه عالياً وسط تصفيق الجمهور، كرم لم يسمع تقريباً ما حوله، كان فقط يحدق في الكأس يتذكر "لن تقبل إلا بالمركز الأول" قال: "وها أنا في المركز الأول".



قبّل كرم الكأس وغادر الحلبة مع رند إلى حيث يقف المدرب، نظر كرم إليه فرحاً فقال المدرب: "مبارك" قال كرم: "شكراً" قالت رند متحمسة: "هل يعني هذا الآن أن كرماً هو الأقوى في العالم؟" ضحك عادل وقال: "أجل، إنه الأقوى" لم يكن هذا مهماً عند كرم، ولم يفكر بهذه الطريقة على الإطلاق وعادل يعرف ذلك، فنظر إليه وقال: "سيكون فخوراً بك جداً" ابتسم كرم قائلاً: "أرجو ذلك" ربّت عادل على كتف كرم فعانقه كرم قائلاً: "شكراً على كل شيء" ابتسم عادل قائلاً: "أنت تستحق أكثر من ذلك" ربّت عليه ثانية ثم غادر المكان.

كرم كان سعيداً جداً، الكأس بين يديه أخيراً، عليه الآن العودة إلى البلاد بأسرع وقت.

★★★

عائلة عمرو كانت تقف خلف مركز الشرطة تنتظر خروج عمرو من الباب الخلفي بفارغ الصبر، الجميع يترقبون خروجه لينتهي الموضوع بسلام.

سجال كان معهم أيضاً، ولكنه كان يعلم أنه فعل ما لم يكن يريده عمرو، كل ما يفكر فيه أن يتجاهل أي سؤال سيطرحه عمرو عليه.

مرت فترة والجميع يقفون ينتظرون أية حركة عند الباب، بدأ الجميع يقلق، ربما أعادوه إلى السجن ثانية... ربما لم تثبت براءته تماماً... ربما مايزال هناك تحقيق...

بعد فترة تحرك الباب، حدق الجميع به، هناك من يخرج، إنه فعلاً عمرو!

فرح الجميع لذلك وركضوا إلى والدهم بسرعة يعانقونه بحرارة،

عمرو كان متعباً، الجميع لاحظوا التغيرات عليه، هناك لحية لم تكن من قبل أبداً، حتى شعره لم يكن مرتباً، يبدو التعب واضحاً عليه.

سجال كان الوحيد الذي لم يركض لاستقبال عمرو، كان يقف وحده على بعد أمتار من العائلة السعيدة ببراءة والدهم.

بعد القبلات والمعانقات نظر عمرو إلى سجال الذي يقف وحده لا يبدو أي تعبير معين على وجهه. ترك عمرو أولاده لحظة ليقترب من سجال الذي ظل متسمراً في مكانه.

وقف عمرو مقابل سجال وقال: "ألا تقول (الحمد لله على السلامة)؟" طأطأ سجال رأسه وقال: "لماذا؟ لماذا فعلت ذلك؟" لم يقل عمرو شيئاً فتابع سجال منزعجاً: "ألم تكن تعلم أن هذا سيحدث؟ كان من الواضح أن الشرطة ستبحث عنك إلى آخر الحياة، لماذا؟" لم يقل عمرو شيئاً وظل هادئاً فرفع سجال رأسه منزعجاً وقال: "كان هذا تصرفاً غبياً جداً!..." لم يكد سجال ينهي كلمته حتى صفعه عمرو. شهق الجميع من بعيد ينظرون إليهما، ظل سجال مصدوماً لما جرى! إنها أول مرة يصفعه عمرو، أول مرة! ظل عمرو واقفاً بثبات إلى أن رأى ما لم يكن يتوقع، هناك قطرات على وجنة سجال، سجال أحس بشيء كهذا ووضع يده على خده، هناك دموع!



نظر إلى عمرو ببطء حيث بدأ جسده يرجف، إنـه فعـلاً يبكـي! جثـا عمرو أمامه حيث تغيرت ملامح الصرامة لديه إلى شفقة، حـاول سـجال حبس دموعه وقول أي شيء ولكن لم يصدر حلقه أي صوت. وضـع عمـرو يده على جبين سجال وقال: "لا تحاول حبسها، أطلق كل ما لديك" وكأن سجال كان ينتظر إذناً، لذلك صرخ باكياً على صدر عمرو. كانت هذه أول مرة يبكي سجال فيها، ماهر بدأ يدمع أيضـاً لمـا يـرى، نظـر إلى العائلـة حوله حيث لم يكن الوحيد الذي يمسح دموعه علماً أنـه يعلـم أن سـجالاً قد أخطأ فعلاً، ولكن... لا يستطيع أحد محاسبة سجال كما يحاسـب أي شخص، لقد تعرض للكثير في حياته.

تابع سجال البكاء بحرارة بأعلى صوته على صدر عمرو، شعر عمرو أن سجالاً يبكي على الكثير، الكثير مما يعرف ومما لا يعرف، ربت على شعره، أخيراً انفجر سجال، ها هي كل الدموع التي كان من المفترض أن تذرف تذرف أمام عينه، وهو متأكد أنه مايزال هناك الكثير.

ظل عمرو معانقاً سجالاً إلى أن بدأ يهدأ، نظر إليه حيث ماتزال عيناه تبكيان ولكنه على الأقل لم يعد يصرخ. أوقف سيارة أجرة وجلس في المقعد الخلفي، إنه مايزال يضم سجالاً إلى صدره، وجلس ماهر إلى جانب السائق ليعودوا إلى المنزل. سناء استقلت أجرة أخرى مع مالك ولينا ولنا ليعودوا أيضاً إلى المنزل.

كان سجال مايزال يتنفس بصعوبة ويبكي طول الوقت، بالكاد شعر أنه وصل المنزل بسيارة الأجرة.

نزل من السيارة مع عمرو ودخل المنزل، أجلسه عمرو على الأريكة ونظر إليه قائلاً: "آسف لما فعلت" لم يذكر سجال حتى أنه بدأ يبكي بسبب صفعة عمرو، ربما كان هذا آخر ما توقع أن يحدث في حياته، الإنسان الذي أحبه، الإنسان الذي وثق به دائماً، الإنسان الذي يعتبره والده يفعل ذلك! قال عمرو: "لا تحاول حبس دموعك يا سجال، فضفض عن نفسك" وضع سجال رأسه على صدر عمرو ثانية وأغمض عينيه، إنه يشعر بالتعب، مايزال يبكي رغم أنه لا يشعر بذلك، عمرو ضمه إلى صدره بحنان، لم يتوقع فعلاً أن ينفجر سجال هكذا ولكن هذا كان جيداً.

بعد فترة شعر عمرو أن سجالاً غط في النوم، حمله ووضعه في غرفته على فراشه وغطاه بهدوء، فعلاً كان سجال يغط في نوم عميق.

ترك عمرو سجالاً ينام وحده في الغرفة بهدوء ونزل إلى عائلته التي

كانت تنتظر منه الكثير.

جلس عمرو بين عائلته التي كانت ما بين سعيد بعودته وحزين على ما جرى بسجال.

قالت سناء: "هل هو بخير؟" قال عمرو: "استسلم للنوم، سيكون على مايرام" قالت سناء: "هل تريد تناول شيء ما؟ أم تريد الاستحمام أولاً" ضحك عمرو قائلاً: "ليتني أستطيع فعل الاثنين معاً" ذهبت سناء لتجهز الحمام بينما دخل عمرو المطبخ ليتناول شيئاً يؤكل أخيراً. قال ماهر: "أخيراً ظهرت براءتك يا أبي" قال عمرو: "أخبرتكم أنها ستظهر عاجلاً أم آجلاً" قال مالك: "كيف كان ذلك؟ هل كان هناك محام جيد؟" قال عمرو: "لقد أمسكوا الفاعل الحقيقي، هذا كل ما حدث" قالت لينا: "هذا جيد" جلس عمرو على الطاولة وبدأ يتناول فطائر السبانخ والجميع يحدقون به. قال عمرو: "هل هناك أمر ما؟" قال ماهر بسرعة: "كلا أبداً، كل شيء على مايرام" لم يستطع ماهر إخبار والده أنه الآن بات بلا عمل، تابع عمرو تناول الطعام إلى أن حضرت سناء بعد أن جهزت الحمام، نهض عمرو ليستحم ونظفت لينا المكان.

سألت سناء ماهراً: "هل علم شيئاً بشأن الوظيفة؟" قال ماهر: "لم أستطع إخباره" قالت سناء: "انسوا الأمر، أنا من سيتولى المهمة". هكذا انفض الجميع كل يقضي حاجته كأي يوم عادي.

★★★

كرم جلس في مقعده في الطائرة مع رند عائداً إلى البلاد، كان الكأس معه في الحقيبة لا يفارقه أبداً. رند كانت سعيدة بالعودة وتتساءل عما إذا كانت فرح قد شاهدت كل المباريات.

كرمٍ لم يكن يفكر بشأن فرح بعد، كل همه أن يصل إلى المشفى ليرى واصلاً مستيقظاً ليفاجئه بالكأس، بل ربما قد حضر جزءاً من المباريات أيضاً.

فرح كانت سعيدة بفوز كرم كثيراً، ولكنها كانت تعلم أن ما يهم الآن هو نهوض واصل، ماذا سيجري إذا لم يستيقظ؟ هل سيتزوجان؟ ربما لا يقدم كرمٍ على شيء كهذا أبداً. كانت الأفكار تدور في رأسها كثيراً وغالباً ما تسبب لها الصداع والأرق.

★★★

مر ما يقارب الساعة علىٍ نوم سجال، وقد بدأ يفتح عينيه الدامعتين الآن، نظر أمامه فرأى عمراً يجلس على فراشه ينظر إليه، لم يستطع سجال فتح عينيه جيداً حيث كانتا تؤلمانه، إضافة إلى صداع لم يشعر بمثله من قبل. حاول أن يجلس فساعده عمرو قائلاً: "هل تشعر بتحسن الآن؟" لم ينظر سجال في عيون عمرٍو وقال: "أشعر بالتعب، لم أعلم أن البكاء متعب هكذا" فكر عمرو قليلاً ثم قال: "إنه متعب، ولكنك بكيت كثيراً" سكت الاثنان، مايزال سجال لا يستطيع النظر في عيون عمرو، بعد فترة قال: "أنا آسف" قال عمرو: "على ماذا؟" نظر سجال إلى عمرٍو وقال: "لقد ضربتني" قال عمرو: "لماذا؟" سكت سجال ولم يقل شيئاً، ربما كان من الواضح لديه أنه ضُرب لأنه وصف عمراً بالغباء فطأطأ رأسه، قال عمرو: "لأنك لم تفهم ما يجري على الإطلاق، لقد قضيتُ فترة في السجن لأعلمك شيئاً، فخرجتُ لأكتشف أنك لم تفهم شيئاً على الإطلاق، لقد انزعجتُ فعلاً" قال سجال بسرعة: "ولكنك حبست لشيء..." أكمل عمرو الكلمة عن سجال: "غبي؟" ولكن لم يكن هذا ما

سيقوله سجال فقال: "لم تفعله" حدق عمرو بسجال بجدية وقال: "ولكنني فعلته" سكت سجال فتابع عمرو قائلاً: "لقد ألقيتُ البطانية على الرجل ولهذا كنت في الحبس، لقد فعلت ذلك وأنا فخور أنني استطعت إنقاذ حياته" طأطأ سجال رأسه وقال: "يؤسفني أن أقول لك أنه ليس شخصاً جيداً" نظر عمرو إلى نافذة الشرفة وقال: "وإن يكن، ربما يتغير" ثم نظر إلى سجال وقال: "لا أحد يعلم المستقبل" سكت سجال محدقاً بعمرو ثم طأطأ رأسه وقال بهدوء: "بالتأكيد" قال عمرو: "المهم، كان عليك أن تفهم الكثير ومع ذلك أراك لم تستوعب شيئاً بعد" نظر سجال إليه قائلاً: "أستوعب ماذا؟" قال عمرو: "ماذا يعني أن تكون في السجن" قال سجال بسرعة: "لم يكن ذلك مهماً، كنت أستطيع تدبر الأمر صدقني..." "لذلك كان من المفترض ألا تُحبس أنت" سكت سجال يستمع إلى ما سيقوله عمرو الذي شرح له قائلاً: "إذا حُبستَ أنت فأنا متأكد أنه لن يحدث أي شيء، لن تشعر بأية مشكلة، ربما ستهرب وتظل ملاحقاً كما هو ساري، لم أكن أريد لهذه الحياة أن تسيطر عليك من جديد، أردت أن تشعر ما معنى أن تحبس، ما معنى أن تشعر بالقلق، أن تكون متهماً، أن تخسر ربما وظيفتك، ربما احترام الآخرين، ربما أموراً أنا بعد لم أتصورها" قال سجال: "أنت من يخسر كل ذلك!" قال عمرو: "وأنت من يتألم لأنك المذنب" سكت سجال، لم يتوقع أن يسمع شيئاً كهذا من عمرو، قال عمرو: "كان عليك أن تدفع ثمناً لما فعلت، وأظن أنك دفعته، لقد حاولتَ بجنون أن تخرجني من السجن لأنك تعلم أنك من قادني إلى هناك. كان عليك أن تشعر بالذنب، ليس جيداً أن تكون متهماً يا سجال" طأطأ سجال رأسه لا يصدق أن عمراً يفكر بهذه الطريقة، قال سجال: "لقد خسرتَ الكثير" ابتسم عمرو قائلاً: "لا

يمكن أن تظل تكسب في هذه الحياة، إذا كنتُ سأخسر شيئاً فأفضل أن أخسره مقابل أن تتعلم شيئاً كبيراً" سكت سجال، بعد كل هذا خرج عمرو من السجن ليجد سجالاً لم يفهم شيئاً على الإطلاق، طأطأ سجال رأسه لم يقل شيئاً فقال عمرو: "أردتك أن تفهم أن الحياة مهمة، العمل مهم، العائلة مهمة، الناس مهمون، كل شيء يستحق التعب من أجله. دخولك السجن قد يعني الكثير. كنتُ أعلم أنك لم تكن لتتعلم شيئاً بدخولك السجن واعترافك، لن تحصل على أي شيء. ولكن بدخولي أنا، ربما تتعلم شيئاً، كمن لا يهتم للضرب، ولكنه يكره أن يُضرب الآخرون عنه ظلماً" قال سجال بصوت خافت دون أن ينظر إلى عمرو: "لن أفعل شيئاً سيئاً ثانية، لن أعاند الشرطة ولن أخالف القوانين" ابتسم عمرو قائلاً: "هذه خطوة جيدة" نظر سجال إلى عمرو قائلاً: "ولكنني توقفت عن ذلك منذ مدة، لماذا علي أن أدفع ثمناً لكل ذلك الآن؟" قال عمرو: "لأنك تظل مسؤولاً عما فعلت" طأطأ سجال رأسه ثانية ولم يقل شيئاً، عندها قال عمرو: "الآن أخبرني، كم دفعت؟" نظر سجال إلى عمرو قائلاً: "عن ماذا تتحدث؟" قال عمرو: "لا تتظاهر أنك لا تعرف أن سارياً قد سلم نفسه وبذلك خرجت" قال سجال: "لا شيء، لم أدفع شيئاً" "حقاً؟ هل أستطيع تصديق ذلك؟" "ألا تصدقني؟" "قد أصدقك ولكنني لا أثق بساري، لا يمكن أن يفعل شيئاً كهذا دون مقابل" "إنها لعبة أطفال بالنسبة له" نظر عمرو إلى سجال حيث لم يرد أن يسمع شيئاً كهذا بعد كل الحوار الذي دار بينهما فقال سجال: "آسف" قال عمرو: "ومع ذلك لن يلعب حتى من أجلي" لم يقل سجال شيئاً فقال عمرو: "أرجو ألا تكون قد فعلت شيئاً متهوراً، لقد طلبتُ منك ألا تفعل" لم يقل سجال شيئاً وظل صامتاً فغير عمرو الموضوع ونهض قائلاً: "على كل حال أردت

أن أقول أن دموعك على الرغم من حرارتها إلا أنها كانت جميلة جداً"
نظر سجال إلى عمرو حيث ماتزال عيناه متورمتين من كثرة البكاء فقال عمرو: "ومع ذلك أدين لك باعتذار على ما فعلت" طأطأ سجال رأسه وقبض على فراشه قائلاً: "لقد كانت صفعتك كالسكين" تفاجأ عمرو بردة فعل سجال هذه فتابع سجال قائلاً: "لم أتوقع أن تفعل ذلك أبداً، لقد وثقتُ بك دوماً" عاود عمرو الجلوس على الفراش ووضع يده على جبين سجال حيث شعر أنه كان متأثراً جداً بذلك وقال: "آسف لذلك، أنا فعلاً نادم أنني فعلت" نظر سجال إلى عمرو بعيون بدأت تبكي ثانية وقال: "أنت لن تضربني ثانية، أليس كذلك؟" عانق عمرو سجالاً ماسحاً على شعره بحنان قائلاً: "بالطبع لا، أبداً لن أفعل" تابع سجال البكاء على صدر عمرو وقال: "الضرب مؤلم، مؤلم جداً" حزن عمرو لما جرى وقال: "لن يضربك أحد يا سجال، أبداً... أنا آسف".

تابع سجال البكاء على صدر عمرو، وندم عمرو كثيراً على ما فعل، لقد أفقد سجالاً ثقته بالآخرين، وأعاد إليه أسوأ الذكريات وأشد المخاوف لديه "ما كان علي أن أفعل ذلك" كان هذا كل ما يفكر فيه عمرو الآن.



الفصل الخامس والستون

في اليوم التالي زار مازن مرام التي كانت ماتزال على حالها، نزلت مرام إليه فعلا لا تود رؤية أحد، حتى كفاح ومصعب لم يكونا مرتاحين بوجوده.

قال مازن لمرام: "إلى متى ستبقين هكذا؟ لقد تغيبت عن العمل كثيراً، قد يؤدي هذا إلى فصلك يا مرام" قالت مرام بهدوء ولا مبالية: "أعلم ذلك" قال مازن: "يجب أن لا تظلي سلبية هكذا، والوحدة تزيد الأمر سوءاً" لم تقل مرام شيئاً فتابع مازن قائلاً: "يجب أن تتخلصي من شعور الوحدة هذا وسيكون كل شيء على مايرام" قالت مرام: "الوضع ليس كذلك" تنهد مازن ثم قال: "أنت تحبينه" نظرت مرام إليه وكل علامات الدهشة ترتسم على وجهها، هذا آخر ما توقعت أن تسمعه من مازن! ابتسمت مرام قائلة: "ما الذي تقوله؟" قال مازن: "أنا لست غبياً يا مرام، هذا الحزن وهذه التصرفات، ثم لقد سمعت ذلك عدة مرات من الناس" طأطأت مرام رأسها، معظم الناس في الجامعة كانوا فعلاً يعلمون أن واصلاً سيخطبها. نظر مازن إليها قائلاً: "لماذا قبلتِ بي؟" قالت مرام: "أنت إنسان رائع لذلك قبلت بك" قال مازن: "وماذا عن واصل؟ ألا تظنين أنك تؤذينه؟" قالت مرام: "لقد كانت لديه الفرصة ليتقدم لخطبتي ولم يفعل، وليس هناك سبب يجعلني أرفضك، ليس هناك ما يربطني بواصل على الإطلاق" قال مازن: "ولكنك لازلتِ تحبينه" أدارت مرام رأسها لكي لا تنظر إلى مازن الذي تابع قائلاً: "هذا الحزن والانعزال ليس بسبب الحادث، بل

هو حزن على حبيب" قالت مرام: "كان هذا في الماضي" قال مازن: "لا يبدو كذلك بالنسبة لي" قالت مرام منزعجة: "أنا لست حجراً لا يشعر، لابد أن أكون حزينة على ماجرى لمن كنت أحب" تنهد مازن وقال: "هذه علاقة فاشلة" قلقت مرام لما قال فقالت: "لا مازن، أرجوك... أنا لست في وضع أستطيع فيه تحمل الكثير" لم يقل مازن شيئاً فقالت مرام قلقة أكثر: "لا تتركني... أرجوك" قال مازن: "أنت تطلبين مني أن أطبطب عليك لأنك حزينة على من تحبين، آسف لا أستطيع فعل ذلك" عندها نهض مازن مغادراً المكان حيث لم يبق لدى مرام أي كلمة تدافع بها.

ما إن خرج مازن من المنزل حتى تمددت مرام على الأريكة لا تعرف ماذا تفعل، لقد خسرت الوظيفة بكل تأكيد، وخسرت خطيبها.

***

ذهب سجال إلى الغابة ليقابل سارياً، كان ساري قد هرب من مركز الشرطة بكل بساطة وعاودت الشرطة البحث عنه دون جدوى.

وصل سجال إلى حيث ساري، كان ساري مستلقياً على الأرض يحدق في السماء، ما إن سمع خطوات سجال حتى قال: "كيف حال عمرو؟" قال سجال: "بخير" جلس ساري واستدار ينظر إلى سجال وقال: "ألا تشكرني؟" قال سجال: "لست مضطراً لذلك" قال ساري متظاهراً بالحزن: "لماذا تقول ذلك؟ لقد ساعدتك" قال سجال: "لتذلني الآن بطلباتك، لست مديناً لك بالشكر" حدق ساري بسجال ثم قال: "عيناك متورمتان! هل كنت... تبكي؟" قال سجال: "هذا ليس من شأنك، أسرع وأخبرني هل قررت ماذا ستطلب بالمقابل؟" وقف ساري ونفض

الغبار عـن ثيابـه وقـال: "لم أقـرر بعـد" قـال سجال بسـرعة: "ومتـى ستقرر؟ هل سأظل معلقاً هكذا؟" قـال سـاري: "لمـاذا أنـت قليـل الصـبر هكذا؟" قال سجال: "عمرو توقع كل ذلك" ابتسم ساري قائلاً: "أي غبي سيتوقع شيئاً كهذا" التف سجال قائلاً: "سأعود فيما بعد ربما تكون قد قــررت" قـــال ســـاري بســـرعة: "لحظـــة" التـــف ســـجال فقـــال ساري: "أعني..." ظل الاثنان واقفين سجال يحدق في ساري الذي ينظر إلى الأرض، قال ساري: "انس أمر الاتفـاق" لم يفهـم سـجال مـا قصـده ساري فاستدار ساري لا يريد أن ينظر في عيون سجال وقـال: "لا أريـد شيئاً في المقابل" ظل سجال واقفاً لا يفهم ما يجري، لا يمكـن أن يفـوت ساري فرصة كهذه للإساءة لسجال! قال سجال: "فماذا تريد إذن؟" قال ساري منزعجاً لأن سجالاً لم يفهمه: "قلت لك انس الاتفاق، لـن أطلـب شيئاً" لم يفهم سجال ما يجري! ظل يحدق بساري الذي يقـف وظهـره مقابـل سـجال، قـال سـجال: "إذن... لمـاذا فعلـت ذلـك؟" قـال سـاري بهدوء: "لأنـك احتجـت للمسـاعدة" لم يصـدق سـجال مـا يسـمع فقـال ساري: "فعلت ذلك لك، لستَ مضطراً لتنفيذ شيء في المقابـل، تسـتطيع المغادرة" ولكن سجالاً لم يحـرك سـاكناً، لا يسـتطيع المغـادرة بعـد مـا سمع! ظل ساري واقفاً فاقترب سجال منه قائلاً: "بل علي فعـل مـا هـو مهم جداً..." استدار ساري إليـه فقـال سـجال: "شـكراً جـزيلاً" حـدق سـاري في الأرض بسـرعة ولكـن كانـت ترتسـم علـى وجهـه علامـات السعادة، لم يتوقع سجال شيئاً كهذا من ساري! ربما فعـلاً كـان كفـاح محقـاً، هنـاك جانـب مـن سـاري يمكـن إصـلاحه. ابتسـم سـجال لـه قائلاً: "يبدو أننا فعلاً من يفهم بعضنا" قال سـاري سـاخراً: "هـل تظـن ذلك؟" رفع سجال وجه ساري ليحدق به وقال: "هـل تحـبني؟" تفاجـأ

ساري بهـذا السؤال، سجال ظل محـدقاً بـه ينتظر الجـواب فقـال ساري: "وهل تحبني أنت؟" قال سجال: "أنـا لم أكرهـك منـذ البدايـة" ابتسم ساري فقال سجال: "هذا أجمـل مـا يمكـن أن يحـدث، أنـا فعـلاً مدين لك، شكراً جزيلاً" وضع ساري يده على كتف سجال مسروراً بما يجري.

★★★

في المشفى كان واصل على حاله، بينما بـدأت لميـاء تضـعف كـثيراً، كان يبدو عليها التعب الشديد، وقد نقصت من الوزن الكثير. مراد كان أيضاً إلى جانبها وقد بدأ يتعب أيضاً، ولكن ليس كحال لمياء.

كانت لمياء تراقب واصلاً ليل نهار، لا تذكر متى كانـت آخـر مـرة خرجت فيها من الغرفة الزجاجية، يجلس مراد إلى جانبها ليساعدها ولكن دون جدوى، لا شيء يمكـن أن يـريح لميـاء سـوى نهـوض واصـل معافى.

نظـر مـراد إلى لميـاء وقـال: "يجـب أن تعـودي إلى المنـزل" قالـت لمياء: "قلت لك سابقاً أنني لن أعود دون واصل" قال مراد: "ولكـن هنـاك كفاح ومصعب أيضـاً، إنهمـا بحاجـة إليـك" لم تقـل لميـاء شيئاً فقـال مراد: "يجب أن لا تتركيهما هكذا" قالت لمياء: "لا أستطيع تقديم شـيء لهما وأنا في هذه الحالة" قال مراد: "لذلك عليـك أن تخرجـي مـن هـذه الحالـة" نظـرت لميـاء إلى مـراد قائلـة: "هـل تريـدني أن أيـأس؟" قـال مراد: "ما الذي تقولينه؟ إنه ولدي كما هو ولدك! طبعاً لن نيأس مهمـا حدث، كل ما عنيته أنه لا نعرف كم سيطول هذا الحال، أنا واثق أنـه سينهض ولكن الله وحده يعلـم متـى سيكون ذلـك" لم تقـل لميـاء شـيئاً

عندها سمعا الباب يطرق. فتح مراد الباب فإذا برجلين كبيرين في السن، أحدهما يحمل ورداً وقال: "عفواً، هل هذه غرفة واصل؟" قال مراد: "أجل، عفواً هل لي أن أعرف من تكونان؟" قال الرجل الآخر: "نحن نعمل في المعمل الذي يديره واصل" تفاجأ مراد لذلك ولكنه قال: "أهلاً بكما، وشكراً على الزيارة" ناوله الأول الورود وقال: "آسفون لما جرى" قال مراد: "شكراً جزيلاً لكما" قال العامل: "إنها باسم جميع العمال" قال مراد: "هذا لطف كبير منكما، أنا مراد والد واصل" قال الرجل: "تسرنا معرفتك، لديك ابن مميز" قال مراد: "شكراً، تستطيعان رؤيته من خلال النافذة إذا أردتما" قال العامل: "لا نريد أن نثقل عليكم، أردنا فقط أن نطمئن عليه" قال مراد: "هذا لطف كبير منكما" عندها هم العاملان بالمغادرة فقال مراد: "كيف حال المعمل؟" قال أحدهما: "كل شيء على مايرام، لا تفكر في المعمل، سنتدبر أمره" فرح مراد بذلك وغادرا.

في هذه اللحظة وصلت سيارة كرم التي سارت بهما من المطار إلى المشفى مباشرة، نزل كرم بسرعة حاملاً الكأس بيديه مسروراً أنه سيقدمه لواصل. نزلت رند بهدوء كانت ترغب في العودة إلى المنزل مباشرة لترتاح، ولكن لا أحد يستطيع التحدث إلى كرم الآن.

ركض كرم إلى حيث غرفة واصل، طرق الباب حيث واصل ولكن لم يجب أحد.

فتح كرم الباب ودخل بهدوء، لقد رآه، إنه مايزال على حاله ممدداً على الفراش. وقف كرم قليلاً عند الباب يقبض الكأس بقوة بين يديه، بعد فترة قرر أخيراً أن يتحرك.

اقترب من واصل ووقف إلى جانب سريره، رأى كل من مراد ولمياء

كرماً داخل الغرفة! ابتسم كرم قائلاً: "آسف لتأخري عليك، ولكن احزر ماذا أحضرت" واصل لم يحرك ساكناً فتابع كرم قائلاً: "إنه الكأس، لقد فزت بالمركز الأول كما أردت" رفع كرم الكأس بالقرب من واصل ثم قال: "لقد عاهدت نفسي أن تحمله، تستطيع فعل ذلك أليس كذلك؟" حدق كرم بواصل الذي ظل على حاله.

مراد ولمياء كانا ينظران إلى كرم بحزن شديد، هما لا يستطيعان سماع شيء مما يقول خلف الزجاج، ولكن كان منظره وهو يقف إلى جانب واصل وحده كافياً لبعث الحزن في نفسيهما. دخلت رند الغرفة الزجاجية ونظرت إلى حيث واصل، إنه مايزال على حاله، لن يكون كرم في حالة جيدة على الإطلاق.

جثا كرم على ركبتيه وكشف عن يد واصل ورفعها ليقبض على الكأس، يد واصل لم تتحرك أبداً ولكن كرماً وضعها على الكأس ليشعر به وقال: "إنه هنا، وهو لك، لقد فزتُ به من أجلك، من أجلك فقط" ظل كرم يقبض يد واصل على الكأس وينظر إليه ولكن دون جدوى، ليس هناك أي دليل على استجابة واصل لأي شيء حوله.

ترك كرم يد واصل ووضع الكأس على الأرض وقال منزعجاً: "إلى متى؟ إلى متى ستظل هكذا؟" ثم قبض على يده بكلتا يديه وتابع قائلاً: "إذا أردت أن تتأكد أن هناك من يحبك ويهتم لأجلك كان عليك أن تسأل فقط!" نظر إلى وجه واصل ولكنه أيضاً لم يظهر أي استجابة، عندها بدأت عينا كرم تدمعان وقال: "هذا يكفي! سبق أن أخبرتك أنني لا أريد أن أخسرك! لماذا تفعل بي ذلك؟" وضع رأسه على الفراش على يد واصل وبدأ يبكي ويقول: "أنا أريدك، أنا بحاجة إليك" وتابع البكاء بحرارة يعلو صوت بكائه لدرجة سمعها من في الغرفة

الزجاجية جيداً.

بدأت لمياء تبكي لبكاء كرم، عانقها مراد محاولاً التخفيف عنها، رند طأطأت رأسها وخرجت من الغرفة دون أن تقول شيئاً، لا تريد أن ترى أخاها يبكي هكذا، لم يجد ما فعل كرم أية نتيجة.

★★★

سجال عاد إلى منزله مسروراً، لم يكن يتصور يوماً أن الكابوس الذي لحقه من المستقبل قد أصبح الآن صديقاً له! كان هذا تطوراً كبيراً في حياتهما.

دخل المنزل ورأى عمراً يتجهز للخروج وأمامه تقف سناء، قال عمرو عندما نظر إلى سجال: "يبدو أنه قد حدث شيء جيد" قال سجال: "أجل، شيء من هذا القبيل" نهض عمرو قائلاً: "هذا رائع، هل نهض واصل؟" طأطأ سجال رأسه وتذكر أنه مايزال هذا الوضع المحزن قائماً فقال: "لا" قال عمرو: "آسف لذلك، ظننت أن هذا ما سيفرحك فعلاً" لم يرد سجال على ذلك بل قال: "إلى أين ستخرج؟" قال عمرو: "سأعيد فتح العيادة" طأطأ سجال رأسه ثانية وقال: "آسف" قال عمرو: "لا بأس، أحب العمل في العيادة" ثم نظر إلى سناء وقال: "سيكون كل شيء على مايرام إن شاء الله" قالت: "وفقك الله" قبّلها ثم مر إلى جانب سجال وربّت على رأسه وخرج.

ظلت سناء واقفة أمام سجال، كان سجال دائماً يعلم أن سناء مختلفة عن عمرو في كل شيء، قالت سناء: "لا تفكر في الأمر كثيراً" قال سجال: "أنا آسف لكل ما جرى" قالت سناء: "إنه ليس على مايرام، عمرو قلق جداً" نظر سجال إلى سناء حيث رأى عمراً للتو في

حالة جيدة فقالت سناء: "كان سيسألك عما أسعدك بكل إلحاح ولكنه لم يفعل، إنه متوتر جداً" لم يفكر سجال بهذه الطريقة أبداً، فعلاً من عادة عمرو أن يدقق في الأمور ويغوص إلى أبعد نقطة خاصة السعيدة منها، ولكنه لم يفعل. سناء معتادة على عمرو وتفهمه جيداً، إنها زوجة رائعة وأم ممتازة، للحظة شعر سجال أنه محظوظ بكونه معها، وتمنى لو أنها كانت أمه الحقيقية.

صعد سجال إلى غرفته يفكر، ماذا جرى لوالدته؟ مر زمن لم يرها، بما أنه واثق أن لا شيء سيتغير من المستقبل فهو ليس قلقاً عليها من الموت على الأقل، ويعلم أيضاً أنه لا يستطيع مساعدتها على الأقل في هذا الوقت، ولكن... هل يستطيع حل مشكلتها في المستقبل إذا علم الماضي؟

★★★

كرم ورند كانا قد عادا إلى المنزل، حقيبة كرم في غرفته لم يفتحها بعد بل اتجه فوراً إلى الحمام ليجلس تحت رشاش المياه الباردة لعله يهدأ قليلاً.



رند رتبت الغرفة وأعادت كل ما كان في الحقيبة إلى مكانه إلا شيئاً وأحداً لم تستطع أن تجده، الهاتف المحمول. بحثت عنه في كل مكان، إنه الهاتف الثمين الذي أهداها إياه سجال عندما كان ثرياً ومشهوراً، إنه ليس في أي مكان!

دخلت رند قلقة غرفة كرم وفتحت الحقيبة وبعثرت كل شيء هنا وهناك دون جدوى، إنه ليس في أي مكان! أين يمكن أن يكون؟

حاولت أن تتذكر، لقد كان معها في المطار بكل تأكيد، لقد كان في الحقيبة الصغيرة في يدها، ولكنها فتشت عنه ولم تجده فيها أيضاً.

جلست رند على فراشها مصدومة، لقد... سرق! سرق في المطار، أحدهم أخذه من الحقيبة دون أن تشعر، إنه ثمين جداً وأي شخص سيتمنى أن يحمله.

ظلت رند مصدومة فترة لا تصدق أنها فقدته، إنه أغلى ما تملك، وفوق ذلك كان هدية من سجال.

احتاج الوضع فترة لتستوعب رند ما جرى، لن تستطيع أن تحصل عليه ثانية، لقد ضاع إلى الأبد. عندها بدأت تبكي بحرارة، لقد فقدت أغلى ما تملك.

لم يسمع كرم بكاءها حيث كان فقط يسمع صوت الماء الذي ينصب فوقه بغزارة.

★★★

عاد ماهر إلى المنزل بعد يوم متعب في الجامعة حيث مايزال الكثيرون يتحدثون عن والده، صعد إلى غرفة النوم وتمدد منهكاً على الفراش.

سجال كان يجلس على الفراش إلى جانبه، نظر إليه وقال: "لا تبدو سعيداً في الجامعة" ابتسم ماهر قائلاً: "سعيداً! " جلس على فراشه وقال ساخراً: "أبداً، كل شيء على مايرام" لم يرد سجال التحدث حول ذلك ولكنه قال: "ماهر، هل لي أن أسألك سؤالاً؟" قال ماهر: "بالتأكيد" قال سجال: "هل يجب أن أكون حزيناً على واصل؟" تعجب ماهر من السؤال فقال: "لماذا تسأل شيئاً كهذا؟" قال سجال: "أبي ظن فوراً أن هذا الموضوع سيؤثر بي كثيراً" ابتسم ماهر قائلاً: "ليس المهم ما يظنه الآخرون، المهم ما تظنه أنت" نظر سجال إلى ماهر الذي تابع قائلاً: "إذا كنت تظن أنه يجب أن تكون حزيناً فهذا قرارك" قال سجال: "ولكنه في المشفى، أليس من السيء أن أكون سعيداً؟" قال ماهر: "ليس سيئاً أن تكون سعيداً إذا حدث معك شيء سعيد بكل تأكيد، الوضع مختلف عندما تفكر بالأمور بجملة واحدة" قال سجال: "لم أفهم" قال ماهر: "أنت لست سعيداً لأن واصلاً في المشفى، أنت سعيد لأن شيئاً جيداً قد حدث، وإذا كنت تشعر بالحزن على واصل فعلاً فستكون حزيناً، والعكس صحيح، لست مضطراً لتمثيل أي شيء أمامنا" قال سجال: "أليست هذه خيانة لصداقتي معه؟" هز ماهر رأسه قائلاً: "هذا أمر تحسبه أنت وحدك، لا تستطيع أن تسأل أحداً عنه، ما يجب أن تعرفه أنه يجب أن تتعاطف مع من يهمهم الأمر كثيراً وتظهر حزنك الدائم أمامهم، أما عندما تمارس حياتك من جانب آخر فيجب أن لا تبقى متوتراً" قال سجال: "بت لا أدري إذا كنت فعلاً أشعر بالحزن، لم تكن صداقتنا على مايرام في نهايتها، ربما يكون هذا هو السبب" قال ماهر: "هذا شأنك، إذا كان هذا ما تشعر به فأنت حر، ولكن لا تحكم على العلاقة في أسوأ أحوالها، في

مثل هذه الظروف يتذكر الإنسان أجمل اللحظات مع من يفقد" قال سجال: "أنت، ألست حزيناً؟ أنت تحب واصلاً أيضاً" ابتسم ماهر قائلاً: "ليس هناك وقت لأحزن على واصل، يحدث الكثير الآن وعلي التصرف" قال سجال: "لماذا أكون سعيداً عندما يكون الجميع حزيناً؟" نظر ماهر إلى سجال وقال: "هذا ليس صحيحاً" قال سجال: "بلى، واصل في أسوأ حال، أبي أيضاً حزين، والدتي والعائلة كلها في عالم آخر، أما أنا فأعود سعيداً إلى المنزل" قال ماهر: "هذا ليس سيئاً، جميل أن يكون هناك شخص سعيد في المنزل" "حقاً! ألا يزعجكم ذلك؟" اقترب ماهر من سجال وقال: "أخبرني، ما الذي جعلك سعيداً؟" طأطأ سجال رأسه بابتسامة خفيفة وقال: "أنت أول من يسألني" قال ماهر متحمساً: "حقاً! هل أنا أول من سيعرف؟" أشار سجال بالإيجاب وقال: "ساري، مر وقت وكنا فيه من ألد الأعداء، اليوم فقط اكتشفت أننا بتنا من أعز الأصدقاء، لقد أسدى إلي خدمة لم أتصور أن يفعلها في حياتي" قال ماهر: "كسبتَ صديقاً وخسرت عدواً، هذا شيء مدهش" "هل تظن ذلك حقاً؟" "بكل تأكيد، هنيئاً لك" ابتسم سجال فرحاً لما يسمع، أخيراً فهم أحدهم ما يدور في رأسه، وفوق ذلك لم يلمه ماهر على كل ما يفعل، تصور سجال أن ماهراً سيكون أول من يقف ضده على فرحته في مثل هذه الظروف، فهو أكثر من يعاني، ولكنه كان أروع مما تصور.

عانق سجال ماهراً سعيداً بوجوده معه، ماهر أيضاً فرح لمساعدته لسجال، وقف سجال وشكر ماهراً مجدداً وغادر الغرفة ثم غادر المنزل متجهاً إلى المكان الثاني الذي سيسعده كثيراً.

★★★

مرام كانت في فراشها تلازمه أكثر من الأيام السابقة، حملت لها شادن طبقاً من المعجنات والعصير لتأكل شيئاً ولكنها لم تفعل.

لم تكن شادن تلوم مرام فعلاً على انعزالها ولكن يجب أن لا يظل ذلك طويلاً، حتى وإن تركها مازن، حتى وإن كان واصل في المشفى، كان على مرام الصمود قدر الإمكان.

لم تستطع شادن إقناع مرام حتى بتناول الطعام، غادرت الغرفة يائسة. كفاح ومصعب باتا أكثر انعزالاً يوماً بعد يوم، حتى منزل شادن بات حاله يتدهور.

بعد فترة دخلت الجدة غرفة مرام، مرام كانت ماتزال مستلقية على الفراش، اقتربت الجدة منها وقالت: "لم يكن شخصاً مناسباً" قالت مرام: "لست أبكي بالتحديد عليه" قالت الجدة: "إذن على ما أنت حزينة؟" رفعت مرام رأسها قائلة: "على كل ما يجري، لم أشعر بضياع كهذا من قبل" هزت الجدة رأسها قائلة: "يجب أن تعرفي على ما أنت حزينة بالضبط، هذا أهم من أن تمسحي فكرة الحزن عن رأسك" لم تقل مرام شيئاً فقالت الجدة: "هل أنت حزينة على واصل؟" قالت مرام: "بالطبع حزينة عليه، ولكن هذا ليس كل شيء" قالت الجدة: "فماذا إذن؟" سكتت مرام فترة ثم قالت: "لقد خسرت وظيفتي وخسرت خطيبي، ألا تظنين أن هذا أمر محزن؟" ابتسمت الجدة قائلة: "لم أرك سعيدة لحظة مع مازن" نظرت مرام إلى الجدة قائلة: "لقد كان رائعاً" قالت الجدة: "هو كان رائعاً، ولكنك لم تكوني رائعة معه" سكتت مرام فقالت الجدة: "لا تقاس الأمور هكذا، يجب أن تكونا سعيدين معاً" قالت مرام ساخرة: "وها نحن الآن لم نعد معاً" قالت الجدة: "من الجيد أن يحدث هذا قبل فوات الأوان" قالت

مرام: "لم أكن أرغب أن يتركني في مثل هذه الظروف" قالت الجدة: "بل كان عبئاً عليك" سكتت مرام، فقالت الجدة: "كنت دائماً تفكرين فيه، أما الآن فقد أزيح من رأسك" قالت مرام: "هل تظنين ذلك؟" قالت الجدة: "إنها الحقيقة، أنت لست حزينة على مازن ولن تحزني عليه أبداً" سكتت مرام فقالت الجدة: "هل أصدق أنك حزينة على ترك العمل؟" قالت مرام: "لقد كان جيداً" قالت الجدة: "إنه المشفى الوحيد الذي تقدمت للعمل فيه، أنت تعلمين تماماً أنك تستطيعين اختيار أي مشفى للعمل فيه، شهادتك من أفضل جامعات البلاد" سكتت مرام، ما تقوله الجدة صحيح، وهي فعلاً لا تشعر بشيء مميز لعملها الجديد، عندها قالت الجدة: "هل تعلمين الآن لم أنت حزينة بالضبط؟" حدقت مرام بالجدة التي ظلت تنظر مباشرة إلى عيون مرام، طأطأت مرام رأسها، بعد فترة وقالت: "عدنا لنقطة البداية" قالت الجدة: "أبداً، لم نعد إلى البداية على الإطلاق، كان يجب على هذه الأمور أن تحدث وأنا سعيدة أنك لست حزينة عليها" نظرت مرام إلى الجدة فمدت الجدة يدها قائلة: "أنت تعلمين بالضبط أين هي سعادتك، أنت قلقة ألا ينهض واصل مجدداً" لم تقل مرام شيئاً، بل لا تصدق كيف تستطيع الجدة قول شيء كهذا، ولكن الجدة تابعت قائلة: "أنت لا تساعدينه في شيء" نظرت مرام إلى الجدة التي باتت تتحدث بجدية تامة، فقالت مرام: "ماذا عساي أن أفعل؟" قالت الجدة: "كنت الأفضل عندما نقلته إلى المشفى بأسرع وقت، أما الآن فأرى الجميع يساعدونه أكثر منك" قالت مرام منزعجة: "ماذا عساي أن أفعل؟" قالت الجدة ببساطة: "عليك أن تثقي بالله ثم تثقي بواصل" جفلت مرام، فقالت الجدة: "عليك أن تثقي أنه قادر على تفادي المشكلة، هذا أقل ما يجب

أن تفعلي ولم تفعلي منه شيئاً على الإطلاق" ظلت مرام على حالها تقلب ما قالته الجدة في رأسها، إنها قلقة دوماً ألا ينهض، إنها خائفة أنه قد مات إلى الأبد، هذا كل ما كانت تفكر فيه، ولكنها لم تفكر لحظة أنه سينهض، كان يجب أن تفكر بإيجابية قدر الإمكان.

قالت الجدة: "تعالي نتناول شيئاً بارداً معاً، كفاح ومصعب أيضاً بحاجة للمساعدة" قالت مرام: "أظن أنني قادرة على فعل الكثير لهما" أشارت الجدة بالإيجاب فأمسكت مرام بيدها ونهضت من الفراش لتنزل إلى الجميع في الأسفل بابتسامة حلمت شادن أن تراها منذ أيام، حتى كفاح ومصعب شعرا بشيء غريب، هناك أخبار سارة في الطريق بكل تأكيد.

نظرت مرام إلى كفاح ومصعب وقالت: "لماذا أنتما نحيلان هكذا؟ ألا تطعمكما أمي شيئاً شهياً؟" لم يقل كفاح ومصعب أي شيء فقالت مرام: "هل تحبان أن أصنع لكما شيئاً من الحلوى؟" قفز مصعب بسرعة قائلا: "أريد حلوى!" ضحكت مرام قائلة: "ولكن عليكما أن تساعداني" قال كفاح: "بكل تأكيد" قالت مرام: "إذن هيا إلى المطبخ، سأعلمكما كيف تصنعان حلوى لذيذة" فرح كفاح ومصعب كثيراً بذلك، ربما كانت فرحة شادن أكبر بتحسن مرام، لم تعرف كيف فعلت الجدة كل ذلك، ولكن كل ما تعرفه أنها مدينة لها بالكثير.

★★★

رند كانت ماتزال منزعجة على فقدان الهاتف، كانت تجلس في غرفتها على الفراش بينما بدأ كرم بترتيب أمتعته في غرفته.

سمعت رند طرقاً على النافذة، نظرت فإذا به سجال.

لم تعرف بالضبط بم أحست، كانت سعيدة برؤيته وفي الوقت نفسه أضاعت هديته الثمينة لها فبأي وجه ستواجهه؟

فتحت رند النافذة ودخل سجال بهدوء. كان من الواضح أن سجالاً كان سعيداً ورندَ كانت حزينة، قالت رند: "يجب أن لا تعتاد على الدخول من النافذة" قال سجال: "آسف، أردت فقط أن أراك" قالت رند: "تستطيع رؤيتي إذا دخلت من الباب" حدق سجال بها وقال: "ما الذي جرى؟" قالت رند: "لا شيء" جلس سجال على الفراش إلى جانبها وقال: "هل أنت حزينة على ما حدث لواصل؟" قالت رند: "أنا حزينة على ما يحدث لكرم" كان من المتوقع أن يكون كرم في أسوأ حال، ولكن لم يكن هذا الأمر الذي يحزن رندَ الآن. فتح سجال فمه ليخفف عن رند ولكنها قالت بسرعة: "كلا، أنا حزينة لأنني أضعت الهاتف الذي أهديته لي" اندهش سجال، لم يتوقع شيئاً كهذا، بل إنه موضوع جديد بعيد عن كل ما كان يفكر فيه منذ أيام.

سكت سجال فشعرت رند بالحزن أكثر، قالت: "آسفة لذلك، أعلم أنه كان ثميناً جداً، حتى فرح لم يكن معها هاتف مثله، كم كنت مهملة" ابتسم سجال حيث حملت رند الموضوع أكثر مما يحتمل فقال: "لا بأس، إنه مجرد هاتف" قالت رند: "إنه هدية منك" فرح سجال بما يسمع ولكنه قال: "لقد كان مميزاً عندما كان معك" سكتت رند فقال سجال: "عندما يصبح مع أي شخص آخر يعود مجرد هاتف" هدأت رند قليلاً فقال سجال: "أعدك أن أحضر لك واحداً آخر" نظرت رند إليه وقالت: "لقد كان ثميناً" قال سجال: "ليس مهماً، قد لا أستطيع شراء واحد مثله الآن، ولكنني سأفعل عندما أستطيع ذلك، أعدك" شعرت رند أن سجالاً لم يكن منزعجاً فعلاً لما جرى، لقد أخذ

الأمر ببساطة كبيرة، هذا أراح رندَ كثيراً، عندها قال سجال: "ليس جميلاً أن يسرق أحدهم شيئاً ثميناً لديك" جفلت رند، فهي تعلم أنها كانت تسرق من الكثيرين أغلى ما يملكون، وسجال يعلم ذلك. نظر سجال إليها مبتسماً ووقف قائلاً: "عليّ المغادرة قبل أن يشعر كرم بوجودي" قالت رند: "تستطيع الدخول من الباب في المرة القادمة" ابتسم سجال قائلاً: "لم أرد أن أسبب لك المشاكل".

خرج سجال من النافذة كما دخل، ونظر إلى رند قائلاً: "دعك من أمر الهاتف، أحب أن تكوني مبتهجة" ابتسمت رند بصعوبة لسجال ثم غادر.

في هذه اللحظة دخل كرم الغرفة وقال لرند: "سأغادر" قالت رند: "إلى أين؟" قال كرم: "سأزور فرح" لم يكن كرم على مايرام بعد، كان الحزن بادياً على وجهه أكثر من أي وقت آخر، ولكن رندَ لم تستطع قول ذلك أو حتى منعه من الذهاب، كان عليه أن يزورها بكل تأكيد.

غادر كرم المنزل متجهاً إلى منزل فرح.

★★★

فرح كانت تجلس وحدها في الغرفة تحدق بأشرطة مباريات كرم التي سجلتها ونثرتها على الفراش أمامها. دخلت أمها الغرفة ونظرت إليها قائلة: "لقد فاز في المبارزة أليس كذلك؟" قالت فرح: "أجل" اقتربت الأم منها قائلة: "إذن لماذا أراك حزينة؟" لم تقل فرح شيئاً، فجلست الأم على الفراش قائلة: "يجب أن تباركي له بابتسامة" قالت فرح: "إذا كان سيعود بابتسامة" قالت الأم: "لماذا كل هذا التشاؤم؟"

نظرت فرح في عيون والدتها قائلة: "كرم شارك في المباريات من أجل واصل، إذا لم ينهض فلا معنى لكل ذلك" قالت الأم: "سيكون كل شيء على مايرام إن شاء الله، لا تقلقي هكذا" قالت فرح: "أنت لا تفهمين ما يعني واصل بالنسبة لكرم، إنه أهم مني بكثير" ربّتت الأم على فرح قائلة: "لا تقولي ذلك، أنت ولا شك مميزة لدى كرم" قالت فرح: "أنا لم أكن إلى جانبه منذ الصغر، أنا لم أعش معه طول العمر، أنا لم أساعده عندما كان وحيداً واحتاج لأكبر مساعدة، أنا لم أتبنه ولم أعتن به، حتى أنني لم أكن وقت تخرجه وفي أسعد لحظاته، ماذا أكون بالنسبة لواصل؟" عانقت الأم فرح قائلة: "لا تقاس الأمور هكذا، لكل منكما دور في حياة كرم وهو دور مختلف، ثم لقد بدأ دورك للتو، لا يمكن أن تحملي نفسك مسؤولية ما جرى" قالت فرح بحزن: "من حقه أن يكون حزيناً، ليتني أستطيع أن أفعل له شيئاً في مثل هذا الوقت" رفعت الأم رأس فرح تنظر إليها وقالت بحزم: "أنت زوجته وعليك أن تخففي عنه" لم تقل فرح شيئاً فهي قلّما تسمع والدتها تقول شيئاً كهذا، قالت الأم: "إذا لم تقف الزوجة إلى جانب زوجها في الشدة فمتى سيكون ذلك؟" قالت فرح: "ماذا أفعل؟" قالت الأم: "ما تفعله الزوجة الصالحة" لم تعرف فرح ماذا ستفعل بعد، هذا كان أصعب سؤال يمر عليها في الحياة، ولكنها لم تكد تفكر حتى رن الجرس ووصل كرم.

نهضت فرح بسرعة مرتبكة فقالت الأم: "اهدئي واستبدلي ثيابك بشيء يبعث الراحة في نفسه" توقفت فرح فجأة تنظر إلى والدتها، إنها ماتزال تتحدث عما يجب أن تفعله فرح بكل جدية، وربما تحاول أن توصلها لأول نقطة. هدأت فرح وأشارت بالإيجاب وخرجت الأم لاستقبال كرم ريثما تستبدل فرح ثيابها.

اختارت فرح ثوباً بسيطاً وجميلاً، كانت تعلم أن كرماً سيكون حزيناً على واصل، عليها ألا ترتدي شيئاً يظهر أنها لا تحس بحزنه. فردت شعرها الناعم ونزلت بسرعة لكي لا تتأخر عليه.

كانت أم فرح تتحدث إلى كرم، لا يبدو أنه حديث مهم، كان من الواضح أن أم فرح تنتظر فقط قدومها.

نزلت فرح، فاستأذنت أمها وتركتهما معاً.

جلست فرح إلى جانب كرم مباشرة فقال: "آسف على التأخير" ابتسمت فرح قائلة: "كان عليك في البداية أن تقول (تبدين جميلة)" ابتسم كرم قائلاً: "هل علي أن أكرر ذلك كل مرة؟ أنت تعلمين أنك جميلة دوماً" قالت فرح: "مع ذلك عليكِ أن تقولها كل مرة لأنها تبدو جديدة في كل مرة" ابتسم كرم قائلاً: "تبدين أجمل من كل مرة" ابتسمت فرح قائلة: "هكذا أفضل" سكت الاثنان فجأة، لم يكن من الجيد أن يحدث ذلك، شعرت فرح أن الوضع سيء فقالت على الفور: "مبارك المركز الأول" قال كرم: "هل شاهدت المباريات؟" قالت: "وسجلتها جميعها، لقد كنت مدهشاً" قال كرم: "شكراً" هدأ ثانية ثم قال كرم: "آسف أنني لم أُحضر الكأس معي، لقد تركته عند واصل" قالت فرح: "كيف حاله؟" قال كرم: "على حاله" لم تدر فرح ما تقول أو تسأل، كانت تشعر أن أي سؤال عن حالته سيكون فظاً بالنسبة لكرم، قال كرم: "آسف لإقحامك بمثل هذه المشاكل" قالت فرح: "لا تقل ذلك، أنا معك" قال كرم: "كنت أريدك أن تكوني الأسعد، لا أظن أنني قادر على فعل الكثير في هذه الظروف" أمسكت فرح يد كرم وقالت: "ليس من المفترض أن تفكر هكذا لوحدك، من المفترض أن أسعدك أيضاً، من المفترض أن أقف إلى جانبك دوماً خاصة في الشدائد"

ابتسم كرم قائلاً: "حدث هذا مبكراً جداً، أعلم أنه صعب عليك" أشارت فرح بالنفي وقالت: "ما كان عليك أن تحمل كل شيء وحدك، لا تظن أنك بمفردك يا كرم" لم يقل كرم شيئاً فقالت فرح: "لقد اتخذت قراراً بالسفر لكي تحاول فعل شيء لواصل، بينما تبتعد عني ظاناً أنك ستبعد المشاكل بابتعادك" قال كرم: "لم أكن أريد أن أظل حزيناً أمامك" قالت فرح: "بل كان عليك أن تفعل!" سكت كرم فقالت فرحٍ: "لكي أطبطب عليك وأمسح دموعك، هذا أقل ما أفعل" ابتسم كرم قائلا: "يبدو أنني كنت أفكر بأنانية" قالت فرح: "بل كنت تحمل نفسك كامل المسؤولية، لا تقل لي أنك تحمِّل نفسك السبب فيما جرى لواصل" سكت كرم وأدار وجهه لا يريد النظر في عيون فرح، قالت فرح: "لا أصدق ذلك! لماذا؟ أنت لم تقد السيارة التي كانت في الحادث ولم تكن فيها أصلاً" قال كرم منزعجاً: "ولكنه كان عندي قبل أن يعود إلى منزله" قالت فرح: "وماذا في ذلك؟" قال كرم: "ما كان علي أن أتركه يغادر المنزل وحده، كان علي أن أصر على أن أوصله بسيارتي، كان هذا غباء مني" بدأت عيون كرم تدمع، فرح أدارت وجهه لينظر إليها وقالت: "إنه ليس ذنبك، كم مرة غادر واصل منزلك مشياً ولم يحدث شيء؟" قال كرم: "هذه المرة مختلفة، لقد كنت أعلم... أنه يجب أن لا يسير وحده في الطريق" نزلت الدمعة من عين كرم فقال ثانية: "كنت أعلم أنه لا يستطيع..." أمسكت فرح ذراع كرم وقربته منها ووضعت رأسه على كتفها ليبكي كما يشاء، ولكنها قالت: "يجب أن لا تفكر هكذا" ظل كرم يبكي على كتف فرح التي قالت: "ما حدث كان سيحدث مهما فعلت، أنت تؤمن بذلك"



لم يستطع كرم قول أي شيء فقالت فرح: "الله يقدر الأمور، قد يكون علينا الأخذ بالأسباب ولكننا لا نستطيع تغيير ما كتب الله" ربتت فرح على شعر كرم ثم قالت: "كنتَ تريد أن توصله بسيارتك، لكان الحادث نفسه قد حدث ونجوت أنت وأصيب واصل كما حدث تماماً" رفع كرم رأسه عن ذراع فرح فأخرجت منديلها ومسحت دموعه قائلة: "يجب أن لا تحمل نفسك المسؤولية، فواصل لن يحمِّلك إياها" هدأ كرم بعد فترة فقالت فرح: "هل تحب أن أحضر لك شيئاً تشربه، لن أطلب ذلك من الطاهي، لقد تعلمت كيف أصنع عصيراً لذيذاً" ابتسم كرم قائلاً: "سيكون ذلك لطيفاً" نهضت فرح ممسكة بيد كرم لينهض معها قائلة: "تعال معي إلى المطبخ، قد يأخذ تحضيره وقتاً".

فعلاً ذهب كرم مع فرح إلى المطبخ، كانت هذه أول مرة يرى فيها كرم مطبخ المنزل، إنه كبير جداً وجميل أيضاً! قال كرم: "ألا يطهو

الطاهي هنا؟" قالت فرح: "كلا، هـذا المطـبخ لا يدخلـه علـى الإطـلاق، لديه مطبخه الخاص" قال: "لماذا كل هذا؟" قالت فرح بكل بساطة: "هنا نحضر الأشياء البسيطة بسرعة، غالباً ما تعمل هنا المنظفـة أيضـاً، أمـا الطهو فهو في المطبخ الخلفي لأن رائحة الطعام ستعم المنزل إذا ما طهي هنا" شعر كرم بسخافة لما يسمع، ولكنه كان يعلم أن فرح تعلم أن لديه مطبخاً وأحداً في المنزل.

أجلست فرح كرماً وبـدأت تعـد العصـير، أخرجـت فواكـه كـثيرة، موزاً وبرتقالاً وفراولة ومنجا، كان مـن الواضـح أنهـا سـتخلطهم معـاً. أخرجت الخلاط وبدأت تقشر الفواكه. قال كرم: "لا أصدق أنـك تفعلـين هـذا لأول مـرة" قالـت فـرح: "حقـاً! هـل أبـدو مـاهرة في ذلـك؟" قـال كرم: "أفعل ذلك كل يوم، أكاد لا أصـدق أنـك لم تفعلـي شـيئاً كهـذا في حياتك!" فهمت فرح أنه ليس مديحاً علـى الإطـلاق فقالـت: "عليـك أن تصمت وإلا لن تحصل على كوب على الإطلاق" ضحك كرم قـائلاً: "علـي فعلاً أن أجرب هذا" قالت فرح: "سيكون لذيذاً، اصبر فقط" قشرت فرح الموز ووضعته في الخلاط ورمت قشره في الحاوية، أزالـت ورق الفراولـة قبـل أن تضـعه أيضـاً في الخـلاط، ثـم قطعـت المانجـا وأزالـت بـذرتها ووضعته بقشره في الخلاط، كان كرم يراقب كـل مـا تفعـل، كـان يبـدو عليها أنها تحضر قنبلة لا عصيراً، الوضع ليس بهذه الصعوبة. عندها قطعت البرتقالة قطعاً وهمت بوضعها في الخـلاط فـنهض كـرم بسـرعة قبل أن تفعل فقالت: "مـا الأمـر؟" قـال كـرم: "أسـتطيع أن أسـتوعب أن تضـعي المانجـا بقشـره، أمـا البرتقـال!" حمـل الطبـق مـن يـدها قـائلاً: "فعليـك تقشـيره" قالـت فـرح: "لم يـذكر الكتـاب ذلـك" قـال كرم: "لأنه أمر بديهي" قالت فرح: "لقد فعلتُ ذلك من قبل!" بدأ كـرم

يقشر البرتقالة قائلاً: "ومن شربه؟" قالت فرح: "لا أحد، لم يكن هناك أحد في المنزل" ناول كرم فرح قطع البرتقال المقشرة وقال: "هذا من حسن حظهم" أخذت فرح الطبق وأضافته للخلطة في الخلاط وقالت: "لا تسخر مني، أنا أتعلم" جلس كرم مكانه ثانية يفكر، يبدو أنه سيظل يطهو بنفسه طول حياته.

أضافت فرح السكر وعصيراً لم يميزه كرم -تمنى أن يكون شيئاً طبيعياً- إلى الخلاط وشغلته ليخلط كل شيء معاً.

بذلك أنهت فرح تحضير العصير، سكبت كوباً لكرم فنظر إليها قائلاً: "ألا تشربين؟" قالت فرح: "هل تمزح؟ لن أجرب ذلك على نفسي" قال كرم: "ماذا تقصدين؟" قالت: "اشرب فقط، سأشرب بعدك إذا كان لذيذاً" نظر كرم إلى الكوب وقال: "لا أصدق أنك تفعلين ذلك بي!" قالت فرح: "لستَ مضطراً لإجبار نفسك على شربه" نظر كرم إلى فرح التي استدارت لتضع الخلاط في المجلى، شعر كرم أن فرح تريده أن يثق بها ولو قليلاً، شعر أن عليه فعلاً أن يشرب منه، أمسك الكوب وحدق فيه مفكراً "لقد رأيت كل ما فعلت، لماذا أنا قلق هكذا؟" قرب الكوب من فمه "لقد وضعت عصيراً في النهاية لا أدري ما هو، هل كان علي أن أسأل؟" ولكنه وضع فمه على الكوب وشرب. فرح نظرت إليه وهو يشرب، كان كل شيء على مايرام، وضع الكوب على الطاولة وقال: "إنه شهي" ابتهجت فرح كثيراً لذلك وأخرجت كوباً آخر وسكبت لتشرب هي الأخرى. جلست مقابل كرم وشربا العصير معاً.

نهض كرم بعد أن أنهى كوبه ليغادر، نهضت فرح أيضاً قائلة: "مايزال الوقت مبكراً" ولكن كرماً لم يقل شيئاً، بل اقترب منها بهدوء، وقف أمامها مباشرة وأمسك يديها، شعرت فرح أنها تحس

بنبضات قلبه مباشرة، عندها قبّل خدها بهدوء وقال: "شكراً" احمرت وجنتا فرح لما جرى، طأطأت رأسها قائلة: "أهلاً بك".



خرجا من المطبخ فقابلا والد فرح، قال: "أهلاً بك، مبارك" قال كرم: "شكراً لك" قال الأب: "أتوقع أن تعود إلى العمل في الأسبوع القادم" قالت فرح: "أبي!" ولكن كرماً قال: "بكل تأكيد" قال الأب: "أراك لاحقاً" وصعد إلى غرفته، فرح كانت منزعجة جداً لما جرى فقالت لكرم: "آسفة" قالت كرم: "لا عليك، لقد مللت البقاء دون عمل، يجب أن أقضي وقتي في شيء مفيد" لم تقل فرح شيئاً فقال كرم: "سيكون كل شيء على مايرام" قالت فرح: "اعتن بنفسك".

غادر كرم المنزل، فرح كانت سعيدة أنه غادر أفضل حالاً مما أتى، ولكنها كانت ماتزال منزعجة من تصرف والدها، كان عليه أن يناقشها في الأمر لا أن يضعها في الأمر الواقع.

★★★

لمياء باتت في حالة أسوأ خاصة بعد أن رأت كرماً يبكي على واصل.

جلست إلى جانبه في غرفته تراقبه، تارة تبكي وتارة تحدق فيه وفي الكأس الذي تركه كرم على الطاولة إلى جانبه.

مراد أيضاً بات لا يعرف ما يفعل، الوضع يزداد سوءاً، لمياء في عالم آخر.

دخل مراد الغرفة حيث واصل ولمياء ليطلب من لمياء أن تستريح قليلاً، ولكنها ظلت جالسة قرب واصل فقال: "لمياء، يجب أن تكوني قوية" قالت ولم تفارق عيناها وجه واصل: "إنه كل شيء بالنسبة لي، هو الوحيد الذي كان إلى جانبي دوماً" جثا مراد ينظر إلى لمياء لعلها تنظر إليه وقال: "سيكون بخير بإذن الله" ولكنها تابعت وكأنها لم تسمعه أو حتى تراه: "إنه الوحيد الذي كان إلى جانبي، كان دائماً

يدير المنزل معي" سكت مراد مدركاً أنـه كـان دائمـاً في الخـارج بينمـا تحمل واصل كل مسؤولياته في المنزل، قال: "آسف لذلك، أعـدك ألا..." ولكن لمياء بدأت تدمع وهي تنظر إلى واصـل وقالـت: "كـان دائمـاً يفكـر بي، كان دائماً يعلم كم أنا بحاجة إليه" بات مراد لا يعرف ما يقـول، إنـه بـالطبع يغيـب طـويلاً ولا يسـتطيع أن ينكـر ذلـك، مسحت لميـاء دموعها ثم قبّلت جبين واصل ووقفت لتغادر الغرفة.

خرج مراد معها لا يدري ماذا يقول أو كيف يدافع عن نفسه، فهـو يعلم تماماً أن واصلاً كان نائبه في المنزل دوماً. عاودت لميـاء الجلـوس في الغرفة الزجاجية ووقف مراد إلى جانبها وقال: "أنا آسـف، لقـد غبـت عنـك طـويلاً وحملتـك الكـثير مـن المسـؤوليات ممـا جعلـك مضـطرة لمشاطرتها واصلاً. أنا مدين أيضـاً باعتـذار لـه ولكفـاح ومصـعب أيضـاً" ابتسمت لمياء وقالت: "ربما سيسعد كفاح ومصعب بـذلك، ولكـن واصـلاً اعتاد على مساعدتي، إنه يعلم أنني بحاجة إليـه وأظنـه يحـب ذلـك" نظر مراد إلى واصل من خلال الزجاج حيث بـات يشـعر أنـه لا يعرفـه جيداً. خرج من الغرفة الزجاجية في أسوأ حال، يشعر بالندم والفشل، يشعر أنه فعلاً لم يحقـق الكـثير لعائلتـه، كـان يشـعر دائمـاً أنهـم في أحسن حال بينما كانوا دائماً في أمس الحاجة إليه.

★★★

كفاح ومصعب كانا مسرورين بمسـاعدة مـرام لصـنع الحلـوى، قلبـا المطبخ رأساً على عقب، كـل الأطبـاق في الخـارج، الكـثير مـن الطحـين والكاكاو سقط على الأرض، وهناك الكثير من الأوانـي تنتظـر الغسـل، ومع ذلك كانت مرام سعيدة أنهما مسروران بمساعدتها.

ناول كفاح مرام قطع الحلوى ثم قال: "مرام، من كان ذلك الشاب؟" قالت ببساطة: "أتقصد مازناً؟ إنه طبيب يعمل في نفس المشفى الذي أعمل فيه... أو كنت أعمل فيه" قال: "لماذا كان هنا؟" قالت: "طلب مني العودة إلى العمل" سكت كفاح، شعرت مرام أنه علم أن مازناً كان خطيبها ولكنها لم تكن تريد أن تتحدث في الأمر، عندها قال كفاح: "واصل لم يمت أليس كذلك؟" تركت مرام كل ما بين يديها ونظرت إلى كفاح ثم قالت: "بالطبع لا، إنه بخير" قال كفاح: "إذن لماذا؟" شعرت مرام أن كفاحاً ذهب بتفكيره بعيداً فقالت: "واصل سيكون بخير، ومازن لن يحضر إلى هذا المنزل مجدداً" قال كفاح منزعجاً: "أنا لست طفلاً، أنا أعلم أن واصلاً يريد الزواج بك، وأعلم أن هذا الشاب هو خطيبك" هزت مرام رأسها قائلة: "ليس خطيبي، ليس هناك شيء بيننا اطمئن" سكت كفاح، لا يبدو أنه مرتاح بعد، فابتسمت مرام قائلة: "هل تريدني فعلاً أن أكون زوجة واصل؟" نظر كفاح إلى مرام وقال: "كنت أظن أن الجميع يريد ذلك بشكل واضح" اقتربت مرام من كفاح أكثر وسألته بصوت منخفض وقالت: "هل يريد واصل ذلك فعلاً؟" قال كفاح: "بكل تأكيد" عندها رن جرس المنزل، تابعت مرام العمل في الحلوى بينما فتحت شادن الباب ثم نادت كفاحاً.

نظر كفاح إلى الباب فإذا به ساري! تفاجأ كفاح به ووقف معه في ساحة المنزل.

قال ساري: "أنا سعيد أنك خرجت" قال كفاح مستاء: "أنا سعيد أنك أتيت، أين كنت؟" قال ساري: "في الغابة" قال كفاح: "لماذا لم تحضر إلى هنا؟" لم يقل ساري شيئاً فقال كفاح: "لقد كنت بحاجة إليك" نظر ساري إلى كفاح ثم عاود النظر إلى الأرض فقال كفاح: "ما الأمر؟" قال

ساري: "لا شيء" نظر كفاح في وجه ساري قائلاً: "قل ما لديك" قال ساري: "ليس لدي ما أقول، ليس هناك عذر مناسب أقدمه لك" أبعد كفاح وجهه عن وجه ساري ثم قال: "لستُ أريد عذراً، أريد الحقيقة" لم يقل ساري شيئاً، فقال كفاح بسرعة: "قل ما لديك أياً كان" قال ساري بسرعة منزعجاً: "لم أكن أريد أن أراك تبكي على واصل، هذا كل ما في الأمر" سكت كفاح قليلاً كان يعلم أن هذه هي الحقيقة فعلاً، ومازال ساري على عناده بشأن واصل. قال كفاح: "أمازلت تفكر بهذه الطريقة؟" أبعد ساري رأسه قائلاً: "لا أستطيع ألا أفكر هكذا" تنهد كفاح ثم قال: "على العموم لقد هدأتُ الآن، كنتُ فعلاً أتمنى أن أرى أحدهم إلى جانبي في تلك اللحظات، ولكنني كنت وحيداً، بل كان علي أن أكون إلى جانب مصعب" قال ساري: "أنا آسف" تنهد كفاح ثانية وقال: "هل تحب أن تدخل؟" قال ساري: "ألا تحب أن تخرج؟" سكت كفاح قليلاً ثم قال: "لا رغبة لدي في اللعب بعد" قال ساري: "سنذهب إلى مطعم، أو إلى الحديقة" قال كفاح: "بشرط أن آخذ مصعباً معنا" قال ساري: "لا فرق" وافق كفاح مع أنه مايزال منزعجاً مما قاله ساري، دخل إلى المنزل واستأذن شادن بالخروج مع مصعب فوافقت، أخيراً يستطيعان الترويح عن نفسيهما قليلاً.

ذهبوا إلى حديقة صغيرة ليلعب مصعب بالأرجوحة بينما يتحدثان قليلاً. قال كفاح: "أكاد لا أصدق ما يجري، لطالما كان قوياً، كان دائماً فوق الجميع، أكاد لا أصدق أنه في المشفى" لم يقل ساري شيئاً فقال كفاح: "أما تزال مصراً على موقفك؟" قال ساري: "وضعي مختلف تماماً، لا تفكر في أمري" تنهد كفاح وقال: "لقد اشتقت لوالدتي، أتمنى أن تكون بخير" قال ساري: "إنها بخير" نظر كفاح إلى ساري

وقال: "هل تعلم، لقد بتَّ مزعجاً جداً" قال ساري: "لذلك لم أحضر إليك قبل الآن، كنت أعلم أنني لست من يستطيع المساعدة" قال كفاح: "فمن إذن؟" قال ساري: "أنت من يجب أن يفكر بذلك لا أنا" قال كفاح: "وقد كنت أفكر طول الوقت أنك من يستطيع مساعدتي" نظر ساري إلى كفاح الذي بات منزعجاً جداً، قال ساري: "آسف" قال كفاح منزعجاً: "لم أخرج معك لأسمع شيئاً كهذا، لقد انتظرت قدومك بفارغ الصبر" لم يجد ساري رداً مناسباً يمكن أن يخفف عن كفاح فصمت، كفاح نظر إلى مصعب وقال: "لقد كنت مسؤولاً عنه طول الوقت، فمن كان المسؤول عني؟ لقد كنت بحاجة إلى المساعدة فلم ألقها من أحد! ألم أكن إلى جانبك في أسوأ الظروف؟" قال ساري بلهجة مستسلمة: "بلى" قال كفاح منزعجاً: "فما بالك الآن؟ أنا لم أرك هكذا من قبل أبداً" جلس ساري على الأرض وضم نفسه ثم قال: "أنا بين أكثر من أحب على وجه هذه الأرض وبين أكثر من أكره" حدق كفاح به ثم تابع ساري قائلاً: "لم أكن في مثل هذا الموقف من قبل في حياتي، أعلم أنني فشلت ولكن... أنا لا أعرف فعلاً ماذا أفعل" قال كفاح: "على الأقل انس كرهك لواصل" قال ساري: "لا أستطيع" جلس كفاح إلى جانبه بسرعة قائلاً: "إلى متى ستظل تلوم أخي هكذا؟" ظل ساري صامتاً فقال كفاح: "هذا كثير! وكأن واصل قد قتل شخصاً عزيزاً عليك"



قال ساري: "لقد قتلني أنـا" قـال كفـاح: "أنـت علـى أحسـن مـايرام عندما تريد ذلك" نظر ساري إلى كفاح فقال كفاح: "لا تدع هـذه الأفكـار تسيطر عليك، لقد كنتَ سعيداً جداً في الشهر الماضي حيـث كنـا نلعـب كل يوم، أنت شخص موهوب ورائع في كل شيء فماذا ينقصك؟" ابتسـم ساري ساخراً وقال: "الكثير" نهض، فقال كفاح: "هذا غير صحيح" قال سـاري: "لا أفضـل أن أدخـل في مثـل هـذه التفاصـيل" نهـض كفـاح قائلاً: "إذن ما كان عليك أن تأتي من الأساس" نظر ساري إلى كفاح فقال كفـاح: "سـأعود إلى المنـزل مـع مصـعب، سـتقلق الخالـة شـادن إذا مـا تأخرنا" قال ساري قلقاً: "لم أكـن أريـد للقائنـا أن ينتهـي هكـذا" قـال كفاح: "فماذا تريد إذن؟" صمتا قليلاً ثـم ابتسـم كفـاح قـائلاً: "لا أصـدق أنني من بات يسأل عما تريد، مـن المفـترض أن تسـاعدني أنـت" طأطـأ ساري رأسه فقال كفاح: "عندما تكف عن التفكير بـالكره، تسـتطيع أن

تراني، سأكون دائماً في منزل شادن إلى أن يعود واصل" أنزل كفاح مصعباً عن الأرجوحة وأخذه إلى المنزل بينما ظل ساري في الحديقة وجثا على الأرض ثانية يكاد يبكي.

مصعب كان يسير ممسكاً يد كفاح، لم ينطق كفاح بكلمة معه فقال مصعب: "هل هو شخص سيء؟" نظر كفاح إلى مصعب وابتسم قائلاً: "أبداً، إنه صديقي" قال مصعب: "فلماذا أنت منزعج؟" توقف كفاح عن السير وقال: "هل تحب أن أشتري لك شيئاً؟" فرح مصعب بذلك وأشار بالإيجاب فوراً.

اشترى كفاح مثلجات لمصعب ثم سار به عائداً إلى المنزل. انشغل مصعب بالمثلجات وكف عن أسئلته لكفاح. ولكن ما إن وصلا المنزل حتى وقف كفاح ينظر إلى الباب، هناك يقف ساري، يبدو أنه ينتظرهما!

ظل كفاح ومصعب مكانهما صامتين ينظران إلى ساري الذي قال: "بعد كل ذلك، ومع كل ما جرى لا أشعر بأي كره منك" لم يقل كفاح شيئاً فتابع ساري قائلاً: "أنت لا تكره على الإطلاق! بل ربما لا تستطيع ذلك أصلاً" ظل كفاح صامتاً بينما يحدق مصعب بهما، عندها انهار ساري وجثا على ركبته وقال منزعجاً: "علّمني! علّمني كيف أنزع الكره والحقد من نفسي! أنا أكره كل شيء! كل شيء!" ترك كفاح يد مصعب واقترب من ساري وجثا على ركبته أمامه وقال مبتسماً: "تعال ندخل إلى المنزل" نظر ساري إلى كفاح الذي تابع قائلاً: "مرام أعدت حلوى لذيذة، سنتناولها معاً" أشار ساري بالإيجاب فساعده كفاح على النهوض وأدخله مع مصعب المنزل.

شادن رحبت بساري بينما سأل مصعب على الفور: "هل هناك حلوى؟" قالت شادن: "لقد أنهت مرام تحضيرها للتو" فرح كفاح

ومصعب لذلك وركضا إلى المطبخ، ساري أيضاً ركض معهما حيث كان كفاح مايزال ممسكاً بيده. ما إن فتحوا الباب حتى فاحت رائحة الحلوى الزكية، نظرت مرام إليهم قائلة: "إنها جاهزة" فرح مصعب وركض ليجلس على الطاولة ووضعت له مرام قطعة، نظر مصعب إليها مسروراً، إنه كمن يحلم! القطعة مليئة بالشوكولا وفوقها قطع الفواكه وبعض الكاراميل، ليس هناك ألذ من شيء كهذا، كفاح وساري جلسا أيضاً، وضعت لكل منهما قطعة وأعطت شادن والجدة قطعاً أيضاً.

تناول ساري القطعة بهدوء، على الأقل إنه سعيد بكونه إلى جانب كفاح، ربما خيب أمله في أنه لم يساعده، ولكنه واثق أن كفاحاً يحبه، وسيظل كذلك.

★★★

سجال جلس على الأريكة في المنزل وفتح التلفاز لعله ينشغل بشيء جميل، ولكنه فتح على الأخبار كما كان يفعل بالعادة وشاهد والد ساري في السجن يصرخ، إنه في حالة هستيرية يرثى لها! ألا يكف ساري عن فعل كل هذا؟ إنه يزيد الوضع سوءاً. أقفل سجال التلفاز وفكر "إنه لا يزيد الأمر سوءاً، إنه يفعل ما يمكن أن يبرر له تصرفات والديه معه" نهض سجال يفكر "قد لا يكون هذا شأني على الإطلاق" ثم صعد إلى غرفة الكتب ليقرأ.

في منزل شادن كان ساري يجلس مع كفاح والجميع في الصالة، كان ساري يحدق في التلفاز، نظر كفاح إليه ثم إلى التلفاز حيث مايزال والد ساري يصرخ ولا يعلم كفاح أنه فعلاً والد ساري. قال كفاح: "صراخه مزعج!" قال ساري: "إنه بريء" نظر كفاح إليه قائلاً: "كيف عرفت؟" طأطأ ساري رأسه دون أن ينطق بأية كلمة، غير كفاح المحطة إلى

الرسوم المتحركة فقالت مرام: "هل تحبون أن تشربوا شيئاً؟" وقف ساري قائلاً: "عليّ المغادرة" وقف كفاح إلى جانبه قائلاً: "إلى أين؟" قال ساري: "يجب أن أفعل ذلك، هذا ما كنتَ ستفعله أنت" لم يفهم كفاح ما قاله ساري، ولكن سارياً غادر المنزل دون أن يقول كلمة أخرى. لم يكن وضعه على مايرام، ولكن كفاحاً شعر أن سارياً يحاول إصلاح الكثير.

★★★

حل المساء، كرمٍ لم يعد مباشرة إلى المنزل، بل ذهب إلى المشفى ليرى واصلاً مجدداً، كان يتمنى في كل لحظة أن يراه قد نهض لينظر إليه، هذا الإحساس يجعل كرماً قلقاً كلما أراد الدخول إلى غرفة واصل، هل سينظر إليه أم سيكون كرم هو الوحيد الناظر؟

دخل كرم غرفة واصل بهدوء، نظر إلى الفراش فإذا به على حاله والكأس مكانه، شعر كرم بوخز كالسكاكين في صدره وبرغبة شديدة في المغادرة ولكنه لم يفعل، دخل وجلس إلى جانبه، مراد ولمياء شاهداه من خلال الغرفة الزجاجية.

ربت كرم على شعر واصل وقال له بهدوء: "لا تتأخر علي، سأظل أنتظرك طول العمر" كالعادة لم يحرك واصل ساكناً فقبّل كرم جبينه وخرج بهدوء من الغرفة بل من المشفى واتجه حيث تقوده قدماه، لقد ذهب إلى المسجد الذي كان يلتقي فيه بواصل كل فجر.

توضأ وصلى المغرب وحيداً حيث كانت الجماعة قد انتهت، لم يكن هناك الكثيرون في المسجد، كان الإمام ينظر إلى كرم يصلي وحده، كان معتاداً على رؤيته مع واصل معظم الوقت، عندها لاحظ الإمام دموعاً

على وجنتي كرم، إنه يبكي خاصة في سجوده.

كرم كان يدعو من كل قلبه أن يعود واصل سالماً إليه، فهذا كل ما يتمناه وما يشغل تفكيره. انهى صلاته ومسح دموعه ودعا مجدداً، عندها رأى الإمام يقترب منه، جلس إلى جانبه قائلاً: "خيراً إن شاء الله؟" لم يستطع كرم قول أي شيء فقال الإمام: "مر وقت ولم أركما في المسجد" قال كرم: "لقد كنتُ مسافراً" قال الإمام: "حقاً؟ للاستجمام أم للعمل؟" قال كرمٍ: "مسابقة اشتركت فيها" كان صوت كرم يوحي أن الوضع ليس مهماً على الإطلاق فقال الإمام: "وواصل؟" طأطأ كرمٍ رأسه ولم تستطع أي كلمة الخروج من فمه فقلق الإمام وقال: "خيراً؟ هل حدث له مكروه؟" قال كرم: "إنه في المشفى" لم يكن منظر كرم مطمئناً على الإطلاق فقال الإمام: "ماذا جرى؟" قال كرم: "حادث" كان هذا كل ما يستطيع كرم قوله دون أن تسقط الدموع من عينيه فقال الإمام: "وكيف حاله الآن؟" قال كرم وقد بدأت الدموع تسيل رغماً عنه: "فاقد وعيه" وضع الإمام يده على كتف كرم وقال بصوت هادئ: "لا حول ولا قوة إلا بالله" كرم تابع البكاء رغماً عنه فقال الإمام: "شفاه الله، سندعو له في كل صلاة" قال كرم: "أشعر بالعجز، أريد أن أفعل له شيئاً" قال الإمام: "هذا صحيح، فالبكاء لن يفيده" نظر كرم إلى الإمام وقال: "هل أستطيع أن أصلي عنه؟" قال الإمام متعجباً: "تصلي!" قال كرم: "إلى أن ينهض، أنا واثق أنه سينهض" ابتسم الإمام قائلاً: "كرم بني، الصلاة الدعاء، تستطيع أن تدعو له في كل لحظة" قال كرم: "هل هذا كاف؟" أطرق الإمام مفكراً ثم قال : "هل هناك الكثيرون ممن يفعلون ذلك من أجله؟" سكت كرم قليلاً، ليس هناك الكثيرون حول واصل، هذا سؤال غريب من شخص لم يزر واصلاً

على الإطلاق، ولكن إجابته واضحة، قال كرم: "كيف تعرف شيئاً كهذا؟" ابتسم الإمام قائلاً: "عندما تحيا طويلاً تتعلم كثيراً، في هذه اللحظات تظهر معادن الناس، وليس الجميع من ذهب" لم يقل كرم شيئاً فربّت الإمام عليه قائلاً: "أنت صديق حقيقي يا كرم، سيكون واصل سعيداً بك دوماً" وقف قائلاً: "لا تقل أنك لا تستطيع فعل شيء، دعواتك الصادقة شيء ثمين وأكثر ما يحتاجه واصل الآن" قال كرم: "ألا تدعو له؟" قال الإمام: "بالطبع سأفعل، ولكن شتان ما بين دعواتي ودعواتك الصافية".

هدأ كرم وعاد الإمام إلى حيث كان، وفتح كتاباً يتابع القراءة فيه. غادر كرم المسجد عائداً إلى المنزل يدعو لواصل في كل خطوة أن يعود إليه بالسلامة.

★★★

في الزنزانة كان والد ساري مايزال يهذي، وجهه أصفر ويتنفس بصعوبة، ليس من المفترض أن يكون هنا، إنه بريء! لماذا يفعل ذلك الولد كل هذا به؟

سمع صوت نقرة خفيفة، نظر من خلال قضبان الزنزانة فإذا به ساري قد ضرب الشرطي ضربة خفيفة على رأسه أفقدته وعيه. خاف والد ساري كثيراً على نفسه "سيقتلني بكل تأكيد" هذا كل ما خطر بباله، بدأ يصرخ بأعلى صوته ويضرب القضبان طالباً النجدة، ومع ذلك فإن سارياً لم يأبه بصراخه، وسار بكل هدوء ليأخذ المفاتيح ويقف أمام الزنزانة وجهاً لوجه مع والده.

ما عاد صوت الأب قادراً على المناداة أكثر، وساري مايزال هادئاً جداً، قال: "الشرطة كلهم نائمون في الأعلى، لن يستيقظوا قبل ساعات"

لم يقل الأب شيئاً، إنـه خـائف للغايـة، اقـترب سـاري مـن الزنزانـة فتراجع الأب للخلف، وضـع سـاري المفتـاح في القفـل وقـال: "لا أصـدق أنني أفعل ذلك!" نظر إلى والده الخائف جداً على حياتـه وقـال: "أعلـم أنك تستحق أسوأ من ذلك، ولكنني لا أفعل ذلك لك، ما أفعله الآن لي، ولكفاح" لم يفهم الأب شيئاً بل لم يرد أن يفهم شيئاً أصلاً، فتح سـاري باب الزنزانة وقال: "أنت حـر" لم يحـرك الأب سـاكناً خاصـة بوجـود ساري، قال ساري: "لا تصعد إلى الطابق العلـوي، الغـاز المنـوم مـايزال هناك، تسـتطيع الخـروج مـن البـاب في آخـر الممـر" نطـق الأب أخـيراً قائلاً: "لماذا تفعل ذلك؟" قال ساري: "أعلم أنك بريء" قال الأب: "كنـتَ تعلم ذلك منذ البداية ومـع ذلـك أدخلـتني السـجن، والآن تخـرجني! لستُ مديناً لك بأي شيء" هدأ ساري ثم ابتسم قائلاً: "أنت لست مـديناً لي بأي شيء في كل حياتي، اعتدت علـى ذلـك دومـاً" لم يتحـرك الأب أبداً فقال ساري: "كل ما حدث حدث وانتهى، لستُ مضطراً لفعل أكثر مما فعلت، أريد أن أنسـى كـل هـذا، إذا لم أكـن أسـتطيع أن أغفـر لـك فأريد أن أنساك إلى الأبـد" تـرك سـاري الزنـزانـة مفتوحـة وخـرج مـن السجن. لم يتحرك الأب إلى أن تأكد أن سارياً بـات في الخـارج، وفعـلاً ركض هو الآخر وخرج بسرعة.

نظر ساري إليه من بعيد يركض مذعوراً باحثاً عن طريق العـودة إلى المنزل. فكر ساري "هـذا كـاف، لا محـل لـك في قلـبي، قـد لا أحبـك، ولكنني الآن لا أكرهك، هذا وداعي إلى الأبد" وغادر إلى الغابة.

★★★

مراد كـان يجلـس إلى جانـب واصـل بينمـا تجلـس لميـاء في الغرفـة

الزجاجية، كان مراد يحدق به بعمق، لمس شعره وقال بهدوء: "هذه أول مرة أرى فيها شيئاً كهذا... الناس الذين يحبونك، يحبونك بجنون" ترك مراد شعر واصل وقال بحزن: "لقد أصبحت حياتهم لا جزءاً منها، كيف تفعل ذلك؟" واصل لم يحرك ساكناً فقال مراد بحزن: "أشعر بالخجل لقول شيء كهذا، أشعر أنني أعلم لأول مرة أنني أملك ولداً عظيماً لا أعلم عنه الكثير" صمت مراد قليلاً ثم قال: "يا ترى أين أكون من قلبك يا واصل؟" حدق مراد بواصل الذي كان على حاله، قال مراد: "أنا مدين لك بالكثير" قبل جبينه ثم نهض قائلاً: "آسف" وعاد إلى الغرفة الزجاجية إلى جانب لمياء.

★★★

في الساعة العاشرة ليلاً وعلى شاشات التلفاز عرضت صور لمركز الشرطة الذي هرب منه والد ساري، كل الحرس نيام والزنزانة فارغة، المراسلة تعلن عن هروب سجين واحد هو والد ساري المتهم بمحاولة قتل متعمد عدة مرات.

شاهد سجال الإعلان في منزل عمرو "بم يفكر ساري؟" وشاهده أيضاً كفاح في منزل شادن وتذكر سارياً وهو يخبره أن هذا الرجل كان بريئاً "هل يعقل أن سارياً هو من ساعده على الفرار؟".

أقفل سجال التلفاز ونهض ليقابل سارياً في الغابة ولكن قبل أن يخرج من الباب دخل عمرو. كان الإرهاق واضحاً عليه، بالكاد رأى سجالاً أمامه قبل أن يرتطم به، قال سجال: "مرحباً بعودتك" ابتسم عمرو له قائلاً: "شكراً، كيف كان يومك؟" مر عمرو عن سجال الذي قال: "جيد، كيف كان يومك أنت؟" صعد عمرو الدرجات وهو

يقول: "أعدت فتح العيادة، كل شيء على مايرام" غاب عمرو عن أنظار سجال في لحظة، لم يعتد سجال على ذلك، من الواضح أن عمراً ليس على مايرام، بذلك نسي سجال أمر ساري وعاد إلى غرفته لينام.

★★★

الفصل السادس والستون

في اليوم التالي ذهب كرم إلى المسجد لصلاة الفجر، دعا لواصل كثيراً ثم ذهب إلى المشفى قبل التوجه إلى العمل في الشركة، واصل كان مايزال على حاله ولمياء ومراد إلى جانبه، لا أحد يعلم إلى متى سيطول ذلك.

عاد كرم إلى العمل ورحب به الكثيرون وباركوا له الخطبة، معظمهم كان متعجباً من فرق المراكز وكيف وافق المدير، والبعض الآخر كان يلمح أن المدير سيرفع كرماً ويعطيه وظيفة أفضل في الشركة، ولكن كرماً كان أكيداً أنه ليس من النوع الذي يفعل.

★★★

عمرو أيضاً ذهب إلى عيادته، لم يعد يرى أولاده كثيراً بل ربما لم يكن يحب أن يروه في وضع غير مستقر بعد.

كانت العيادة هادئة، عمرو يجلس على المكتب يقرأ ينتظر أي مراجع، دق الباب فنظر عمرو إلى الطارق فإذا به سجال!

أشار عمرو إلى سجال بالجلوس فجلس وقال: "أردت التحدث إليك" قال عمرو: "هذا مكان عمل، تستطيع التحدث إليّ في المنزل" أشار سجال بالنفي وقال: "أردت أن أتحدث إليك كطبيب" ابتسم عمرو وقال: "إذاً فأنت تعرف المكان والزمان المناسبين لذلك" فهم سجال فوراً ما يقصده عمرو فاستأذن منه وغادر.



ساري زار كفاحاً في منزل شادن وقد بدأ حال كفاح يتحسن شيئاً فشيئاً، حتى أن مصعباً بات يلعب مسروراً.

شادن كانت سعيدة بساري كثيراً لأنه ساعد كفاحاً على الخروج من عزلته، ومرام عادت تبحث عن وظيفة جديدة ثم تعود وتجلس مع مصعب تلاعبه.

في الصالة جلس كفاح وساري يشاهدان التلفاز فقال كفاح: "ساري، هل تذكر الرجل الذي كان في السجن؟" قال ساري بسرعة: "لقد هرب" قال كفاح بحذر: "وهل كان لك يد في ذلك؟" قال ساري بسرعة وبساطة: "لقد أطلقتُ سراحه" نظر كفاح إليه وقال: "أبهذه البساطة؟" قال ساري: "إنه بريء" قال كفاح: "هل أنت واثق؟" قال ساري: "أجل، لا تقلق بشأن ذلك، لقد فعلتُ الصواب" ابتسم كفاح، هذه المرة وثق فعلاً بما يقول ساري، حتى وإن كان تصرفه متهوراً إلا أنه بات فعلاً صديقاً حميماً يثق به.

★★★

سجال غادر مكتب عمرو متجهاً إلى منزل كرم ليقابل رندَ، رن جرس الباب، هذه المرة ففتحت له رند سعيدة وقالت: "يسرني أن تدخل من الباب" قال سجال: "يجب أن نزور كفاحاً" قالت رند: "أجل، بكل تأكيد" لم تناقش رند أبداً، هي تعلم أن كفاحاً سيكون في حالة يرثى لها كما هو كرم الآن، بل تعلم أيضاً أنها قد تأخرت عليه كثيراً.

خرج سجال مع رند متجهين إلى منزل شادن حيث كفاح، دقا الباب ففتحت مرام لهما وفرحت برؤيتهما كثيراً وأدخلتهما.

سجال ورند شاهدا سارياً يجلس على الأريكة إلى جانب كفاح يشاهدان التلفاز، نهض كفاح قائلاً: "أهلاً بكما" نظر ساري إلى سجال ورند فقال سجال: "لا أصدق أنك سبقتنا لشيء كهذا" ابتسم ساري قائلاً: "لقد تأخرتما أكثر مني، هذا كل ما في الأمر" ثم نهض ليغادر فقال كفاح: "إلى أين؟ لم يمض وقت على وجودك هنا" قال ساري: "لقد حضرا الآن، المهم أنك لن تكون وحيداً" قال سجال: "لا مانع أن نكون معاً" رند نظرت إلى الجميع، إنهم يعرفون بعضهم إلا هي فقالت: "ماذا يجري هنا؟ لماذا أنا الوحيدة التي لا تعرفه؟" ابتسم ساري قائلاً: "ولكنني أعرفك، أنت أخت كرم" قالت رند: "هذا أسوأ!" قاطعت مرام الحديث عندما قالت: "هناك طعام شهي بانتظار الجميع، تفضلوا إلى المطبخ" خرج مصعب من المطبخ يحمل قطعة من الحلوى في يده قائلاً: "إنها لذيذة" ضحك الجميع لمظهره فاقتربت منه مرام قائلة: "ألم أقل لك أن تتناول طعامك قبل الحلوى؟" قال مصعب: "إنها لذيذة!" قالت مرام: "والطعام لذيذ أيضاً، هيا بنا" هكذا أدخل كفاح سارياً مع سجال ورند المطبخ لتناول الطعام.

عرّف كفاح رندَ بساري ولم يذكر شيئاً عن تأخرهما للاطمئنان عليه فقد بات أحسن حالاً بكثير خاصة أمام مائدة مليئة بأشكال متنوعة من الطعام اللذيذ.

شكر سجال ورند وساري مرام على الأطباق الشهية وبدأوا يأكلون بشهية وسعادة، كان من الغريب أن مجموعتهم باتت أربعة بشكل فجائي ولكن كان من الواضح أن الجميع لم يكن لديهم أي مانع.

★★★

مضى الوقت وكل شيء على حاله، لم يمر أحد على عيادة عمرو. أصبحت الساعة الخامسة إلا ربعاً فأغلق العيادة وخرج إلى النهر.

سجال كان يجلس هناك ينتظر عمراً في الموعد، وصل عمرو يحمل معه رقائق البطاطا ليتناولها مع سجال.

جلس عمرو إلى جانب سجال وبدآ الأكل إلى أن قال سجال: "لقد أصبحنا أصدقاء" نظر عمرو إلى سجال الذي تابع قائلاً: "أنا وساري" قال عمرو مندهشاً: "حقاً! كيف حدث ذلك؟" قال سجال: "هو من بدأ ذلك، هل تظن أن هذا أمر جيد؟" قال عمرو: "طالما هو جاد في ذلك فهذا جيد بكل تأكيد". سكت الاثنان ينظران إلى النهر، مر زمن لم يلتقيا هنا، بعد الصمت قال سجال: "لقد توقعتُ أن تلومني لأنني لم أذهب إلى الآثار وأواجه الماضي" قال عمرو: "بل كنتُ سعيداً أنك اقترحت ألا نذهب" نظر سجال إليه وقال: "أيجب أن لا أكون قوياً؟ أيجب أن لا أقف أمام الصعاب؟" قال عمرو ببساطة: "لست مضطراً لمواجهة ما تستطيع تفاديه، سيكون ذلك غباءً" سكت سجال قليلاً ثم قال: "كان بإمكانك ألا تستقبلني في المنزل منذ البداية، ألا تظن أنك فعلت ما لم تكن مضطراً له؟" تفاجأ عمرو مما قاله سجال، إنه فعلاً يقصد أنه جلب الكثير من المتاعب إليهم، ابتسم عمرو وقال: "إنه الحب يا سجال، لا تستطيع أن تفعل شيئاً أمام الحب" سكت سجال لا يستطيع أن يقول شيئاً بعد الذي قاله عمرو، ربما مايزال لا يستطيع تخيل أن عمراً أحب سجالاً منذ النظرة الأولى ولكنه فعلاً قال له ذلك منذ البداية، الوضع غريب بالنسبة لسجال ولكنه لا يبدو غريباً بالنسبة لعمرو، إنه واثق تماماً أنه لم يخطئ فيما فعل على الرغم من كل ما جرى.

نظر عمرو إليه قائلاً: "هل نذهب إلى المنزل؟" قال سجال: "الجميع يظن أنك تغيرت، أنت مرهق وقلق" ابتسم عمرو قائلاً: "هذا لأنني مرهق وقلق، ولكن لا تقلق سيكون كل شيء على مايرام إن شاء الله" سكت سجال يلوم نفسه على كل ما جرى فقال عمرو: "ولا تلم نفسك على ذلك" كأن عمراً علم تماماً ما كان يفكر فيه سجال، وقف وقال: "هيا نعد" وقف سجال وأمسك بيد عمرو وعادا معاً إلى المنزل حيث بدأت الشمس في الغروب.

★★★

كفاح تناول العشاء مع مرام وشادن ومصعب والجدة، كان الجميع مسرورين من أجله، فقد تحسنت نفسيته كثيراً حيث كان جميع أصدقائه حوله. كفاح كان أسعد مما يتصوره الجميع حيث زادت مجموعته وأحداً، ساري الآن بات وأحداً منهم، هذا أمر لم يتصوره أحد من قبل.

★★★

وصل عمرو وسجال المنزل ولكنهما شعرا بشيء غريب، الجميع ضائج وسناء قلقة جداً، قال عمرو: "ما الذي جرى؟" قالت سناء خائفة: "لنا، إنها ليست في أي مكان" قلق عمرو وسجال لذلك فقال عمرو: "هل حدث شيء خلال اليوم؟" قالت سناء: "كلا! أظن أنها ملت فخرجت وحدها، لست أدري متى جرى ذلك، أنا قلقة" قال عمرو: "اهدئي، سنبحث في الأماكن التي تحبها" قالت سناء: "ماهر ومالك يبحثان في الخارج أيضاً" قال سجال: "سنبحث أيضاً، لا تقلقي".

فعلاً ركض عمرو وسجال كل في اتجاه للبحث عن لنا. كان الظلام قد حل والبحث عن لنا يزداد صعوبة في كل لحظة. سجال توجه إلى الغابة حيث وجدته لنا من قبل ملقى على الأرض، ربما سارت في الاتجاه نفسه.

بحث سجال قليلاً في الغابة فوجده ساري وقال: "ما الأمر؟ تبدو قلقاً" قال سجال: "هل مرت لنا من هنا؟" قال ساري: "لنا! بنت عمرو؟ كلا، لم تدخل الغابة أبداً" قال سجال: "هل أنت واثق؟" قال ساري: "ماذا تظن؟ هذه منطقتي وأعلم تماماً ما يجري فيها" عندها ركض سجال خارجاً من الغابة ليبحث في مكان آخر.

ماهر كان يبحث في الملاهي، مالك عند المتنزهات، عمرو بحث في الأسواق، سجال كان عليه أن يسير قرب الشاطئ.

لنا كانت تركب قارباً قديماً وحدها يسير في عرض البحر، القارب كان ينغمر بالماء في كل دقيقة ولنا لا تدري ماذا تفعل، إذا استمر الأمر على هذه الحال سيغرق القارب بها وسط البحر. بدأت تبكي وتصرخ لعل أحداً على الشاطئ يسمعها ولكن دون فائدة، الوقت متأخر وليس من أحد على الشاطئ.

ركض سجال يقطع الشاطئ بطوله يبحث عن لنا إلى أن وصل إلى حيث القارب، لنا شاهدت سجالاً وصرخت بأعلى صوتها ولكن القارب كان بعيداً، سجال أحس أنه سمع صوت لنا فنظر هنا وهناك ثم بدأ ينادي.

هناك قارب في عرض البحر بل لا يبدو عليه أنه قارب، لم يتبقّ منه على السطح إلا بعض القطع الخشبية التي تتمسك بها لنا، إنها لنا! شاهدها سجال في عرض البحر، قلق عليها كثيراً ماذا تفعل

هناك؟ ولكنه أسرع وقفزٍ في البحر قبل أن يغرق القارب عن آخره.

لنا كانت سعيدة جداً برؤية سجال ولكن القارب يغرق والمسافة بعيدة. غاص سجال وسبح بسرعة كبيرة إلى حيث القارب، لم تتصور لنا أن أحداً يستطيع أن يصل إليها سباحة، ولكن سجالاً فعل، وفعل بسرعة.

أخرج رأسه من الماء ليأخذ نفساً، لم يتبق الكثير، يفصله عن القارب ما يقارب العشرة أمتار. سبح إليها على السطح وبدأ يسمع صوت لنا ويراها جيداً، إنها تمد يدها إليه وتناديه: "ساعدني!" توقف سجال فجأة حيث تذكر المستقبل، فتاة ملقاة على الأرض تمد يدها إليه تطلب المساعدة، إنها على وشك الموت. صرخت لنا قائلة: "ساعدني!" تحرك سجال ثانية ووصل القارب وأمسك لنا جيداً وقال: "تمسكي بي، سنسبح إلى الشاطئ".

تمسكت لنا بسجال جيداً وسبح بها عائداً إلى الشاطئ. لنا تعلم أن أحداً لا يستطيع فعل ما فعله سجال، بل هي محظوظة جداً أنه من وجدها.

تمددت لنا على رمل الشاطئ وأخذت تتنفس بصعوبة، بينما سجال كان ينظر إليها بعيون حزينة جداً، نظرت لنا إليه وقالت: "أنا بخير" هذا جعل سجال يشعر بالحزن أكثر، تعجبت لنا لذلك فنهضت قائلة: "آسفة لما جرى" ولكن سجالاً عانقها فجأة وهو يكاد يبكي، تعجبت لنا لذلك فقال سجال: "أنا آسف... آسف".

لم تفهم لنا لم يعتذر سجال! كل ما تعرفه أنه حزين جداً لشيء غريب. بعد ذلك نظر إليها قائلاً: "الجميع قلقون، لنعد إلى المنزل" أشارت لنا بالإيجاب وحملها سجال عائداً إلى المنزل.

وصلا المنزل بثياب مبتلة، هرعت سناء إلى لنا وعانقتها قائلة: "أين كنت؟ لقد قلقنا عليك" لم تقل لنا شيئاً فقالت سناء: "لماذا كل هذه الثياب مبتلة؟" قال سجال: "لقد كنا في البحر" قلقت سناء كثيراً ولكنها قالت: "استبدل ثيابك، وأنت أيضاً يا لنا" صعد سجال يستبدل ثيابه وصعدت سناء مع لنا واستبدلت ثيابها واتصلت لينا بالجميع تعلمهم بعودة لنا سالمة إلى المنزل.

عاد ماهر ومالك وعمرو بسرعة إلى المنزل، لنا كانت تجلس على الأريكة إلى جانبها سناء وسجال ولينا. جلس عمرو بهدوء أمام لنا وقال: "أين كنت؟" قالت لنا: "في البحر" قال عمرو: "على الشاطئ؟" قال سجال: "كلا، في البحر، في قارب مهترئ" قلق الجميع لما سمعوا فقال عمرو: "لماذا فعلت ذلك يا لنا؟" قالت لنا: "لم أعرف أن القارب سيغرق" قال عمرو: "حتى وإن لم يغرق، لا تستطيعين قيادة قارب بمفردك في عرض البحر" لم تقل لنا شيئاً فقال عمرو: "لم يكن هذا سؤالي، لماذا فعلت ذلك منذ البداية؟ لماذا خرجت من المنزل وحدك؟" قالت لنا: "لألعب" قال عمرو: "الجميع يلعب معك هنا" قالت لنا: "كلا، الجميع مشغولون والوضع ممل هنا" سكت عمرو يستمع لها فقالت: "الجميع وحيدون، ولا يريدون التحدث إلى أحد، لا أحد ينظر إلي" لنا بالتأكيد كانت صادقة والجميع يعرف ذلك، تنهد عمرو قائلاً: "نعم، الحق علينا في ذلك، نحن آسفون" قالت لنا: "لا أريد أن أجعلكم حزينين، كل ما أردته أن ألعب قليلاً، هذا كل ما في الأمر" قال عمرو: "نحن لسنا حزينين، ونستطيع اللعب معك متى تشائين، ليس عليك أن تخرجي من المنزل وحدك، تستطيعين طلب ذلك من أي منا" نظر إلى الجميع قائلاً: "أليس كذلك؟" قال الجميع: "بكل تأكيد"

نظر إلى لنا وقال: "إذن لن تكرري ذلك ثانيـة، هـذا وعـد" أشـارت لنـا بالإيجاب فانفض المجلس كل ذهب إلى غرفته وتركوا عمراً وسناء ولنا وحدهم.

قالت لنا: "أبي، أردت أن أقـول لـك شـيئاً" قـال عمـرو: "مـا هـو؟" قالت: "سجال، لقد كان غريباً" قال عمرو: "كيف ذلك؟" قالت: "عنـدما ساعدني، كاد يبكي، وتأسف لي بحـرارة لسـت أدري علـى مـاذا!" لم يدر عمرو ما يقول، هذا وصف غريب ولـيس لديـه تفسـير لـه يعطيـه للنا، قالت: "أشعر أنه أخطأ خطـأ كـبيراً يعتـذر منـه، رغـم أنـه كـان الأفضل معي طـول الوقـت" ابتسـم عمـرو قـائلاً: "لقـد فكـرتِ في الأمـر جيداً" لم تقل لنا شيئاً فقال عمرو: "لا تفكـري في الأمـر، لـدى سـجال الكثير مما يفكر فيه" لم تقل لنا شيئاً فقال عمرو: "تستطيعين اللعـب" نـهضت لنا لا يبدو أن لديها رغبة في اللعب وصعدت إلى غرفتها حيـث لينا، عمرو كان يعلم أنه لم يقنع لنا بأمر سجال ولكنه أيضاً لا يعـرف ما الذي يجري فعلاً.

سجال تمدد على الفراش شاعراً بالحزن والقلـق، لقـد راودتـه تلـك الصـور مـراراً وتكـراراً، كلمـا أراد أن ينسـاها اكتشـف أنــه لا يمكـن نسيانها مهما حدث، إنـه يشـعر بـذنب شـديد ولكـن لـيس هنـاك مـا يفعله.



الفصل السابع والستون

مضت أيام والجميع على حالهم، لمياء ومراد يجلسان إلى جانب واصل طول الوقت، يمر عليهما كرم كل يوم قبل الذهاب إلى العمل وبعده، شادن تمر عليهما أحيانا لتطمئن عليهما وتحضر لهما بعض الطعام. مرام وجدت عملاً في صيدلية خاصة بالإضافة إلى عنايتها الجيدة بالجدة وكفاح ومصعب. كفاح بات أحسن حالاً حيث يخرج مع ساري وسجال ورند إلى المتنزهات والمطاعم كل فترة. أما عمرو فما يزال وضع العيادة متدهوراً ومع ذلك مايزال صابراً. سناء كانت من تدير المنزل فعلياً هذه الأيام، وحال مالك ولينا ولنا بات أحسن، ولكن ماهراً مايزال يتعرض لمضايقات في الجامعة بين الحين والآخر.

فرح في الجهة الأخرى كانت تنتظر حدوث أي شيء جديد، ماذا سيحدث إذا طال حال واصل هذا؟

خرجت مع كرم إلى أحد المطاعم، كان كرم دائم التفكير بشأن واصل، كان لابد أن تصبر وتتحمل، ولكن إلى متى؟

وأخيراً وصل الحال أقصاه ولم تستطع فرح إلا أن تسأل: "حبيبي، إلى متى سيطول ذلك؟" نظر كرم إليها حيث كان يتوقع أن تسأل هذا السؤال في أي لحظة فقالت: "لا أعني الإساءة ولكن... نحن متزوجان، يجب أن نحدد موعد الحفل لنعيش معاً طول العمر" على الأقل فرح ماتزال ترغب في البقاء إلى جانب كرم، هذا كان يخفف عنه كثيراً. قال كرم: "آسف لما يجري، أعلم أنه لا ذنب لك فيه، ولكنني لا أستطيع عمل حفل في هذه الظروف" قالت فرح: "ليس من المفترض أن

يكون حفلاً كبيراً، شيء بسيط ليعلم الناس أننا قد تزوجنا فقط" سكت كرم فقالت فرح: "ما رأيك؟" قال كرم: "يظل حفلاً" سكتت فرح، لم يعد لديها ما تقوله، مايزال سؤالها نفسه، إلى متى؟ بعد فترة قال كرم: "شهر" نظرت فرح إليه فقال: "إذا لم يتحسن الحال بعد شهر فأعدك أننا سنكون معاً في منزل واحد" سكتت فرح، على الأقل هذا جواب شاف، قالت: "هذا وعد؟" قال كرم: "مهما حدث" قالت فرح: "وأعدك ألا يكون شيئاً لا ترضى عنه" ابتسم كرم قائلاً: "شكراً" عندها نهضا ودفع كرم الحساب وأوصلها إلى المنزل، وعاد إلى منزله.

★★★

رند كانت في هذه الأثناء تتنكر بثيابها السوداء وتقف تحت شرفة غرفة واصل، تأكدت أن المكان خال وقفزت على الشرفة لتدخل، ولكنها نظرت إلى غرفة مرام في الجهة الأخرى حيث لا أحد فيها أيضاً. بالنسبة لرند كانت غرفة مرام مغرية أكثر فغيرت رأيها وقفزت على النافذة وتمسكت بها جيداً دون أن يحس أحدهم بها. كانت النافذة مفتوحة مما سهل الأمر على رند كثيراً واستطاعت دخول الغرفة بسلام.

★★★

مرت أيام على هذه الحال، مرام لاحظت أن هناك بعض الأشياء نقصت من الغرفة ولكنها لم تعرها اهتماماً كبيراً "ربما يلعب مصعب بها".

كرم كان يزور واصلاً يومياً وكله أمل أن اليوم أفضل من البارحة

ولكن لا شيء جديد، بل قاربت المهلة التي أعطاها لفرح على الإنتهاء وبدأت فرح بالتخطيط للحفل.

راعت فرح مشاعر كرم في شأن واصل فقررت ألا تضع أية أغنية في الحفل، كل ما سيكون هو خلفية موسيقية واجتماع كبير من الناس يباركون لهما مع الحلويات. كرم لم يكن يريد للأمور أن تكون هكذا لا من جانب فرح ولا من جانب واصل، ولكن طالما تظن فرح أن هذا هو التصرف الصحيح فقد تركها تفعل ما يمليه عليها ضميرها.

★★★

فعلاً مر الشهر، واليوم يوم زفاف فرح من كرم معلَنا للجميع.

ذهب كرم إلى واصل في المشفى، جلس إلى جانبه بثياب العرس وقال: "أنا آسف، كم تمنيت أن تكون إلى جانبي هذا اليوم..." كالعادة لم يحرك واصل ساكناً فقال كرم قلقاً: "لا أريدك أن تظن أنني نسيتك أو يئست من نهوضك، لا أريد لزفافي أن يكون شيئاً حزيناً لك، ولكن... ولكن..." تابع كرم منزعجاً وقال: "ولكنك تأخرت، هذا يكفي! لقد مضى أكثر من شهر" حدق كرم بواصل حيث مايزال نائماً فقال كرم حزيناً: "كم تمنيت لو تنهض الآن فآخذك معي إلى الحفل فيكون حفلاً حقيقياً، لماذا لا تريد أن تحقق لي شيئاً كهذا؟" ظل واصل على حاله فوقف كرم بعد أن هدأ قليلاً ثم قال: "أنا ذاهب، آسف أن الأمور سارت هكذا" وغادر الغرفة.

طلب كرم من مراد ولمياء الحضور معه فرافقه مراد مدركاً أن لمياء لن تبرح مكانها إلى جانب واصل.

كان كرم سعيداً أن مراد إلى جانبه، فعلى الأقل هو والد واصل

وسيذكره به دوماً.

كفاح ومصعب خرجا مع مرام إلى الحفل ليباركا لكرم. هذا الموقف جعلهما يتذكران الحزن الذي يعانيه الجميع بشأن واصل، ولكنهما ما إن رأيا مراداً حتى بكيا وعانقاه بشدة.

مرام جلست مع ميساء وفرح، لم يكن الوضع مبهجاً بل كان كل شيء رسمياً، الناس يسلمون ويباركون على أصوات الموسيقى الهادئة، وهناك بوفيه مفتوح للحلوى تمنت مرام لو يلاحظه كفاح ومصعب لينسيا حزنهما نهائياً.

رند لم تفعل شيئاً على الإطلاق، فقط تجلس وحدها ترتدي فستاناً أنيقاً وتفكر "ستعود معنا إلى المنزل... من اليوم لن أكون مع كرم فقط، ستظل معنا في المنزل".

كرم كان مشغولاً طول الوقت بالتسليم على المعزومين، فعددهم كان أكبر من العدد الذي كان في الخطبة.

سجال حضر في وقت متأخر من الحفل، حضر معه عمرو فقط، ماهر فضل البقاء في المنزل لأنه لن يرى واصلاً هناك.

لم يستطع سجال رؤية رند ولكنه رأى كفاحاً، حاول الاقتراب منه ولكنه رآه يجلس مع والده مراد فغير رأيه وفضل ألا يزعجهما.

مر الحفل بطابع حزين وغادر المدعوون إلا والد ووالدة فرح ومراد مع كفاح ومصعب. سيقوم والد ووالدة فرح بإيصالهما إلى المنزل مع رند، أما مراد فقد بارك لكرم وأخبره أنه سيجلس قليلاً مع كفاح ومصعب.

مصعب كان نائماً على كتف مراد، بينما كان كفاح يشعر بالنعاس ولكنه لا يريد أن ينام، أخيراً هناك شخص يستطيع اللجوء إليه.

كرم ودعهم وغادر مع فرح ورند إلى المنزل، والد ووالدة فرح أوصلوهم إلى الباب ثم باركوا لهم وغادروا عائدين إلى القصر.

أخيراً فرح باتت في منزل كرم، زوجة رسمية إلى الأبد. رفعت الغطاء عن وجهها ونظرت حولها، ها هي أخيراً في منزلها. كرم نزع السترة حيث كان الجو حاراً، بينما اعتذرت لهما رند وذهبت إلى غرفتها حزينة لتتركهما وحدهما.

جلست رند في غرفتها وحيدة تشعر بالحزن، لقد تم كل شيء وهي الآن عبء عليهما، بدأت تبكي بهدوء على الفراش، إنها تريد التحدث إلى أحدهم، سجال... فتحت الدرج الذي تضع فيه الهاتف المحمول ولكنه لم يكن هناك، تذكرت أنه قد سُرق، وليس لديها هاتف الآن. هذا زاد الأمر سوءاً وبدأت تبكي أكثر.

طرق باب الغرفة وفتحه كرم، رند أدارت وجهها حتى لا يرى الدموع في عينيها ولكن لم يكن من الصعب أن يخمن. قال: "تعالي يا رند" لم تقل رند شيئاً فقال كرم: "أنا أعلم أنك لا تنامين في هذه الساعة" قالت رند: "لا بأس" اقترب كرم وجلس على الفراش وقال: "تعالي نجلس معاً، لست مضطرة للبقاء وحدك" لم تقل رند شيئاً فأمسك كرم يدها و أخذها إلى الصالة حيث تجلس فرح وهي ماتزال بثوبها الأبيض تقلب محطات التلفاز. نظرت فرح إلى رند التي كانت تحاول أن تمسح دموعها ولكن بلا فائدة فقالت: "لقد كانت هناك الكثير من البرامج الجميلة في هذه الساعة، ما الذي جرى؟" لم تحرك رند ساكناً فسألها كرم: "هل تناولت شيئاً من حلوى الحفل يا رند؟" أشارت رند بالنفي فقالت فرح: "أنا وكرم أيضاً لم نتناول شيئاً منها، ألستِ جائعة؟" قال كرم قبل أن تجيب رند: "بالطبع جائعة، وأنا أكاد

أموت من الجـوع" أقفلـت فـرح التلفـاز ونهضـت قائلـة: "هيـا نتنـاول شيئاً".

فعلاً اتجه ثلاثتهم إلى المطبخ وأعـدوا مائـدة صـغيرة لذيـذة، جلـس ثلاثتهم فقالت فرح: "أظن أنني سأستبدل ثيابي" ولكن قبـل أن تـنهض قال كرم: "كلا، لن يحدث ذلك" قالت رنـد حيـث كانـت هـي الأخـرى ترتدي ثوب الحفل: "إنها ثياب السهرة!" قال كرم: "وأنا سعيد بهـا، لدي أميرتين في منزلي، ماذا أريد أفضل من ذلك؟" ابتسمت فرح ورنـد ولكـن فـرح قالـت: "إذن عليـك أن ترتـدي سـترتك أيهـا الأمـير" قـال كرم: "ولكن الجو حار!" قالت: "الجو حار علينا أيضاً، ألـيس كـذلك؟" نظرت إلى رند التي قالت: "أجل" ضحك كرم قائلاً: "ليس باليد حيلـة" ثم نهض وارتدى سترته وجلس يتناول الطعام معهما.

كان جميلاً أن تحس رند بالجلسة العائلية، فلم يسبق لها أصـلاً أن جلست مع شخص غير كرم على المائدة.



أنهوا الطعام ونظفوا المكان ثم صلّوا معاً بنية حياة سعيدة وهنيئة.

تحسنت نفسية رند، وجلست معهما يشاهدون التلفاز، كرم يجلس في المنتصف، فرح إلى جانبه، ورند إلى الجانب الآخر تضع رأسها على قدمه. لم يمض وقت طويل حتى غطت في نوم عميق. حملها كرم بهدوء ووضعها في غرفتها على فراشها وأطفأ النور لتنام بهدوء، ثم عاد إلى فرح.

فرح كانت ماتزال تقلب التلفاز قائلة: "أنا متأكدة أن البرامج كانت أفضل من ذلك" قال كرم بهدوء: "شكراً لك" نظرت إليه قائلة: "لا تقل ذلك، يهمني أن تكون سعيدة أيضاً" قال كرم: "أنا محظوظ بك جداً" أقفلت فرح التلفاز ووقفت قائلة: "سأكون سعيدة هنا أليس كذلك؟" قال كرم: "إن شاء الله، أعدك بذلك".

وأخيراً استطاع كرم وفرح قضاء الوقت وحدهما بعيداً عن أهلها، وبعيداً عن رند والجميع.

مراد عاد بكفاح ومصعب إلى منزله، كان المنزل ساكناً جداً بل ومريباً أيضاً، لم يدخله أحد منذ زمن.

نام معهما على الفراش في غرفته، مصعب إلى جانبه وكفاح إلى الجانب الآخر. كفاح كان سعيداً بذلك كثيراً، كان بأمس الحاجة لحنان والده في هذه اللحظات.

★★★

سجال كان ممدداً على الفراش في غرفته، الجميع كانوا نائمين بينما كان يتذكر الصورة ذاتها مراراً وتكراراً، فتاة ملقاة على الأرض تمد يدها إليه تطلب المساعدة. كان سجال يشعر باستياء كبير كلما تذكر ذلك.

نظر إلى الباب على الشرفة ونهض وفتحه فإذا به ساري يقف هناك، قال سجال: "ما الأمر؟" قال ساري: "لا شيء، أشعر بالملل، ليس من الممتع أن تقضي وقتك في الغابة وحيداً" قال سجال: "وكفاح؟" قال ساري: "إنه يقضي وقتاً طيباً مع والده" "تستطيع الدخول من الباب" "هل تمزح؟ عمرو لن يستقبلني" "أخبرته أنك بت صديقاً لي، لا تقلق بشأن ذلك" "لقد وجدتَها؟" نظر سجال إلى ساري الذي تابع قائلاً: "لنا" قال سجال: "أجل، كانت تبحر في عرض البحر" ابتسم ساري قائلاً: "واو! إنها أجرأ مما تصورت" قال سجال: "المهم أنها بخير" سكت ساري قليلاً ثم قال: "أليست هي الفتاة التي قتلتَها في المستقبل؟" غضب سجال كثيراً لما قاله ساري وشده من قميصه فجأة قائلاً: "كيف تجرؤ على قول شيء كهذا وفي مثل هذا المكان؟" قال ساري مرتبكاً: "لم أقصد، لم أتوقع أن تغضب هكذا، دعني!" قال سجال: "إياك أن تكرر ذلك!" قال ساري بسرعة: "لن أفعل لن أفعل، دعني!" ترك سجال سارياً ومايزال منزعجاً جداً، ساري أخذ نفساً ثم قال: "أنا فعلاً لم أقصد، لم أتوقع أن تغضب هكذا" لم يقل سجال شيئاً فقال ساري: "أتريد الصدق؟ لقد تساءلت مراراً لماذا تجلس في هذا المنزل بالذات؟ ولم أجد جواباً شافياً" لم يقل سجال شيئاً بل مايزال منزعجاً جداً، فقال ساري بهدوء: "هذا الموضوع يشغلك دوماً، لماذا لا تتكلم؟" قال سجال: "ليس هناك ما أقوله" قال ساري: "بل لديك الكثير لتقول، أنت تشعر بالندم في كل لحظة" طأطأ سجال رأسه منزعجاً ولكنه لم يقل شيئاً فقال ساري: "هذا ليس المكان المناسب، تعال معي إلى الغابة نتحدث قليلاً".

بهدوء وافق سجال على هذا الاقتراح وذهب مع ساري إلى الغابة في

منتصف الليل دون أن يشعر به أحد.

في الغابة جلس سجال وساري قرب البحر فبدأ ساري الحديث قائلاً: "قل لي، هل أنت نادم على ما فعلت؟" قال سجال: "بكل تأكيد، ما كان علي أن أقتلها" قال ساري: "إنها ليست الوحيدة" قال سجال منزعجاً: "ولكن لنا مختلفة، إنها كالأخت بالنسبة لي، بل كانت تقول لي ذلك مراراً ولم أصدقها" حدق سجال في البحر وتذكر كل ما كانت لنا تقوله له في المستقبل، فقال: "كانت دائماً تحاول أن تذكرني أنني عشت معهم، أننا كنا أخوة، أن الجميع يفتقدني، أن والدها حزن كثيراً على فراقي، أنني غادرت دون قول أي شيء، أين سأذهب ولماذا" قال ساري: "إذن فهذا ما سيحدث بالفعل" تابع سجال قائلاً: "لقد قالت أنها شاهدتني على التلفاز فقررت الالتحاق بالجماعة، فقط للاقتراب مني، ومع ذلك لم أكن أذكر شيئاً" "لأنه لم يحصل على الإطلاق، من الطبيعي ألا تتذكر" "ولم أصدق كلمة مما تقول، كنت أظنها خرفة" "لم يكن من الممكن إقناعك بشيء كهذا، فأنت تعمل كالآلة، تنفذ كل ما يريده والدك، ثم من يصدق شيئاً كهذا؟" "أبي... كان يعلم أنني عشت معهم، كان يعلم أن لنا من المفترض أن تعني لي الكثير، لم تكن لنا أهلاً للالتحاق بالفرقة من الأساس ولكنه أدخلها، أدخلها لكي تخفق، ولكي أقتلها بيدي، لقد كان يعلم" هنا سكت ساري، ما يقوله سجال صحيح ولكن تصديقه قاس جداً. نظر ساري إلى سجال فرأى الدموع في عينيه لأول مرة، قال سجال باكياً: "عندما رأيتها هنا أول مرة كانت في السوق مع عمرو، عرفتها على الفور، لم تتغير كثيراً، تذكرت ما قالت، تذكرت أنها أخبرتني أنني سأعيش هنا، لذلك فعلت، فعلت لأنني أردت أن أفهم

ما قالت. ليتني فهمت ذلك قبل فوات الأوان" قال ساري: "عشتَ مع عمرو لأنك تذكرت لنا وهي تخبرك أنك ستعيش معهم؟" قال سجال: "وسأكون ولده وسأكون سعيداً بينهم، أردت أن أفهم ذلك" قال ساري: "هذا هو السبب إذن؟ لطالما شعرتُ أن التزامك بأشياء كهذه ليس من طباعك، منزل وعائلة ودين! كان من المستحيل أن أصدق" نظر سجال إلى ساري قائلاً: "هل كنتُ سيئاً إلى هذه الدرجة؟" ابتسم ساري قائلاً: "كنت كالآلة بلا مشاعر، لم أتصور أن أرى الدموع في عينيك لحظة" قال سجال: "ولكنك كنت مثلي" قال ساري بسرعة: "أبداً! لم أكن، ولم أكن أريد ذلك يوماً" تعجب سجال لما يسمع فقال ساري موضحاً: "لقد كنتُ أغار منك لأنك المفضل لدى والدنا، ولكنني لم أحلم يوماً أن أكون مثلك، كنت أريد أن أهزمك وأثبت لوالدنا أنني أستطيع أن أكون مخلصاً أكثر منك، ولكن أبداً لم أكن أريد أن أكون ما كنتَ عليه في السابق" تعجب سجال لما يسمع! قال: "هل كنتُ سيئاً إلى هذا الحد؟" ابتسم ساري قائلاً: "لا تفكر في الماضي كثيراً، ولا تلم نفسك على ما فعلت، لقد كان والدي يسيرك تماماً" لم يكن ما قاله ساري مريحاً أبداً، ولكن ربما كان يجب أن يسمعه، قال ساري: "لنا ليست الوحيدة يا سجال" شعر سجال بجسده يقشعر لهذه الكلمة فتابع ساري قائلاً: "هي ليست البريئة الوحيدة التي ضاعت، أنت تشعر الآن بالندم والحزن لأنك تعرفها جيداً، الناس الآخرون لديهم من يعرفهم أيضاً" قال سجال: "يبدو أنني سببت الحزن للكثيرين" قال ساري: "وأظن أنك كنت تعرف ذلك ولكنك لا تبالي" قال سجال: "لم أكن أؤمن بالحب على الإطلاق، من كان سيأبه بي إذا مت؟" قال ساري: "في وقتها، ربما لا أحد. ولكن الأمر مختلف الآن" مسح ساري

دموع سجال وقال: "أنت تحاول تمميز لنا لتعوضها عما فعلتَ أليس كذلك؟" قال سجال: "ولكنني أشعر بالعجز، لا أستطيع أن أفعل شيئاً يعوضها، لقد حاولَت إنقاذي فقتلتها، كنت سألوم الجميع هنا أنهم لم يساعدوني لولا ما فعلتُ بلنا، لقد كان ذلك فظيعاً!" قال ساري: "أنت تدور في نفس الدائرة، لنا تحبك لأنك تفضلها، لذلك همت للبحث عنك والوصول إليك" نظر سجال إلى ساري، ما يقوله محزن جداً، إنه حتى هنا يساهم في حصول المأساة. قال ساري: "هذا يكفي، يجب أن لا تلوم نفسك على ما فعلت، لم يكن الأمر بيدك" طأطأ سجال رأسه فقال ساري: "لقد بدأتَ بداية جديدة وهي تحسب من الآن" قال سجال: "ولكن لنا ستكبر وتواجهني، و..." قال ساري: "لن ينتهي الأمر هكذا إذا ظللت تفكر بهذه الدائرة" سكت سجال فقال ساري: "انس الأمر، لنا تحبك، ولا أظن أنها ستلومك حتى على ما حدث إذا ما علمت الحقيقة" قال سجال: "الحقيقة؟" قال ساري: "أنك فعلاً لم تكن لتذكرها، أنت لا تعرفها" سكت سجال فقال ساري: "أعلم أن الأمر صعب..." قاطعه سجال قائلاً: "وأدين باعتذار كبير لعمرو" هنا سكت ساري وابتسم قائلاً: "يصعب أن تفعل شيئاً كهذا، هو لا يعرف شيئاً عن الموضوع، أم تريد أن تخبره؟" قال سجال قلقاً: "أبداً! يجب أن لا يعرف" قال ساري: "إذن؟" قال سجال: "بطريقة أو بأخرى، أريد أن أقدم لهم شيئاً، كل ما يجري بسببي كان نتيجته الحزن والمعاناة، أريد أن أكون قدم خير عليهم ولو ليوم واحد" سكت ساري ثم قال: "تستطيع أن تفكر بهذه الطريقة، سيكون الأمر جيداً".

سكت الاثنان يحدقان في البحر، نظر ساري إلى سجال حيث جفت الدموع عن خديه فقال: "هل تعلم، كانت دموعك جميلة" ابتسم سجال

وقال: ″شكراً″ ضحك ساري قائلاً: ″كلا أنا جـاد″ فقـال سـجال: ″شـكراً على المساعدة″ وقف سجال فقال ساري: ″لم أفعل شيئاً″ قال سجال: ″لو كنتُ أعلم أنك إلى جـانبي منـذ البدايـة لما جـرى كـل مـا جـرى″ قـال ساري: ″لا أظن ذلك، لم أكن رحيماً أيضاً″ وقف ساري وقال: ″يجـب أن تعود قبل أن يشعروا بخروجك″.

شكر سجال سارياً ثانية وعاد إلى الغرفة وإلى الفراش دون أن ينتبه أحدهم إلى غيابه. كان عليه أن يطرد هذا الكابوس من رأسه بطريقـة أو بأخرى، لا يدري هل كان ما قاله لساري كافياً في هذا الأمر أم لا؟



الفصل الثامن والستون

أشرقت الشمس، واستيقظ كفاح ليجد نفسه مايزال نائماً بالقرب من والده، قال مراد: "صباح الخير" نهض كفاح قائلاً: "صباح الخير" كان مصعب في الجهة الأخرى من الفراش يفرك عينيه يستيقظ هو الآخر، قال مراد: "لابد أنكما جائعان، سأحضر لكما الإفطار".

نزل كفاح ومصعب مع مراد إلى الطابق الأرضي ليحضروا الإفطار في المطبخ، قال مصعب: "أين ماما؟" قال مراد: "لا نستطيع ترك واصل وحده، إنها تجلس إلى جانبه" قال كفاح: "وكيف حال واصل؟" قال مراد: "يستعيد وعيه" كان هذا الجواب متفائلاً جداً، حيث أن مراد يعلم تماماً أن واصلاً مايزال على حاله منذ أكثر من شهر.

جلسوا على المائدة يتناولون الإفطار، سأل مراد: "كيف كان الوضع في منزل شادن؟" قال مصعب: "هناك طعام لذلذ" ضحك مراد قائلاً: "يبدو أنهم اعتنوا بك جيداً" قال كفاح: "إنهم طيبون، بالإضافة إلى أن أصدقائي يزورونني هناك" قال مراد: "هذا جميل جداً، أما زلت صديقٍ رند؟" قال كفاح: "أجل، وهناك سجال وساري أيضاً" ابتسم مراد قائلاً: "ما شاء الله، رباعي مرة واحدة! وهل تلعبون معاً؟" قال كفاح: "لم يسبق بعد أن فعلنا ذلك جماعة، ولكننا بالتأكيد سنفعل" فرح مراد بكفاح ومصعب، إنهما مبتهجان ومنطلقان، يبدو أن شادن اعتنت بهما جيداً، إنه ولمياء مدينان لهما بالكثير.



استيقظت رند، كان الوقت مبكراً ومايزال كرم وفـرح في غرفتهمـا. جلست على التلفاز قليلاً ولكنها شعرت بالملل بسرعة.

خرجت إلى الساحة متوجهة إلى النـادي لتتـدرب فيـه قلـيلاً إلى أن يستيقظ أحدهما.

أعـاد مـراد كفاحـاً ومصـعباً إلى منـزل شـادن وشـكرها كـثيراً علـى المساعدة ثم عاد إلى لمياء في المشفى.

هنـاك سـألته لميـاء: "كيـف كـان الحفـل؟" قـال مـراد: "كـان هادئـاً وجميلاً" قالت لمياء بصوت حزين: "من المؤسف أن يفوتـه شـيء كهـذا" قال مراد: "مايزال هناك الكثير أمامه، لا تقلقي على شيء كهذا".

ظلت لميـاء علـى حالهـا فجلـس مـراد إلى جانبهـا كالعـادة والأمـور ماتزال على حالها.

***

دخل كرم على رند في النادي حيث ظلت تتدرب مدة طويلـة، نظـر كرم إليها قائلاً: "يبدو أنك هنا منذ مدة" كانت رند تتصبب عرقاً بينما يبدو علـى كـرم أنـه اسـتحم للتـو ويرتـدي روبـاً أزرق جمـيلاً. قالـت رند: "كم الساعة؟" قال كرم: "الثانية عشرة ظهراً" فعلاً مر وقت طويل على تدريب رند فقال كرم: "اغتسلي بينما نحضر الإفطار".

دخلت رند المنزل بينما ظـل كـرم قلـيلاً في النـادي يطفـئ الأجهـزة ويرتب المكان. فرح كانت في المطبخ تبحث في الثلاجة عما يؤكل، كانت هي الأخرى ترتدي روباً ورديـاً، ويبـدو أنهـا اسـتحمت للتـو، قالـت رند: "صباح الخير" نظرت فرح إليها وابتسمت قائلة: "صـباح الخـير، كيف حالك؟" قالت رند: "بخير، هل أنت مـن سيعد الإفطـار؟" قالـت

فرح خجلة: "أظن أن كرماً سيساعدني" قالت رند: "سأستحم إلى أن تحضرا الإفطار" قالت فرح: "حسناً".

فعلاً حضرت فرح وكرم أو... كرم وفرح الإفطار معاً إلى أن خرجت رند من الحمام وتناولوه معاً.

كانت رند هادئة ولكن لا يبدو عليها أنها حزينة، كرم وفرح كانا سعيدين، يبدو أن رندَ ما تزال تشعر أنها عقبة في طريق سعادتهما بينما لا يفكران بذلك أبداً.

★★★

مرت الأيام على هذه الحال، كل الأعمال والمشاغل لم تله كرماً عن زيارة واصل اليومية والدعاء له في المسجد دوماً، ولكن حاله لم تتحسن بعد.

لمياء باركت له على العرس في المشفى، ولم تغادر لحظة واحدة بعد. مراد يجلس إلى جانبها لم يعد بيده أن يفعل شيئاً.

سجال مايزال في منزل عمرو، ساعة يلهو سعيداً، وساعة يشعر بالذنب لما فعل لعمرو والأسوأ من ذلك ما سيفعله بلنا في المستقبل.

كفاح ومصعب في منزل شادن يستقبلان أصدقاءه بين الحين والآخر، ومرام تعمل في صيدلية جديدة، وشادن تطل على لمياء في المشفى بين الحين والآخر.

★★★

مضى شهر ثان على حال واصل، في منتصف الليل جلست لمياء إلى جانبه تربت على شعره بحنان تتمنى أن ينطق ثانية، مراد كان

يتحدث إلى الطبيب في الخارج عن حالة واصل.

واصل كان نائماً، إنه غاط في ظلمة غريبة، "أين أنا؟" بدأ يسمع أصواتاً غير مألوفة، تمتمات وأشياء لم يستطع فهمها "ما الذي جرى؟" من بين الأصوات صوت تنفس، إنها كما لو تكون جهاز تنفس اصطناعي! سمع صوتاً يقول: "لا يلمسه أحدكم!" كان هذا الصوت مميزاً لدى واصل "هذا الصوت..." سمعه يقول: "يجب أن لا يتحرك، ستصل الإسعاف فوراً" فكر واصل في الأمر "إنه صوت مرام، ما الذي يجري؟" عندها سمع صوتاً آخر: "آسف لتأخري عليك، ولكن احزر ماذا أحضرت" ميز واصل الصوت فوراً "كرم!" توقف الصوت فنادى واصل: "كرم! أين أنت؟" عندها سمعه يقول: "إذا أردتَ أن تتأكد أن هناك من يحبك ويهتم لأجلك فكان عليك أن تسأل فقط" تعجب واصل مما يسمع "يحبني!" عندها بدأ ينادي: "كرم! كرم! أجبني!" عندها سمع صوتاً آخر يقول: "هذه أول مرة أرى فيها شيئاً كهذا... الناس الذين يحبونك، يحبونك بجنون" تعجب واصل قائلاً: "والدي!" تابع الصوت قائلاً: "أشعر بالخجل لقول شيء كهذا، أشعر أنني أعلم لأول مرة أنني أملك ولداً عظيماً لا أعلم عنه الكثير" صرخ واصل: "أبي! أبي أنت هنا؟" أخيراً سمع الصوت الحنون، إنها لمياء: "حبيبي، عد إلي" هدأ واصل لحظة قائلاً: "أمي!" عندها شعر بألم في حلقه.

لمياء كانت تحدق بواصل الذي بدأ أخيراً يتحرك، إنه يقبض يديه ويفتح فمه، لمياء جفلت ونهضت تقول: "واصل! واصل!..." ولكن واصلاً بدأ يتألم، نادت لمياء بأعلى صوتها حيث كان مراد يتحدث مع الطبيب.

ركض الطبيب ومراد إلى الداخل، فعلاً كان واصل يتحرك، ركض

الطبيب إليه وأبعد مراد لمياء، لمياء كانت خائفة جداً ولكن مراد أمسك بها بقوة. طلب الطبيب منهما مغادرة الغرفة، لمياء لم تتحرك إلى أن سحبها مراد معه إلى الغرفة الزجاجية.

راقب كل من مراد ولمياء واصلاً، إنه يحس بما حوله أخيراً، ولكن يبدو عليه أنه يهذي. أضاف له الطبيب بعض الأدوية فهدأ قليلاً. لمياء كانت تراقب بقلق، هل يعقل أنه استيقظ؟ هل هو بخير فعلاً؟ هل فقدت الأمل أن تراه مجدداً؟

هدأ واصل قليلاً ولكنه مايزال لا يدري ما يجري حوله، كان يسمع الطبيب يقول بين الحين والآخر: "أنت بخير، كل شيء على مايرام" ولكنه أحياناً لا يدري هل هو طبيب واحد أم مجموعة أشخاص في الغرفة.

ظل الطبيب إلى جوار واصل ما يقارب الخمس دقائق كان واصل قد فتح عينيه فيها قدر المستطاع، هدأ واصل تماماً فقال الطبيب: "هل زال الألم؟" نظر واصل إلى الطبيب فميزه أخيراً، كان مرهقاً جداً ولكنه أشار بالإيجاب قدر ما يستطيع. أشار الطبيب إلى الغرفة الزجاجية حيث يقف كل من مراد ولمياء ينتظران الأخبار السعيدة وقال: "انظر، إنهم والداك" أدار واصل رأسه بهدوء ونظر إلى حيث أشار الطبيب، فعلاً إنهما والداه! مع أن واصلاً لم يستطع حتى أن يشير بيده إليهما ولكن كان يبدو على مراد ولمياء أنهما أكثر من سعداء بمجرد أنه نظر إليهما. عاود واصل النظر إلى الطبيب الذي قال: "هل تحب أن يدخلا؟" أشار واصل بالإيجاب فطلب الطبيب إليهما الدخول.

ركضت لمياء إلى الداخل وعانقت واصلاً فوراً وهي تبكي بحرارة، استطاع واصل رفع يده وضم والدته إلى صدره حيث شعر أنها كانت

قلقة جداً عليه، بالإضافة إلى الدموع في عيون والده كان يعلم أن الكثير قد جرى.

عانق مراد واصلاً أيضاً بعد لمياء قائلاً: "الحمد لله على السلامة" حاول واصل أن ينطق بكلمة ولكن حلقه لم يساعده فقال الطبيب: "لا تجبر نفسك على الكلام الآن، سنحاول إزالة جهاز التنفس قريباً" قالت لمياء: "هل سيكون بخير؟" قال الطبيب: "كل شيء على مايرام إن شاء الله، مبارك". شعر واصل بالضياع قليلاً، ما الذي يجري؟ هذا كان السؤال الوحيد الذي يريد طرحه ولكنه لم يستطع.

ظل مراد ولمياء جالسين إلى جانبه وقال مراد: "تستطيع أن تستريح الآن، أنت بخير" لم يستطع واصل قول أي شيء بل كان فعلاً يشعر بالغثيان، قالت لمياء: "تستطيع أن تنام قليلاً، سنظل إلى جوارك" أغمض واصل عينيه بهدوء لينام، وظل مراد ولمياء إلى جانبه لا يصدقان أن المعاناة انتهت أخيراً.

كرم كان في غرفته تنام فرح على صدره بهدوء، ولكنه لم يكن يستطيع أن ينام، هناك شيء غريب الليلة. نظر إلى صورة على الطاولة في غرفته، إنها صورة له مع واصل في النادي حيث كانا يلعبان التنيس دوماً.



عاود كرم النظر إلى فرح، إنهـا تغـط في نـوم مـريح وعميـق، ابتسـم فرحاً بها وربت على شعرها بهدوء ليحاول النوم من جديد.

★★★

في الفجر فتح واصل عينيه مجدداً، هذه المرة كان كـل شـيء واضـحاً بالنسبة له، إنه يرى والدته ووالده يجلسان إلى جانبه، إنه في المشـفى بكل تأكيد.

حضر الطبيب ليزيل جهاز التنفس الصناعي، تعـاون واصـل معهـم

وسارت الأمور بشكل سريع، ووضعوا له كمامة الأوكسوجين.

حاول أن يحرك يده فأحس بصعوبة في ذلك، لمياء انتبهت إليه فقالت: "صباح الخير" قال واصل بصوت خافت جداً: "صباح الخير" كانت هناك بحة واضحة في صوته، إنه مايزال متعباً من الأجهزة. قال مراد: "هل أنت جائع؟" أشار واصل بالإيجاب فقالت لمياء: "لقد سمح لنا الطبيب أن نطعمك ولكن بشكل تدريجي" قال مراد: "أولاً الماء وبعض العصير" قال واصل بصوته المبحوح الضعيف: "ما الذي جرى؟" سكت كل من لمياء ومراد، قال واصل: "أنا في المشفى!" قالت لمياء: "أنت بخير" قال واصل: "لم أكن كذلك" قال مراد: "ألا تذكر شيئاً؟" أطرق واصل بتفكيره قليلاً، كل ما يتذكره هي الأصوات التي حلم بها قبل أن يستيقظ. بدأ يشعر بشيء من الصداع فقالت لمياء: "لا ترهق نفسك" قال واصل: "أخبراني" بعد صمت قصير قال مراد: "لقد كان حادثاً" نظر واصل إلى والده الذي تابع قائلاً: "حادث سير، ونقلت إلى المشفى في غيبوبة" تفاجأ واصل لذلك فهو لا يذكر شيئاً منه! قالت لمياء: "المهم أنك بخير الآن" تنهد واصل ثم قال: "إلى متى سيظل صوتي هكذا؟" ابتسم مراد قائلاً: "الطبيب يؤكد أنك ستكون على مايرام، لا تقلق" هدأ واصل فقالت لمياء: "اشرب قليلاً من الماء" ساعد مراد واصلاً على الجلوس لشرب الماء، ثم عاود التمدد في الفراش وقال: "أشعر أن جسدي بات ثقيلاً جداً" قال مراد: "ستعود كما كنت بالتدريج، لا تقلق لن يأخذ ذلك وقتاً" نظر واصل إلى يده، يبدو أن عضلاته قد ترهلت قليلاً. قالت لمياء: "استرح، هل تحب أن تشرب شيئاً؟" قال واصل: "أي شيء" كانت لمياء قد جهزت العصير من قبل وعاونها مراد على مساعدة واصل على شربه.

كانت لمياء أكثر من سعيدة بالعناية بواصل، بينما كان واصل يشعر أنه ضائع بعض الشيء، جسده مايزال مرهقاً، وصوته متعب جداً. ما إن أنهى العصير حتى غط في النوم ثانية.

★★★

كرم عاد إلى منزله من المسجد ليتجهز للخروج إلى العمل. فرح جهزت حقيبته وأعدت رند إفطاراً خفيفاً تناولوه بسرعة.

نظف كرم أسنانه وناولته فرح المنشفة قائلة: "لا أصدق أن والدي لم يعطك إجازة حتى الآن!" قال كرم: "ولماذا يفعل؟" قالت: "لأنك تزوجت" قال كرم مبتسماً: "الإجازة ستكون لقضاء شهر العسل، أنت تعلمين أننا لم نفعل" قالت: "أعلم، لست مستاءة لذلك ولكن على الأقل نستطيع أن نقضي وقتاً معاً" أعاد كرم لفرح المنشفة قائلاً: "هذا لكي تشتاقي لي" قالت فرح: "أنا جادة!" قال كرم: "أنا جاد أيضاً، عندما تنوين السفر لشهر العسل سأطلب الإجازة بنفسي" قالت فرح: "أنت لم تطلب إجازة بعد؟" قال كرم: "أُفضل الذهاب إلى العمل، إنه يشغلني" تنهدت فرح فقال كرم: "آسف لذلك" قالت فرح: "افعل ما يحلو لك، أردت أن تكون سعيداً" قال كرم: "أنا سعيد والحمد لله".

توجه كرم إلى الباب للخروج بينما تنظف رند المطبخ فقالت فرح: "ما أخبار واصل؟" تعجبت رند أن فرح تسأله مباشرة ولكن كرماً ابتسم قائلاً: "في أحسن حال" ثم قبلها وغادر.

ما إن أغلقت فرح الباب حتى نظرت رند إليها قائلة: "كيف تسألينه شيئاً كهذا؟" قالت فرح: "لم أقصد أن أزعجه، إنه سؤال طبيعي" قالت رند: "لست مضطرة لتسأليه شيئاً كهذا، إذا حرك واصل

إصبعه الصغير سترين كرماً يرقص في المنزل" فـرح كانـت تعلـم ذلـك، ولكنهـا لم تسـتطع إلا أن تسـأل، ربمـا كـل شـيء في حياتهـا سـيتغير بنهوض واصل، ولكنها تكاد تغار منه وهو نـائم فمـاذا سـتفعل عنـدما يكون مستيقظاً؟ قالت رند: "لقد عشتُ هذا طول حياتي" نظرت فرح إلى رند التي تابعت التنظيف قائلة: "لا يسـتطيع أحـد منافسـة واصـل" لم تقل فرح شيئاً فقالت رنـد: "يجـب أن تتناسـي الأمـر مـن البدايـة، إذا أردت أن تعيشي سـعيدة لا تفكـري بـالغيرة" قالـت فـرح: "يبـدو أنـك جربت ذلك جيـداً" قالـت رنـد: "أكثـر ممـا تتصـورين" ابتسـمت فـرح وجلست على الأريكة وهي تعلم أنه ما باليد حيلة.

★★★

فتح واصل عينيه مستيقظاً، كانـت لميـاء وحـدها تجلـس إلى جانبـه والشمس قد أشرقت، كانت هناك بعض الطيور تطير حول المكان. الجو هادئ جداً وهذه المرة كان حال واصل أفضل، إنه يرى كـل شـيء حولـه بسهولة، بل ويذكر أيضاً الكثير مما جرى، حاول النهـوض فسـاعدته لمياء ورفعت له السرير والوسادة ليرتكز عليها.

قالت لمياء: "كيف حالك الآن؟" قال واصـل: "الحمـد لله، أفضـل" ولكـن صوته كان مايزال مبحوحاً فقال: "إلى متـى سـيظل صـوتي هكـذا؟" قالـت لمياء: "لن يطول ذلك، لا تقلق" من الجيد أن كلامه كان مفهوماً على الأقل.

نظر واصل إلى الطاولة إلى جانبه حيث لفت انتباهـه الكـأس الـذي وضع عليها، حدق به جيداً ثم حمله بين يديه بصعوبة لأنه كان ثقيلاً. حدق واصل بالكـأس وقـرأ مـا كتـب عليـه " **karam Yusif, first place**" بمعنى: كرم يوسف، المركز الأول. تفاجـأ واصـل لـذلك، إنـه

كأس البطولة التي كان سيشارك فيها كرم بلا شك! وضع واصل يده على كلمة first، إنه في المركز الأول، لقد فعلها وفاز. نظر إلى والدته فقالت: "لقد فاز في المسابقة لأجلك، هذا الكأس هدية منه" عاود واصل النظر إلى الكأس وهو لا يصدق ما يرى، عندها خطر شيء في باله فقال للمياء: "هذه المباراة... كانت ستجري بعد أسبوعٍ، بل كانت تحتاج إلى أسبوعين على الأقل لتنتهي" فهمت لمياء أن واصلاً يقصد الوقت الذي قضاه غائباً عن الوعي فقال: "كم من الوقت قضيت؟" قالت لمياء بهدوء: "قرابة الشهرين" تفاجأ واصل لما سمع! كل هذا الوقت!

ولكنه في هذه اللحظة سمع صوت شيء يقع على الأرض، إنها حقيبة، نظر فإذا به كرم يقف في الغرفة وقد سقطت حقيبته على الأرض لما رأى.

ساد الصمت المكان، كرم يحدق بواصل لا يكاد يصدق عينيه! وواصل ينظر إليه مايزال متفاجئاً أنه نام كل هذه المدة.

لمياء نهضت بهدوء لتتركهما وحدهما، كان الفرح باد على وجهها تبتسم لكرم إلى أن خرجت من الغرفة.

ظل كرم واقفاً مكانه وحقيبته ملقاة على الأرض، كانت الطيور ماتزال تطير في الخارج تمر قرب نافذة الغرفة، كسر واصل الصمت حيث نظر إلى الكأس بين يديه وابتسم وقال بصوته المبحوح: "مبارك الفوز" لم يستطع كرم حبس دمعته بل لم يحاول أن يفعل ذلك، وركض إلى واصل معانقاً.



ضم واصل كرماً حيث كان يبكي بحرارة، إنه يصرخ تقريباً، شعر واصل أنه قد عانى كثيراً فقال: "أنا آسف، يبدو أنني سببت الكثير من المعاناة" ولكن كرماً لم يقل شيئاً بل ظل يبكي بحرارة.

لمياء رأت ذلك من الغرفة الزجاجية ففضلت تركهما وحدهما تماماً فغادرت إلى حيث مراد.

ظل كرم يبكي بحرارة معانقاً واصلاً لا يصدق أنه قد نهض فعلاً! إنه يدخل عليه كما دخل كل يوم، ولكن اليوم مختلف، أخيراً...

بعد فترة هدأ كرم ورفع رأسه لينظر إلى وجه واصل، كانت الدموع ماتزال على خده، كان واصل مبتسماً سعيداً برؤيته، أما كرم فكان مايزال غير مصدق، وضع يداه حول رأس واصل قائلاً: "أنت بخير!" ابتسم واصل قائلاً: "لقد قلقتَ كثيراً علي" عانقه كرم ثانية بهدوء هذه المرة ليشعر بحقيقة اللحظة، إنه في كامل وعيه ثانية، قال كرم: "أنت بخير!" شعر واصل بالحزن على حال كرم، إنه مصدوم فعلاً، وضع يده على شعر كرم قائلاً: "أنا بخير، بخير... لا أريد أن تكون حزيناً" رفع كرم رأسه بسرعة ينظر إلى واصل قائلاً: "حزين! هذا أسعد يوم في حياتي، كيف أكون حزيناً؟" لم يعرف واصل ما يقول فقال: "أنا سعيد لسماع ذلك" عندها عاودت الدموع تنهمر من عيون كرم فقال واصل: "هذا يكفي! أشعر بالذنب عندما أرى هذه الدموع" قال كرم: "كلا، هذه دموع سعيدة" سكت واصل قليلاً ثم قال: "وهل كانت هناك دموع حزينة؟" طأطأ كرم رأسه لا يريد أن يجيب على شيء كهذا فقال واصل: "أنا آسف، لقد طال ذلك كثيراً" قال كرم منزعجاً: "أجل،

طال كثيراً!" ظل الاثنان صامتين فقال واصل: "هذا يكفي، ها أنا معك ثانية" رفع كرم رأسه ينظر في عيون واصل الذي كان ينتظر ردة فعل منه، عندها ابتسم كرم فضحك واصل قائلاً: "أخيراً ابتسمت، هكذا تكون سعيداً" قال كرم: "لقد أقلقتنا عليك كثيراً، أنت مدلل جداً" قال واصل: "مدلل! لم أرغب في حدوث شيء كهذا في حياتي، ثم إنك تعلم كم أكره المستشفيات، وانظر إلى صوتي..." وضع كرم اصبعه على فم واصل مقاطعاً ثم قال: "سيكون كل شيء على مايرام بإذن الله، المهم أنك في كامل وعيك".

سكتا ثانية فقال كرم بعد فترة: "لِم لم تتصل بي؟" قال واصل: "عفواً؟" قال كرم: "عندما استيقظت" ضحك واصل قائلاً: "هل تمزح؟ لقد كنت أهذي، على أية حال ليس لدي صوت أتحدث به في الوقت الحاضر" سكت كرم قليلاً ثم قال: "كان علي أن أكون هنا" نظر واصل إليه فقال كرم: "لقد استيقظتَ دون أن أكون إلى جانبك" قال واصل: "هل تمزح؟ لقد أمضيتُ شهرين كاملين في المشفى، لا تظن أنك تستيطع قضاءها هنا" قال كرم: "والدتك فعلت" سكت واصل، ركز ظهره على السرير ثم قال: "هل فعلت حقاً؟" قال كرم: "أجل، طول الوقت، لم تغادر المشفى لحظة" شعر واصل بحزن لما فعله بها، ولكن كرماً قال: "لذلك كانت أول من شاهدك تنهض" نظر واصل إلى كرم الذي كان مايزال يفكر بهذه الطريقة فقال: "ما الذي تقوله؟ ليس هناك ما تندم عليه، ثم إنك هنا في ساعة مبكرة، لم يمض وقت على نهوضي" لم يقل كرمٌ شيئاً فقال واصل: "أنا جاد، ثم... كان الكأس إلى جانبي دوماً، شكراً جزيلاً" قال كرم: "كان هذا أقل ما أستطيع فعله" قال واصل: "أنا واثق أنك كنت إلى جانبي، لا أحب أن تلوم نفسك على

شيء كهذا" لم يبد على كرم أنه اقتنع ولكن واصلاً نظر إلى حقيبة كرم على الأرض فقال: "كنت ذاهباً إلى الشركة؟" قال كرم: "أجل، ولكنني لا أظن أنني سأذهب اليوم" قال واصل سعيداً: "هل تستطيع أن تظل إلى جانبي؟" قال كرم: "ليس عليك أن تسأل" فرح واصل بذلك قائلاً: "أشعر بالملل من هذا المكان، ولكنني لا أشعر أنني قادر على الحراك، ابق إلى جانبي" قال كرم: "سأظل هنا بكل تأكيد، لن تستطيع قوة على وجه الأرض أن تزحزحني من هذه الغرفة" فرح واصل كثيراً بذلك ثم قال: "الآن، أخبرني ماذا جرى خلال هذه المدة" في هذه اللحظة جفل كرم، لقد تذكر زفافه بفرح، قال واصل: "ما الأمر؟ هل حدث مكروه؟" قال كرم: "كلا، أبداً" قال واصل: "هل أنت متأكد؟" قال كرم: "أجل، لا تقلق" لم يكن واصل قد هدأ فعلاً فقال كرم: "هل تذكر ماذا جرى معك بالضبط؟" قال واصل: "لا أذكر شيئاً، علمت أنه كان هناك حادث سير".

روى كرم لواصل ما جرى، وأخبره عما فعلته مرام وكيف كان تصرفها السريع سبباً كبيراً في نجاته، حدثه بعدها عن المباريات وكيف ساعده المدرب عادل، وطال الحديث.

بعد فترة حضرت لمياء بطبق من الحساء ليتناوله واصل، وضعته إلى جانبه فقال واصل: "أستطيع تناوله" نوعاً ما كانت لمياء تشك في ذلك ولكنها وضعت الحساء أمامه ليتناوله.

حمل واصل الملعقة فكانت يده ترجف بعض الشيء، وضعها في الحساء ثم رفعها ولكنها باتت ترجف بشدة، أمسك كرم يد واصل قائلاً: "لا بأس، سأساعدك" ترك واصل الملعقة شاعراً بالحزن لما يجري، إنه غير قادر على تحريك يديه جيداً، قالت لمياء: "واصل،

أنت ماتزال متعباً، سيتحسن كل شيء بإذن الله".

تناول واصل الحساء بمساعدة كرم، قال واصل: "آسف" قال كرم: "لا تقل ذلك، أردت دائماً أن أفعل أي شيء من أجلك" ولكن واصلاً كان حزيناً لما يجري. خرجت لمياء ثانية من الغرفة لا تدري كيف تستطيع فعل شيء كهذا بعد هذه المدة التي قضاها واصل غائب الوعي، ولكنها باتت تشعر بارتياح تام، إنه على مايرام.

أنهى واصل الحساء ثم نظر إلى كرم قائلاً: "ألا يعلم أحد بعد أنني استيقظت؟" قال كرم: "لا أدري، لا يبدو أن والديك أخبرا أحداً" قال واصل: "هل تسدي لي خدمة؟".

★★★

مرام كانت في منزلها ترتب غرفتها، نظرت إلى جانب الفراش حيث حقيبة واصل ماتزال معها، لم تستطع حتى الاقتراب منها وتابعت التنظيف في أماكن أخرى.

فجأة رن هاتف في حقيبة واصل، حدقت مرام بالحقيبة ثم تجاهلت الأمر متابعة التنظيف، سرعان ما توقف الرنين.

أنهت التنظيف وهمت بمغادرة الغرفة فبدأ الهاتف بالرنين ثانية. توقفت مرام ونظرت إلى الحقيبة ثانية، لم يكن لديها أي فكرة عما ستفعل، كانت آخر مرة رن فيها هاتف واصل عندما اتصل كرم به.

ظل الهاتف يرن، اقتربت مرام من الحقيبة وفتحتها، دريم كان فيها على حاله، بحثت عن الهاتف إلى أن وجدته، نظرت إلى اسم المتصل فلم يكن مدوناً، إنه رقم لا تعرفه.

لم تعلم مرام ماذا تفعل، مايزال الهاتف يرن، لابد أنه من رن في

المرة الماضية، قررت أخيراً أن تجيب: "نعم، من المتكلم؟" سمعت مرام صوتاً مبحوحاً لم تعرفه يقول: "عفواً، أليس هذا هاتف واصل؟" قالت مرام: "أجل، هو" قال المتصل: "عفواً، فمن تكونين أنت؟" ارتبكت مرام قليلاً ثم قالت: "أ... أنا أخته" عندها قال المتصل ببساطة: "ولكنني ليس لدي أخوات" سكتت مرام تحاول أن تفهم ما سمعت، لم يقل المتصل كلمة أخرى، قالت مرام قلقة: "واصل؟" قال واصل: "كيف حالك؟" قالت مرام ثانية لا تصدق: "واصل؟ هل أنت واصل فعلاً؟" قال واصل: "أجل، وكل شيء على مايرام" لم تصدق مرام ما تسمع، بدأت تبكي على الفور فقال واصل: "لقد أخبروني ما فعلت من أجلي وقت الحادث، أردت أن أشكرك، أنا مدين لك جداً" لم تستطع مرام قول أي شيء بل تابعت البكاء وجلست على الأرض تسمعه فقط، قال واصل: "هل تبكين؟" قالت مرام: "بل أنا سعيدة جداً"

قال واصل: "ليس من السهل تمييز صوتي الآن، لقد تأثر بسبب الأجهزة" لم يكن هذا شيئاً مهماً على الإطلاق، لم تستطع مرام قول أي شيء فقال واصل: "أحببت أن أسلم عليك، وأشكرك على ما فعلت، لقد كان ذلك رائعاً حقاً" قالت مرام: "لقد فعلتُ ما كان علي أن أفعله فقط" قال واصل: "أنا مدين لك جداً، شكراً" لم تقل مرام شيئاً، كان من الواضح أنها تبكي، قال واصل: "أراك بخير" قالت: "وأنت أيضاً" قال واصل بهدوء: "مع السلامة" وأغلق الهاتف، مرام لم تستطع تصديق ما سمعت، إنه بخير! لقد نهض! بل وقد كان هو من أخبرها بذلك بنفسه!



ركضت مرام خارج الغرفة ونزلت الدرجات تركض وتصرخ: "واصل بخير، لقد استيقظ، إنه بخير!" سمع كل من في المنزل الخبر السعيد، قفزت شادن من الفرحة مع مرام وقفز كفاح مع مصعب سعيدين، وفرحت الجدة بسعادتهم خاصة بدموع مرام. قالت شادن: "كيف علمت ذلك؟" قالت مرام: "من الهاتف، لقد اتصل! إنه بخير" قال كفاح بسرعة: "هل نستطيع أن نراه؟" قالت مرام: "بكل تأكيد، تجهزا للخروج" ركض كفاح ومصعب سعيدين ليستبدلا ثيابهما، شادن أيضاً ذهبت تستبدل ثيابها، كان على أحدهم أن يظل مع الجدة، رغم أن الجدة أصرت عليهم أن يخرجوا جيمعاً إلا أن مرام قررت البقاء معها والذهاب عندما يعود أحدهم إلى المنزل.

★★★

في المشفى كان كرم إلى جانب واصل عندما أغلق سماعة الهاتف ثم قال: "شكراً لإحضارك الهاتف" قال كرم: "كيف كانت ردة فعلها؟" قال: "كانت تبكي، لا فرق بينكما" ابتسم كرم قائلاً: "كان هذا مفاجئاً جداً" قال واصل: "ألم تعتد علي بعد؟" قال كرم: "ليس على سرير المشفى أيضاً" قال واصل: "لا فرق" عندها دخلت لمياء عليهما تقول: "كيف حالك الآن؟" قال واصل: "بخير" قالت: "لقد سألنا الطبيب إذا كان بالإمكان إخراجك من المشفى، فنصحنا أن تظل هنا قليلاً إلى أن تعاود السير والأكل بشكل طبيعي" قال واصل: "أشعر فعلاً بارتخاء في جسدي، حتى أن عضلاتي قد ترهلت" قال كرم: "لا تقلق بشأن ذلك، سنعاود التدريب معاً" نظر واصل إلى كرم قائلاً: "هلا ساعدتني على النهوض إذن؟".

نهض كرم يساعد واصلاً على الوقوف، لمياء ساعدتهما أيضاً، فعلاً وقف واصل وسار قليلاً في الغرفة بمساعدتهما، لم يكن الوضع سيئاً كأول مرة، ثم عاد إلى الفراش ليجلس عليه ثانية، قال كرم: "ليس هناك مشكلة" قال واصل: "لا بأس، أظن أنني أستطيع فعل ذلك مجدداً" قالت لمياء: "لا ترهق نفسك" قال واصل: "بالمناسبة، أين أبي؟" قالت: "إنه منشغل بإجراءات المشفى، سيحضر بعد قليل".

★★★

في الغابة حضر سجال إلى ساري، قال سجال: "ما رأيك أن نزور كفاحاً؟" قال ساري: "لا يبدو عليك أنك بخير، هل حدث شيء ما؟" قال سجال: "لا شيء، يبدو لي فقط أن عمل والدي يتدهور" "ومازلت

تشعر بالذنب لذلك" "أنا المذنب بكل تأكيد" ابتسم ساري قائلاً: "عليه أن يتدبر أمره، إنه رجل المنزل" "وماهر أيضاً يبدو أنه يواجه صعوبات في الجامعة، المنزل مايزال كئيباً" "يجب أن يتخطوا المرحلة، الأمر ليس فظيعاً" تنهد سجال فقال ساري: "حسناً حسناً، لنذهب إلى كفاح".

وصل سجال وساري منزل كفاح فرأياه يخرج برفقة مصعب وشادن، استوقفاه قائلين: "إلى أين؟" قال كفاح مسروراً جداً: "إلى المشفى، لقد شفي واصل" جفل سجال وساري لما سمعا وقبض سجال على يد ساري حيث كان هو من أخبره أن واصلاً سيموت، قال كفاح: "ما بكما؟ ألا تأتيا؟" قال ساري مرتبكاً: "ليس الآن" قال سجال: "سنحضر في وقت لاحقٍ" ولكن كفاحاً أمسك بساري قائلاً: "ستأتي الآن" ارتبك ساري قائلاً: "امنحني بعض الوقت" قال كفاح: "ظننتك تريد أن تتخلص من كل الأفكار..." قال ساري منزعجاً: "امنحني بعض الوقت فقط!" سكت كفاح ثم نظر إلى سجال وقال: "ماذا عنك؟" قال سجال: "لاحقاً" قال كفاح: "لماذا؟ لطالما كنتُ أغار من علاقتك بواصل، إنه يحبك أكثر مني" طأطأ سجال رأسه، ربما كان ذلك في الماضي، قال كفاح منزعجاً: "ما بالكما؟ لماذا تتصرفان هكذا؟ ظننت أنكما ستكونان سعيدين معي" قال سجال: "نحن سعداء من أجلك بكل تأكيد" نظر كفاح مباشرة إلى ساري قائلاً: "ومن أجل واصل" لم يستطع ساري النظر في وجه كفاح، كان واثقاً أن واصلاً انتهى، لماذا عليه أن يفكر به ثانية؟

قالت شادن: "كفاح، هيا بنا" عندها أمسك كفاح بيد سجال ثم بيد ساري ونظر إليهما مباشرة وقال: "تعاليا".

أخيراً تحركا معه، ركبا سيارة الأجرة واتجها مع الجميع إلى المشفى.

لم ينطق أحدهما بكلمة طول الطريق، كان لدى سجال الكثير ليتحدث به إلى ساري الذي أقنعه بالفكرة كلها، وكان ساري في حيرة من أمره، لا يمكن للمستقبل أن يتغير، هذه كانت نظرية سجال منذ البداية.

وصلوا المشفى واتجهوا فوراً إلى غرفة واصل، ركض كفاح ومصعب داخلين الغرفة ووجدا واصلاً على الفراش إلى جانبه كرم ولمياء ومراد. ابتسم واصل لرؤيتهما فركضا عليه يعانقانه ويبكيان. لم يتوقع واصل منهما كل هذا الاستقبال، هما أيضاً يبكيان عليه. قبلهما ثم قال: "لقد جعلتكما تقلقان كثيراً" نظر مصعب إلى أمه وعانقها باكياً أيضاً، لقد مر شهران كاملان لم يرها فيهما أبداً، كفاح أيضاً عانقها.

بعدهما دخلت شادن تبارك وتزغرد، فرحت لمياء كثيراً بقدومها، بل وكانت تحمل كيساً من الحلوى أيضاً. سألتها لمياء: "كيف وصلك الخبر؟" قالت شادن: "مرام أخبرتني" نظر واصل إلى كرم حيث لم يكن من المفترض أن تعرف لمياء شيئاً كهذا، ولكنها فعلاً نظرت إلى واصل وتوقعت ما فعل.

سجال وساري كانا ما يزالان خارج الغرفة، أمسك سجال بقميص ساري وشده على الحائط قائلاً: "أنت من أخبرني أنه قد انتهى! لقد سلمت بالأمر" قال ساري: "وأنت من قال إن المستقبل لن يتغير، وأنا سلمت بالأمر أيضاً" عندها شعرا باقتراب أحدهم من الباب فترك سجال سارياً فوراً ونظرا حيث كان كفاح يقول لهما: "ادخلا".

هدأ سجال وساري تماماً ودخلا ببطء شديد، نظر الجميع إليهما يدخلان لا يبدو أنهما سعيدان كالباقين، إن منظرهما غريب جداً! ربما لم يكن وجود سجال غريباً، ولكن وجود ساري كان غريباً بالنسبة لواصل، ماذا يفعل كفاح؟

باتت الغرفة مزدحمة فقال كرم: "سأستأذن الآن" نظر واصل إليه قائلاً: "لقد وعدتَ أن تظل" قال كرم: "سأذهب إلى الشركة لآخذ عطلة من العمل، ثم سأعود هنا" قبل واصل بذلك فوراً، ربّت كرم على كتفه وغادر.

ظل سجال وساري صامتين، فنهضت لمياء ونهض معها مراد ليتركاهما براحتهما. غادرت معهما شادن أيضاً، معهما مصعب، فظل كفاح معهما في الغرفة أمام واصل.

قال واصل: "ما الأمر؟ لماذا أنتما صامتان هكذا؟" ابتسم سجال وقال بهدوء: "الحمد لله على السلامة" قال واصل: "هذا لطف منكما" ولكن سارياً لم يقل شيئاً بل لم يكن ينظر إلى واصل، كان منظرهما مريباً فقال واصل: "هل فعلتما شيئاً ما؟ هل دريم بخير؟" قال سجال بسرعة: "كلا إنه بخير، لم نلمسه أبداً" ثم نظر إلى ساري وقال: "أليس كذلك؟" أشار ساري بالإيجاب دون أن يرفع عينيه عن الأرض. نظر واصل إليه قائلاً: "ساري..." قال ساري: "لم أكن أريد الحضور إلى هنا" قال كفاح: "ماذا تقول؟" قال واصل: "إذن لماذا حضرت؟" قال ساري: "لقد أحضرني كفاح" هزه كفاح قائلاً: "ماذا تقول؟" ابتسم واصل قائلاً: "لا أظن أن كفاحاً قادر على إجبارك على شيء كهذا" سكت الجميع وظل ساري يحدق في الأرض منزعجاً لا يريد النظر في عيون واصل، حاول كفاح التكلم ولكن سارياً قال: "ليس من السهل أن أفعل شيئاً كهذا" لم يفهم واصل ولا حتى سجال ما يجري، ولكن كفاحاً وضع يده على كتف ساري بهدوء فقال ساري بصوت أعلى: "لقد سامحتك" اندهش واصل لما سمع، بل كانت دهشة سجال أكبر حيث لم يكن لديه أي علم عن الموضوع، تابع ساري قائلاً: "لقد سامحتك على كل ما فعلت، أو كل ما ستفعل" ظل الجميع صامتين من الصدمة، عندها

قال ساري: "هذا كل ما لدي" وغادر المكان مسرعاً فركض كفاح خلفه منادياً.

ظل سجال وواصل في الغرفة وحدهما، كلاهما مصدوم لما سمع! سجال لا يصدق أن سارياً فعل ذلك فعلاً! إنه كان أكثر من يكره واصلاً على الإطلاق، وواصل أيضاً كان مندهشاً أن كفاحاً استطاع إقناع ساري بقول شيء كهذا! هل يستطيع فعلاً أن يغيره؟

ظل سجال يحدق في الباب ثم إلى الأرض، وبعد صمت ابتسم قائلاً: "إنه أقوى مما ظننت" قال واصل: "اصدقني القول، هل فعلتُ شيئاً فظيعاً بساري؟" فكر سجال قليلاً ثم قال: "غير دريم، لا أظن ذلك" قال واصل: "حقاً؟" قال سجال: "ليس لك ذنب في ما جرى، لا تفكر في الأمر" تنهد واصل قائلاً: "لماذا عليّ أن أتذكر كل ذلك الآن؟" ظل سجال صامتاً فقال واصل: "ماذا بك؟" ابتسم سجال ولكن علامات الحزن ظلت بادية على وجهه وقال: "إنه أفضل مني، هذه أول مرة أكتشف فيها كم هو رائع، ليتني أمتلك شيئاً من قوته" قال واصل: "أنت قوي بما فيه الكفاية" قال سجال بهدوء ينظر إلى حيث قدميه: "لقد ظننت أنك مت" كان يبدو على سجال أنه يقول شيئاً مهماً، تابع قائلاً: "الجميع كان يؤمن أنك ستستيقظ بينما سلمت أنك مت، الجميع كان حزيناً عليك بينما كنت لا أبالي" تعجب واصل مما يسمع! لماذا يقول سجال شيئاً كهذا؟ تابع سجال قائلاً: "كم أنا شخص سيء، حتى ساري كان أفضل مني" قال واصل: "ليس هناك شخص سيء وشخص جيد، أنا واثق أن ساري قد فعل الكثير، يكفي أنه قتل من قبل" قال سجال منزعجاً: "لقد قتلت أكثر منه! لطالما ظننت أنه غبي، ولا يصلح لشيء! كنت دائماً أنظر إليه بدونية، ولكنني الآن

أكتشف أنه أفضل مني، أفضل مني بكثير!" لم يعرف واصل ما يقول، من الغريب أن يسمع أحدهم يقول أشياء كهذه، عندها قال سجال: "أنا آسف" قال واصل: "شكراً على صراحتك، ولكن ألا تظن أنه من الغريب أن تقول لي أنك لا تأبه بموتي؟" لم يستطع سجال قول أي شيء فقال واصل: "أنا لست غبياً، كيف تظن لشيء كهذا أن يكون وقعه بسيطاً على نفسي" قال سجال: "لقد كنتَ رائعاً معي، أنا من أخطأ دائماً في حقك" قال واصل: "جيمل أن أسمع هذا بهذه الصراحة" قال سجال: "أنا أعلم أنني لا أستطيع النظر إليك" قال واصل: "فلماذا حضرت إذن؟" قال سجال بصوت خافت: "كفاح جلبنا معاً" ابتسم واصل قائلاً: "ليس كل ما يفعله كفاح صائباً" قال سجال: "ما كان علي أن أحضر" وغادر المكان منزعجاً.

لم يعرف واصل ماذا سيفعل، كان غريباً أن يسمع سجالاً يقول أشياء كهذه، ولكنه أيضاً لم يستطع أن يخفف عنه، هو من كان على حافة الموت وليس سجال.

ركض سجال إلى منزل عمرو والدموع في عينيه، تذكر ما كان يقوله له ساري "أبداً لم أكن، ولم أكن أريد أن أكون مثلك أبداً" وتذكر والد ساري يخرج من السجن، ثم تردد صدى صوت ساري يقول في أذنه "لقد سامحتك..." دخل المنزل بسرعة وركض إلى فراشه وتمدد عليه يبكي، بل يصرخ بأعلى صوته.



سمع صوت بكائه كل من في المنزل، ركض ماهر إليه حيث لم يكن عمرو في المنزل بعد، فتح الباب فرآه على الفراش مايزال يبكي بحرارة، جلس إلى جانبه يقول: "سجال، ما الذي جرى؟" ولكن سجالاً لم يقل شيئاً وظل يبكي، وضع ماهر يده على ظهر سجال قائلاً: "قل ما الذي يزعجك هكذا؟" ولكن سجالاً ظل يبكي بحرارة، تجمع الجميع على الباب، سناء ومالك ولينا ولنا، الجميع ينظرون إليهما، أشار لهم ماهر أن يغادروا ويغلقوا الباب خلفهم، فعلت سناء ذلك لتتركهما وحدهما.

★★★

في المشفى كان كفاح يركض في الممرات باحثاً عن ساري، أخيراً وجده يجلس على شرفة صغيرة مطلة على الشارع، كان ساري جاثياً يمسك بالقضبان عندما وقف كفاح خلفه وقال: "لقد كان ذلك رائعاً" لم يقل ساري شيئاً فجثا كفاح إلى جانبه قائلاً: "لماذا فعلتَ ذلك؟" قال ساري: "ألم تكن تريدني أن أفعل؟" قال كفاح: "هل فعلت ذلك من

أجلي؟" لم يقل ساري شيئاً فقال كفاح: "أردتُ أن تفعل ذلك من أجلك أنت" قال ساري: "كيف يكون ذلك من أجلي؟" وضع كفاح يده على كتف ساري وقال: "عندما تسامح شخصاً ما يكون ذلك من أجلك أنت" نظر ساري إلى كفاح فقال كفاح: "صدقني، الغضب والحقد والانتقام كلها مظاهر مؤذية، بالإضافة إلى أنها تظل تربطك بالشخص الذي آذاك، بمسامحتك هذا الإنسان تكون قد فككت الرابط الذي يربطك به نهائياً" قال ساري: "لا أريد أن أراه ثانية" ابتسم كفاح قائلاً: "لست مضطراً لذلك" وقف ساري ثم وقف كفاح قائلاً: "لقد كان ذلك رائعاً فعلاً" قال ساري: "ها هي عائلتك كلها هنا، هنيئاً لك" شعر كفاح بحزن حيث لا يملك ساري عائلة كعائلته، قال: "تستطيع أن تظل" مشى ساري مغادراً وقال: "أنا عائد إلى الغابة، أراك ثانية".

ترك كفاح سارياً يغادر، إنه بحاجة لبعض الوقت ليهدأ، فهو يعلم أنه لم يكن ما فعله سهلاً أبداً، ثم عاد ليجلس مع واصل والعائلة.

★★★

كرم أخذ إجازة من الشركة ثم توجه فوراً إلى منزله.

فرح كانت تجلس إلى التلفاز، كل المحطات مملة، رند كانت تحضر عصيراً لتشرب، قالت لها فرح: "هل تخرجين؟" قالت رند: "لقد تسوقتِ البارحة!" قالت فرح: "البارحة، ماذا عن اليوم؟" دخلت رند الغرفة تنظر إلى فرح قائلة: "كم من المال تنوين صرفه على الثياب؟" تنهدت فرح قائلة: "حسناً حسناً، لن أشتري شيئاً، فقط دعينا نسير في الخارج، لنذهب إلى أي حديقة" ظلت رند تنظر إلى فرح غير مقتنعة بما تقول فقالت فرح: "ما الأمر؟ كأننا لم نفعل ذلك من

قبل!" قالت رند: "عندما خرجنا للتنزه فقط، دخلنا مطعماً باهظ الثمن، واشترينا بعض المثلجات بسعر أفضل الثياب" قالت فرح: "هل تنوين الذهاب للتنزه دون مثلجات أيضاً؟" قالت رند: "هناك مثلجات رخيصة، لماذا علينا أن نذهب إلى أغلى المحلات؟" قالت فرح: "حسناً، ستختارين بنفسك أين سنذهب وماذا سنأكل، ولكن عليك أن تختاري شيئاً لذيذاً".

ما إن أنهت فرح كلمتها حتى فتح كرم الباب بسرعة، اندهشت فرح ورند بوجوده في هذه الساعة، فالدوام لم ينته بعد بكل تأكيد! ولكن كانت السعادة بادية على وجهه بشكل كبير، قال: "لقد استيقظ! لقد شفي واصل" لم تكد فرح تستوعب ما يقول، ولكن رندَ قالت بسرعة: "حقاً؟" ركض كرم إليها ورفعها مسروراً وأدارها في الهواء من شدة فرحته، لم تكد فرح تصدق ما ترى! حاولت رند ألا ينسكب شيء من العصير في يدها.



وقفت فرح قائلةً: "إنه بخير الآن؟" أنزل كرم رندَ ثم اتجه إلى فرح قائلاً: "أجل، على أحسن مايرام" ابتسمت قائلة: "هذا رائع، مبارك" عندها رفعها أيضاً ولف بها الغرفة سعيداً، رند ضحكت عليه كثيراً، إنه كمن يفرغ طاقات هائلة. أنزل كرم فرح وقبّلها ثم قال: "سأعود إلى المشفى، سأتصل بكما من هناك" أشارت فرح بالإيجاب دون أن تفهم شيئاً، ثم غادر كرم سعيداً جداً.

ما إن أغلق الباب خلفه حتى هدأ المنزل تماماً، فرح جثت على الأرض وبدأت تبكي، لم يبد على رند أنها تعجبت من ذلك، بل ظلت واقفة مكانها وقالت: "لقد أخبرتك أنه سيكون هكذا" قالت فرح: "لم أره سعيداً هكذا في حياته، حتى يوم الخطبة والزفاف" نظرت رند إلى فرح وقالت: "سبق أن أخبرتك ألا تفكري في المنافسة، وإلا ستعيشين تعيسة" قالت فرح: "لا أريد أن أفكر هكذا، هو من يجعلني أفكر رغماً عني" جثت رند أمام فرح قائلة: "كرم لا يخفي مشاعره أبداً، هذا أجمل ما فيه" قالت فرح: "أعلم ذلك، ولكن..." قالت رند: "يجب أن تتقبلي الأمر، كرم لديه أخ عزيز عليه" قالت فرح: "جميل أن يكون لديه مثل هذا الشخص" قالت رند: "وأنت لست أخاً له" نظرت فرح إلى رند فقالت رند: "وأنا أيضاً، وضعي مختلف، لكل منا مكانه المحدد في قلب كرمٍ" هدأت فرح قليلاً ثم ابتسمت قائلة: "هل تعلمين، أنت عاقلة جداً" ابتسمت رند قائلة: "ربما كانت ظروف الحياة التي أعيشها هي السبب" مسحت فرح دموعها وقالت لرند: "هل تخرجين؟" قالت رند: "أنا من سيختار أين نذهب" أشارت فرح بالإيجاب وذهبتا تستبدلان ثيابهما وخرجتا.

★★★

سجال كان قد هدأ قليلاً، مايزال ممدداً على الفراش ويجلس ماهر إلى جانبه، قال ماهر بهدوء: "هل تريد أن تتكلم؟" قال سجال: "ليس هناك شيء محدد" قال ماهر: "كل هذا البكاء لم يكن على شيء محدد! على الأقل لماذا الآن؟" رفع سجال رأسه عن الفراش وجلس إلى جانب ماهر، كان سجال متعباً من البكاء فقال: "البكاء متعب فعلاً" ابتسم

ماهرٍ قائلاً: "المهم علام كنت تبكـي؟" ضـم سـجال نفسـه دون أن يقـول شيئاً فقال ماهر: "لست أرغـب في إجبـارك علـى قـول مـا لا تريـد، إذا أردت أن تفضفض مـا لـديك تسـتطيع أن تخبرنـيٍ، أعـدك ألا أتكلـم فيٍ الأمر لمن لا ترغب أن يعرفه" ابتسم سجال قـائلا: "أنـت رائـع دائمـاً، ليتـك فعـلاً كنـت أخـي الحقيقـي، لمـا كـان كـل هـذا قـد جـرى" قـال ماهر: "كلٍ هذا؟" سأل سجال: "ماهر، هـل أنـا شـخص سـيء؟" ابتسمٍ ماهرٍ قائلاً: "هل تظن ذلك؟" قال سجال: "كنت أظن أنني كنـت شخصـاً سيئاً وقد تغيرت، ولكنني أظن أنني لم أتغير كثيراً" قال ماهر: "أنا لا أعرفك في السابق، على كل حال بالنسبة للآن فلا أظن أنك شخص سيء على الإطلاق" قال سجال: "أنا أجلب المتاعب، لا يستطيع أحد أن يكون سعيداً إلى جواري" توقع ماهر أن يتحدث سجال عن عمل والـده حيـث مايزال يلوم نفسه علىٍ ما جرى فقال: "سيكون والدي على مايرام، إنـه لا يحب التدريس أصلاً" قال سجال: "ولكن لا أحـد يحضـر إلى عيادتـه لأنه كان في السجن" ماهر يعلم أن هذا صحيح تماماً، ولكنـه قـال: "لـن يطول الأمر، يحتاج الناس إلى بعض الوقت لينسوا" سكت سجال فقـال ماهر: "هناك شيء آخر، ما الذي جرى فعلاً؟" قال سجال: "لقـد شـفي واصل" تفاجأ ماهر بهذا الخبر فقـال فرحـاً: "هـذا خـبر رائـع!" قـال سجال: "ولكنني لم أشعر بالسعادة على الإطلاق" سكت مـاهر لا يفهـم ما يعني، قال سجال: "لقد أخـبرت واصـلاً أنـني لم آبـه بمرضـه علـى الإطلاق" لم يعرف ماهر ما يقول، ولكنه نظر إلى سجال وسأله: "وماذا قال واصل؟" قال سجال: "لم يعرف ماذا يقول" قال ماهر: "لمـاذا فعلـت ذلـك؟ كـان بإمكانـك أن تبـارك لـه فحسـب" قـال سـجال: "لأن... لأن سارياً..." لم يستطع سجال متابعة الحديث عندها فُتح الباب فـإذا بـه

عمرو.

سكت الاثنان فقال عمرو: "هل أزعجكما؟" قال ماهر: "كلا" ولكن سجالاً لم يقل شيئاً، ظل ينظر إلى قدميه على الفراش، سأله عمرو: "هل تحب أن أجلس معكما؟" نظر ماهر إلى سجال الذي تمدد على الفراش لا يريد أن ينظر إلى أحد. قال له ماهر: "أنت معتاد على الحديث مع والدي، سأترككما معاً" نهض ماهر ليغادر الغرفة، عند الباب قال عمرو: "لقد تحدثت إليه، تستطيع متابعة ذلك" أشار ماهر بالنفي وقال: "لم يقل الكثير، إنه يتحدث إليك أكثر".

فعلاً ترك ماهر عمراً وسجالاً وحدهما في الغرفة، نظر خلف الباب فإذا بها لنا، كان القلق بادياً على وجهها، قال ماهر: "ما الأمر؟" قالت لنا: "هل يتألم؟" قال ماهر: "إنه بخير لا تقلقي" ثم أمسك يدها ونزلا إلى الطابق السفلي.

أغلق عمرو الباب خلفه ثم جلس على الفراش بالقرب من سجال وقال: "أخبرتني سناء أنك عدت إلى المنزل باكياً" قال سجال: "هل أنا شخص سيء؟" ابتسم عمرو وقال: "كلا" نظر سجال إليه وقال: "كيف تقول ذلك؟" قال عمرو: "لأنك لست شخصاً سيئاً" لم يقل سجال شيئاً، طأطأ رأسه لا يعرف ماذا يقول، عندها قال عمرو: "أن تخطئ شيء، وأن تكون سيئاً شيء آخر" قال سجال: "أنا لا أشعر أنني مخطئ" قال عمرو: "إذا لم تكن مخطئاً فعلاً فهذا أمر جيد" قال سجال: "وإذا كنت مخطئاً؟" قال عمرو: "نناقش الأمر معاً بهدوء" قال سجال: "الأمر ليس هكذا، إنه مجرد إحساس" ابتسم عمرو قائلاً: "أشك أن هذا البكاء عبارة عن مجرد إحساس" وضع سجال يده على رأسه راغباً في البكاء ثانية، عندها قال عمرو: "تستطيع أن تقول كل شيء بأية طريقة تريد"

قال سجال: "ساري، أخبرني كم كنت سيئاً في الماضي، وأنه لم يكن يتمنى أبداً أن يكون مثلي" لم يقل عمرو شيئاً ولكن كان واضحاً أنه ينتظر من سجال المزيد، قال سجال: "والآن، اكتشفت أنه بات ينسى الماضي، بل ويسامح كل من أساء إليه، لم أكن أتوقع أن يكون بهذه القوة!" قال عمرو متعجباً: "ساري يفعل ذلك؟" قال سجال: "لم أصدق ذلك حتى سمعته بأذني، لطالما ظننت أنه سيء فإذا بي أسوأ منه" قال عمرو: "من الجميل جداً أن يسامح، ولكنك لم تفعل شيئاً يدعو إلى القلق" قال سجال منزعجاً: "لقد كان واصل يعاني وأنا لم آبه لذلك لحظة!" كان من الواضح أن هذا ما يزعج سجالاً فعلاً وأن عمراً قد وصل إلى ما يجب أن يستمع إليه فعلاً، قال عمرو: "لماذا؟" قال سجال منزعجاً أكثر: "لا أدري! لأنني شخص سيء؟" وضع عمرو ذراعه حول سجال وقال: "لا تستطيع أن تجيب عن هذا السؤال هكذا" "هل هناك تفسير آخر؟" "لقد قلت أن سارياً شخص جيد بالمقارنة معك، فهل كان قلقاً على واصل بينما لم تكن أنت؟" فكر سجال قليلاً وأشار بالنفي، فقال عمرو: "إذن لماذا يكون هو شخصاً جيداً بينما تكون أنت السيء؟" لم يستطع سجال قول أي شيء فقال عمرو: "لأنك تحب واصلاً بينما هو لا يحبه؟" نظر سجال إلى عمرو فتابع: "أنت منزعج لأنك تحب واصلاً، وتعلم أنه كان يستحق منك اهتماماً أكبر" قال سجال: "لقد شفي" تفاجأ عمرو لذلك وقال: "حقاً! هذا رائع!" "وقد أخبرته" "ماذا أخبرته؟" "أنني لم آبه بمرضه على الإطلاق، بل سلمت أنه مات وانتهى الأمر" ظل عمرو صامتاً، نوعاً ما لم يكد يصدق ما يسمع! بعد أن استوعب الكلمات في رأسه قال: "ولماذا فعلت ذلك؟" طأطأ سجال رأسه مجدداً وقال: "لأن سارياً كان قوياً جداً أمامه، ظننت

أنني يجب أن أكون قوياً مثله" ظل عمرو صامتاً يحاول أن يفهم أيضاً ما يقوله سجال، قال: "وماذا قال ساري؟" قال سجال: "ساري سامح واصلاً على كل شيء، لم أستطع تصديق ذلك!" قال عمرو: "فقمت أنت بإخبار واصل أنك لم تأبه به؟" أشار سجال بالإيجاب فرفع عمرو ذراعه عنه ثم فكر قليلاً ليقول: "ما كان عليك أن تفعل ذلك" "ولكن هذه هي الحقيقة، أنا لم آبه به فعلاً" "لم تكن مضطراً لقول شيء كهذا حتى لو كان حقيقة" "لم أكن لأفعل لولا أن فعل ساري ما فعل" سكتا قليلاً فقال عمرو: "وماذا قال واصل؟" "لامني أنني حضرت إلى المشفى" "أكاد لا أستطيع تخيل وقع الفكرة عليه، لا أستطيع أن أتخيل نفسي مكانه أيضاً" "ما العمل؟" "عمل؟" "ماذا أفعل؟" ابتسم عمرو قائلاً: "ما تريد أن تفعل" قال سجال: "أنا جاد" قال عمرو: "وأنا جاد جداً، افعل ما تريد أن تفعله" طأطأ سجال رأسه قائلاً: "أريد أن أعود إليه" قال عمرو: "فافعل" قال سجال: "لن يستقبلني" قال عمرو: "إذا عدت تقول ما قلت، ربما. ولكن ليس إذا أخبرته كم تحبه" نظر سجال إلى عمرو الذي ظل صامتاً يحدق به، عندها نهض سجال بسرعة وخرج من الغرفة وخرج من المنزل أمام الجميع متجهاً إلى المشفى فوراً. تعجب الجميع لخروجه هكذا ولكن عمراً طمأنهم جميعاً.

ركض سجال بأقصى سرعته إلى المشفى، لم يجهز ما يمكن أن يقوله بعد، ولكنه على الأقل يملك ما يفعله الآن. كانت المسافة بعيدة إلى المشفى، ولكن سجالاً ركضها كلها من شارع إلى آخر إلى أن وصل.

وقف على باب المستشفى يلتقط أنفاسه، لم يكن الجري هو ما أتعبه بل قلقه مما سيجري وتفكيره بما سيقول هو ما يجعله يلهث.

أخذ نفساً عميقاً وقرر الدخول، ما إن دخل المشفى حتى شاهد مجموعة أطباء وممرضات يركضون بسرير من الطوارئ إلى غرفة العمليات. أفسح لهم سجال الطريق ولمح من كان في الفراش، إنها والدته رهف! قلق سجال عليها وركض خلفهم ينادي: "أمي! أمي!" تابع الأطباء الجري دون أن يكترثوا له إلى أن توقفوا عند المصعد. اقترب سجال منهم بسرعة ينظر إلى رهف يقول: "أمي!" ولكن رهف ما إن شاهدت وجهه حتى أشاحت عنه إلى الجهة الأخرى، نظر سجال إلى الأطباء يقول: "ماذا جرى؟" لم يجبه أحدهم، كان الوضع غريباً جداً، فتح باب المصعد فأدخلوا السرير فنادى سجال ثانية: "أمي!" عندها استوقفته ممرضة من ممرضاتها وقالت له: "إنها لم تلد في حياتها" قال سجال: "إنها أمي، صدقيني!" هزت الممرضة رأسها فقال سجال: "إنها أمي!" جثت الممرضة لتهمس في أذن سجال: "هذه المرأة لا تلد، لقد استأصلت رحمها منذ سنين في هذا المشفى" جفل سجال لما سمع! كيف يكون ذلك صحيحاُ؟ إنه... ولدها!

وقفت الممرضة وقالت: "لا بد أنك شبهت عليها" ودخلت المصعد وأغلق الباب أمام سجال الذي كان مايزال مصدوماً لما سمع، جثا على الأرض من هول الموقف، إنها لا تلد! وهو لم يولد بعد، ماذا يعني هذا؟ تذكرها عندما رآها في الحديقة تبكي، وبكت أكثر عندما تحدث سجال إليها، إنها حزينة طول الوقت وتحزن أكثر عندما ترى الصغار، بل وقد سمعته يناديها أمي أيضاً، ماذا يعني هذا؟ ماذا يعني كل هذا؟



دخل كرم على واصلٍ حيث غادر كفاحٌ ومصعب مع شادن قبل لحظات ليتركوا واصلاً يستريح قليلاً. لمياء أيضاً ذهبت مع مراد ليتحدثا معاً في الخارج عندما حضر كرم.

فرح واصل بعودة كرم وقال: "أخيراً حضرت" قال كرم: "ماذا فعلوا لك؟" قال واصل: "أبداً، أنت من يحضر الأخبار السعيدة" أخرج كرم من جيبه قطعة حلوى كان يعرف أنها المفضلة لدى واصل، فرح واصل بها كثيراً وفتحها ليأكلها فوراً، جلس كرم على الفراش قائلاً: "وهل وصلتك أخبار سيئة؟" قال واصل: "كان سجال وساري غريبين جداً" قال كرم: "لا تأبه بهما، إنهما صغيران" ولكن واصلاً لا يعاملهما على هذا الأساس أبداً فهو يعرف حكايتهما جيداً. بعد هدوء قال واصل قلقاً: "ماذا عن... فرح؟" طاطأ كرم رأسه، هذا هو الموضوع الذي يتهرب منه دوماً، قال واصل: "هل حدث شيء سيء؟" قال كرم بهدوء: "لقد تزوجنا" سكت واصل كأنه لم يستوعب ما سمع، ولكن كرماً لم يكرر ما قاله، بعد برهة ابتسم واصل مكابراً وقال: "هذا رائع، مبارك. ألم أقل أنك من يحضر الأخبار السعيدة" قال كرم منزعجاً: "أنا أعلم أن هذا ليس ما تفكر فيه، أنا آسف" قال واصل: "آسف على ماذا؟" نظر كرم في واصل مباشرة وقال: "ما كان يجب أن يحدث شيء كهذا بدونك" لم يستطع واصل أن يقول شيئاً فقال كرم: "أنا آسف" ابتسم واصل قائلاً: "لم تكن لتستطيع أن تنتظر إلى الأبد" قال كرم: "كنت واثقاً أنك ستنهض" قال واصل: "ولكنك لا تستطيع أن تجبر فرح على ذلك" سكت كرم، هذا كان السبب الذي جعله يقدم على الزواج فعلاً، ارتكز واصل على وسادته وقال: "لقد فاتني الكثير على ما يبدو" قال كرم: "مضى شهر على ذلك" "شهر! إنها مدة طويلة" "كان العرس

هادئاً، شيء للمباركة فقط" "ألم يكن جميلاً؟" "كيف له أن يكون كذلك بدونك؟" ابتسم واصل قائلاً: "آسف لذلك، كان يجب أن أكون أول الحاضرين" سكت الاثنان ثم قال واصل فجأة: "علي أن أفكر بهدية إذن" نظر كرم إليه قائلاً: "عن ماذا تتحدث؟" قال واصل: "هدية لزفافكما، يجب أن أفكر بشيء جيد" أمسك كرم يد واصل وقال: "عودتك هي أغلى هدية" ابتسم واصل قائلاً: "ومع ذلك سأحضر هدية" قال كرم: "علمت أنك ستقول ذلك" ضحك الاثنان وتابع واصل تناول الحلوى.

★★★

مرام كانت تجلس في غرفتها تعانق حقيبة واصل تنتظر عودة والدتها بفارغ الصبر، ما إن سمعت جرس الباب حتى ركضت بسرعة لتستقبلهم.

كان الجميع سعداء، اطمأنت مرام لذلك كثيراً، الجميع يتحدثون، إن واصلاً بخير وفي أحسن حال وقد تحدث إليهم جميعاً. الجدة أيضاً كانت سعيدة، كفاح ومصعب يقفزان في الصالة مسرورين، ومرام عانقت شادن بحرارة، أخيراً انتهى هذا الكابوس.

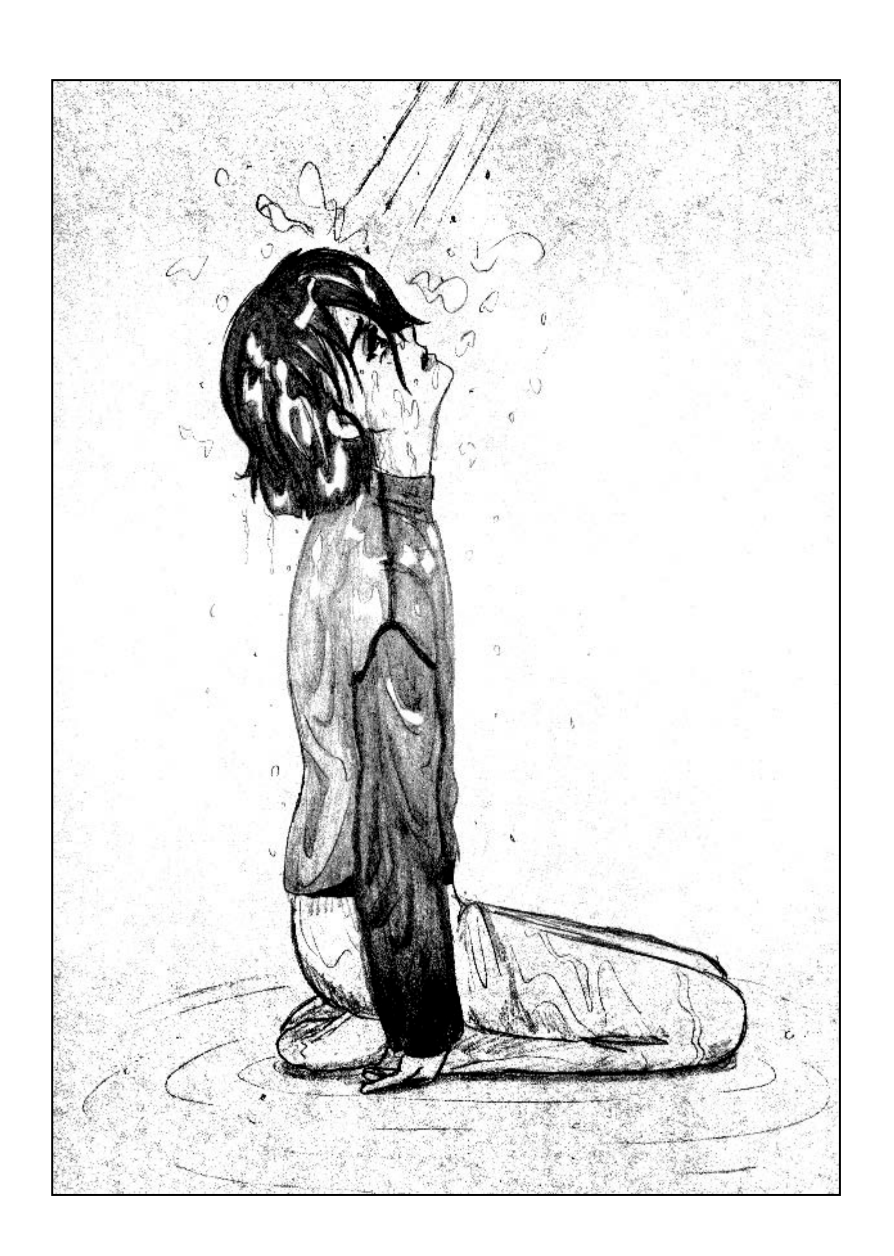
أما سجال فقد عاد إلى منزل عمرو، فتح باب المنزل فنظر عمرو وسناء إليه، كان من الواضح أنه قد حدث خطب ما، وجه سجال كان أبيض كالثلج، عيونه لا ترمش نهائياً، وجسده منهك، بالكاد يحمله. سار وكأنه لا يرى أحداً وصعد إلى الطابق العلوي. لم يجرؤ عمرو على قول أية كلمة، هل يعقل أن واصلاً فعل به كل هذا؟ أمسكت سناء بيده قائلة: "اذهب إليه" نظر عمرو إليها فقالت: "لن تتركه على هذه

الحال" سناء محققة، ولكن هل بامكان أي شخص انتزاع كلمة من سجال الآن؟

صعد عمرو إلى الطابق العلوي بهدوء، الأولاد جميعهم في غرفهم، اقترب من باب غرفة الأولاد ليدقه فسمع صوت رشاش الماء في الحمام.

توقف أمام باب الحمام، طرق الباب قائلاً: "سجال!" ولكن أحداً لم يجب، طرق عمرو الباب ثانية قائلاً: "سجال، افتح الباب" ولكن أحداً لم يقل شيئاً. لم يعرف عمرو إذا كان من المفترض عليه أن يتركه، ولكنه كان قلقاً، إنه يخشى أن يؤذي سجال نفسه، قال بصوت هادئ: "إذا لم تفعل فسأفتحه أنا" ولكن أحداً لم يجب.

حرك عمرو مقبض الباب فإذا به كان مفتوحاً، دخل عمرو الحمام بهدوء ونظر إلى سجال، كان يجلس في حوض الاستحمام، لم يستبدل شيئاً من ثيابه بل ترك مرش الماء يرش عليه مباشرة.



اقترب عمرو منه بهدوء ولكن سجالاً لم يحرك ساكناً، كان شارد الذهن يحدق بالمرش، فتح عمرو فمه لينطق بكلمة ولكن سجالاً قال فجأة: "إنها ليست والدتي" لم يحرك سجال ساكناً ولم يزح عينيه عن المرش ولكن على الأقل قد نطق بشيء يفهمه عمرو. لم يتوقع عمرو أن يتحدث سجال بهذه البساطة، ولكنه شعر كأنه لا يتحدث إليه. تابع سجال قائلاً: "هذا يعني أنه ليس والدي أيضاً" شعر عمرو بما يحس به سجال، لم يعرف كيف عرف سجال هذه الحقائق، ولكن كان من الطبيعي أن يكون وقعها قاسياً عليه. حرك سجال عينيه عن المرش ونظر إلى يديه قائلاً: "لقد خُدعت كل هذا الوقت" اقترب عمرو وأقفل المرش، أخيراً نظر سجال إليه فقال عمرو: "تعال نستبدل ثيابك ونجلس معاً" مد عمرو يده فأبعدها سجال قائلاً: "لا تقترب مني!" حدق عمرو بسجال الذي لم يره هكذا من قبل، قال سجال منزعجاً: "لا يقترب أحد مني، لا أريد أحداً!" قال عمرو بهدوء: "لن يؤذيك أحد يا سجال" قال سجال منزعجاً أكثر: "الجميع يؤذونني! لقد عشت حياتي أطيع رجلاً يكذب علي طول الوقت! كل حياتي كانت كذباً!" لم يشعر عمرو بمدى الأسى الذي يتحدث عنه سجال، كان يظن أنه من الجيد ألا يكون هذا الأب السيء والد سجال الحقيقي، ولكن سجالاً لم يكن يفكر بهذه الطريقة.

قال عمرو: "تعال نتحدث في الغرفة..." صرخ سجال: "لا أريد رؤية أحد!" ونهض راكضاً ثم نزل الدرجات إلى الطابق السفلي وركض عمرو خلفه، فتح سجال الباب ليخرج من المنزل، خشي عمرو أن يفعل سجال شيئاً يؤذيه فأمسك يده، ولكن سجالاً التف بسرعة وضرب يد عمرو ضربة مؤذية ترك فيها عمرو يد سجال من الألم وخرج سجال راكضاً.

ركضت سناء إلى عمرو ونظرت إلى يده، لقد جرح جرحاً عميقاً وهـو ينزف بشدة. أدخلته وبدأت بسرعة تعقم الجرح وتضمده، كـان عمـرو يتألم كثيراً ولكنه كان قلقاً أكثر على سجال، إلى أيـن سـيذهب؟ ومـاذا سيفعل؟ تجمع كل من في المنزل حوله ليفهموا ما جرى، ولكن عمـراً لم يستطع قول أي شيء.

★★★

ركض سجال بأقصى سرعة إلى الغابة، لم يكن هناك شـيء معـين في نفسه ولكن كان عليه أن يجد سارياً فقط.

فعلاً وسط الغابـة كـان يجلـس سـاري فـوق إحـدى الأشـجار شـارد الذهن، وصل إليه سجال وفي عيونه ملامح غريبة من الغضـب والحـزن والانزعاج، نزل ساري إليه قائلاً: "ما الذي جرى؟" ولكن سجالاً أمسك قميص ساري فوراً وشده على جذع الشجرة بقوة فقال سـاري: "أمازلـت تفكـر في الأمـر؟ أنـا لا أعـرف حقـاً كيـف اسـتيقظ!" قـال سـجال منزعجاً: "لقد وثقت بما تقول، ما كان علي أن أفعل!" قال ساري: "تثق بـي؟ منـذ متـى كنـت فعـلاً تثـق بأحـد؟" ألقـى سجال بسـاري أرضـاً وقـال: "أنـا لا أثـق بأحـد، وإيـاك أن أرى وجهـك ثانيـة" قـال ساري: "حدث شيء ما! ما الأمر؟" ولكن سجالاً صـرخ قـائلاً: "إيـاك أن أرى وجهك ثانية" وغادر المكان.

ظل ساري مكانه لا يفهم أبداً ما يجري! لم يكن سجال طبيعياً على الإطلاق!



واصل كان في المشفى يسير بين الحين والآخـر، كـرم اتصل بـالمنزل يخبرهم أنه سيقضي الليلة في المشفى، لم يكن أمراً غريبـاً فقـد توقعـت رند شيئاً كهذا، وفرح سلمت أمرها، لا تريد أن تفكر في الموضوع.

ظل مراد ولمياء إلى جانبه مع كـرم يسـاعدانه، إنـه يتحسـن بشـكل كبير، ولكنه أحياناً أخرى يشعر بالألم في صدره وشيء من ضيق النفس مع بحة الصوت فيستدعي الطبيب للمساعدة.

بات الوقت متأخراً، مراد ولمياء وكرم ظلوا إلى جانبـه، نظـر واصـل إلى والدتـه حيـث يعـرف أنهـا قضـت الفـترة بطولهـا في المشـفى فقال: "أمي، تستطيعين العـودة إلى المنـزل، أنـا بخـير" أشـارت لميـاء بالنفي وقالت: "لن أعـود بـدونك، سـندخل المنـزل معـاً" ابتسـم واصـل مدركاً أن هذا كثير، ولكنه يعلم ألا أحد يستطيع إقناع لمياء بغـير ذلـك طالما ظلت المدة كلها إلى جانبه. نظر إلى والده وقال: "تستطيع أن تذهب إلى المنزل، كفاح ومصعب يحتاجان للمساعدة" قال مراد: "لابأس، كفاح ومصعب عند شادن، إنها تعتني بهما جيداً".

سكت الجميع، ابتسم كرم حيث كان هو الوحيد الذي لم يطلب منه واصل المغادرة، كان سعيداً بذلك جداً. وهكذا نام الأربعة في المشفى.

★★★

سجال قضى الليل كله في الخارج يسير بين الأسواق شارد الذهن، لا يريد أن يرى أحداً ولا يريد أن يتحدث في أي شيء. إنه فقط يسـير مـن شارع إلى آخر والأسواق تغلق شيئاً فشيئاً.

بعد فترة بات السـوق مهجـوراً، لا أحـد في الطريـق، كـل الأضـواء مطفأة إلا أضواء الشوارع الباهتة. جلس سجال على زاوية الطريق شارد

الذهن، فجأة تذكر صوت السوط يضربه، شعر وكأنه يتألم من جديد، تذكر كل الأولاد الصغار الذين ماتوا في المنزل وحدهم، كان واحداً منهم، وكان مصيره سيكون كأي منهم، ليته كان مع الميتين، لماذا عليه أن يكون الوحيد الذي يعاني؟ لماذا؟

عمرو أخبر سناء بما جرى، سناء أحست بالشفقة على سجال، إن كل ما عاناه قد عاناه بلا فائدة، ولكنها أيضاً كانت مستاءة مما فعله بيد عمرو، لقد احتاج الجرح إلى وقت طويل ليتوقف عن النزيف، كان الوضع خطيراً.

ماهر والأولاد كانوا يجلسون معاً صامتين لا يدري أحدهم ما جرى، كل ما عرفوه أن سجالاً كان هو من آذى والدهم، ولكن لماذا؟



الفصل التاسع والستون

في اليوم التالي استيقظ واصل ونظر حوله، كرم كان ينام إلى جانبه، ولمياء ومراد ينامان معاً إلى الجانب الآخر، شعر بدفئ كبير وحنان كان فعلاً يحتاج إليهما دوماً.

حاول النهوض فاستيقظ كرم، قال له واصل إنه يريد أن يتمشى قليلاً.

خرج كرم مع واصل في الفجر يسيران في ساحة المشفى، باتت حركة واصل جيدة ولكن صوته مايزال على غير عادته.

كفاح كان نائماً في منزل شادن، مرام لم تستطع النوم جيداً، كانت سعيدة جداً بما يجري، كانت تفكر كل لحظة كيف ستلاقيه، إنه كالحلم.

رن جرس المنزل، نهضت مرام من الفراش تنظر إلى الساعة، إنها الخامسة فجراً! من الطارق؟ نزلت لتفتح الباب ونزلت شادن أيضاً، سألت: من على الباب؟ فسمعت صوتاً يقول: "أنا سجال، صديق كفاح" تعجبت مرام لذلك كثيراً، فتحت الباب وأحست بشيء غريب جداً، إن منظره مختلف عما كان عليه في السابق، كانت عيناه غريبتان وكأنه سينقض على شيء ما. قالت: "أهلاً بك، هل من خطب؟" "أين كفاح؟" "إنه نائم، هل حدث شيء ما؟" "أريد أن أراه" نظرت مرام إلى شادن التي لم تجد خياراً آخر غير إيقاظ كفاح.

نزل كفاح ببجامته ليستقبل سجالاً، كان قلقاً من زيارته في هذه الساعة المبكرة، صعدت مرام وشادن إلى الطابق العلوي فبقيا وحدهما.

قال كفاح: "هـل هنـاك شـيء مـا؟" قـال سـجال: "أردت أن أتحـدث معك" "ما الأمر؟" "لقد تمنيت أن يموت واصل" لم يقل كفاح شـيئاً بـل لم يسـتوعب مـا يقولـه سـجال، قـال: "عفـواً!" قـال سـجال بكـل بساطة: "هـذه هـي الحقيقـة، لقـد كنـت أتمنـى أن يمـوت ويـذهب إلى الجحيم" قال كفـاح: "مـاذا دهـاك؟" "أردت فقـط أن أقـول الحقيقـة" "أنت لسـت طبيعيـاً! مـا الـذي يجعلـك تقـول شـيئاً كهـذا؟" "علـى العكس، أنا هكذا طبيعي جداً، لقد كنت أحـاول أن أكـون جيـداً طـول الوقت، أنا لست كذلك. هذه الحياة لا تناسبني" سكت كفاح برهـة ثـم قال: "وماذا يفترض أن أفعل؟" قال سجال: "ماذا ستفعل؟ لا تستيطع أن تفعل شيئاً" "لقد أمضيتُ وقتاً طويلاً في الحديث إلى ساري، لم أتوقـع أن تحمل أنت مشاعر كهذه!" ابتسم سجال ابتسامة ساخرة وقال: "لقد كنتَ مخطئاً، ساري يحبك ويستمع إليك" "ألا تحبني أنت؟" "أنا لا أحب أحداً، هذه المشاعر لا تناسبني" لم يستطع كفاح قول أي شيء، كان تصرف سجال غريباً جداً! قـال: "حسـناً، هـل هـذا كـل مـا تريـد قوله؟" قال سجال: "أنا لست ضمن المجموعة، لـن ترانـي بعـد اليـوم" ابتسم كفاح قائلاً: "أستطيع توقع شيء كهذا بعـد كـل مـا قلتـه" نـهـض سجال ليغادر، ولم يقل كفاح شيئاً، غـادر المنـزل بكـل بسـاطة وأغلـق الباب.

ظل كفاح جالساً مكانه لا يفهم ما جـرى، هـل يعقـل أنـه لـن يـرى سجالاً ثانية؟

خرج سجال يسير في الطرقـات ثانيـة، جلـس تحـت شـجرة شـارد الذهن.

عمرو كان في منزله يحدق بيده المضمدة، لم يسـبق لسـجال أن فعـل

شيئاً كهذا، ربما يكون الآن في أسوأ حالاته، كان يبدو أن جميع من في المنزل منزعجٍ لما جرى أكثر منه، لماذا يفعل سجال شيئاً كهذا؟ ولكن عمراً كان قلقاً، ماذا يفعل في الخارج؟ إنه لم يعد إلى المنزل طول الليل.

★★★

عاد واصل مع كرم إلى الغرفة، كان مراد ولمياء قد استيقظا وجلبا الفطور، جلس واصل وتناوله على الفراش، كان الجو هادئاً ولطيفاً. كرم استأذن لمكالمة هاتفية وخرج من الغرفة.

اتصل كرم بمنزله فردت فرح: "أهلاً كرم، كيف تسير الأمور؟" قال كرم: "أكثر من ممتازة، كيف كانت الليلة؟" قالت: "كيف تتوقع لها أن تكون؟" قال: "آسف أنني تركتكما وحدكما" "لقد نمنا معاً، أنا ورند" ابتسم كرم قائلاً: "حقاً! هذا جيد" "إنها تتقلب كثيراً في نومها" نظرت فرح إلى جانبها حيث كانت رند، نظرت إليها بغضب قائلة: "غير صحيح" ضحكت فرح قائلة: "ماذا عنك؟ أين نمت؟" قال كرم: "لا تقلقي علي، لقد تدبرت أمري، أحببت أن أطمئن عليكما" قالت فرح: "هل ستنام في الخارج أيضاً؟" قال: "لا أدري، سأخبركما لاحقا" هكذا أنهيا المكالمة وأغلقا السماعة.

التف كرم ليدخل الغرفة ثانية ولكنه رأى سجالاً في الممر، اقترب سجال منه فقال كرم: "أهلاً بك" قال سجال: "لم أحضر لأرى واصلاً" تفاجأ كرم لذلك فقال: "فلماذا إذن؟" قال سجال: "لأتحدث إليك" تفاجأ كرم لذلك! لم يكن هناك حديث بينه وبين سجال من قبل، قال كرم: "ما الأمر؟" قال سجال: "أظن أن رندَ لم تخبرك أنني اصطحبتها ذات يوم إلى ناد ليلي، ألبستها فستان سهرة ورقصنا معاً" ظل كرم

يحدق في سجال ثم قال: "ماذا تقول؟" قال سجال: "أنت تعمل إلى ساعة متأخرة، نستطيع أن نفعل ما يحلو لنا" أمسك كرم قميص سجال ورفعه قائلاً: "بماذا تهذي؟" ابتسم سجال قائلاً: "توقعت أن رندَ لم تخبرك عن شيء كهذا، ولكنني دائماً أدخل المنزل من نافذة غرفتها..." لم يستطع كرم تحمل كلمة أخرى فصفع سجالاً بقوة سقط منها أرضاً.

مسح سجال أثر الضربة عن وجهه ووقف مبتسماً وقال: "ظننت أنك ستغضب أكثر، هذا كان أبسط مما ظننت" قال كرم: "إياك أن أراك ثانية" قال سجال: "لن يحدث ذلك، لا تقلق".

سار سجال مبتعداً، لم يستطع كرم حتى أن يسأله لماذا يقول شيئاً كهذا؟ ولماذا الآن؟ ألم يكن مستمتعاً بذلك؟ ولكن فكرة أن رندَ تفعل كل ذلك من خلف كرم كانت أكثر من سيئة، لطالما وثق بها.

عاود سجال السير في الطرقات وحيداً، هذه المرة فعلاً لا يملك مكاناً يذهب إليه، لقد تشاجر مع الجميع، الجميع يكرهونه الآن، هذا هو الوضع الذي يفترض أن يكون. جلس بين الأشجار يفكر ثانية، هكذا يجب أن يكون الحال، هذا هو أنا.

★★★

مرام تجهزت للخروج، ستذهب برفقة كفاح ومصعب إلى المشفى هذه المرة، وشادن ستظل عند الجدة.

حملت مرام حقيبة حلوى أعدتها لواصل مع حقيبته. أخذت نفساً عميقاً وتوجهت إلى المشفى برفقة الاثنين.

كان كفاح ومصعب سعيدين جداً للذهاب، بينما كانت مرام تفكر

كثيراً، كيف سيكون؟ ماذا ستقول؟ ماذا سيقول؟ هل من المفترض أن تزوره؟ هل تأخرت في زيارته؟ كان الكثير يشغل بالها.

وصلوا المشفى ودخل كفاح ومصعب الغرفة بسرعة راكضين، فرح واصل بقدومهما وجلسا إلى جانبه فوراً، كرم ومراد ولمياء أيضاً كانوا في الغرفة، فرحوا بقدومهما كثيراً، ثم بعد لحظات دخلت مرام الغرفة بهدوء، نظر واصل إليها عند الباب فهدأ الجميع فجأة. شعرت مرام بالإحراج لذلك، ما كان عليهم أن يسكتوا فجأة. نهض كرم قائلاً: "أظن أنني سأستأذن قليلاً" وكذلك نهض مراد معه وقال: "كفاح ومصعب، هل تريدان بعض المثلجات؟" نهضا بسرعة قائلين: "بالتأكيد" كان من السهل إخراجهما من الغرفة.

بقيت لمياء مع واصل ومرام في الغرفة، ظلت مرام واقفة مكانها فقال واصل: "تفضلي" تحركت مرام قليلاً وقالت: "الحمد لله على السلامة" قال واصل: "شكراً لك، هذا بفضل الله ثم بفضلك" قالت لمياء: "لن ننسى لك هذا الفضل أبداً يا مرام" قالت مرام: "أبداً، لقد فعلت الواجب فقط" سكت ثلاثتهم فقال واصل: "تفضلي" كان هناك كرسي إلى جانب لمياء، ومع ذلك لم تستطع مرام التفكير بالجلوس، بل حملت حقيبتها وقالت: "لقد أحضرت حلوى، أتمنى أن تحبها" قال واصل: "شكراً جزيلاً، أنت دائماً أفضل من يصنع الحلويات" وضعت الحقيبة على الكرسي وإلى جانبها حقيبة واصل وقالت: "ها هي حقيبتك أيضاً، على حالها" قال واصل: "شكراً جزيلاً" بعد هدوء طأطأت مرام رأسها قائلة: "أما... يزال عرضك قائماً؟" لم يقل واصل شيئاً فتابعت مرام قائلة: "أنك ستخطبني فور موافقتي" ابتسم واصل قائلاً: "على أن تفكري جيداً في الأمر" قالت مرام: "لقد فكرت كثيراً، وتعبت من كثرة

التفكير، مضى شهران كانا الأسوء في حياتي" قال واصل: "آسف لذلك" نظرت مرام إلى واصل مباشرة وقالت: "أنا موافقة" نظرت لمياء إلى واصل فقال: "وأنا أعدك، فور خروجي من المشفى أننا سنعيش معاً إلى الأبد" بدأت مرام تدمع فعانقتها لمياء، كان من المفترض أن يحصل ذلك منذ زمن، لقد تأخرا كثيراً، ولكن الحمد لله أن النهاية كانت سعيدة لهما.

★★★

عمرو كان يجلس في المنزل، مايزال قلقاً على سجال، إنه لم يعد إلى المنزل بعد، ماذا يفعل؟ ظل يحدق بيده المضمدة، الجرح كان عميقاً جداً، لم يتوقع عمرو أن يفعل به سجال شيئاً كهذا على الإطلاق.

سناء كانت تحضر القهوة لهما بينما كان عمرو مايزال يفكر جالساً على الأريكة، لحظتها فُتح باب المنزل، نظر عمرو فإذا به سجال على الباب، سناء رأته أيضاً ولكن أحداً لم يقل شيئاً.

ظل عمرو جالساً مكانه، اقترب سجال الذي كانت ملامحه قد تغيرت نهائياً عما يعرفه عمرو، وقف أمامه مباشرة فقال عمرو: "يسرني أنك عدت بخير" قال سجال منزعجاً: "يسرك أنني عدت!" لم يقل عمرو شيئاً فقال سجال: "لقد عشتُ عمري في الخداع والكذب، وفوق ذلك لم تكن حياتي تستحق المعاناة، ظننت أن الجميع يعيشون مثلي، لذلك لم أكن أشعر بالألم، لم أبك في حياتي، أما الآن... فهل تعلم ماذا فعلتَ؟ لقد علمتني كيف أبكي، وعندما سأعود إلى ما كنت عليه سأبكي كل ليلة، لأن شيئاً لن يتغير، فقط علمت أنني الوحيد الذي يعيش هذا النوع من العذاب، ولن أستطيع فعل شيء حياله، هل ترى؟ هذا ما علمتني إياه" لم يستطع عمرو قول أي شيء

فتابع سجال بابتسامة ساخرة: "والآن فقد تـركني الجميـع، تركـوني بكل سهولة، ظننت أن الأمر سيكون أعقد من ذلك، فقـط تركـوني دون أن أضطر لفعل أي شيء. وأنت... أنـت أيضـاً يجـب أن تتركـني، أنـت الوحيد الذي تأذى من بينهم جميعاً" قال عمرو بهدوء: "لماذا تريـد أن تطـرد النـاس مـن حولـك؟ لتفعـل مـا تشـاء؟" غضـب سـجال وصـرخ قائلاً: "لقد آذيتُك فـاخرج مـن حيـاتي! اخـرج مـن حيـاتي كمـا خـرج الجميع!" ثم ركض خارجاً من المنزل بسرعة.

ظل عمرو جالساً مكانه، سناء لم تكد تصدق ما جرى! حتى الأولاد كانوا يستمعون لما يجري من على الدرج، نزل ماهر قائلاً: "لمـاذا يفعـل كل هذا؟ لقد اعتنينا به!" قالت سناء: "إنه يريـدك أن تتركـه وشأنه" قال عمرو: "أنتم سمعتم (اخرج من حياتي) أمـا أنـا فقـد سمعـت (كمـا خرج الجميع)" نظر الجميـع إلى عمـرو الـذي نهـض وصـعد ليتمـدد في فراشه. كان من الواضح أن عمراً لم ييأس بعد، إنه يعلم منذ البداية أي نوع من الصبيان كان سجال عندما أخذه إلى منزله أول مرة، وكان عليه توقع ما هو أسوأ دائماً.

سجال ركض مبتعداً عن المنزل، ركـض لا يـدري إلى أيـن يـذهب أو ماذا يريد أن يفعل، كانت الدموع في عينيه تكاد تنهمـر، أشـرف علـى حدود المدينة ، تعثر هناك وسقط أرضاً.

ظل مستلقياً على الأرض، لم يكن يريد أن يبكـي، لمـاذا تعلـم شـيئاً سيئاً كهذا؟ عليه أن يكون صلباً ويتحمل.

طار فوقه سرب مـن الغربـان الـذي كـان يمـلأ المكـان، لا أحـد هنـا سواه، لا أحد يقترب من مثل هذا المكان الموحش.

★★★

في المشفى كان كرم يجلس في المطعم يشرب القهوة وحده، كان شارد الذهن يفكر برند "هل تفعل أشياء كهذه فعلاً؟ أم هل يكذب سجال علي؟" وضع يده على رأسه "هل عليّ تصديق سجال؟ ولماذا أفعل؟ إنه لم يكن الشخص الذي أثق به في حياتي" وضع يده الأخرى على رأسه "لا يهمني أمر سجال أبداً، المهم رند، لا أريد أن يهز شيء كهذا ثقتي بها، لا يمكن أن تفعل شيئاً كهذا" تذكر الهاتف الثمين من سجال، لقد قابلته عندما كان يغني، طرق كرم بقبضته الطاولة فانسكبت القهوة، إنه في حيرة من أمره.

★★★

مرت ثلاثة أيام على هذه الحال، سجال يسير في الطرقات لا يوجد ما يفعله، واصل يتماثل للشفاء في المشفى ومرام تزوره بين الحين والآخر، لمياء ومراد وكرم إلى جانبه دوماً، كفاح ومصعب في منزل شادن يلعبان ويزورهما ساري، رند وفرح تمضيان الوقت معاً دوماً، أما عمرو فلم ييأس بعد من سجال، لا أحد في عائلته يقف إلى جانبه في ذلك ولكنه مايزال مصمماً أن الذنب لا يقع كاملاً عليه، إنه مظلوم.

اليوم الجمعة، ذهب عمرو إلى النهر في تمام الخامسة، إنه الوقت الذي التقى فيه بسجال أول مرة، بل هو الموعد الذي يلتقيان فيه معاً في معظم الأوقات.

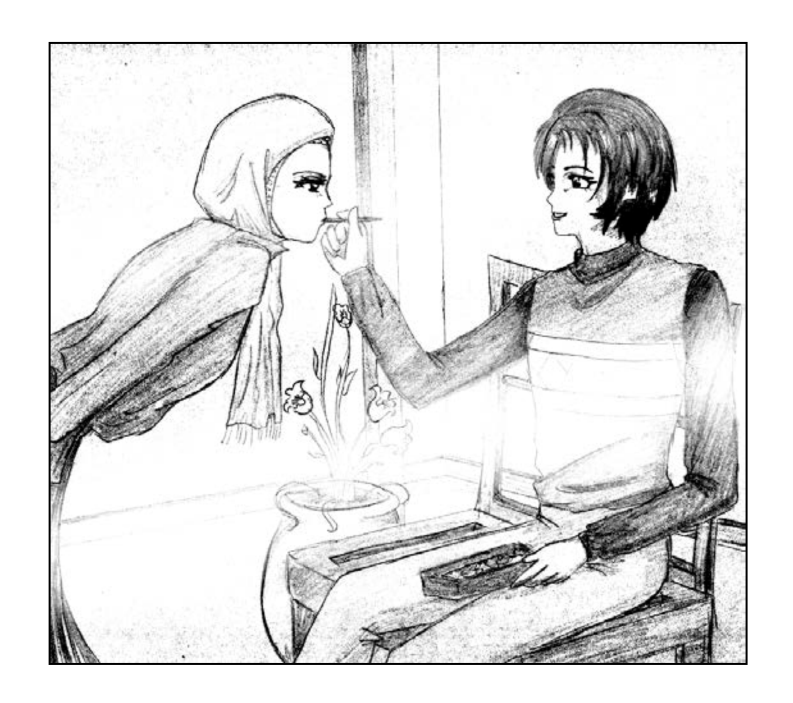
مر الوقت وغربت الشمس، باتت الساعة السابعة، ولا شيء جديد، لم يحضر سجال.

عاد عمرو إلى المنزل، لم يكن يشعر بخيبة الأمل التي توقعتها سناء، كان التصميم واضحاً عليه رغم كل شيء.

★★★

واصل كان يتمشى في ساحة المشفى، باتت صحته أفضل بكثير، مرامٍ كانت تسير إلى جانبه لا تدري ما تقول، نظر واصل إليها قائلا: "من الجميل أن يتركونا نتمشى معاً وحدنا" قالت مرام مشيرة إلى الوراء: "إذا كنت تظن أننا هكذا نسير وحدنا، فأنا لا أظن ذلك" كانت مرام تشير إلى حيث لمياء ومرادٍ يجلسان على كرسي في الحديقة على مرأى منهما، ابتسم واصل قائلاً: "هما لا يسمعاننا على الأقل" تنهدت مرام فقال واصل: "كيف يسير العمل؟" قالت مرام: "نقلت وظيفتي من المشفى إلى عيادة خارجية" قال واصل: "ظننت أن العمل في المشفى أفضل" "أجل، ولكن حدثت بعض المشاكل، أفضل عمل هو العمل الذي لا يضايقك فيه أحد" ابتسم واصل قائلاً: "ربما، هل تعلمين، أريد أن أعلم شيئاً عن المعمل، ولكن في الوقت نفسه أشعر بالخوف أن يكونٍ قد أغلق خلال هذه الفترة" "لم أسمع أنه قد أغلق، لم لا تسأل كرماً أو والدك عنه" "كما أخبرتك، أخشى أن تكون أخباراً سيئة" فكرت مرام قليلاً ثم قالت: "لن يكون أسوأ من الحال الذي أخذته فيها لأول مرة" توقف واصل عن السير يتذكر كيف دخل المعمل أول مرة، لقد كان فعلاً في حالة يرثى لها، صحيح أن أحواله قد تدهورت في الآونة الأخيرة ولكنه لم يعد إلى حاله الأولى على الإطلاق، كان عليه أن يفكر هكذا منذ البداية، قاطعت مرام أفكاره قائلة: "هل هناك خطب ما؟" ابتسم واصل قائلاً: "كلا أبداً، أنت محقة" تذكرت مرام الحلوى في حقيبتها فقالت: "هل تحب أن نأكل قليلاً؟" أشار واصل بالإيجاب فجلسا على كرسي في الحديقة، فتحت مرام حقيبتها وأخرجت الحلوى منها، كان منظرها شهياً، طبقات من الشوكالاتة مع الفواكه المقطعة والكريما، لم يستطع واصل تمالك نفسه، إن الحلوى

التي تعدها مرام دائماً أفضل من سابقتها. قال واصل: "أنت تتطورين في صناعة الحلوى كل يوم" قالت مرام سعيدة: "هذا لأنك تحبها" تناولت مرام شوكة ناولتها لواصل، بدأ واصل الأكل على الفور، بعد لقمة واثنتين نظر إلى مرام قائلاً: "ألا تأكلين؟" قالت مرام: "هناك الكثير منها في المنزل، لا تقلق علي" قطع واصل قطعة من الحلوى ورفعها بالشوكة لتأخذها مرام، ولكن مرام اقتربت من الشوكة وفتحت فمها وتناولتها مباشرة من يده.



لم يكن واصل يقصد أن تفعل ذلك، تفاجأ قليلاً ولكنه كان سعيداً بما فعلت، نوعاً ما شعر أنها باتت قريبة منه أكثر من أي يوم مضى. مرام لم تكن تعرف هل كان مناسباً أن تفعل شيئاً كهذا أم لا، ولكنها فعلته

على أية حال، على العموم لم يمض وقت حتى حضرت لمياء لتعلن نهاية اللقاء، كان من الواضح أنها تفعل ذلك بعد ما رأت، شعر واصل ومرام بالخجل، نهضت مرام واستأذنت لتعود إلى المنزل، ودعها واصل منتظراً زيارتها القادمة، بل ويتمنى أن تكون في أي مكان خارج المشفى.

كانت حال واصل ومرام تتحسن يوماً بعد يوم، كل شيء يسير على مايرام، كل منهما يفكر بالسعادة الأبدية معاً.

★★★

وبعد أسبوع كان سجال يجلس في غرفة متواضعة وحيداً، دخل عليه شاب يرتدي ثياباً مهترئة يقول: "لقد ألغي العرض" نهض سجال قائلاً: "توقعت ذلك" قال الشاب: "لم يقدم أحدهم عذراً مقبولاً" حمل سجال حقيبته وقال: "ليسوا مضطرين لذلك" قال الشاب: "إلى أين ستذهب؟" قال سجال: "إلى مدير أعمال آخر، لا أحد يعقد صفقات معك" قال الشاب: "ولكنك قلت أنك من سيجعلني أصعد إلى النجومية!" قال سجال متجهاً إلى الباب: "يفترض ذلك، ولكن الأحلام شيء والواقع شيء آخر" أمسك الشاب بيد سجال ليمنعه من الخروج فضرب سجال رجله فسقط أرضاً بكل بساطة وخرج.

سار سجال وحده في الطرقات من جديد، لم تكن هذه أول مرة يلغى عرضه فيها، هناك شيء غريب يقول له أنه لن ينجح إلا إذا عاد إلى جواد، ولكنه لا يريد أن يفعل خاصة بعد أن علم أنه ليس والده الحقيقي.

ظل سجال يسير حيث تقوده قدماه، وصل إلى النهر وسار مبتعداً،

بعد أن غادر المكان حضر عمرو، كانت الساعة تقارب الخامسة إلا ربعاً من يوم الجمعة، ولكن سجالاً لم يلحظ ذلك، بل ولم يتوقع أن يحضر عمرو في الموعد أصلاً.

★★★

في المشفى كان واصل على الفراش إلى جانبه كرم، سأله كرم: "كيف تسير الأمور مع مرام؟" قال واصل: "ممتازة" قال كرم مسروراً: "أنا سعيد أن نهاية الحكاية باتت سعيدة" نظر واصل إلى كرم وقال: "وما أخبار فرح؟ أليست منزعجة من غيابك الدائم؟" فكر كرم قليلاً ثم قال: "أظن أنها منزعجة أكثر من فكرة أنني أخذت الإجازة من أجلك ولم أفعل ذلك من أجلها" قال واصل: "ألم تأخذ إجازة عندما تزوجت؟" قال كرم: "لم نقض شهر عسل بعد" ظل واصل صامتاً فشعر كرم أنه يلومه فقال: "لم أكن أستطيع أن أفعل شيئاً كهذا، لن أكون سعيداً أبداً" قال واصل: "يحق لها أن تنزعج من شيء كهذا" قال كرم: "ربما" كان من الواضح أن كرماً يعلم ذلك مسبقاً، ولكنه لم يستطع فعل شيء حيال ذلك، قال واصل: "تستطيع العودة إلى المنزل" قال كرم: "الأمر ليس كذلك، أستطيع البقاء هنا" أشار واصل بالنفي وقال: "لقد كنتُ أنانياً، لم يكن من المفترض أن أطلب منك البقاء هنا أصلاً" قال كرم: "لقد كنتُ سعيداً أنك فعلت" قال واصل: "ولكن لديك زوجة الآن، من حقها أن تبقى معها" طأطأ كرم رأسه مدركاً أن كل ما يقوله واصل صحيح فقال واصل: "أنا شاكر جداً لما تفعل، لقد فعلت أكثر مما توجب عليك" قال كرم: "لم أفعل شيئاً على الإطلاق" أمسك واصل يد كرم قائلاً: "بلى فعلت، وقد كنتَ رائعاً" نظر كرم إلى واصل متمنياً تصديق ما يقول،

فقال واصل: "تستطيع العودة إلى المنزل، أحب أن تكون هناك كما لا أحب المكوث هنا" قال كرم: "حقاً؟" قال واصل: "بكل تأكيد، عندها سأزورك في المنزل، هذا أفضل" قال كرم: "إذن عليك أن تتحسن بسرعة" "لقد تحسنت بما فيه الكفاية، أنا أنتظر إذن الخروج فقط" ابتسم كرم مقتنعاً بما قاله واصل ونهض قائلاً: "حسناً، سأتصل بك لتعلمني عن خروجك" قال واصل: "سأتصل بك بنفسي حينها" سلم عليه وغادر المشفى إلى المنزل.

★★★

سجال ظل يسير في الطرقات، حل المساء والناس باتوا يغادرون الأسواق إلى منازلهم، وقف سجال يراقب ويفكر "أنا ليس لدي منزل" رأى صبياً تحمله أمه لتعود به إلى المنزل، عندها رن في أذنه صوت عمرو يسأله "هل أنت سعيد؟" شعر سجال لحظة أنه سيبكي، عندها قال: "السعادة لم تكن يوماً لي، إنها محرمة على أمثالي" جلس على أرجوحة في حديقة قريبة شاعراً أن الناس كلهم يسيرون حوله دون أن يكترث أحدهم به، لقد كان هكذا دائماً... وسيظل.



★★★

دخل مراد على واصل يقول سعيداً: "لقد كتب لك الخروج" فرح واصل كثيراً لذلك ونهض بسرعة، كانت لمياء إلى جانبه فقالت: "إلى أين؟" قال واصل: "إلى المنزل، لقد مللت المكان هنا" قال مراد: "فماذا تنتظر إذن؟ هيا بنا" نهضت لمياء أيضاً وأخذوا معهم ما كان لهم، واصل حمل كأس كرم مع حقيبته وركبوا سيارة مراد متجهين إلى المنزل.

واصل كان يراقب الطرقات، أخيراً هو في الخارج، الناس يغادرون إلى منازلهم وهو أيضاً يذهب إلى منزله. في لحظة لمح سجالاً يسير في الطريق وحيداً، كان يبدو أنه شارد الذهن، تجاهل واصل وجوده حيث لم يره سجال أصلاً، إن واصلاً الآن في قمة سعادته ولا يريد لشيء آخر أن يعكر عليه. فتح حقيبته وأخذ هاتفه واتصل بكرم ليخبره أنه متجه إلى المنزل كما وعده، وأن الكأس بين يديه. فرح كرم لذلك كثيراً، أخيراً عاد كل شيء إلى طبيعته.

وصلوا المنزل، كانت كل المصابيح مطفأة، لم يعتد أحد على منظره هكذا. فتح مراد الباب فأمسكت لمياء بيد واصل وقالت: "أخيراً، سندخل معاً" ابتسم واصل لها، لقد انتظرت هذه اللحظة طويلاً. دخلوا المنزل وأضاؤوا الأضواء لأول مرة خلال شهرين متتاليين. الجميل أن المنزل كان نظيفاً، لقد اعتنت به شادن جيداً حتى هذه اللحظة. فرحت لمياء كثيراً بذلك، واتجه واصل أخيراً إلى غرفته.

لم يتغير شيء عدا غياب الببغاء، توقع أن يكون عند مرام الآن تعتني به جيدا. وضع الكأس إلى جانب الحاسوب ثم تمدد في الفراش وفتح التلفاز، معظم البرامج تغيرت الآن، لقد مضى وقت طويل فعلاً.

دخلت لمياء الغرفة، فعلاً لم يتغير شيء فيها، كان من الواضح

عليها أنها ليست قادرة بعد على ترك واصل وحده، عرض عليها واصل النوم معه الليلة فوافقت على الفور، مراد أيضاً نام إلى الجهة الأخرى. شعر واصل بشيء غريب، كأنه يعود إلى مراحل مبكرة جداً من طفولته، ولكنه كان يشعر أن شعور لمياء ومراد كان أغرب، ولكنهما كانا سعيدين بذلك جداً.

***

في منزل كرم كان من الواضح أنه شارد الذهن مع أنه سمع الخبر السعيد من واصل، كان يفكر طول الوقت بما قاله سجال، أحياناً يحدق في رند وأحياناً في الأرض يفكر، هل يصدقه أم لا؟ هل يعقل أن شيئاً كهذا حدث؟

لم يستطع كرم قول أي شيء، ذهبت رند إلى فراشها وفرح مع كرم إلى فراشهما، قالت فرح: "الحمد لله أنه بخير" قال كرم: "أجل" لم يكن جواب كرم مريحاً، إنه يفكر بشيء ما طول الوقت. جلست فرح إلى جانبه وسألته: "هل حدث شيء ما؟" قال كرم: "لا أبداً" قالت فرح: "بل حدث شيء، أنت تفكر طول الوقت، بم تفكر؟" تنهد كرم ثم قال: "ليس لدي سوى ثلاثة أشخاص في هذه الدنيا، إذا كنت أفكر بشيء، فسيكون أحدهم" قالت فرح: "واصل؟ هل حدث له شيء؟" قال كرم: "واصل أحدهم، ولكنه بأحسن حال" قالت فرح: "هل يفترض أن يكون الثاني هو أنا؟" ابتسم كرم وربت على شعر فرح قائلاً: "بالطبع أنت واحدة منهم، ولكنك لم تفعلي شيئاً يزعجني على الإطلاق" قالت فرح بصوت منخفض: "رند؟" سكت كرم، علمت فرح أنه يقصد رندَ فقالت: "ولكنك لم ترها منذ وقت، ماذا فعلَت؟" قال كرم: "ليس هذه

الأيـام، أفكـر فيمـا سـبق، لسـت أدري مـاذا أفعـل" ابتسـمت فـرح قائلة: "ليس هناك حاجز بينك وبينها، تحدث إليها" قال كرم: "لست أدري كيف، لا أعرف ماذا سأقول" قالت فرح ببساطة: "ما لديك، رنـد أقرب إليك من أن تحضِّر لها الجمل المناسبة" نظـر كـرم إلى فـرح الـتي دفعته من الفراش خارج الغرفة قائلة: "أنـا واثقـة أنهـا لم تـنم بعـد، اذهب إليها".

فعلاً أخرجت فرح كرماً من الغرفة ليـذهب إلى رنـد، لم يكـن كـرم يعلم ماذا سيقول، الحقيقة؟ هل يصارحها مباشـرة؟ إنـه يخشـى فعـل ذلك، رند ليس لديها في العالم سواه، ليس مـن الجيـد أن يشـك بهـا، ولكنه الآن خارج الغرفة، عليه أن يتصرف.

دق بـاب غرفـة رنـد، كانـت رنـد ممـددة في الفـراش، نهضـت قائلة: "من؟" قال كرم: "أنا كرم، هل لـي أن أتحـدث إليـك؟" تعجبـت رند لذلك، لقد كانت معهما للتو! قالت: "بالطبع، تفضل" جلست رنـد على الفراش ودخل كرم الغرفة، كان هادئاً جداً، رند شعرت أن هنـاك شيئاً مهماً، قال: "هل أجلس إلى جانبك؟" قالت رنـد: "بالتأكيـد" كـان هذا كثيراً على رند، ما الذي يريد أن يتحدث عنه كرم؟ إنه جاد جداً.

جلس كرم إلى جانبها وكان عليه أن يبدأ الحديث، ليس يدري بعد من أين يبدأ ولكنه قال: "رند، أريد أن أكون صريحاً معك، قبل بضـعة أيام سمعت كلاماً أريد أن أصارحك به" "كلاماً!" "أخبرني سجال أنه اصطحبك إلى حفلة ليلية" تفاجأت رند مما سمعـت! هـل يعقـل أن يكون سجال قد فعل ذلك بها؟ من المفـترض أن يكـون هـذا أمـراً سـرياً للغاية، قال كرم: "كل ما أريد أن أعرفه هو مدى صحـة ذلـك، لا أريـد أن أصدق شيئاً لم تكوني صريحة به معي" قالت رند بسرعة: "أبداً، لم

يحدث ذلك!" ابتسم كرم قائلاً: "الحمد لله، خشيت أن تقولي غير ذلك" ثم نهض قائلاً: "آسف على الإزعاج" فقط! هل كان هذا كافياً؟ تعجبت رند لما يجري، لقد كانت تعلم أن كرماً يثق بها، ولكن ليس إلى هذه الدرجة، هل انتهى الأمر هكذا؟

فعلاً خرج كرم من الغرفة مطمئناً، رند لم تصدق أن هذا كان كافياً! لقد كذبت بكل بساطة وصدقها!

ظلت رند في فراشها لا تعرف ماذا تفعل، ثقة كرم بها تجاوزت كل توقعاتها، إنه يعتبر نفسه مربياً لها، إنه يثق أنها ستقول الحقيقة مهما كانت، ولكن... ولكنها لم تفعل.

تمددت رند في فراشها تشعر بشيء من الندم، إنها تخون ثقته بكل بساطة، هل كان عليها أن تقول الحقيقة؟ ماذا كان سيفعل؟

كرم عاد إلى فرح هادئ البال، شكرها كثيراً على نصيحتها فقد انتهى الأمر بكل بساطة، إنه فعلاً لا يدري لماذا يقول سجال شيئاً كهذا، إنه لا يبدو طبيعياً على أية حال. سعدت فرح أن الأمر انتهى ببساطة حيث لم تتوقع ذلك.

لم تستطع رند نوم الليلة، لماذا يفعل سجال ذلك بها؟ كيف يجرؤ على قول شيء كهذا لكرم؟ إنه يوقعها في مشكلة كبيرة، هل كان ينوي ذلك منذ البداية؟ لماذا؟



الفصل السبعون

استيقظ واصل في الصباح، مراد كان مستلقياً إلى جانبه في الفراش يقرأ في كتاب، إلى جانبه الآخر كانت لمياء ماتزال تغط في النوم. نظر واصل إلى والده وقال بصوت منخفض: "صباح الخير" نظر مراد إلى واصل وابتسم قائلاً: "صباح الخير، هل نمت جيداً؟" رفع واصل جسده قليلاً حذراً ألا يوقظ والدته وقال: "أجل، ويبدو أن والدتي قد نامت جيداً أيضاً" أغلق مراد كتابه وقال: "يبدو أنها نامت أخيراً" حزن واصل لما فعله بها، لقد عانت كثيراً وقضت وقتها كله في المشفى، أخيراً استطاعت النوم بهدوء على فراش في المنزل. وقف مراد قائلاً: "هل تحب أن تفطر شيئاً معيناً؟" قال واصل: "هل ستذهب إلى السوق؟" "إذا لم يكن ما تريده في الثلاجة فسأفعل" فكر واصل قليلاً ثم قال: "ولكنني أريد شيئاً غير الإفطار" قال مراد: "اطلب ما شئت" جلس جيداً على الفراش وقال: "قد لا أستطيع الخروج للبحث عن شيء مناسب، أريدك أن تختار لي خاتماً" فهم مراد ما يقصده واصل فقال واصل: "أعلم أنه من المفترض أن أنتقيه بنفسي، ولكنني لا أريد أن أتأخر عليها أكثر من ذلك" قال مراد: "وهل تنوي فعلاً فعل ذلك وأنت في هذه الحال؟" قال واصل: "لقد وعدتها، ثم... أنا بخير" قال مراد: "حسناً، كما تريد" قال واصل سعيداً: "حقاً ستحضر لي وأحداً؟" قال مراد: "بالطبع سأفعل، هل تريد شيئاً آخر، باقة من الورود مثلاً؟" ابتسم واصل قائلاً: "أظن أنها لن ترى شيئاً سوى الخاتم" ضحك مراد ثم غادر الغرفة واستبدل ثيابه وخرج.

لمياء كانت ماتزال نائمة بسلام، نهض واصل من فراشه ليستبدل ثيابه، فتح خزانته وانتقى منها ثياباً أنيقة مريحة ليرتديها.

وقف أمام المرآه ونزع قميصه فرأى ما لم يكن في الحسبان، هناك ندب كثيرة على صدره! بعضها أثر للحادث، والعبض الآخر آثار عمليات جراحية، لم يصدف أن رأى واصل صدره قبل الآن، الجميع كان حوله في المشفى.

ظل واصل مصدوماً ينظر إلى ندبه، لم يكن صدره هكذا من قبل في حياته كلها، هذا مريع! لحظتها لمعت في مخيلته الندب على ظهر سجال، إنه يعيش بها طول العمر. طأطأ واصل رأسه لا يدري بم يفكر، ربما كان دائماً يفكر بالألم والعذاب الذي عاشهما سجال، ولكنه لم يفكر لحظة كم يحرص سجال على إخفاء الآثار المنطبعة على جسده، وربما الدائمة.

شعر واصل بالحزن الشديد لأجل سجال، وفي نفس الوقت لأجله هو، لطالما كان يعتني بنفسه جيداً، منظر الندب هذه سيء للغاية.

تحركت لمياء في الفراش قليلاً فتابع واصل ارتداء ثيابه بسرعة، لم تكن فعلياً قد استيقظت، ولكنه أنهى استبدال ثيابه وجلس إلى جانبها يراقبها نائمة بهدوء.

أما سجال فقد كان يسير في الطرقات، ليس هناك ما يفعله، إنه لا يريد العودة إلى جواد، كما لا يريد العودة إلى عمرو. لا يدري ما سيفعل، بل قد لا يكون هناك معنى لحياته على الإطلاق.

وصل البحر ووقف على حافته ينظر إلى الأسفل، لقد فعلها من قبل، كان قد ألقى بنفسه في البحر، ولكنه كان دائماً ينجو، الآن ليس هناك من أحد ينقذه، الجميع يكرهه، لن يشعر أحد بغيابه عن هذه الدنيا.

قدم سجال خطوته إلى الأمام قليلاً وسمع أصواتاً قريبة تتحدث، نظر خلفه فرأى ما لم يكن في الحسبان، إنه جواد يسير مع... رهف!

دون أن يشعر، ودون أن يفكر ركض سجال بأقصى سرعته لألا يشاهداه، لقد تعارفا، وسيتزوجان، ولكن... ولكنهما...

أبطأ سجال من ركضه وتوقف أخيراً بعيداً عنهما، إنهما ليسا والداه، لقد عاد إلى البداية.

عاود السير لا يدري أين يذهب أو ماذا سيفعل، المهم أنه بعيد عنهما، ويتمنى أن يظل كذلك.

★★★

كرم استيقظ مرتاح البال، فرح كانت ماتزال نائمة، شعر أخيراً أنه كون عائلة رائعة، رند وفرح، إنهما أغلى ما يملك الآن، إضافة إلى واصل الذي عاد إليه من جديد، الآن لم يعد هناك ما يشغله.

نهض بهدوء حتى لا يوقظ فرحاً وحضّر إفطاراً شهياً لهما ريثما تستيقظان.

رند لم تنم الليلة، كانت تفكر بسجال طول الوقت، وبكرم وثقته التي خانتها بكل بساطة. سمعت صوت أحدهم في المطبخ ولكنها لم تستطعِ النهوض، إنها تشعر بتوتر شديد لما جرى، ولم تجد بعد تفسيرا مقنعاً.

أنهى كرم تحضير الإفطار، اتجه إلى غرفته ليوقظ فرح، نظر إليها فكان كأنه ينظر إلى لوحة فنية متألقة، إنها رائعة وهادئة، ما يزال لا يصدق أنه قد تزوج بأميرة من أميرات الدنيا. جلس إلى جانبها لا يدري هل يوقظها أم يستمتع بمنظرها الجميل نائمة بأمان؟ داعب

شعرها وكأنه يداعبه لأول مرة، بل وكأنه يراها إلى جانبه للمرة الأولى، فعلاً حادث واصل قد أثر عليه كثيراً، وبكل تأكيد قد أثر عليها أيضاً، عليه أن يعوضها، ولكن كيف؟

تحركت فرح قليلاً في فراشها لتقاطع أفكار كرم، عندها قرر كرم أن يوقظها فقال بصوت خافت: "فرح... حبيبتي، إنه الصباح" بدأت فرح تستيقظ، قبّلها كرم وقال: "الإفطار جاهز، هيا نتناوله معاً" نظرت فرح إليه فقال: "صباح الخير" قالت: "صباح الخير، كم الساعة؟" ابتسم كرم قائلاً: "أعلم أن الوقت مبكر، هيا لا تكوني كسولة" قالت فرح: "ألستَ في إجازة؟" قال كرم: "أجل، ولكن هذا لا يعني أن أنام إلى الظهر، هيا انهضي" جلست فرح على الفراش ومازال تشعر بالنعاس، قال كرم: "سأوقظ رندَ" قبلها واتجه إلى غرفة رند.

رند كانت في فراشها ولكنها لم تكن نائمة، طرق كرم الباب فقالت رند: "من؟" قال كرم: "صباح الخير، الإفطار معد يا رند، سنفطر معاً" قالت رند: "أنا قادمة".

فعلاً جلس ثلاثتهم على المائدة، لقد كانت شهية جداً، قالت فرح: "مر زمن لم أر فيه مائدة كهذه" قال كرم: "سترينها كل يوم إن شاء الله" قالت رند: "مائدتي كانت جيدة" قالت فرح: "لم أقل غير ذلك" قال كرم: "هل يريد أحدكم عصيراً؟" قالت رند: "برتقال" قالت فرح: "خوخ" ابتسم كرم قائلاً: "لقد كنتما تشربانه كل يوم، الثلاجة مليئة بهذين النوعين".

تناول الجميع الإفطار ثم نظفوا المطبخ، كرم كان يعلم أن عليه أن يفعل أكثر من ذلك لإسعاد الاثنتين بعد كل ما جرى، فاقترح الخروج في نزهة معاً.

سجال كان مايزال يسير في الطرقات ضالاً لا وجهة له، غالباً ما كان يسير في الزقاق بين المتشردين، كل ما يفكر به كان "لماذا أنا؟ لماذا علي أن أكون الأتعس في العالم؟" كان ينظر حوله يفكر "هل هناك من هو أتعس حظاً مني؟" كان منظر المتشردين في الزقاق كئيباً جداً، ولكن كان سجال مايزال يفكر "هل عانى أحدهم كما عانيت؟" عندها سقط أمامه صبي على الأرض، نظر سجال فإذا بمجموعة من الشباب أسقطوه أرضاً يقولون: "هذا لتتعلم ألا تعبث مع الكبار ثانية" نظر سجال إلى الصبي الذي كان عاجزاً عن الحراك تماماً، نظر الشباب إلى سجال وقالوا: "صديقه؟" لم يقل سجال شيئاً بل كان وجهه خالياً من كل تعبير، اقترب الشباب منه شيئاً فشيئاً ولكنه لم يحرك ساكناً، قال أحدهم: "إن منظرك يغيظني، ألست خائفاً؟" لم يقل سجال شيئاً فوجه له الشاب ضربة على وجهه ولكن سجالاً تفاداها بكل بساطة وأخرج خيطاً من قفازه ربطه بقدم الشاب ورمى الطرف الآخر ليعلق في الطابق العلوي للبناية وشده ليرفع الشاب رأساً على عقب.

صرخ الشاب بأعلى صوته خائفاً وهرب أصدقاؤه فوراً خائفين مما جرى.

ظل سجال واقفاً مكانه، نظر إلى الصبي الذي ضُرب قبله ففكر "على الأقل أنا لست ضعيفاً" نظر إلى يده، لم يكن عليه القيام بالكثير ليتخلص من هؤلاء المزعجين، تابع سيره ثانية لا يعلم إلى أين يتجه.

★★★

عاد مراد من السوق يحمل أطعمة كثيرة، استيقظت لمياء على قرع الجرس ونزلت لتحضر الإفطار.

واصل كان ينتظر ما هو أهم من الإفطار، الخاتم... كان يتوق لرؤيته.
وقف مراد أمامه مبتسماً، واصل انتظر هذه اللحظة كثيراً، أخرج مراد علبة حمراء من جيبه وفتحها أمام واصل.
المشكلة أن واصلاً لم يستطع رؤية الخاتم! فجأة لم يعد يرى، إنه مايزال عالقاً في نفس المشكلة، لقد فقد بصره فجأة.
كان على واصل ألا يُشعر والده بذلك، مد يده إلى حيث توقع أن تكون العلبة وأمسكها قائلاً: "إنه رائع، لم أكن أريد أفضل من ذلك" قال مراد سعيداً: "يسرني أنه أعجبك، المهم أن يعجب مرام" عندها نادتهما لمياء ليفطرا، قال واصل: "أنا سأضع الخاتم في الغرفة، ثم ألحق بك".
فعلاً ذهب مراد إلى المطبخ قبل واصل لا يحس بما جرى، واصل وقف قرب الدرج ينتظر بصره إلى أن عاد، إنه الشيء نفسه، مايزال الوضع على حاله، ربما لم يتوقع أن يشفى من مرضه بفعل حادث سيارة، ولكنه ربما كان يتمنى أن تحدث أية معجزة.
وضع واصل الخاتم في غرفته بعد أن رآه ثم نزل ليتناول الإفطار وكأن شيئاً لم يكن.

★★★

خرج كرم مع فرح ورند إلى الملاهي، ظاناً منه أن رندَ ستلعب ويتحدث إلى فرح، ولكن يبدو أن فرح تريد اللعب أكثر من رند!
لعب ثلاثتهم بألعاب مختلفة ثم تناولوا الغداء، كانوا سعداء جداً.
حاولت رند أن تنسى كل ما جرى بينها وبين كرم، كان لابد أن

تتصرف هكذا حتى يسير الأمر، أما حسابها فسيكون مع سجال بلا شك.

أما فرح فكانت سعيدة أنها أخيراً تخرج مع كرم.

تابعت رند اللعب بعد الغداء بينما تمشى كرم مع فرح قليلاً.

قال كرم: "هل أعجبتك النزهة؟" قالت فرح سعيدة: "أجل، الجو رائع" "آسف أنني لم أستطع فعل ذلك قبل الآن" "لا تقلق، أنا أفهمك جيداً" شعر كرم بالراحة، المهم أنه لم يخلّف ما حدث أية مشاكل. قالت فرح: "ماذا ستفعل إلى نهاية العطلة؟" فعلاً بقي لعطلة كرم أسبوع، قال كرم: "سأقضيه معكما" قالت فرح: "فلنسافر" "نسافر! هل تقصدين شهر العسل؟" "أسبوع العسل على ما أظن، ليس مهماً، المهم أن نستمتع بوقتنا" فكر كرم قليلاً فقالت فرح: "ما الأمر؟" قال كرم متردداً: "لا شيء، أبداً..." قالت فرح: "هناك شيء ما، ما الأمر؟" لم يقل كرم شيئاً فقالت فرح: "أهو أمر يتعلق بواصل؟" لم يعرف كرم كيف يشرح لها، ربما لم تستأ فرح بعد من واصل، يجب أن لا يثيرها أكثر من ذلك، قالت فرح: "أخبرني ما الأمر؟" قال كرم متردداً: "ربما... يخطب واصل في هذه الفترة" فعلاً تنهدت فرح شاعرة بالتعب، إنها كمن تعيش مع واصل طول اليوم، قال كرم: "ليس لدي مانع أن نسافر، ولكنني لا أريد أن أكون في الخارج في يومٍ زفافه" قالت فرح: "فاطلب منه أن يؤجله إلى أن تعود" فكر كرمٍ قليلاً، سيوافق واصل على ذلك بلا شك، ولكن ربما تكره مرام شيئاً كهذا، ولكنه عندما نظر إلى فرح اكتشف أن سعادة فرح أهم بكثير بالنسبة إليه من مرام، كيف يفكر؟

توقفت اللعبة التي تلعب بها رند معلنة نهايتها، قال كرم: "حسناً

حسناً، سأخبره وسنسافر" سعدت فرح بذلك كثيراً ولكن كرماً قال: "ورند؟" قالت فرح غير مبالية: "ستكون معنا بكل تأكيد" فرحٍ كرم أن فرح ليس لديها أيٍ مشكلة بوجود رند بالقرب منه دائماً، الغريب في الأمر أن واصلاً هو من سبب المشاكل أكثر من رند على عكس ما توقع.

وصلت رند إليهما فقالت فرح بسرعة لها: "سنسافر" قالت رند: "إلى أين؟" نظرت فرح إلى كرم حيث لم يقررا شيئاً كهذا بعد، يبدو أن الحديث سيطول.

★★★

جلس سجال في حديقة صغيرة وحده، كان هناك القليل من الأطفال يلعبون، فيٍ بعض الأحيان كان يراقبهم، وفي أحيان أخرى كان يشرد بذهنه بعيداً.

رأى طفلة تلعب وحدها، تركل كرة مطاطية هنا وهناك، إنها وحيدة تماماً، شعر سجال لوهلة أنه ينظر إلى نفسه، لقد كان هكذا دائماً، بل لم يكن لديه ما يلعب به ولم يعرف اللعب يوماً.

بعد لحظات حضر والداها، ركضت الطفلة إليهما تاركة الكرة، عانقت والدتها ثم والدها وساروا معاً مبتعدين.



"كلا، إنها ليست مثلي" شعر سجال بانزعاج لهذا المنظر "أليس هناك من هو مثلي؟" وقف سجال وسار خلف العائلة السعيدة بهدوء.

وقف الأبوان أمام سوق الخضار يشترون، سجال كان واقفاً خلف جدار ينظر إلى العائلة خلسه، انتظر إلى أن رأته الطفلة فأشار لها سجال بالكرة المطاطية، لقد نسيتها في الحديقة وهي الآن مع سجال.

فرحت الطفلة برؤية الكرة وركضت إلى حيث سجال دون أن يشعر والداها بذلك. وقفت الطفلة أمام سجال مباشرة فشعر سجال بجسده يقشعر لنظرات الطفلة البريئة.

مدت الطفلة يديها لتأخذ الكرة، ناولها سجال إياها بهدوء ففرحت الطفلة بها كثيراً. عندها جثا سجال أمام الطفلة ومد يديه

ببطء إلى عنقها، لم تدرك الطفلة ما يجري وقبل أن يلمس سجال عنقها ابتسمت قائلاً: "شكراً" توقفت يدا سجال عن الحركة فجأة، ثم سمع صوت والدا الطفلة يناديان عليها، وضع يديه على كتف الطفلة وقال: "إنهما يبحثان عنك" أشارت الطفلة بالإيجاب وركضت عائدة إلى أهلها.

ظل سجال جاثياً على الأرض "بم كنت أفكر؟" جلس على الأرض متعباً من التفكير "لقد غرت منها، لماذا تعيش بين عائلة؟ وهل هما والداها فعلاً؟" وضع يده على رأسه "يبدو أنني قد فقدت عقلي".

★★★

أنهى واصل تناول الإفطار مع والديه، لمياء قررت أن تتصل بشادن لتعيد كفاحاً ومصعباً إلى المنزل، بهذا يعود كل شيء كما كان. واصل علم أن مرام ستحضر بصحبتهما، كان عليه أن يكون جاهزاً كما وعد.

استبدل ثيابه وارتدى بذلة كحلية اللون مع ربطة عنق وجهز الخاتم، كل شيء معد.

كفاح ومصعب كانا سعيدين جداً باتصال والدتهما، أخيراً سيعودان إلى المنزل، قالت شادن: "ألهذه الدرجة لا تريدان البقاء هنا؟ يوجد الكثير من الحلوى" قال كفاح: "لقد كان البقاء هنا ممتعاً حقاً، ولكنني أريد أن أنام على سريري، اشتقت لكل شيء في المنزل" قفز مصعب قائلاً: "سريري، سريري" فرحت شادن لهما جداً.

نزلت مرام عن الدرج جاهزة للخروج تحمل معها ببغاء واصل: "هيا بنا، أنا جاهزة" عندها دخلت الجدة الصالة تجر نفسها بالكرسي قائلة: "أنا ذاهبة أيضاً" تعجب الجميع لذلك! الجدة لا

تخرج من المنزل بالعادة، لماذا تخرج لتعيد كفاحاً ومصعباً إلى المنـزل؟ حتى أن خروج مرام معهما شيء شكلي لا أكثر، يستطيعان العودة وحدهما. قالت شادن: "إلى أين؟" قالت الجدة: "مع مرام، إلى واصل" ابتسمت مرام قائلة: "سأوصل كفاحاً ومصعباً فقط، لن يحدث شيء" أشارت الجدة بالنفي وقالت لشادن: "أنت أيضاً يجب أن تحضري" خجلت شادن لما تقول الجدة فقالت: "لن نذهب جميعنا إلى منزلهم، ولا تنسي أن مراد هناك" قالت الجدة: "هذا أفضل ما في الموضوع، سنذهب جميعاً" لم يفهم أحد قصد الجدة، ولكنها فعلاً أجبرت شادن على التجهز للخروج أيضاً، قررت شادن أن هذه زيارة للمباركة على الخروجٍ بالسلامة من المشفى، هذا كل ما تستطيع التفكير فيه الآن.

فعلاً خرج الجميع من المنزل متجهين إلى منزل جارهم، رنت مرامٍ الجرس ففتحت لمياء الباب سعيدة بهم. قفز كفاح ومصعب إليها فوراً فكانت سعيدة بهم جداً.

رحبت لمياء بالجميع وأدخلتهم ووضعت الببغاء على الطاولة، كان من الغريب أن تكون الجدة معهم أيضاً، فهي لم تدخل هذا المنزل منذ أعوام.

رحب مراد بالجميع وشكرهم على المساعدة الكبيرة وقت الشدة، ثم صعد إلى غرفة واصل يعلمه أن الجميع قد حضر.

واصل كان جاهزاً، ربما كان مرتبكاً قليلاً خاصة عندما علم أن الجميع قد حضر، المهم أن الخاتم في جيبه وهو جاهز تماماً.

كان الجميع يجلسون في المطبخ عندما دق واصل الباب ودخل، نظرت مرام إليه فإذا به في كامل أناقته بشكل غريب! حتى وإن كان قد قال ذلك فعلاً، فإن مرام لم تكن تتوقع أن يحدث ذلك بهذه

السرعة، الوحيد الذي توقع ذلك كان الجدة.

اقترب واصل من مرام حيث سكت الجميع، وقف أمامها وقال: "لقد وفيت بوعدي" ثم أخرج علبة من جيبه وقدمها لمرام. أمسكت مرام العلبة لا تصدق ما يحدث، كانت العلبة حمراء ناعمة وجميلة، قالت لمياء: "ألن تفتحيها؟" قامت مرام بفتح العلبة ببطء، وأخيراً... إنه خاتم.



نظرت إلى واصل لا تصدق ما ترى، قال واصل: "إنـه طلـب رسمـي، هل تقبلين بـي زوجـاً؟" في هـذه اللحظـة شـعرت مـرام أن لسـانها قـد انعقد، لم تتخيل أن يكون الموقف بهذا الشكل. نظـرت إلى شـادن الـتي كانت تدمع من الفرحة، الجـدة كانـت مسـرورة أيضـاً، لميـاء أمسـكت يدها. عاودت مرام النظر إلى واصل، فتحت فمهـا محاولـة النطـق بـأي كلمـة ولكـن شـيئاً لم يصـدر، عنـدها حـدقت بـالأرض خجلـة فقالـت الجدة: "خذي نفساً عميقاً ثم أجيبي" فعلاً لم تفكر مرام بطريقة أخرى وأخذت نفساً عميقاً وفجأة شعرت بالكلمة تخرج من فمها: "نعم".

انهمرت دموع شادن فأمسكت الجدة يدها سعيدة بما يجري، قالت مرام ثانية وهي تنظر في عيون واصل: "أقبل" فرح واصـل لأن كـل شـيء سار على مايرام، أخيراً يستطيع أن يعيش حياته كما كان يتمنـى لهـا أن تكون.

وقفت لمياء تقول: "هذه المناسـبة تحتـاج إلى عصـير شـهي" نهضـت شادن معها لتصب للجميـع. جلـس واصـل إلى جانـب مـرام وقـال: "ألا ترتدينه؟" قالت مرام: "بكل تأكيد" حملت مرام الخـاتم، كـان واضـحاً أن يدها ترجـف، لم تكـن تتخيـل أن يحـدث ذلـك الآن، أخـيراً بـات الخاتم في إصبعها. حدقت به طويلاً إلى أن سمعت صـوتاً يقـول: "نعـم، نعم، أقبل" نظرت فإذا هو ببغاء واصـل، سمـع وردد مـا قالتـه مـرام! شعرت مرام بالخجل بينما ضحك واصل كثيراً وحمله شوقاً إليه.

هكذا أمضى الجميع وقتاً سعيداً.

★★★

أما سجال فكان مايزال يدور بلا وجهة محددة، يسير في الطرقـات

التي لا يكثر فيها الناس ولا يتوقع أن يلتقي فيها بأحد يعرفه.
فجأة سمع صوتاً قريباً "الله أكبر الله أكبر... الله أكبر الله أكبر... أشهد ألا إله إلا الله" توقف سجال فجأة ونظر إلى جانبه فإذا به مسجد، إنه أذان العصر "أشهد أن لا إله إلا الله" ظل سجال متسمراً مكانه، المسجد إلى جانبه تماماً، بل باب المسجد يقابله "أشهد أن محمداً رسول الله" ظل سجال واقفاً مكانه، وبدأ بعض الناس يتجمعون للوضوء "أشهد أن محمداً رسول الله" طأطأ سجال رأسه يفكر: "ظننت أنني أصبحت مسلماً لأجلي أنا، ولم أفعل ذلك من أجل أحد" لمعت في ذهنه صورة عمرو، هز سجال رأسه لا يريد تذكره "حي على الصلاة" ركض سجال بأقصى سرعة مبتعداً عن المسجد، إنه لم يصل مذ ترك منزل عمرو، مايزال يرفض كل ما يذكره بهم.

★★★

بعد جلسة طالت في منزل واصل غادرت مرام مع شادن والجدة عائدات إلى منزلهن، ولكن هذه المرة تحمل مرام خاتماً في يدها ستعتني به مدى الحياة.
لمياء نظرت إلى واصل قائلة: "من أين لك بالخاتم؟" ابتسم واصل قائلاً: "لقد جلبه والدي هذا الصباح، طلبته منه" ابتسمت لمياء قائلة: "لم تختر الخاتم، يفضل ألا تعرف مرام شيئاً كهذا" ضحك واصل، وقفز كفاح ومصعب إليه قائلين: "مبارك" ربت واصل على شعرهما قائلاً: "شكراً" قالت لمياء: "تحتاجون لتجهيزات العام الدراسي، هل تخرجون؟" قال كفاح: "سيشتريها واصل لنا" قال واصل: "أنا تعب قليلاً، أحتاج لبعض الراحة" قالت لمياء: "لا تضغطا

عليه..." في هذه اللحظة دخل مراد فقفز كفاح إليه قائلاً: "والدي سيشتري لنا الأدوات" شعرت لمياء أن كفاحاً ومصعباً لا يريدان الخروج معها! قال واصل: "إنهما يريدان التغيير فقط" تمنت فعلاً أن يكون هذا هو السبب.

مراد وافق على اصطحابهما فوراً، بل وأخذ فترات من العطلة ليجلس مع العائلة أكثر.

تمدد واصل في فراشه، إنه فعلاً يشعر بالتعب، صوته أيضاً لم يعد إلى طبيعته بعد، إلى متى سيظل هكذا؟ وفوق ذلك يشعر بضيق في نفسه وشيء من الألم في صدره، لابد أن تخلف تلك الحادثة شيئاً من آثارها، بالإضافة إلى معاناته السابقة فهو لا يشعر أبداً أنه على مايرام.

حمل هاتفه واتصل بكرم يخبره بما فعل، تفاجأ كرم لذلك كثيراً، لم يتوقع أن يحدث ذلك بهذه السرعة! بارك له وأخبره أنه ينوي أن يسافر مع فرح ورند، لم يتفاجأ واصل كثيراً بذلك، كان على كرم أن يفعل شيئاً كهذا منذ زمن، ولكنه لم يحبذ فكرة أن يظل وحده الآن، تمنى لهم التوفيق والسعادة وأنهى المكالمة وغط في النوم.

***

سجال كان يسير بعد أن تعب من الجري بعيداً عن المسجد، إنه يلهث، لا يدري إذا كان متعباً بسبب الجري أم التفكير، ماذا يفعل بالضبط؟ هو نفسه لا يدري.

توقف عن المشي عندما رأى شخصاً يقف بعيداً، إنه عمرو! يقف يحدق في النهر.

نظر سجال حوله فإذا به المكان الذي التقى فيه بعمرو عدة مرات،

لقد وصل النهر فعلاً. حدق بعمرو ثانية الذي كان يقف بعيداً ينظر إلى النهر، لم يلاحظ وجود سجال بعد، نظر سجال إلى ساعته فإذا بها الخامسة والربع، إنه هنا... في الموعد! التفت عمرو يبحث يميناً ويساراً ولكن سجالاً اختبأ بسرعة قبل أن يلحظه.

جلس سجال خلف شجرة لا يستطيع عمرو رؤيته خلفها، ظل ينظر إلى عمرو "هل هو مجنون؟ بعد كل ما جرى مايزال هنا!" عمرو ظل واقفاً بانتظار سجال، سجال لم يستطع أن يصدق! هل فعل ذلك كل مرة؟ لقد مضت عدة أسابيع، هل يعقل أنه وقف هنا كل جمعة؟

أصبحت الساعة السادسة إلا ربعاً، سجال كان منزعجاً، من المفترض أن يخرج من حياته نهائياً، لماذا هو مصر هكذا؟

أخيراً تحرك عمرو، إنه يغادر "لقد يئس، لابد أنه يئس من لقائي، أنا لن أحضر، من الغباء أن يفكر أنني ما أزال أتذكر شيئاً كهذا، إنه... إنه غير طبيعي!".

غادر عمرو دون أن يقابل سجالاً هذه المرة أيضاً، ولكن لم يكن يبدو على وجهه أي علامات للندم أو اليأس، سجال كان متأكداً أنه سيمل "لن يفعل ذلك كل مرة، بكل تأكيد، سيكتشف كم كان مخطئاً، الحياة التي يعيشها هي وهم بالنسبة لي لا أكثر" نهض سجال من خلف الشجرة وسار مبتعداً يفكر "كل ما جرى كان كذباً، ربما كان عمرو يعلم أنهما ليسا والدي منذ البداية، ربما لم يخبرني وأخذني لأنه لا فرق، لم أكن أصلاً عند أهلي" وقف منزعجاً يفكر "لست بحاجة لمن يشفق علي، أستطيع تدبر أمري، لقد عشت الصعاب دوماً ولم أحتج أحداً" عندها صرخ قائلاً: "أنا لست بحاجة إليك! أنا لست بحاجة لأحد!".

واصل نهض من فراشه يشعر بضيق، مراد لم يعد بعد من السوق فلم يكن لديه خيار آخر سوى إخبار لمياء أنه يريد الذهاب إلى المشفى، قلقت لمياء كثيراً وسألته بم يشعر، ولكن واصلاً لم يشأ تعقيد الأمور أكثر، ولكنه بحاجة إلى الذهاب إلى المشفى.

ذهبت لمياء معه بسيارة أجرة، كانت قلقة جداً بينما كان واصل هادئاً، كان يعاني من صعوبة في التنفس فكان عليه أن يظل هادئاً لكي لا تتفاقم الأمور.

وصلا الطوارئ ودخلا فوراً، لمياء لم تكن تعرف حتى ما يشكو منه واصل، دخل واصل لوحده عند الأطباء وحاولت لمياء استدعاء الطبيب الذي أشرف عليه.

سجال عاد للسير في الزقاق يشعر بإرهاق، إنه لا يريد أن يفكر بعمرو على الإطلاق، لماذا يفعل ذلك؟ لماذا يريده بعد؟ ماذا يريد منه؟

عندها اقترب رجل منه بهدوء وقال: "قميصك أعجبني... أعطني إياه" نظر سجال إليه ببرود، يبدو أن الرجل ثمل إلى درجة كبيرة! لم يقل سجال شيئاً وتجاهله ومشى فغضب الرجل وأخرج سكيناً من قميصه وركض إلى سجال ينوي طعنه، التفت سجال فوراً ولف يد الرجل بحركة جعلت السكين تعود لتطعن بطنه. ظل سجال واقفاً على حاله بينما بدأ الرجل ينهار، نظر سجال إلى حيث السكين، إنها بلا شك في مكان قاتل كما كان يفعل دائماً. سقط الرجل تحت قدمي سجال ينزف بشدة، بل يبدو أنه قد مات من فوره، ظل سجال يحدق به، إنه لم يفعل ذلك منذ زمن، وصلت الدماء قدميه، وظل يحدق، إنه فعلاً قد مات، لقد قتل رجلا "لقد قتلته!" نظر إلى يديه "ظننت أنني لا أستطيع أن أقتل هنا" كانت هناك آثار دماء عليها "هذا لأنني لا أعرفه

في المستقبل، لذلك فقد كنت من سيقتله أصلاً" هز رأسه منزعجاً وصرخ: "لماذا علي أن أفكر بهذه الطريقة؟ لماذا؟" ثم ركض في الزقاق مسرعاً.

خرج واصل من الطوارئ تسأله أمه عما جرى، بدأ يتحدث عندما باتوا في سيارة الأجرة عائدين إلى المنزل، قال واصل: "لقد وصف لي بخاخاً لضيق النفس" قالت لمياء: "هل أنت بخير؟" قال واصل: "أجل لا تقلقي، ولكنه حجز لي موعداً لعملية" انتفضت لمياء خوفاً وقالت: "ما الأمر؟" قال واصل: "لقد تضيقت القصبة الهوائية بفعل الأجهزة، تحتاج إلى توسيع" لم تستطع لمياء قول أي شيء، كانت خائفة أن تسأل هل هي عملية خطيرة ولكن واصلاً أراحها من السؤال حيث قال: "إنها ليست عملية خطيرة" هدأت لمياء، ولكن لابد أن واصلاً منزعج لذلك كثيراً، فهي تعلم كم يكره الذهاب إلى المشفى.

واصل فوق ذلك علم أن هذه العملية قد تقسم إلى عدة جلسات، سيكون أمراً مملا للغاية.

★★★

عمرو كان جالساً أمام التلفاز، هناك الكثير مما يفكر فيه، عمله مايزال يتدهور، إضافة إلى أنه يريد أن يعرف شيئاً عن سجال، أي شيء.

عرض التلفاز أخباراً عاجلة "شوهد منظر بشع في الناحية الغربية من المدينة لمجرم محترف قام بقتل كل من يسير في الزقاق، كان أسلوب القتل غريباً، يقول الشرطة أنه استخدم خيوطاً رفيعة وحادة في قتل الجميع وتعليقهم دون اكتراث في مسرح الجريمة" شعر عمرو

بجسده يقشعر، سجال كـان دائمـاً مـن يسـتخدم الخيـوط الرفعيـة "لم يستطع أحد العثور على شهود حيث يظن الشرطة أن جميع مـن شـاهد ذلك كان ممن ماتوا في الحادث..." أقفل عمرو التلفاز منزعجاً، لقد عاد إلى ما كان عليه، لقد قتل مجدداً، إنه يثور غضباً.

★★★

مرام كانت في عالم آخر، الدنيا في جهـة والخـاتم في يـدها في جهـة أخرى. كانت شادن والجدة سعيدتين جداً لها، ومرام كانت سـعيدة أن الجدة توقعت فعلاً حدوث شـيء كهـذا وأصـرت علـى المجـيء، إنهـا غريبة ولكنها أحياناً تكون رائعة.

فوق ذلك عادت علاقة شادن ولمياء أقوى من السابق، كل شـيء علـى مايرام وكلاهما تساعد الأخرى في أعمال المنزل.

مراد بات يقضي وقتاً أطول في المنزل، بات يباعد بين سـفراته قـدر الإمكان ليظل بينهم.

اتصل كرم بواصل يخبره أنه حجز للسفر مع فـرح ورنـد، سيسـافر خلال يومين، واصل سأله: "ألا تحضـر الخطبـة؟" قـال كـرم: "أنـت لم تحدد موعداً بعد، ثم لن أتأخر، ستنتهي عطلـتي خـلال أربعـة أيـام" قال واصل: "من المفترض أن أكتب كتابي على مرام خـلال يـومين" قـال كرم: "فافعـل ذلـك قبـل سـفري" قـال واصـل: "حسـناً، بعـد غـد" قـال كرم: "سيكون هذا مناسباً" أغلق السـماعة، كـان مـن الغريـب أن يعـين واصل موعد خطبته مع كرم وليس مع مرام! ولكن لن يكون لـدى مـرام أي مانعٍ في الغالب.

فعلاً تحدثت لمياء إلى شادن وحددا موعـداً لكتـب الكتـاب كمـا شـاء

واصل، كانت شادن سعيدة جداً، والأسعد منها كانت مرام، أخيراً سار كل شيء على مايرام.

★★★

مضى اليومان ومرام تجهز ثيابها، ماذا سترتدي وكيف ستصفف شعرها؟

حضر كرم مع فرح ورند إلى منزل مرام حيث سيحضر المأذون ويكتبون الكتاب في المنزل في حفلة عائلية صغيرة.

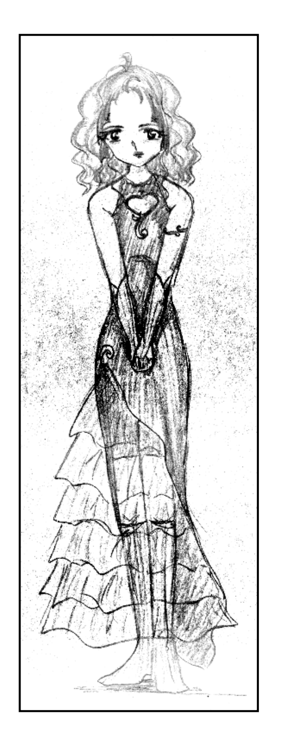
كان مراد وواصل مع المأذون في الصالة، جلس كرم معهم وشادن، ثم نزلت مرام تغطي وجهها بقماش أبيض لتعلن الموافقة.

عادت مرام إلى غرفتها حيث كانت الجدة ولمياء مع فرح ورند، بسرعة جهزت لمياء مرام لاستقبال واصل، وبارك كرم له كثيراً ثم ودعه وغادر مع فرح ورند إلى الطائرة فوراً، وأوصل مراد المأذون إلى الطريق.

صعدت شادن مع واصل ووقفت أمام باب الغرفة، فتحت الباب قبله وسألت: "هل أنتن جاهزات؟" قالت لمياء: "أجل، تفضلا" فتحت شادن الباب أمام واصل، مهما كان يتصور من جمال هذه اللحظة فإن إحساسه لم يكن يوصف. إنه أكثر مما تخيل أو حلم به، كان كمن يرى مرام لأول مرة في الحياة، إنها أكثر من أميرة! ربما كانت حورية نزلت من الجنة! انعقد لسانه وظل واقفاً مكانه لا تسعفه قدماه على الحراك، لم يتصور أن يعجز عن الحراك هكذا، كان يتصور أن يسير كالأمير أو حتى أن يركض كالمشتاق، ولكن... لا شيء من هذا حدث.

مرام كانت واقفة بخجل تنظر إلى واصل، صحيح أنه يرتدي بذلة

أنيقة ولكنها كانت تعلم أن اللحظة هذه هي لحظتها هي، كانت ترتدي أجمل الفساتين وأفخمها، شعرها مصفط بعناية فائقة، والمكياجٍ مرسوم بيد فنان، كانت تنتظر ردة فعل واصل الذي كان مايزال واقفاً مكانه خارج الغرفة.



قالت لمياء: "ادخل!" نظر واصل إليها حيث انتبه الآن أنها في الغرفة مع الجدة وشادن، أخيراً استطاع تحريك قدمه ودخل الغرفة، تقدم بثبات أمام مرام وأخيراً وقف مقابلها. نظرت إليه مرام حيث كان عليه أن يقول شيئاً ولكن واصلاً لم يعرف ماذا يقول، أو أنه نسي كل ما كان قد حضره من قبل. ابتسم قائلاً: "ظننت أنني سأقول الكثير،

ولكن ما عاد لساني قادراً على قول أي شيء" ابتسمت مرام ولم تستطع أن تحبس ضحكتها، فهي تراه هكذا لأول مرة، ابتسم واصل واحمرت وجنتاه وقال: "يحق لك أي شيء الآن، فأنت سيدة الموقف" قالت مرام: "نحن معاً" ابتسم واصل ومد يده فوضعت مرام يدها بيده ثم قبّل جبينها فصفق الجميع.

حملت مرام خاتمها وأعطته لواصل ليلبسها إياه بيده ففعل، وهي بدورها ألبسته خاتمه أيضاً، إنهما زوجان الآن.

رشّت شادن الورود حولهما واتجهت لمياء للمسجل لتفتح أغنية يرقصان عليها فطلب منها واصل أن يضع شريطاً كان بحوزته. استجابت لمياء فقال واصل لمرام: "هذه أغنية حضرتها لهذا اليوم منذ زمن، كان من المفترض أن أغنيها بنفسي، ولكن إلى أن يتحسن صوتي أعدك أنني سأفعل" لم تفهم مرام ما يقصده واصل فقال: "لقد ساعدني فيها رفاقي أيام الجامعة"

هذه ساعة الهناء تطل كلما طال ليلها لا امَلْ
كلما كرّت الليالي توالى سعدنا في حياتنا يستهل

بدأت الأغنية بهذه الكلمات ومرام تقف أمام واصل تنظر إليه وهو يبتسم لها، لم تفهم بعد ما يجري، إلى أن أمسك واصل يدها واستعدا للرقص، وبدأ واصل يحرك شفته يغني مع صوت المسجل ويرقص مع مرام بهدوء، لتفهم مرام أخيراً ما عنى، وأنه قد سجل الأغنية من قبل لهذا اليوم.

اقبل الحب يرتوي من جنانا شجر وارف وماء وظل

حلم طال واستحال هناء   حلمنا فرحة وضحك ودلْ

مرام كانت تنصت لكلماته الرائعة، غمرتها سعادة لا توصف، هذا فعلاً كان اليوم الذي تحلم به، أما شادن فقد دمعت عيونها وهي تنظر إليهما سعيدين معاً، وعاد رفاق واصل الغناء:

هذه ساعة الهناء تطل   كلما طال ليلها لا امل
كلما كرّت الليالي توالى   سعدنا في حياتنا يستهل

كانت مرام سعيدة جداً باستماعها لشيء كهذا، إنها أجمل هدية، عندها أنهى واصل الغناء:

هذه ليلتي وهذا هنائي   صار للحب يا حياتي محل

أنهى واصل الغناء وانتهت الرقصة، صفقت لمياء وشادن والجدة سعيدات بهما جداً، مرام نظرت إلى واصل لا تستطيع وصف شعورها، إنه أغرب من أن يوصف، لم تتخيل أبداً أن يخطط واصل لشيء كهذا على الإطلاق، ولكنه كان الأفضل.
شرب الجميع العصير وانتهت الحفلة بهدوء، لم يستطع واصل التحدث فيها مع مرام جيداً، كان السبب أن كليهما لم يكن يدري ما يقول، لم يتصورا أن يظلا صامتين هكذا ولكن هذا فعلاً ما حدث، ربما لم يكن باستطاعتهما قول أي شيء لأن ما يريدان قوله كلمات لا يستطيعان إسماعها لأي من الحاضرين، كلاهما كان يفكر "يجب أن نكون لوحدنا".

★★★

دخل سجال غرفة في فندق فخم، تمدد على الفراش، ليس هناك مكان أجمل من هذا في المدينة كلها وقد حصل عليه بكل بساطة "أنا لست بحاجة لأحد" كان هذا ما يريد أن يثبته لنفسه "أستطيع الحصول على كل شيء بنفسي" نظر إلى الغرفة الفخمة "لا يستطيع أي شخص الحصول على هذه، أليس كذلك؟" كان كمن يخاطب عمراً "لا تستطيع فعل شيء الآن، أنت غارق في مشاكل كافيه".

طرق أحدهم الباب ودخل يحمل طعاماً شهياً، وضعه على الطاولة ليتناوله سجال وغادر الغرفة بعد أن سأله إذا كان بحاجة لشيء آخر.

جلس سجال أمام الطعام، إن منظره كلوحة فنية، ولكنه لم يكن يأبه يوماً بشيء كهذا، بل للحظة خطر بباله، هل يوجد من ينوي أن يضع لي سماً في الطعام هنا؟ هز رأسه أن هذا كان في المستقبل فقط وبدأ تناول الطعام.

الغريب في الأمر أن الطعام لم يكن شهياً كما كان يفترض له أن يكون! أو أن سجالاً كان أصلاً معتاداً على طعام كهذا في المستقبل، ولكن... كان دائماً لا طعم له، ليس هناك متعة في الطعام ولم يجرب طعاماً سيئاً حتى يشعر أن طعامه جيد، لم يكن يبالي بالطعام أبداً.

توقف عن الأكل عندما تذكر أنه تناول الطعام اللذيذ في مكان واحد في هذه الدنيا، كان طعام سناء في منزل عمرو حيث كان الجميع يتحلقون حول الطاولة يأكلون ويضحكون، هز سجال رأسه يقنع نفسه أن هذا الطعام أفخر بكثير مما كانت تعده سناء، وهذه كلها إنما هي أفكار عمرو الساذجة.



نزلت الطائرة ونزل كرم مع فرح ورند لقضاء ما تبقى من العطلة في مدينة بعيدة، كانت فرح متحمسة جداً، رند كانت سعيدة بالسفر، أما كرم فقد كانت هذه أول مرة يسافر فيها دون واصل، ولكنه مع فرح هذه المرة والوضع مختلف، من المفروض أنهم يقضون شهر العسل.

اتجهوا فوراً إلى الفندق ووضعوا حقائبهم وغادروا من فورهم إلى الحدائق والمتنزهات وكل مكان يستطيعون الذهاب إليه.

★★★

مضت أيام وحان موعد العملية الأولى لواصل، كانت لمياء قلقة رغم أن الطبيب طمأنها أنها عملية بسيطة.

فعلاً أنهى واصل العملية بسرعة، استغرق وقتاً للاستيقاظ من المخدر وغادر حاجزاً موعداً جديداً لعملية أخرى لتوسيع القصبة أيضاً.

قرر واصل ومرام تحديد موعد الزفاف بعد أن ينتهي واصل من عملياته هذه، عندها سيكون كرم في البلاد بلا شك.

★★★

سار سجال في الطرقات يفكر بعقل مشوش، ماذا سيفعل الآن؟ ماذا يريد أن يفعل؟ عندها نظر إلى خيمة صغيرة خرج منها أحدهم وغادر والسعادة بادية على وجهه. لم يكن من الصعب التخمين أنها خيمة قارئة المستقبل.

المستقبل! أي مستقبل ستقرأ بالضبط؟ فعلاً دفع الفضول سجالاً للدخول، كانت المنجمة ترتدي روباً طويلاً وغطاء على الوجه، تجلس خلف طاولة تضع عليها بلورة كما يفعل الجميع بالعادة.

جلس سجال أمامها فبدأت تحرك يديها حول البلـورة، اسـتغرقت وقتاً في التركيز والتفكير، ولكنها فجأة قالت: "إنني أرى دماء كـثيرة" ظل سجال صامتاً، قضت وقتـاً أطـول في التحـديق بـالكرة، كأنهـا رأت أموراً لم ترها من قبل، نظرت إلى سجال وقالت: "ماذا تكون بالضـبط؟" نـهض سجال وغادر الخيمة، لا فائدة من كـل هـذا، لقـد احتـارت بـه المنجمة كثيراً، لم يلمها سجال علـى ذلـك ولكنـه دخـل الخيمـة لأنـه يشعر بالفراغ.

★★★

خرج كرم في نزهة مـع فـرح ورنـد إلى حديقـة الحيوانـات، كانـت الحديقـة كـبيرة وجميلـة، تصـورت رنـد مـع معظـم الحيوانـات، بـل امتطت ما استطاعت امتطاءه.

ركبت فرح حصاناً مع كرم، تجول بهما حول المكـان، رنـد ركبـت حصاناً آخر وحدها، كانت تركض به وتقفز كما يحلو لها.

نظرت رند إلى كرم وفرح لتقول لهما شيئاً، ولكنها فجـأة توقفـت، إنهما يضحكان معاً بهدوء، إنـهما سعيدان معاً.

توقفت رند، ماذا تفعل؟ إنها دائماً بينهما، تركتهما يسيران قليلاً مبتعدين عنها دون أن يشعرا. إنـهما سعيدان معـاً، يجـب أن لا تكـون هنا.

"لست أدري لماذا، ولكن أشعر أنني أريـد معجـزة تجلبـه إلى هنـا، سجال" قبضت رند على لجام حصانها "هل أكون غبيـة بـتمني رؤيتـه ثانية؟ لقد كاد يوقعني في مشكلة كبيرة، ولكن..." قطـع كـرم أفكارهـا بصوته ينادي: "رند! ما الأمـر؟" نظـرت رنـد إليـه ومشـت بحصـانها

إليهما قائلة: "لا شيء، عدلت اللجام قليلاً" وتابعت السير. شعر كرم أن هناك شيئاً ما، رند لن تقول شيئاً بحضور فرح مهما حدث.

عاد ثلاثتهم إلى الفندق، جلست رند وحدها في الشرفة تفكر بما جرى اليوم، بل كل يوم، إنها دائماً تسير مع ظل كرم، هذا بالتأكيد مزعج.

مرة أخرى قاطع كرم أفكارها عندما دخل الشرفة واستأذنها بالجلوس معاً. قالت رند: "أين فرح؟" قال كرم: "ترتب ثيابها، أردت أن أجلس معك قليلاً" سكتت رند فقال كرم: "بم تفكرين؟" قالت رند: "لا شيء" "أنت دائماً تقولين ذلك، لم يكن الوضع طبيعياً اليوم" "بل على العكس، كانت الرحلة رائعة" اقترب كرم أكثر وقال: "بم تفكرين؟" لم تقل رند شيئاً فقال كرم: "هل تشعرين بالوحدة؟" نظرت رند إلى كرم وقالت: "لا أبداً" قال كرم: "أنا دائماً هنا يا رند، لن أتركك أبداً" أشارت رند بالنفي بسرعة وقالت: "ليس هذا ما أفكر فيه، أنا أعرف أنك لن تتركني" قال كرم: "ماذا إذن؟" طأطأت رند رأسها وقالت: "أنت لا تستيطع أن تكون مع فرح وحدكما، أنا دائماً أقف بينكما" ابتسم كرم وضم رندَ إلى صدره قائلاً: "أنا سعيد بوجودكما معاً إلى جانبي" شعرت رند برغبة في البكاء، قال كرم: "من قال أنني أريد أن أكون مع أحداكما في كل مرة، أفضل فعلاً أن تكونا معاً" قالت رند: "فرح شخص جديد بالنسبة لك، أنا بقيت ألازمك سنين" ضحك كرم قائلا: "وماذا تعنين بذلك؟" نظرت رند إليه قائلة: "لابد أنك تريد وقتاً لنفسك، اعتدت دائماً أن أشعر بذلك" فكر كرم قليلاً ثم قال: "ربما، من الجميل أن يكون لدى أحدهم وقت لنفسه، ولكن لا أظن أنني قادر على الحصول على شيء كهذا الآن" حدق في رند وربت

على شعرها وقال: "فعلاً كنت أقضي بعض الوقت وحيداً عندما كنا لوحدنا، لا أنكر أن هذا كان جيداً، أما الآن... فلا أظن أنني أملك مثل هذا الوقت على الإطلاق، والسبب بكل حال ليس أنت" لم ترد رند أن تجعل كرماً يتحدث بشيء كهذا عن فرح، ولكن كرماً قال: "ليس مهماً، المهم أن تكونا سعيدتين، هذا كل ما أريد" نظرت رند إلى كرم، إنه دائماً يقول ذلك، قالت: "وهل أنت سعيد؟" تفاجأ كرم من سؤال رند، لطالما كانت رند تفكر بنفسها طول الوقت وكيف يجب أن يكون كرم إلى جانبها، ابتسم سعيداً من التطور الذي تحرزه كل يوم وقال: "الحمد لله" فرحت رند بذلك، عندها نهض كرم قائلاً: "لقد كان يوماً متعباً، ألا تنامين؟" قالت رند: "بعد قليل، الجو جميل هنا" قبّلها كرم قائلاً: "تصبحين على خير" "تصبح على خير".

شعرت رند بارتياح، كرم لم يتغير ولن يتغير، إنه دائماً أصفى مما تظن، حدقت بالنجوم في السماء، إنها بيضاء ناصعة، ولكنها رأت للتو من هو أنصع بياضاً منها.

★★★

في اليوم التالي خرج واصل مع مرام إلى مطعم، كانت أول مرة يخرجان فيها وحدهما. مرام كانت سعيدة بذلك، واصل اختار المطعم بنفسه، إنها أول مرة تدخله مرام، المطعم جميل وكبير، كل شيء يبدو مميزاً.

جلسا على الطاولة التي حجزها واصل مسبقاً، كانت هناك وردة مع شمعة بانتظارهما. قالت مرام: "إنه جو رومانسي فعلاً" قال واصل: "أنا سعيد أنه أعجبك". سكتا قليلاً ثم قالت مرام: "هذه أول مرة نخرج

وحدنا" قال واصل: "آسف للتأخير" أشارت مرام بالنفي قائلة: "أبداً، كيف حال صوتك؟" "يتحسن، لم يبق الكثير" "أما زلت مصمماً ألا أحضر إلى المشفى؟" "لا أحب أن يراني أحدهم في المشفى" سكتت مرام لا تريد فتح النقاش حيث كان من الواضح أنهما تناقشا في ذلك من قبل. قال واصل: "ماذا تشربين؟" "أي شيء، يبدو أن أي شيء سيكون شهياً هنا" "هذا صحيح ولكن اختاري شيئاً" "ماذا ستشرب أنت؟" "ما رأيك في كوكتيل لكلينا؟" "سيكون هذا جيداً". طلب واصل العصير فقالت مرام: "هل الجميع هنا ثنائيات؟" "في الغالب" "كيف تعرف هذا المطعم؟" ابتسم واصل وقال: "ذهب إليه كرم وفرح من قبل، هذه أول مرة أدخله" قالت مرام: "أنا لا أشكك فيك، إنه فضول فقط" "أعرف".

وصل العصير، كان الكأس أكبر مما تخيلت مرام، فوق العصير قطع الفواكه الطازجة كانت تزين الكأس بأسلوب فاخر، إلى جانب العصير شوكة لتناول الفواكه، كان هذا كثيراً.

بدأ الاثنان شرب العصير، لم يتحدث أحد فنظرت مرام إلى واصل وقالت: "هل هناك ما تريد أن تقوله؟" ابتسم واصل قائلاً: "كيف ترين العصير؟" قالت مرام: "كل شيء فاخر هنا، ولكنني أعني هل تريد أن تقول شيئاً معيناً؟ يبدو أنك تنتظر الفرصة" "هل يبدو ذلك علي فعلاً؟" "مذ خرجنا، ماذا هناك؟" وضع واصل يديه على الطاولة وحدق في الكأس ليقول ما لديه: "يجب أن أخبرك... أنني... لم أشف من المرض بعد" قالت مرام: "لم أتوقع أن تشفى بحادث سيارة" نظر واصل إلى خاتمه في يده وقال: "الآن، هناك ندب كثيرة..." قاطعت مرام حديث واصل ممسكة يده، نظر واصل إليها فقالت: "أعلم كل

ذلك، لا تجبر نفسك على قول ما لا تريد" طال الصمت لحظة فابتسم واصل وقالت مرام: "سيكون كل شيء على مايرام بإذن الله" أمسك واصل يدها ثم قال: "دائماً كنت أعلم أنني محظوظ بمن حولي" ثم نظر إليها قائلاً: "شكراً".

تابع الاثنان جلسة يملؤها الحب والحنان.

★★★

مرت أيام العطلة وعاد كرم مع فرح ورند من نزهة كانت الأجمل في حياتهم.

اقترب العام الدراسي من بدايته، رند ستنتقل إلى مدرسة البنات، ذهب كرم معها وسجلها.

المدرسة الجديدة كانت كبيرة وجميلة، علمت رند أنها لن تقابل كفاحاً وسجالاً هنا ولكنها مستعدة لبداية جديدة.

★★★

أطل يوم الجمعة، سجال كان يحاول ألا يفكر بعمرو، بذل جهداً كبيراً لإقناع نفسه أن عمراً لن يحضر في الموعد وأنه ليس عليه أن يذهب إلى هناك، رغم كل ذلك لم يستطع إلا أن يذهب ويرى بأم عينه إذا كان عمرو سيحضر أم لا.

جلس سجال خلف شجرة تطل على النهر حيث المكان الذي يجب أن يأتي عمرو إليه، الساعة الرابعة والنصف، عمرو ليس هنا، ابتسم سجال يحاول أن يقنع نفسه "لن يحضر، من الغباء أن أفكر أنه سيحضر" ولكنه مع ذلك ظل جالساً.

الساعة الخامسة إلا عشر دقائق "لن يحضر، إنه يعلم أنني لن أحضر، بل ربما ارتاح من العبء الذي كان يحمله نهائيا" ومع ذلك لم يستطع مغادرة المكان.

الساعة الخامسة، بدأت الشمس تغرب والمنظر بات أخاذاً، حدق سجال في المكان "إنه لم يحضر" وقف وبدأ يضحك "بم كنت أفكر؟ من الغباء أن يظل يتردد على هذا المكان، إنه يعلم أنني لن أحضر، تلك كانت مصادفة فقط" التفت سجال فرأى شخصاً يقترب، اختبأ جيداً خلف الشجرة ثم نظر فإذا به عمرو!

لم يصدق سجال ما رأى! إنه عمرو حضر في الموعد، أما يزال يحضر كل جمعة؟ أما يزال يتوقع من سجال أن يحضر إليه مادّاً يديه للمساعدة؟ لماذا؟



وقف عمرو على ضفة النهر كما يفعل في العادة، بل كما يفعل كل جمعة.

ظل سجال خلف الشجرة لا يدري بم يفكر، لقد حضر! كل الأوهام التي حاول التفكير فيها قد تبددت الآن، إنه يحضر كل جمعة، مايزال يذكره.

ظل عمرو واقفاً وسجال مختبئاً خلف الشجرة لا يشعر بوجوده. مرت ربع ساعة على هذه الحال وكلاهما واقف لا يبدي حراكاً.

لم يعد سجال يستطيع التفكير في عدم حضور عمرو، فهو واقف هنا أمامه، ولكنه بدأ يفكر متى سيغادر؟ ومتى سيمل؟ وما سر هذه الثقة العمياء أنه سيحضر؟ "لن أحضر، لماذا تقف هنا؟ كل ما بيننا انتهى، لقد آذيتك فلماذا؟" كان يتمنى أن يسمع عمرو هذه الكلمات ولكنه في نفس الوقت واثق أنه يعرفها "حياتي لن تتغير، الجميع يكذبون، أنا لم أخلق لحياة سعيدة، أنت لا تستطيع فعل شيء لي، غادر!" ولكن عمراً ظل واقفاً، إنه فعلاً بانتظار سجال.

بدأ سجال يغني من خلف الشجرة بصوت لا يسمعه عمرو

I finally put my heart together **and sealed it from all hearts**	اخيراً تماسكت ووضعت قلبي بعيداً عن كل القلوب
But then it began to quiver! **and ripped the seal apart !**	ولكنه بدأ يرتعش وحطم القيود حوله

بدأ سجال يركض مبتعداً عن المكان، بينما ظل عمرو يحدق في النهر.

وصل سجال الضفة الثانية حيث البحر، ووقف على الحافة.

And when it met another **it broke it to pieces and parts**	**وعندما التقى باخر** **حطمه إلى قطع وأجزاء**
Oh, why do I love another? **and try to open my heart?**	**أوه، لماذا أحب مجدداً؟** **وأحاول أن أفتح قلبي؟**
Why didn't I stay in cover? **and be sealed with my lonely heart!**	**لماذا لم أبق مختبئاً؟** **وأغلق على نفسي وعلى قلبى الوحيد**

غادر عمرو المكان، وبدأت عيون سجال تدمع.

★★★

الفصل الحادي والسبعون

بدأت المدارس، رند الآن في مدرسة مختلفة عن كفاح.

دخل كفاح مسروراً ببداية الفصل الجديد، ولكنه فرح أكثر عندما رأى سارياً يجلس على كرسي في الفصل.

ركض إليه قائلاً: "أهلاً بعودتك" نظر ساري إليه وقال: "شكراً" قال كفاح بصوت خافت: "هل انتهى خلافك مع الشرطة؟" قال ساري: "لقد عرفوا المجرم الحقيقي، ليس هناك مشكلة" فرح كفاح جداً لذلك، الآن يستطيعان أن يقضيا الوقت معاً.

جلس كفاح إلى جانب ساري، كانت أصوات الطلاب وهم يسلمون على أصدقائهم تعلو كثيراً، قال: "ألم يصل سجال بعد؟" قال ساري: "لن يحضر" تعجب كفاح وقال: "هل حدث له شيء ما؟" قال ساري: "ليس في وضع جيد، لن يحضر بالتأكيد" فكر كفاح قليلاً ثم قال: "لقد كان غريب الأطوار في الآونة الأخيرة، ماذا جرى له؟" قال ساري: "ماذا فعل لك؟" قال كفاح: "قال أشياء غريبة، لا أظن أنه يعنيها فعلاً" تنهد ساري وقال: "لقد فعل الشيء ذاته مع كل من يعرف، إنه يتهرب من الجميع" "يتهرب!" نظر ساري إلى عيون كفاح مباشرة، إنها عيون صافية تماماً، قال ساري: "أنت لا تكره سجالاً أليس كذلك؟" قال كفاح: "بالطبع لا" "ولن تكرهه أبداً؟" قال كفاح: "لا أظن ذلك، لماذا تسأل؟" لم يقل ساري شيئاً وفكر وحده، ربما يظن سجال أنه قد ترك الجميع وأن الجميع لن يأبهوا به الآن، ولكن ما يراه أن الوضع مختلف، لا أحد يبالي بما قاله في لحظة غضب،

ربما كان كل ما قاله صحيحاً، ولكن... هو الآن يرى الأمور من منظور مختلف،ولكن إلى متى؟

★★★

سجال كان منزعجاً جداً، جلس أمام البحر لا يدري هل سيلقي بنفسه يوماً ما أم لا؟ عندها سمع صوتاً مألوفاً، نظر فإذا بهما جواد ورهف يسيران معاً يتحدثان، إنه حتى لا يدري هل تزوجا أم أنهما لا يزالان يتعارفان، ولكنه لم يأبه بذلك، كل ما يشعر به الآن أنهما كانا سبباً في معاناة طويلة كان في غنى عنها.

نهض سجال بسرعة وأخرج من جيبه جهازاً صغيراً وضعه تحت التراب حيث سيسير الاثنان فوقه بكل تأكيد ثم ركض مبتعداً يراقب من بعيد.

كان الجهاز عبارة عن قنبلة ستنفجر بمجرد الضغط عليها، كان على أحدهما أن يسير فوقها بل سيسير أحدهما فوقها بكل تأكيد.

انتظر سجال مراقباً، اقتربا شيئاً فشيئاً من القنبلة وكلاهما لا يعرف ما ينتظرهما، إنهما هناك، قدم جواد فوق القنبلة مباشرة.

بعد لحظات تابع الاثنان سيرهما دون أن يحدث أي شيء وابتعدا! لم تنفجر القنبلة، كان سجال متأكداً أن قدم جواد قد ضغطت على القنبلة، إنها لم تنفجر!

جلس سجال يعاود التفكير "إنهما على قيد الحياة في المستقبل... لذلك... لذلك..." ثار غضب سجال، إنه لا يريدهما في المستقبل بأي ثمن، وقف وشد خيوطاً من يده ليقذف بها قنبلة أخرى عليهما مباشرة، شد الخيوط بقوة لتصل إليهما ولكن الخيط انقطع فجأة وضرب عين سجال بقوة.

تأذى سجال منه كثيراً وبدأت عينه تنزف، اتجه إلى البحر وغسل وجهه، لم تكن الإصابة مباشرة على العين ولكن جرحاً ارتسم عمودياً من فوق عينه إلى أسفلها.

جلس سجال منهكاً "لماذا يحدث شيء كهذا؟ لا أستطيع فعل شيء، لا يمكن تغيير شيء هنا، فلماذا أنا هنا؟".

كلما بدأ سجال بالتفكير شعر بصداع وانزعج أكثر، نهض بسرعة وهو يشعر بالغضب، إنه يريد أن يفعل شيئاً، يريد أن يشعر أنه هنا على الأقل، يستطيع فعل شيء.

ركض داخل المدينة، سمع صوت الطلاب في المدرسة، تذكر أن المدارس قد بدأت، كان من المفترض أن يكون في المدرسة الآن.

قفز من سور المدرسة ودخل دون أن يشعر به أحد، وضع قنبلة موقوته في الحديقة قادرة على نسف المدرسة بكاملها وخرج.

قفز من خلال السياج ولكن أثناء ذلك لمح طالبة في المدرسة، إنها رند! حدق سجال بها، لم يتوقع أن تكون رند في هذه المدرسة، لقد انتقلت إلى هنا.

تجمد مكانه لحظة ثم بسرعة قفز عائداً إلى داخل المدرسة، ركض إلى حيث القنبلة وأخرجها، لم يبق على انفجارها سوى دقيقتين، أبطلها بسرعة وحملها خارج المدرسة.

جلس خلف شجرة يلهث بشدة، لقد كاد يقتل رندَ! ولكن... هل يهمه ذلك إلى هذه الدرجة؟ هل بعد كل هذا ما تزال رند في قلبه؟

★★★

عمرو كان في مكتبه يفكر "هل سيحضر أم أنني أضيع الوقت

فحسب؟" نظر إلى النافذة "إنه حر، الآن هو في كامل حريته" نهض واقترب من النافذة "ولكنه ليس في كامل وعيه، إنه ثائر جداً" نظر إلى الأحراش "كيف لي أن أصل إليه؟".

★★★

زار واصل كرماً في منزله، استقبله بكل رحابة، ورحبت به فرح كثيراً وقدمت لهما العصير، سأل كرم عن عمليات واصل، أجابه: "بقيت واحدة وينتهي كل شيء" قال كرم: "من الواضح أن صوتك قد تحسن كثيراً" "الحمد لله، أخبرني كيف كانت الرحلة؟" "أكثر من رائعة، لم أتصور أن يكون هناك مكان جميل كهذا على وجه الأرض، إنها الجنة" همس واصل في أذنه سائلاً: "المهم، هل استمتعتا؟" ابتسم كرم قائلاً: "كثيراً جداً" فرح واصل لذلك وقال: "كان عليك أن تفعل شيئاً كهذا منذ زمن" نهض كرم قائلاً: "فعلته الآن على الأقل" ثم نظر إلى واصل قائلاً: "ما رأيك بتدريب قصير؟" فرح واصل لذلك ونهض بسرعة قائلاً: "يجب أن أستعيد لياقتي، لقد وعدتَ أن تساعدني" "وها أنا أفي بالوعد".

اتجه الاثنان إلى الصالة، كانا وحدهما تماماً، قال كرم: "سنبدأ بالأمور الأولية حتى يستعيد جسدك لياقته" قال واصل: "بالتأكيد، ولكن أرجو ألا يطول ذلك" "لا تقلق، لن يطول الأمر" طلب كرم من واصل أن يوجه ضربة مستقيمة، كان من الواضح أن الضربة لم تكن جيدة، كانت خفيفة بل إن يده لم تتمدد بالكامل، أمسك كرم ذراع واصل ومدها بالكامل بشكل مستقيم بينما أمسك يده الأخرى إلى الخلف، باتت الوضعية صحيحة تماماً، قال كرم: "يجب أن تفردها

بالكامل هكذا" ولكن واصلاً قال بصوت خافت: "هـذا مـؤلم" تـرك كـرمٍ ذراعٍ واصل بسرعة حيث لم يتوقع أن يؤلمه شـيء كهـذا، ولكـن واصـلا فعلا تألم كثيراً، بل وبدأ نفسه يضيق قليلاً، قال كرم قلقاً: "أنا آسـف، لم أتوقع حدوث شيء كهذا" أخـرج واصل الـدواء مـن حقيبتـه ليهـدأ قليلا، كرم كان قلقاً جداً، ولكن واصلاً كان هادئاً رغم الألم.

هدأ الوضع قليلاً فقال كرم: "هل أنت بخير؟" قال واصل: "لا تقلـق، أنا بخير" لم يعرف كرم ما يقول، إنه لم يبـدأ التـدريب بأبسط شـيء بعد، لا يمكن أن يتابعا التدريب على الإطلاق، قال واصل: "هذا سيء" لم يستطع كرم حتى التخفيف عـن واصـل في ذلـك، لا يمكنـه أن يفعـل شيئاً الآن، ولكنه تحرك فوراً عندما رأى الدمعة في عين واصل، عانقـه بسرعة قائلاً: "لا بأس، لا بأس، سيأخذ ذلك وقتـا، ولكـنني أعـدك أن نفعل ذلك إلى أن تشفى تماماً" قال واصل: "أنا لا أستطيع فعل شيء، كل ما كنـت أفعلـه في الماضـي قـد... قـد..." ربـت كـرم علـى ظهـر واصـل وقال: "تستطيع أن تفعله من جديد، ولكن لا تقسو على نفسـك" نزلـت دمعة واصل وهو يقول: "ما أزال مريضاً أيضـاً، لم يكـن ينقصـني شـيء كهذا" شعر كرم بالأسى لما يسمع، ولكنه لم يستطع تمالك نفسه عنـدما سمـع واصـلاً يقـول: "مـا كـان علـي أن أنجـو مـن الحـادث" قـال كـرم بسرعة: "لا تقل ذلك، كلنا كنا نريدك، إياك أن تقول ذلك!" بدأ صوت واصل يعلو بالبكاء، جثيا على الأرض يعانق كرماً بقوة، كان كرم يعلم ألا شيء قادر على تهدئة واصل الآن، ربما لا يلومه على ما يشعر فقد عانى الكثير، ولكنه أيضاً كان يعاني بانتظاره له ليسـتيقظ في المشـفى، وهو الآن هنا، ليس سعيداً ولكنـه هنـا. ربـت كـرم علـى شـعر واصـل وقال: "اهدأ، كل شيء سيعود كما كان ولكن اصبر قليلاً، ثق بالله أن مـا

حصل كله خير" تابع بصوت هادئ: "ستتزوج الآن من مرام كما كنت تحلم دوماً، وستصبح لك عائلة جميلة، وستسعد والدتك بحفيدها الأول، سيكون مدللاً جداً أنا واثق من ذلك، وستعلمه الكثير حيث ستكون قدوته دوماً في المثابرة والصبر" هدأ واصل قليلاً فقال كرم: "لا يحصل أحدهم على شيء بسهولة، لقد تعبنا ونتعب كل يوم لنحصل على ما نريد" رفع واصل رأسه عن صدر كرم فقال كرم: "اعتدت عليك دوماً مقاتلاً لتحصل على أي شيء، لن تستسلم الآن" هدأ واصل قليلاً ثم قال: "ستكون إلى جانبي" ضم كرم واصلاً ثانية إلى صدره وقال: "بالطبع سأظل إلى جانبك طول العمر، لا تفكر في ذلك".

★★★

انتهى الدوام الدراسي وغادر الطلاب، كفاح نظر إلى ساري قائلاً: "أين ستنام؟" قال ساري: "في الغابة" "مجدداً؟ ألا تجد مكاناً تنام فيه؟" ابتسم ساري قائلاً: "الغابة مكان" "أعني منزلاً" "ليس مهماً، بات الجميع يعرف أين يجدني" مشى إلى الغابة مودعاً كفاحاً.

دخل ساري الغابة يشعر فعلاً أن أحدهم ينتظره هناك، مشى قليلاً ثم توقف قائلاً: "ماذا تريد؟" اقترب عمرو من بين الأشجار وقال: "أردت لقاءك" قال ساري: "بشأن سجال" لم يقل عمرو شيئاً فمن المعروف أنه ليس هناك شيء مشترك بينهما سوى سجال، قال ساري دون اكتراث: "لا أستطيع أن أفعل شيئاً" قال عمرو: "يكفي أن تخبرني أين أجده" "لن يجدي ذلك نفعاً" "أنت تعرف أين هو" "بالطبع أعرف، ولكن ما الفائدة" "إنه هائج جداً وعلى أحدهم أن يوقفه" "لا يستطيع أحد أن يوقفه، إنه يفعل ما يحلو له" "دلني على

مكانه" نظر ساري إلى عمرو مباشرة وقال: "ستموت" لم يحرك عمرو ساكناً فقال ساري: "أنا لا أبالغ، إنه الآن يقتل كل من يقف في طريقه" نظر عمرو إلى حيث قدميه يعرف أن ما يقوله ساري صحيح ولكنه قال: "أخشى عليه من نفسه" نظر ساري إليه فقال عمرو: "أخشى أن يفعل شيئاً سيئاً بنفسه" قال ساري: "إذا كنت قلقاً من شيء كهذا فاطمئن، سأنقذه حينها" نظر عمرو إلى ساري فقال ساري: "لا أريده أن يموت" قال عمرو: "ولا أريد لأحد أن يموت بسببه" "هذه لا أستطيع أن أضمنها لك" "ولكنك ضمنت لي الأخرى، هو من قتل الناس في الزقاق أليس كذلك؟" نظر ساري إلى عمرو مباشرة وقال بجدية: "بالطبع فعل، ولكن ماذا تريدني أن أفعل؟ أن أقف أمامه لأموت كالباقين؟" "تستطيع أن تدافع عن نفسك" "أبداً" سكت الاثنان فقال ساري بلهجة المنهزم أخيراً: "إنه الأقوى" سكتا أيضاً ثم قال عمرو: "وهل أنت قادر على حمايته من الانتحار؟" "الانتحار ضعف، أستطيع أن أوقفه عندما يصبح ضعيفاً" سكت الاثنان برهة ثم قال عمرو: "لقد كان ذلك فظيعاً، ما فعله بالأبرياء، لقد فقد صوابه" ابتسم ساري وقال: "إنه لم يفقد صوابه بعد صدقني" نظر عمرو إلى ساري الذي تابع ضاحكاً: "إذا فقد سجال صوابه فعلاً فسيدمر المدينة بأكملها في عشر دقائق، إنه مايزال متردداً" لم يقل عمرو شيئاً فقال ساري: "لقد فعل ما هو أكبر في السابق، هذا لا شيء" طأطأ عمرو رأسه، إنه يسمع ثانية الماضي الذي لا يعرفه عن سجال، كلما ظن أنه تخيل شيئاً اكتشف أن ما لا يعرفه أكثر بكثير مما يعرف، قال ساري: "لا تقلق عليه، سيعود إلى رشده قريباً" "هل أنت مصر ألا تخبرني أين أجده؟" "نعم، لن يجدي ذلك نفعاً" "فما الذي

سيجدي نفعاً إذن؟" فكر ساري قليلاً ثم قال: "دعه وشأنه ليهدأ قليلاً، بالمناسبة لماذا هاج فجأة؟" نظر عمرو إلى ساري متعجباً كيف يعرف أشياء كثيرة ولا يعرف السبب الأساسي فقال عمرو: "أحقاً لا تعرف؟" قال ساري: "كلا" قال عمرو: "لقد اكتشف أن والديه ليسا والديه الحقيقيين" بعد لحظة صمت ضحك ساري بشدة ثم قال: "أهذا هو السبب؟" قال عمرو منزعجاً: "إنه مهم بالنسبة لسجال، لقد عاش حياته مخدوعاً" قال ساري متابعاً ضحكه: "لقد كان ولداً من عشرين آخرين، هل كان فعلاً يظن أنه أخوهم؟ أو أنه الوحيد الولد الحقيقي لوالدنا؟" تابع ساري ضحكه فقال عمرو: "مع ذلك كان يؤمن أنه والده وليس والدك" قال ساري مهدئاً من ضحكته قليلاً: "على كل حال لم يكن الأب الذي يحلم به" "ربما، ولكن الصدمة كانت عنيفة" أشار ساري بالنفي ثم قال لعمرو: "أنت لم تفهم شيئاً بعد" فكر عمرو، يبدو أن لدى ساري الكثير ليقول، قال ساري: "إنه يبرر ما يفعل فحسب" تعجب عمرو مما يسمع فتابع ساري قائلاً: "إنها الحقيقة، إنه لم يفعل كل هذا منذ زمن، إنه فقط يريد فعل ذلك" قال عمرو غير مصدق ما يسمع: "أن يقتل؟ كلا مستحيل!" قال ساري غير مبال: "إنه قد نشأ على ذلك، إنها ككلمة مرحباً في منزلكم، كالفطور في الصباح، كالنوم في الليل، إنها دائماً حياته" "لا تقل لي أنه يريد أن يبرر قتله فحسب!" "إنه يبرره لنفسه قبل أي شخص آخر، هؤلاء وغيرهم ممن سبقهم، كلهم ذنب خديعة دامت خمسة عشر عاماً" صمت عمرو، لم يعد لديه ما يقول، كان يشفق على سجال كثيراً، هل ما قاله ساري يعني أن شفقته لم تكن في مكانها؟ هل يعقل أنه الملام الوحيد؟ قال ساري مقاطعاً أفكار عمرو: "لا تلمه على ذلك" نظر عمرو إلى ساري

وكأنه كان يقرأ أفكاره، قال ساري: "الأمر ليس بيده، إنه ينفجر كما تعلم" لم يعد عمرو يميز ما يجري، الأمر ليس بيد سجال ومع ذلك هو يفعل كل ذلك من أجله، ماذا يفعل؟ قال ساري: "اترك الأمور تسير كما هي، دع سجالاً وحده لفترة" قال عمرو: "أخشى ألا يعود كل شيء كما كان" أشار ساري بالنفي وقال: "الجميع مايزالون إلى جانبه" نظر عمرو إلى ساري الذي قال: "لقد جعلتَ منه شخصاً يحبه الجميع" نزلت هذه الكلمات كالثلج على صدر عمرو، أخيراً سمع شيئاً يريح باله، نعم لقد قدم له الكثير في وقت قصير، نعم لقد أنجز ما لم يستطع أحد إنجازه في حياة سجال.

سار ساري متعمقاً في الغابة تاركاً عمراً يقف وحده والأمل ينمو في صدره من جديد، إن الجميع يحب سجالاً، وسجال سيعود إليهم بكل تأكيد، بكل تأكيد.

★★★

مرت الأسابيع، عمرو مايزال مداوماً على الموعد، سجال أيضاً بات يداوم هو الآخر ولكن يظل مختبئاً حتى لا يراه عمرو، راجياً في كل مرة أنه لن يحضر.

بات سجال يشعر أن عمراً كالشوكة في حلقه، لماذا لا يتركه وشأنه كما تركه الجميع؟ لماذا مايزال مصراً على لقائه من جديد؟

ظل الوضع هكذا، يحضران في الخامسة من مساء الجمعة قرب النهر، ولكن أحداً لا يواجه الآخر، بل إن سجالاً قرر ألا يحضر، ولكنه أحس أن عمراً يقف هناك في المكان والزمان نفسهما دوماً، إنه يعلم أنه هناك حتى لو لم يره بأم عينه. بات سجال يشعر أنه حبيس

هذا الوضع، بات يشعر أن عمراً كمن يخنقه بكل بطء.

عمرو كان يعود كل مرة إلى المنزل يجر أذيال الخيبة ولكنه لم ولن ييأس، عائلته يئست من الموضوع كله ولكنه كان يرجوهم دائماً: "إذا عاد معي يوماً، استقبلوه كأخ لكم كما كان".

★★★

أخيراً قرر واصل المرور على معمله، كان قلقاً أن يرى الأبواب مشمعة، ولكنه وصل ولم يكن هناك شيء كذلك.

دخل إلى الطابق الأول، الهدوء مريب، لا أحد هنا، يبدو أن المعمل قد هجر. ولكن هناك ما يقول غير ذلك، صوت الآلات ما تزال تعمل!

نزل إلى الطابق السفلي حيث الآلات، رأى ما لم يتوقع على الإطلاق، الجميع يعمل بجد، بل إن المدير السابق يديرهم جميعاً بنفسه، والجميع سعداء ويضحكون. ظل واصل واقفاً يستوعب ما يرى، هل هو في حلم؟ الجميع يرتدي الزي الواقي والخوذة ويتحدثون بالأجهزة، إنه لا شك يهذي!

أخيراً انتبه أحدهم إليه واقفاً على السلالم، صرخ بأعلى صوته: "إنه واصل!" نظر الجميع إلى السلالم، إنه فعلاً يقف هناك.

ترك الجميع الآلات وركضوا إليه يطمئنون عليه، واصل كان مايزال في صدمة! كل شيء يسير على أحسن ما يرام.

بدأت الأصوات حوله تقول "كيف أنت؟" "متى خرجت؟" "هل أنت بخير؟" "هل عدت إلى العمل؟" لم يستطع واصل الإجابة على أحدهم، عندها صرخ المدير قائلاً: "على رسلكم، دعوه يأخذ نفسه!" نظر واصل إليه وقال: "ما الذي يجري هنا؟" قال المدير: "المعمل يسير

علـى أحسـن وجـه كمـا أردت لـه دائمـاً أن يكـون" لم يتمالـك العمـال أنفسهم وبدأوا يصرخون ثانية "لقد عملنا بكل جد كما لو كنـت بيننـا" "المعمل في انتعاش" "لقد زادت رواتبنا ونرجو ألا تمانع ذلك" ابتسم واصـل قـائلاً: "طبعـاً لـن أمـانع، أنـتم دائمـاً تسـتحقون الأفضـل" قـال أحدهم: "هل ستعود إلينا؟" قـال واصـل: "هـا أنـا هنـا" صـرخ الجميـع سعيدين بعودة واصل، عندها أمسك المدير يـده قـائلاً: "يجـب أن تـرى نتائج العمل في الآونة الأخيرة".

هكذا عاد واصل إلى معمله، كانـت الأربـاح بـاهرة فعـلاً، لم يتوقـع واصل منهم كل هذا التعاون، إنهم بالفعل أفضل عمال.

فوق ذلك كانت أرباح واصل من المعمـل كـبيرة، الآن هـو قـادر علـى استئجار منزلٍ له مع مرام بنفسه دون الحاجـة إلى قـرض مـن والـده، كان هذا جميلاً جداً.

★★★

كان سجال في زقاق حوله خيوطه لفها مثل شـبك العنكبـوت في كـل زاوية، كانت الكثير من الجثث معلقة بين الشباك كالفريسـة في شـبك العنكبوت.



سجال كان جالساً في المنتصف ينظر حوله، الجميع ميت بـل معلـق بين الخيوط، لا حراك، لا إحساس "ماذا أفعل؟ هذا ما يريـده والـدي، فماذا أريد أنا؟" لحظتها نزلت دمعة مـن عينـه بهـدوء وسـقطت علـى الأرض، حدق سجال بهـا "لمـاذا أبكـي؟" نظـر إلى يديـه "مـاذا أريـد؟ ماذا؟" وضع يديه على وجهه لا يدري ماذا يجري.

كانت الجثث تحيط به مـن كـل جانـب، كـان كـل مـن يسـير في أي زاوية من الطريق هالك في هذه الشباك لا محالة.

سمع صوت أقدام تقترب، رفع يديه فإذا به شخص قادم، لم يحرك سجال ساكناً، هل سيكون فريسـة جديـدة؟ ولكنـه تفاجـأ عنـدما رأى جواداً يقترب! شعر بشيء من الخوف، هذا لا يستطيع قتله.

وقف جواد مذهولاً لهول ما يرى، الشباك في كل مكـان! إنـه فعـلاً كبيت للعنكبوت، نظر إلى المنتصف فإذا به يرى سجالاً.

وقف سجال بهدوء فابتسم جواد قـائلاً: "لم أكـن أعـرف أنـك قـادر على فعل كل هذا! لم أكن لأصدق لولا أن رأيته بأم عيني" شعر سجال بصدمة كبيرة، لم يكن ليصدق لولا أن رأى ما يرى الآن! هذا يعـني... قال جواد وهو يلف حول المكان مندهشاً: "إنها أشبه بتحفة فنية، كـم سأكون سعيداً بالحصول على ولد مثلك" لقد وضـع نفسـه بنفسـه هنـا، سجال يُري جواداً ثمرة تعبه. نظر جواد إلى سجال وقال: "سـأبذل كـل جهدي لأصنع منـك الأفضـل" دخلـت هـذه الكلمـات كالسـهام في صـدر سجال، إنه من جلب لجواد الفكـرة منـذ البدايـة، رفـع رأسـه وصـرخ بأعلى صوته.

★★★

لم يمر وقت طويل حتى نشرت الأخبـار حـدوث جـرائم جديـدة في الزقاق، بل لم تسـتطع الشاشـة عـرض المنـاظر لبشـاعتها ووحشـيتها، عمرو أحس بالأسى الشديد "إلى متى؟... إلى متى ستظل تفعل ذلك؟".

★★★

في جهة أخرى كان واصل قد أنهى عملياته بنجاح، وقد حان موعـد الزفاف كما وعد.

الزفاف سيعد في قاعة كبيرة في أعلى الفندق تطل على البحر.

كان المدعوون كثيرين، معظمهم مـن ذوي العلاقـات مـع مـراد، بـل وحضر والد فرح أيضاً. كرم كان أول الحضـور بكـل تأكيـد بـل ظـل مـع واصل طول الوقت، فرح كانت ترافق مرام أيضاً مع رند.

ميساء كانت أيضاً فاعلة في عرس مرام كما كانت في عرس فرح، سـعدت

مرام بها كثيراً حيث حركت الحفلة جيداً، إنها فعلاً صديقة مميزة.

كفاح ومصعب كانا سعيدين جداً، حتى في عرس أخيهما كانا بانتظار الأطباق الشهية. أرسل كفاح دعوة لساري ولكنه لم يحضر، لم يلمه كفاح على ذلك أبداً.

عمرو تلقى دعوة مع العائلة، ذهب مع ماهر حيث كان يحلم بالحضور، ولكنه كان يعلم أنه من المفترض أن يكون سجال أول الحاضرين.

كانت الحفلة جميلة، صالتان كبيرتان، وغنى واصل ثانية لمرام ولكن هذه المرة بصوته، كانت أكثر من سعيدة.



وسط هذه الأجواء كان سجال يقف على طرف المبنى الثاني يراقب ما يجري في الحفل، الجميع سعداء ويباركون، حتى عمرو هناك "الجميع منشغلون، لا أحد يفكر بي" هبط من المبنى قفزاً وكأنه حصل على الإجابة التي يريدها.

انتهى الحفل، بالكاد سأل واصل عن سجال عندما سلم على عمرو، عمرو أخبره أنه لم يستطع الحضور فحسب. كان يعلم أن خبراً كـ- سجال هارب منذ زمن- لن يكون سعيداً في حفل كهذا.

بذلك انتهى الحفل، واتجه واصل مع مرام إلى منزلهما الجديد، شقة جميلة استأجرها واصل ليسكن مع مرام وحدهما، ودع الجميع واصلاً، وأخيراً باتا زوجاً وزوجة سعيدين في بيت الزوجية.

★★★

في جمعة تالية ذهب عمرو إلى النهر في الموعد، وقف هناك ينتظر قدوم سجال كالعادة. بات معتاداً على الوقوف هناك، حتى أن الطيور باتت معتادة عليه، كانت حمامة تطير حوله وتهبط قرب يديه.

وصل سجال المكان، نظر إلى عمرو الذي كان واقفاً من بعيد والحمام يدور حوله مسروراً، شعر سجال بانزعاج، حتى الوقفة هناك لم تعد مملة، لماذا اعتاد الحمام عليه هكذا؟

ودون أن يفكر رأى قدميه تسيران تقتربان من عمرو، عشرين متراً، خمسة عشر متراً، عشرة أمتار، التلفت عمرو ليرى سجالاً هناك، أخيراً رآه!

طارت الحمامة من بين يدي عمرو وظل عمرو محدقاً بسجال، إنه فعلاً هنا، ولكن قبل أن ينطق بأية كلمة حمل سجال حجراً صغيراً من

تحت قدمية ورماة بسرعة كبيرة كالطلقة النارية سارت إلى جانب وجه عمرو فأصاب بها الحمامة وأسقطها قتيلة على الأرض!

ظل عمرو صامتاً مندهشاً لما جرى، نظر إلى حيث قدميه فإذا الحمامة قد فارقت الحياة تماماً. نظر إلى سجال الذي كان منزعجاً جداً وقال: "لماذا؟" تحرك عمرو بهدوء يقترب من سجال الذي تابع قائلاً: "لماذا تأتي إلى هنا كل مرة؟" ظل عمرو يسير مقترباً من سجال دون أن يقول أي شيء، صرخ سجال قائلاً: "لا أريد أن أراك!" ولكن عمراً وقف أمام سجال مباشرة، نظر سجال إليه، لم ينطق عمرو بكلمة بعد، بل لا يدري سجال ماذا سيقول عمرو بعد كل ما جرى.

ظل الاثنان صامتين، كلاهما ينظر في عيون الآخر.

بعد برهة نطق عمرو، قال بكل هدء: "كنتُ فعلاً أحب تلك الحمامة" أشاح سجال برأسه دون مبالاة فقال عمرو: "ماذا تفعل بالضبط؟" قال سجال بثقة: "ما يحلو لي" ابتسم عمرو وقال: "هل هذا ما يحلو لك؟" لم يقل سجال شيئاً دون اكتراث، فقال عمرو: "أنت فقط تدمر كل ما بنيتَ" ابتسم سجال ساخراً وقال: "تعني ما بنيتَ أنت" قال عمرو: "ما بنينا معاً" لم ينظر سجال إلى عمرو نهائياً فقال عمرو: "ما كنتُ لأفعل شيئاً لولا أنك كنت تريده، كما هي الحال الآن، أنا لا أجبرك على شيء، في الواقع لا يستطيع أحد أن يجبرك على شيء" قال سجال بسرعة: "أردتك أن تعلم ذلك، لا يستطيع أحد أن يجبرني على شيء" قال عمرو ببساطة: "كنتُ أعلم ذلك منذ البداية" "إذن اتركني وشأني" "لتفعل ما يحلو لك، لتقتل وتسفك وربما تنهب أيضاً" "من يستطيع إيقافي؟" قال عمرو مؤكداً ثانية: "لا أحد" شعر سجال أن عمراً لا يكترث أبداً بذلك فقال: "إذن عليك أن تتركني

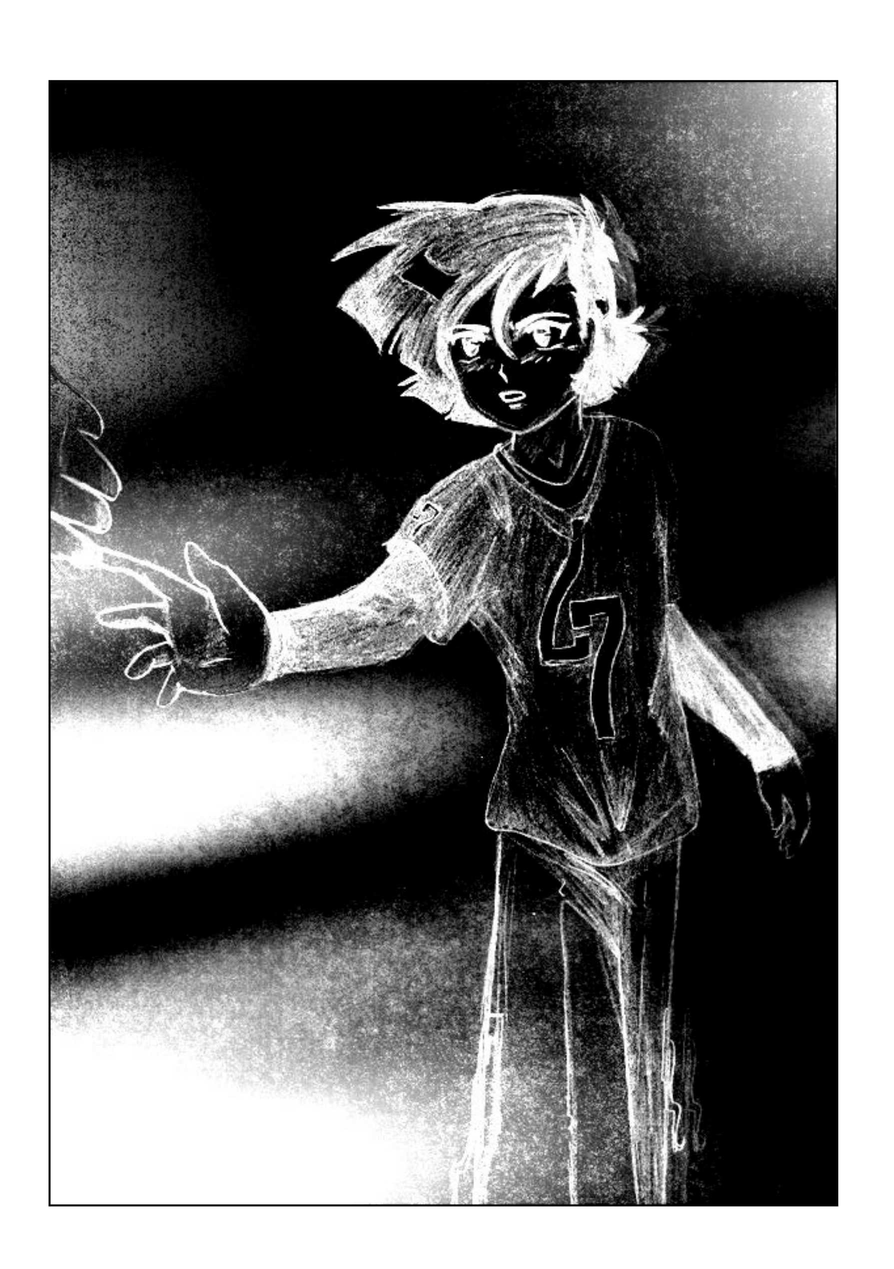
وشأني" قال عمرو: "هذا لن يحدث" نظر سجال في عيون عمرو المصممة على ما يقول، فقال سجال: "ماذا تعني؟" ابتسم عمرو قائلاً: "تركي لك يعني أن أفعل تماماً ما تريد، أن تقتنع أنه لا أحد إلى جانبك، أن تبرر لنفسك ما تفعل، ثق تماماً أن هذا لن يحدث. لقد قررت منذ البداية أنك ولدي، وأنا لا أتخلى عن أولادي مهما كان الثمن" صرخ سجال قائلاً: "أنا لست ابن أحد!" قال عمرو: "أنت ولد من تختاره والدك الآن" قال سجال: "لا أريد أباً!" "فماذا تريد إذن؟" طأطأ سجال رأسه قائلاً: "أريد أن أعيش وحدي" ابتسم عمرو وقال: "حتى إذا فعلتُ وتركتك وشأنك هل تظن أن الجميع سيفعل؟" قال سجال في سخرية: "لقد فعل الجميع، ولم يبق سواك" أشار عمرو بالنفي، تفاجأ سجال عندما قال عمرو: "لم يتركك أحد" قال سجال: "لقد أنهيت علاقتي بالجميع، أنت الوحيد الذي تظن أنني عائد" ابتسم عمرو قائلاً: "أبداً، الجميع يظن أنك عائد، بل وسيرحبون بك أيضاً" قال سجال ساخراً: "أنت دائماً تجبر أولادك على الانقياد لأفكارك" "لا أتحدث عن أولادي، بل أتحدث عن واصل وكفاح ورند، حتى ساري ينتظر أن تعود إلى رشدك" "كيف تعرف ذلك؟" "لقد سألني الجميع عنك" حدق سجال بعمرو الذي تابع قائلاً: "أنا لم أعتد الكذب أليس كذلك؟ أنا جاد فيما أقول، الجميع سأل عنك" طأطأ سجال رأسه فقال عمرو: "في كل الأحوال أنا هنا بانتظارك، حتى لو لم تأت معي الآن إلى المنزل فسأظل بانتظارك، حتى وإن كلفني ذلك أن أقف هنا طول العمر" قال سجال بصوت خافت ينظر إلى الأرض: "لماذا تفعل ذلك؟" قال عمرو: "لأنني أحبك" نظر سجال إلى عمرو الذي كان يبتسم ابتسامة هادئة وقال: "سبق أن أخبرتك بذلك، ما يجمعنا هو حب لا

يستطيع أحد العبث به أياً كان" طأطأ سجال رأسه فقال عمرو: "كذلك يحبك الكثيرون هنا، أنا لا أريد أن أجبرك على شيء وأعلم أنني لا أستطيع فعل ذلك، ولكن حاول أن تنظر إلى ما خلفت وراءك، ستجد الجميع بانتظارك" جثا سجال على الأرض وقال: "لماذا؟ لماذا لا يكرهونني؟" قال عمرو: "كنتُ دائماً أؤمن أنه من السهل أن تهدم ولكن الأصعب أن تبني، ولكنني أظن أنه ليس من السهل أن تهدم أيضاً ما كان أساسه قوياً" نظر سجال إلى عمرو الذي قال: "أنت من بنى هذه العلاقة لا أنا، أنا لا أعرف واصلاً، ولا رندَ ولا حتى كفاحاً، بل ولا أحب سارياً أيضاً، ومع ذلك فإن الجميع ينتظرونك، أنت من صنع ذلك" قال سجال: "لقد آذيتُهم" "وقد نسوا ذلك" لم يعرف سجال ما يقول فقال عمرو: "أنت حر الآن كما كنت وستكون حراً دائماً، اختر ما تشاء" ظل سجال جاثياً مكانه لا يريد النظر في عيون عمرو حيث يعرف أنه سيختار العودة إليه بكل تأكيد، لم يترك عمرو الفرصة لكبرياء سجال أن يعمل في ظرف كهذا فجثا على الأرض أمامه ومد يديه إليه قائلاً: "يكفي ما عانيت"



شعر سجال بالدموع تنهمر من عينيه فاقترب من عمرو الذي ضمه بحنان كبير قائلاً: "أنا أعلم كيف تشعر، ولكن ألا تعطي نفسك قسطاً من الراحة؟" ظل سجال يبكي، إنه فعلاً متعب، لم يشعر بالراحة يوماً إلا في منزل عمرو، هذه حقيقة لا يستطيع أن ينكرها مهما حاول. ربت عمرو على شعره بحنان قائلاً: "أهلاً بك بين أهلك" نظر سجال إليه ولم يستطع أن ينطق بأية كلمة، عندها نهض عمرو بهدوء ممسكاً يد سجال ليسير معه إلى المنزل، ولكنه شعر بيد سجال ترجف، نهض معه وسار قليلاً، لم ينطق أحدهما بأية كلمة ومايزال عمرو يشعر برجفة في يد سجال، إنها أيضاً رطبة من العرق، إنه مضطرب جداً، فوق ذلك عمرو يشعر تماماً أنه من يقبض على يد سجال، وسجال لا يبادله ذلك.

بعد بضع خطوات ترك عمرو يد سجال، فعلاً أفلت سجال من عمرو، ولكنه شعر لوهلة بشعور غريب جداً، إنه يبتعد، بل ربما يغرق، لماذا ترك عمرو يده؟ هل انتهى كل شيء؟ هل يئس عمرو منه؟ ربما لم يمسك سجال يد عمرو فعلاً ولكنه لم يتوقع أن يترك عمرو يده، هل فعلاً يتركه؟



نظر عمرو إليه قائلاً: "أنا لا أجبرك على فعل أي شيء، كما لا أريدك أن تؤمن بما أؤمن به لمجرد أنني أؤمن به" ظل سجال ينظر إلى عمرو الذي تابع قائلاً: "كل ما أريد أن تعرفه أنك حر، وأن منزلي يستقبلك متى شئت" لم يقل سجال شيئاً، ظل واقفاً مكانه بينما تابع عمرو سيره إلى منزله وحده، يبتعد أكثر فأكثر...

★★★

رن جرس المنزل وفتحت لمياء الباب فإذا بهما واصل ومرام يزورانهم، فرحت لمياء بهما كثيراً، كفاح قفز بسرعة إليهما، مرام كانت تعلم أنه بانتظار الحلوى، وفعلاً كانت قد جهزت له علبة مليئة بالحلويات الشهية التي صنعتها بنفسها كالعادة. مصعب ركض خلف كفاح ليحصل على حصته من الحلوى.

دخل واصل ومرام، قالت لمياء: "سيعود مراد من السفر في الثانية عشرة" قال واصل: "من الجميل أن يسافر مدة قصيرة فقط، لقد بات يجلس في المنزل مدة أطول" قالت لمياء: "أجل، أظن أنه شعر بمسؤولية أكبر عندما تركت المنزل" قالت مرام: "إنه لن يترك المنزل كما تعلمين يا خالتي" قالت لمياء: "أعلم، ولكن كل شيء مختلف هكذا" قال واصل: "لم يختلف شيء على الإطلاق، أظن أنني لم أغير شيئاً في غرفتي" قالت لمياء: "إنها كما تحب لها أن تكون دائماً" قال واصل: "سأصعد إلى هناك قليلاً، هناك ما أود القيام به" قالت مرام: "سننتظرك في المطبخ".

بعد فترة من الانتظار قاربت الساعة الثانية عشرة، قال واصل: "ألا نستقبله في المطار؟" قالت لمياء: "ستوصله سيارة خاصة إلى هنا" قالت

مرام: "هذه فوائد أن تكون دبلوماسياً" قال واصل: "أردت أن أستقبله في المطار" قالت لمياء: "أنت لا تملك سيارة" تنهد واصل مسلماً بالأمر الواقع ثم نهض متجهاً إلى غرفة الضيوف ليعزف قليلاً.

دخل كفاح على واصل الغرفة، نظر واصل إليه شاعراً أنه يريد أن يقول شيئاً، قال واصل: "ما الأمر؟" اقترب كفاح إلى جانب واصل وقال: "كنتُ دائماً أحب عزفك" ابتسم واصل قائلاً: "شكراً، هذا لطف منك" قال كفاح: "هل تعلمني؟" علم واصل أن هذا ما أراده كفاح منذ البداية، بل ربما منذ سنين ولم يستطع الإفصاح عنه. قال واصل: "أحضر كرسياً" فرح كفاح وركض إلى المطبخ وجلب كرسياً وضعه إلى جانب واصل، بدأ واصل يعلم كفاحاً ترتيب المحابس، حفظها كفاح بسرعة وراءه ثم بدأ يضع يديه على البيانو ليعزف، أمسك واصل يد كفاح ليعدل أصابعه، كفاح كان سعيداً بذلك جداً، لم يتوقع أن يساعده واصل هكذا، بل إنه يريد فعلاً أن يعلمه. كان هذا أكثر مما يريد كفاح، حتى أن مصعباً غار منهما وبدأ يريد التعلم، جلس على قدمي واصل وبدأ يتعلم معهما.

كان الجميع سعيداً بذلك، بل إن الوقت مضى بسرعة كبيرة ورن جرس الباب معلناً حضور مراد.

قفز الجميع إلى الباب، دخل مراد سعيداً بوجود العائلة مجتمعة، بل العائلتين. رحب بهم واحداً واحداً وجلس في غرفة الضيوف ليتحدث عما جرى معه خلال السفر.

★★★

بينما كانت عائلة واصل تقضي أجمل لحظات حياتها كان عمرو

مايزال يسير في الطريق إلى المنزل ببطء شديد، الأفكار تتدفق في عقله بدرجة لا يستطيع تحملها "هل ما فعلته كان صحيحاً؟ ألن يشعر سجال أنني قد تخليت عنه؟ لا أريد أن أجبره على شيء، أريده أن يعود بملئ إرادته، لقد كان متردداً" توقف قليلاً يفكر "هل من الصحيح أنه سيتغير؟ إن لديه جانبين مختلفين جداً وأبعد ما يكونان عن بعضهما، كيف له أن يغير ذلك في لحظة؟" تابع سيره "هل علي الآن العودة إلى الموعد، أم أنني أضعط عليه به كذلك؟ أردت دائماً أن يعلم أنني إلى جانبه، مهما حدث".

نظر عمرو أمامه فإذا به باب المنزل، لقد وصل بطريقة أو بأخرى.

فتح الباب بهدوء وفي وجهه شيء من اليأس وقال: "السلام عـ..." وسكت عندما رأى ما لم يتوقع! الجميع جالسون يلعبون –كلودو– مع سناء وبينهم... سجال!

نظر الجميع إليه قائلين: "مرحباً بعودتك" قالت سناء: "لقد تأخرت، أين كنت تتسكع؟" لم يستطع عمرو أن ينطق بكلمة واحدة، بل إن أصوات الجميع باتت كالضجيج في أذنه، كان مايزال لا يصدق أن سجالاً هنا! هل يهذي؟ ابتسم سجال قائلاً: "انضم إلينا" كان يبدو كأن شيئاً لم يكن، كأن الأشهر التي مضت لم تكن سوى كابوس سيئ قد استيقظ الجميع منه.

ابتسم عمرو فرحاً وقال: "لن يستطيع أحدكم التغلب علي" ركض إلى الطاولة ودخل في اللعبة بكل حماسة.

سجال كان يحدق في الجميع، مر زمن لم يجلس هنا، لا شيء يعوضه عن هذه العائلة الرائعة، إنه الجو الذي يتمناه أي مخلوق على وجه الأرض، قرر ألا يفرط فيه ثانية، فقد وجد سعادته هنا مرة، ولن

يجد مكاناً أفضل منه البتّه.

في منـزل مـراد كـان الجميـع جالسـين معـاً يتحـدثون عنـدما رن الجرس، نهض واصل وفتحه فإذا به كرم يزور مع فرح ورند لاستقبال مراد، فرح واصل بهم كـثيراً وأدخلـهم قـائلاً: "الآن اكتملـت العائلـة" عانق كرم مراداً فرحاً بلقائه، فقد كان دائماً كالأب بالنسبة له، وفعـلاً كانت العائلة بأكملها عائلته. إنه اجتماع العائلة كما وصف واصل.

جلست فرح إلى جانب مرام ولمياء، وجلسـت رنـد إلى جانـب كفاح ومصعب، واصل وكرم ومراد جلسوا معاً، والجميع يتحـدث مـن حـول الطاولة. كان هذا يوم السعد لواصـل، فجـأة رن جـرس البـاب، نهـض واصل ليفتح فإذا بها شادن والجدة قـدمتا أيضـاً للاسـتقبال، للتـو قـال واصل أن العائلة اكتملت، ولكنه كان مخطئاً.

رحب بهما كثيراً، عانقت شادن لمياء ومرام وجلست مـع الجـدة إلى جانبهما، نظر واصل إلى الطاولة، باتت لا تتسع للحاضرين، كـان هـذا شعوراً جميلاً، هذه أول مـرة يشـعر أن حولـه عائلـة كـبيرة، الجميـع سعداء، لم لا؟ عائلة كهذه تستحق السعادة.

قـال واصـل بصـوت يسـمعه الجميـع مقاطعـاً حـديثهم: "الرجـاء الاسـتماع، هنـاك خـبر مهـم للجميـع" نظـر الجميـع إلى واصـل الـذي قـال: "إن مـرام حامـل" نظـر الجميـع إلى مـرام الـتي احمـرت خجـلاً قائلة: "هل كان عليك أن تقول ذلك بهذه الطريقة؟" ولكن الجميـع كـان سعيداً وبارك لهما بحرارة. كرم ومراد عانقا واصلاً، شادن بدأت تبكي من الفرحة، ولمياء عانقت مرام مباركة، أخيراً ستصبح جدة.

لم يكن هناك أسعد من هذه العائلة بكل تأكيد، كان واصل الأسعد في موقف كهذا، كل ما كان يفكـر فيـه الآن أن هـذا بفضـل الله، بعـد كـل

الصعاب التي مرت كان لابد من يوم كهذا يمحو المتاعب.

★★★

توجه الجميع إلى الفراش في منزل عمرو، سجال عاد إلى فراشه إلى جانب ماهر، دخل عمرو الغرفة ودخلت لنا ولينا مع سناء خلفه مباشرة. نظر مالك وماهر إلى الاجتماع في الغرفة فقال عمرو: "جئت لأقول تصبحون على خير" كان الجميع يعلم أن هناك ما هو أكثر من ذلك، جلس سجال على فراشه حيث كان متأكداً أنه المعني في الكلام، قال ماهر: "ادخلوا، لماذا تقفون على الباب؟" فعلاً دخل الجميع وجلس عمرو إلى جانب سجال، شعر سجال فوراً أنه سيسمع محاضرة عما جرى، ولكن ماذا سيقول أمام الجميع؟ قال عمرو: "أولاً، لا تتصور مدى سعادتي بوجودك هنا وجلوسك على هذا الفراش الذي افتقدك كثيراً" طأطأ سجال رأسه فربت عمرو على شعره قائلاً: "الجميع يرحب بك هنا كما ترى" قالت لنا: "إنه أخونا" نظر سجال إليها، هل كان عليها أن تقول ذلك من دون الجميع؟ تابع عمرو مقاطعاً: "ولكنني هنا الآن لأتحدث عما جرى" نظر سجال إلى عمرو فقال عمرو: "ماذا فعلت؟" لم يستطع سجال قول أي شيء خاصة أنه لن يقول شيئاً أمام الجميع، قال عمرو: "ماذا جنيت؟" هذه كان باستطاعة سجال الإجابة عنها: "لا شيء" قال عمرو: "لقد هدمت" نظر سجال إلى عمرو الذي تابع يقول للجميع: "ليس صعباً أن تهدم، ولكن الأصعب أن تبني" طأطأ سجال رأسه فقال عمرو: "لقد اخترت الطريق الأسهل، ولكنك لن تصل إلى شيء في النهاية، ثق بذلك تماماً، لن تجد هدفاً أو نتيجة، ستعيش في دائرة أنا سعيد أنك خرجت منها" ظل سجال يحدق في

يديه على الفراش ولكن عمراً تابع قائلاً: "ولكن الأصعب أن تبني، البناء هو ما يجعلك تشعر بالإنجاز وبحب الحياة والشعور أنك تعيش من أجل شيء، أي شيء" جلست لنا ولينا على الفراش بقرب ماهر ليستمعا، تابع عمرو قائلاً: "هناك الكثير لتبنوه، أصدقاء، عائلة، شهادات، مهارات، هوايات، أفكار" ثم نظر إلى سجال مباشرة وقال: "جرب أن تحب الناس، لديك أصدقاء وعائلة وكل شيء بالمجان، ماذا تريد أكثر من ذلك؟" لم يستطع سجال قول أي شيء، بدت هذه الجملة كعتاب مباشر فقال عمرو: "تستطيع أن تعيش حياة هادئة هنا، تنام بهدوء، تأكل وتضحك وتلعب وتتعلم، ثم تعود مرهقاً إلى المنزل لتنام بهدوء ثانية، عندها تفكر فيما تريد، تفكر بهدفك الأكبر، تفكر ماذا ستفعل ولماذا ولمن، هذه هي الحياة" كل ما استطاع سجال فعله هو أن هز رأسه بالإيجاب فقال عمرو: "لا أحد يلومك على شيء، لا في هذا المنزل ولا في خارجه، ولكنك حر، تستطيع فعل ما تشاء وقت ما تشاء، وأنت قادر على اختيار الصواب، أنا أثق بك" لم يستطع سجال قول أي شيء بعد فقال عمرو: "استمتع بوقتك هنا، لديك فرصة، فسبق أن أخبرتك أنه كان بناؤك أقوى من أن يهدم بسهولة" ثم نهض عن الفراش ونهضت لنا ولينا أيضاً فقالت لنا: "وما هدفي في الحياة؟" ابتسم عمرو قائلاً: "كلنا لدينا هدف واحد أساسي هو عبادة الله الذي خلقنا وشكره وحمده على نعمه" هنا تذكر سجال ما فعله آخر فترة، لقد تهرب من كل هذا، لقد ترك العبادة طول الوقت، تابع عمرو قائلاً للنا: "أما هدفك الخاص فهو أمر ستجدينه خلال الحياة، لديك الوقت الكثير لا تقلقي" ربت على رأسها ثم خرج معهما ومع سناء من الغرفة قائلاً: "تصبحون على خير" قال ماهر

ومالك: "تصبح على خير" ولكن سجالاً كان شارد الذهن، فقال عمرو ثانية: "تصبح على خير" نظر سجال إليه قائلاً: "تصبح على خير" وخرج عمرو من الغرفة.

★★★

صعد واصل مع كرم إلى غرفته ليطمئن على دريم، جلس كرم إلى الحاسوب وفتحه حيث لم يفتحه أحد منذ مدة.

وضع واصل دريم في حقيبته ليأخذه معه إلى منزله، بينما فتح الحاسوب طالباً الكلمة السرية، نظر كرم إلى واصل قائلاً: "لقد فعلتَ ذلك في المرة الماضية" قال واصل: "سأعلمك كيف أكتب الشيفرة الخاصة بي" اقترب واصل من الحاسوب وكتب "**s_hg**" قال كرم: "إنها ذات الكلمة في المرة الماضية" قال واصل: "نعم، والأمر سهل، أختار اسماً وأكتبه كما أكتبه بالعربية على لوحة المفاتيح ولكن باللغة الإنجليزية" نظر كرم إلى لوحة المفاتيح وقال: "**s** تقابل حرف السين، _ لا تقابل شيئاً! **h** الألف الممدودة، وبقي حرف **g** يقابل اللام! س_ال!" قال واصل: "الحرف الناقص هو الجيم، يقابله **]** لذلك تضع _" نظر كرم إلى واصل وقال: "فكرة غريبة!" "ولكنها بسيطة" "بالمناسبة ما أخبار سجال؟" "لم أره مذ خرجت من المشفى، كان غريباً حينها، أخشى ألا يكون بخير" "إنه يعاني كثيراً" سكت الاثنان، شعر واصل أنه كان يجب أن يسأل عمراً عن حال سجال، ولكن كرماً قاطع أفكاره قائلاً: "ولماذا تكون كلمتك السرية للجهاز هي سجال؟ وأين اسمي أنا؟" ضحك واصل قائلاً: "اسمك لما هو أهم" لم يقتنع كرم بما قاله واصل، لابد أنه يسايره، في كل الأحوال جلس إلى الحاسوب ونقل بعض الملفات.

★★★

الفصل الثاني والسبعون

في اليوم التالي خرجت عائلة عمرو مع سجال إلى السوق، وصلوا وسط السوق حيث باحة كبيرة يسير فيها الناس في العادة، ولكنها لم تكن كذلك في ذلك الوقت، نظرت العائلة حولها فرأت حشداً كبيراً من الناس يجتمعون حول منصة، يبدو أن أحدهم يلقي محاضرة ما. سارت العائلة غير مكترثة لتبتعد عن الحشد ولكن سجالاً توقف عندما رأى الصاعد إلى المنصة، إنه شاكر! لقد صار له جمهور غفير، كل هؤلاء الناس يعتبرونه بطلاً أو أسطورة من نوع ما.

صعد شاكر وابتدأ خطابه، ظل سجال واقفاً يراقب إلى أن انتبه عمرو إليه، نظر إلى من على المنصة فخشي أن يعاود سجال التفكير في الأمر.

قال شاكر: "الجميع يحَذّرونني من الصعود على المنصة خشية الموت، ولكنني أقول لهم أنني واجهت الموت عدة مرات، ولم أعد أخشاه أبداً، العمر واحد، نعم العمر واحد ولا يستطيع أحدهم تحديد مصيري".

قال سجال لنفسه: "في هذه أنت محق تماماً" عندها وضع عمرو يده على كتف سجال، نظر سجال إليه فهز عمرو رأسه ألا تفكر فيه ثانية فقال سجال: "لا تقلق، لقد نسيت أمره منذ زمن" ثم تابع سيره مع عمرو محدقاً بشاكر على المنصة، يبدو وكأنهما ينظران إلى بعضهما.

بعد فترة من التنزه أذّن العصر، قال عمرو: "هناك مسجد قريب، لنصلي فيه مع الجماعة" عندها تذكر سجال أنه لم يصلِّ منذ فترة، ظل

صامتاً ودخل المسجد معهم بهدوء، رغم أن عمراً شعر أن سجالاً ليس على مايرام إلا أنه لم يرد أن يضغط عليه خاصة بوجود الجميع حوله.

صلى الجميع مع الجماعة ثم تابعوا التنزه واللعب، لم يكن سجال نشيطاً كما كان في بداية اليوم، شعر عمرو أنه قد تغير شيء لحظة دخل المسجد.

★★★

عاود واصل العمل في دريم من جديد، ولكن هذه المرة في منزله الجديد.

دخلت عليه مرام حاملة كوباً من عصير البرتقال وجلست إلى جانبه تقول: "أما يزال بحاجة إلى تعديلات؟ كنت دائماً أراه كاملاً!" قال واصل: "هناك الكثير" شعرت مرام أن واصلاً منهمك في عمله فوضعت العصير ونهضت، نظر واصل إليها قائلاً: "هل هناك شيء؟" قالت مرام: "كلا أبداً، شعرت فقط بشيء من الملل، سأشاهد التلفاز قليلاً" وضع واصل دريم جانباً وقال: "اجلسي" قالت مرام: "لا أريد أن أعطلك، أعرف أن دريم يعني لك الكثير" أشار واصل إلى الكرسي إلى جانبه قائلاً: "اجلسي" جلست مرام فقال واصل: "إذا كنتُ من يستطيع أن يسعدك فعلي أن أفعل ذلك" قالت مرام: "أنا سعيدة، لا تقلق علي" ابتسم واصل قائلاً: "وما أخبار صغيرنا؟" قالت مرام: "بخير، لا شيء جديد" قال واصل: "سيستغرق هذا تسعة شهور، أليست مدة طويلة؟" نظرت مرام إليه قائلة: "أنا من يشكو" ضحك واصل ثم ضمها بهدوء إلى صدره قائلاً: "نحن معاً في كل شيء، أعرف أن هذه الأشهر لن تكون سهلة عليك، ولكنني سأظل إلى جانبك" قالت مرام سعيدة: "أثق بذلك".

في هذه اللحظة خان واصل بصره، كل شيء أمامه بات سواداً حالكاً، إنه مايزال يعاني. ربت على شعر مرام متمنياً أن يعيش أطول مدة ممكنة لتكون سعيدة.

★★★

عادت عائلة عمرو إلى المنزل، كان عليه أن يهيء فرصة لسجال للكلام، كان ذلك سهلاً عندما صعد الجميع للنوم مرهقين من النزهة وبقي سجال مع عمرٍو وحدهما في الطابق السفلي.

ظل سجال صامتاً فقال عمرو: "ما الذي تريد أن تقوله؟" لم يستطع سجال اختيار كلماته فقال عمرو: "أنا متأكد أن هناك شيئاً ما تريد أن تقوله الآن، تستطيع أن تصيغه بأي طريقة تريد" قال سجال: "لقد تركت العبادة" ظل عمرو صامتاً ولكن لا يبدو عليه أنه اندهش فقال سجال: "ظننت طول الوقت أنني قد أسلمت من أجل نفسي، فإذا بي قد فعلت ذلك من أجلك" ابتسم عمرو قائلاً: "ليس صحيحاً" نظر سجال إليه فقال عمرو: "أصدقك القول، لم أكن أتوقع أن تكون قد استمررت في العبادة في تلك الفترة، ليس لأنك لست تحت رقابتي، بل بسبب ما كنتَ تفعل" ظل سجال صامتاً يستمع لما لدى عمرو فتابع عمرو قائلاً: "هناك أمور لا تجتمع في هذه الحياة، أضداد كما تستطيع أن تسميها، في العبادة صفاء للنفس وسكون لا يمكن أن يجتمع مع اضطراب واهتياج كالذي جرى معك" قال سجال: "هل تعني أنه إذا كنت قد صليت فإنني كنت سأهدأ؟" قال عمرو: "كلاهما يؤدي إلى الآخر، الصلاة تصفي النفس من كل المشاعر المؤذية، وعليك أن تصفي ذهنك من المشاعر المؤذية كي تستطيع أن تفكر في الصلاة" ظل سجال

صامتاً فقال عمرو: "ولكنك عدت الآن" قال سجال: "إذا حدث شيء كهذا ثانية، هل تُقبل صلاتي؟" ابتسم عمرو قائلاً: "الله يحب التوابين، لديك فرصة كبيرة" نظر سجال إلى عمرو الذي قال: "طبعاً عليك ألا تصر على ما كنت تفعل، وألا تعود لفعله ثانية" قال سجال: "هل تضمن ذلك؟" سكت عمرو لا يدري ما يقول، جوابه الصريح في باطن عقله أنه إذا لم يتصرف بسرعة قد يعود سجال إلى ما كان عليه وربما أسوأ، ولكنه قال: "كما أضمن أن شمس اليوم التالي ستطلع على هذه الأرض" ظل سجال صامتاً فاقترب عمرو منه وقال: "لقد حدث الكثير في وقت قليل، لم أطلب منك يوماً أن ترهق نفسك" قال سجال: "أنا متعب" وضع عمرو يده على كتف سجال وقال: "هل تحب أن تسمع؟" فهم سجال أن عمراً سيتلو له لينام بهدوء كما فعل في مرات سابقة، أشار سجال بالإيجاب وفعلاً جلسا معاً ليبدأ عمرو التلاوة، ويجلس سجال إلى جانبه مرتكزاً على جسده الدافئ.

كان صوت عمرو عذباً في الترتيل، غط سجال في نوم عميق في لحظات، رأى فيها شيئاً غريباً كان قد نسيه في زمنه، كان يسير مع عمرو والعائلة في الباحة عند الأسواق حيث رأى شاكراً الذي كُلف بقتله يلقي الخطاب، سار كل شيء كما جرى في ذاك اليوم، سار سجال مع العائلة ليبتعدوا عن شاكر، ولكن شاكراً صدف أن نظر في عيني سجال الذي بادله النظرات نفسها، توقف شاكر عن خطابه فجأة وصمت الناس، ساد الهدوء المكان، بل لم يعد يرى سجال أحداً من الناس حوله أو حتى عمراً والعائلة، أشار الرجل بإصبعه يرجف قلقاً وبدأ يصرخ: "لقد قتلتُك!" لم يفهم سجال ما جرى، صرخ الرجل بصوت أعلى غاضباً: "أذكر جيداً أنني قتلتُك فكيف عدت؟" دوى صوت

الصدى في أذن سجال "كيف عدت؟... كيف عدت؟... كيف عدت؟" رفع الرجل مسدسه ليصوبه إلى سجال وأطلق بسرعة فاستيقظ سجال ومايزال يرتكز على كتف عمرو الذي أنهى تلاوته للتو.

رغم غرابة الحلم فقد استيقظ سجال بهدوء، وكأنه كان يعرف شيئاً كهذا، نظر عمرو إليه وقال: "هل تحب أن تصعد إلى الغرفة؟" أشار سجال بالإيجاب فنهضا كل إلى غرفته.

دخل سجال غرفة الصبيان حيث كان مالك يغط في نوم عميق وماهر نائم بهدوء في السرير المجاور لسجال. تمدد سجال ولكنه ظل يحدق في سقف الغرفة يفكر "هذا لم يكن غريباً علي، لقد حدث شيء كهذا، لقد رأيته من قبل" شعر سجال أنه يتذكر شيئاً من هذا على التلفاز، هذه الكلمات سمعها على شاشة ما.

سمع صوتاً إلى جانبه، قاطع أفكاره قائلاً: "بم تفكر؟" نظر سجال إلى جانبه حيث كان ماهر ينظر إليه، قال سجال: "لا تريد أن تعرف" ابتسم ماهر قائلاً: "لا ترهق نفسك بالتفكير، خذ قسطاً من الراحة" قال سجال: "ماهر، هل ستصدُقني إذا سألتك ماذا يخبرك والدك عني؟" سكت ماهر قليلاً ثم قال: "لا شيء لا تعرفه" ابتسم سجال ساخراً وقال: "أنا أعرف الكثير مما لا تعرف، فما الذي تعرف؟" سكت ماهر قليلاً ثم قال: "لقد رأيت الندب بنفسي منذ زمن" قال سجال مقاطعاً: "هل تعرف أنني أقتل؟" نظر ماهر إلى سجال الذي كان من الواضح أنه ينتظر ردة فعله، ابتسم ماهر وقال: "أخبرتني أن ذلك كان في الماضي" قال سجال: "لقد قتلت الكثيرين قبل أيام، لا أذكر عددهم" نظر ماهر إلى سجال لا يريد أن يقول شيئاً فقال سجال: "ألستَ خائفاً؟" ابتسم ماهر قائلاً: "من ماذا؟" قال سجال: "أن تنام إلى جانب

شخص قد قتل قبلك الكثير وقد يخطر بباله أن تكون التالي؟" ظل ماهر صامتاً برهة، لماذا يقول سجال هذه الأشياء فجأة؟ إنه دائماً لا يتوقع ما يقول. قال ماهر: "ليس هناك سبب يجعلك تفعل ذلك" قال سجال: "لم يكن هناك سبب لقتل الكثيرين أيضاً" قال ماهر منزعجاً: "ما الذي تريده؟ هل تقول أنك ستقتلني؟" ظل سجال صامتاً، لقد بدأ ماهر ينفعل، سكت الاثنان برهة فتنهد ماهر قائلاً: "أنا أعرف أنه لن يحدث شيء كهذا، أنا أخوك الأكبر، وطالما أن والدي يضعك بيننا، فأنا أثق أنه يعرف ما يفعل" لم يقل سجال شيئاً، بل ربما لم يكن هذا الكلام مقنعاً، قال سجال: "كان على والدك أن يخبرك بذلك" قال ماهر: "وماذا سيحدث؟ لأدافع عن نفسي؟ أنا أعرف أنني لا أقدر على مجاراتك مهما فعلت، فما الداعي لأن أكون قلقاً كل لحظة؟" لم يقل سجال شيئاً فقال ماهر: "لماذا تفعل ذلك؟" قال سجال: "لا أدري" لم يتوقع ماهر إجابة كهذه أبداً، بات سجال وكأنه في عالم آخر ولا يتحدث مباشرة إلى ماهر بل إلى نفسه، قال: "أشعر أنني أرغب في فعل ذلك ولا أرغب به في آن واحد" قال ماهر: "ترغب به؟" قال سجال: "أنا معتاد عليه، ربما لم أصل إلى قناعة جيدة بقيمة الأشياء حولي، كل من قتلت كان لديه حياة مثل الحياة في هذا المنزل، ربما كنت أتخيل الجميع يعيشون حياة كالتي كنت أعيشها، ما الفرق إذا ماتوا؟ وما الفرق إذا متُّ أنا؟" شعر ماهر أنه لن يستطيع فهم الكثير هكذا، لربما كان من الأفضل أن يسمع عمرو هذا الكلام، قال سجال: "انس الأمر، أنا لن أقتل أحداً في هذا المنزل" قال ماهر: "أعرف ذلك" نظر سجال إليه فابتسم ماهر قائلاً: "لديك الكثير لتفكر فيه، لربما كانت مواجهة الأمور أفضل من نسيانها" فكر سجال في هذه الجملة جيداً، لقد حاول

نسيان الماضي ولكنه فجأة عاد إليه، هل كان من الأفضل أن يواجه كل شيء منذ البداية، وهل إذا لم يفعل الآن فسيعود مجدداً؟ قال ماهر: "أنا أثق أنك قادر على التغلب على أية مصاعب، أنت قوي وذكي، وتستطيع فعل ما تفكر فيه، أنا أحسدك على قوتك" قال سجال: "تحسدني؟ هل تتمنى أن تكون مكاني؟" قال ماهر: "بصراحة... لا، ولكنني أحب أن أمتلك بعض المهارات، ربما تفيدني يوماً" أخذ الحديث مساراً مختلفاً لم يرد سجال الخوض فيه فقال: "تصبح على خير" قال ماهر: "وأنت من أهله".

استدار سجال لينام على جهة لا يرى فيها ماهراً، تمنى ماهر أنه على الأقل لم يفسد شيئاً مما في ذهن سجال، فلا أحد يستطيع أن يخمن بم يفكر.

★★★

عاد واصل إلى منزله الجديد متأخراً، استقبلته مرام حيث كانت قلقة: "أهلاً بعودتك، لقد تأخرت!" نزع واصل سترته وهو يقول: "كان هناك الكثير من العمل" أخذت مرام السترة وسألته: "هل أكلت شيئاً؟" قال واصل: "كلا، لم أكن لأفعل من دونك" قالت مرام: "استبدل ثيابك، سأحضر لك شيئاً تأكله".

استبدل واصل ثيابه واغتسل بسرعة وقد كانت مرام قد حضرت الطعام ليأكل، جلس على المائدة فقالت مرام: "هل يسير العمل جيداً؟" قال واصل: "أجل، إنه يتحسن كل يوم والحمد لله" فرحت مرام لذلك، فقد كانت تخشى أنه تأخر لبعض المشاكل، قال واصل: "وكيف حالك أنت؟ آسف أنني تركتك مدة طويلة" "لقد زرت والدتي، قضيت

هناك وقتاً طويلاً" "كيف حالهما؟" "بخير، كل شيء كما كان" "كيف حال الجدة؟" "كما هي" سكبت مرام الشاي، نظر واصل إليه وقال: "ربما لا أشرب شاياً الآن، أريد أن أنام" قالت مرام: "حسناً، ليس عليك أن تشربه" نظر إلى مرام قائلاً: "وما أخبار الجنين؟" قالت مرام: "بخير، ليس هناك مراجعة اليوم" "ألا تشعرين به بعد؟" "الوقت مبكر على ذلك" جلست مرام ثم قالت: "بالمناسبة، ألم تحمل فرح بعد؟" "لم يخبرني كرم عن شيء كهذا، لا أظن ذلك" "ألا يرغبون بطفل؟" "أظن أن كرماً سيحب شيئاً كهذا كثيراً" "ربما لأنه يعتني برند..." "كلا، رند شيء آخر، إنها أخته والوضع مختلف" "المهم أنهم سعداء معاً" "أجل".

شعرت مرام أن إجابات واصل كانت محددة، يبدو أنه متعب، فعلاً أنهى طعامه ونهض ليذهب إلى الفراش.

نظفت المطبخ وتبعته إلى الفراش حيث كان ممدداً، جلست إلى جانبه ثم تمددت واضعة رأسها على صدره، ربت واصل على شعرها سعيداً بوجودها إلى جانبه وأغمض عينيه.

مرام أيضاً أغمضت عينيها، ولكن هناك الكثير من الأحاسيس الأخرى أفضل من البصر في هذه اللحظة، يدها كانت تلامس جسده، ورائحة المنظف الذي يستخدمه دائماً تفوح منه، كل جسدها يشعر بالهدوء إلى جواره، قلبها ينبض بهدوء وكأنها ستغط في النوم في أية لحظة، ولكن الأهم من هذا كله كان الصوت الذي تسمعه، نبضات كأنغام الموسيقى تخفق في صدر واصل، كان صوتها واضحاً تماماً لمرام، بل كانت تستمتع بها كثيراً.

فجأة وسط الهدوء توقف ذلك الصوت، فتحت مرام عينها، لقد

توقف نبض قلبه! ماذا يعني هذا؟ نظرت إلى وجهه، إنه مغمض العينين، ما الذي يجري؟

وضعت مرام أذنها ثانية على صدره، إنها متأكدة أنها لم تعد تسمع نبضات قلبه، فوق ذلك إنها لا تسمع نفسه أيضاً! إنه لا يتنفس!

بدأت مرام تقلق، هزت واصلاً برفق قائلة: "واصل... واصل هل تسمعني؟" ولكن واصلاً لم يجب، هزته ثانية بقلق تقول: "واصل، استيقظ.. واصل!" ولكن واصلاً لم يحرك ساكناً، صرخت مرام: "واصل! واصل!" ولكنه أيضاً لم يتحرك.

سيطر الخوف على مرام كل السيطرة، نهضت بسرعة لا تعرف ماذا تفعل، حملت الهاتف بسرعة لتطلب الإسعاف، كانت يدها ترجف بشدة حتى باتت الثلاثة أرقام كالمئة، بسرعة أخبرت الإسعاف بما جرى ووصفت المنزل ثم عادت إلى واصل لتفعل أي شيء.

ما إن جلست على الفراش بسرعة لتقدم له أي إسعاف يحتاجه حتى فتح واصل عينيه بهدوء، تجمدت مرام مكانها فنظر واصل إليها قائلاً: "ما الأمر؟" ولكن مراماً لم تستطع قول أي شيء، بل ظلت مكانها لا تبدي أية حركة، كان من الواضح أن وجهها أبيض من الخوف، إنها قلقة جداً. نهض واصل بهدوء وقال: "لم أنت قلقة؟" حينها بكت مرام بشدة، خبأت عينيها بين يديها تبكي بحرارة، لم يستطع واصل حتى تخيل ما جرى، لقد كان كل شيء على مايرام! اقترب منها قائلاً: "ما بالك؟" ولكن مرام استمرت بالبكاء بشدة دون أن تقول أي شيء. ضمها واصل إلى صدره رغم أنها أبدت شيئاً من الممانعة في البداية، ربت على شعرها قائلاً: "اهدئي" خشيت مرام

حتى أن تنصت إلى قلب واصل رغم أنها كانت قريبة جداً منه.

بعد قليل هدأت، نظر واصل إليها سائلاً: "ما الذي جرى؟" لم تعرف مرام ما تقول، قال واصل: "لقد كنت فزعة جداً، ما الذي جرى؟" حاولت مرام فتح فمها لتقول أي شيء، ولكن لم يسعفها صوتها لقول أية كلمة، قال واصل: "لقد بدأت أقلق" قالت مرام: "لقد... فقدتَ وعيك" سكت واصل يحاول استيعاب ما جرى، هو نفسه لم يشعر بأي شيء، ربما بعض الصداع عندما نهض كي يرى بكاء مرام. قال: "فقدتُ وعيي!" قالت مرام: "لقد توقف قلبك عن النبض فجأة، ولم تجب علي" بدأت مرام تدمع من جديد، ولكن واصلاً كان قد فهم الموضوع على الأقل. ضم مرام إلى صدره ثانية وقال: "آسف لذلك" قالت مرام منزعجة: "لقد أفزعتني!" شعر واصل بالحزن عليها كثيراً، قال: "أنا آسف، آسف جداً" مرام كانت تعلم أنه ليس على واصل الاعتذار، إنه مريض فحسب وهي تعلم ذلك جيداً، أمسكت به بقوة تضم جسدها إليه وعاودت البكاء، إنها تشعر لأول مرة ماذا يعني أن تفقده، ماذا يعني أنه قد يغيب في أية لحظة، ماذا ستفعل؟

من ناحية واصل فقد كان يعلم أن هذا اليوم آت، بل ربما ليس ببعيد، وقد رأى ما يمكن أن يحدث حينها، ليته لم يره، لقد كان فزع مرام شديداً للغاية، هل سيكون سبباً في معاناة حقيقية؟

★★★

استيقظ سجال في اليوم التالي الساعة التاسعة، كان الجميع قد غادروا إلى المدارس، وماهر إلى الجامعة.

نهض من فراشه ونزل إلى الطابق السفلي حيث كان عمرو يتحدث

إلى سناء على الطاولة. نظر عمرو إليه وابتسم قائلاً: "صباح الخير" قال سجال بهدوء: "صباح الخير" قالت سناء: "الفطور معد، تناول شيئاً" نظر سجال إلى الطاولة، كانت فعلاً مليئة بطعام شهي، ولكنه قال بهدوء: "أريد أن أستحم" سكتت سناء فقال عمرو ببساطة: "لك ذلك".

صعد سجال ثانية إلى الطابق العلوي، سناء لم تكن مرتاحة ولكن عمراً طمأنها.

فعلاً جلس سجال تحت المرش في الحمام وقضى وقتاً طويلاً.

مرت ساعة لم ينزل فيها سجال بعد! صعد عمرو ليطمئن عليه، إنه لا يسمع صوت الماء في الحمام! فتح غرفة الأولاد ولم يكن هناك، فتح غرفة المكتبة أيضاً ولم يكن فيها، دق على الحمام قائلاً: "سجال! أما تزال هنا؟" ولكن أحداً لم يجب. فتح عمرو باب الحمام الذي لم يكن مقفلاً فإذا به يرى سجالاً يجلس على أرض الحمام يلف نفسه بالمنشفة ويحدق في المرآة.

دخل عمرو بهدوء قائلاً: "سجال! ماذا تفعل؟" لاحظ عمرو أن وجه سجال مليء بالندب والحروق، ببساطة علم أن المساحيق التي يستخدمها قد زالت بعد الاستحمام، إن وجهه فعلاً يعاني الكثير.

اقترب عمرو من سجال بهدوء فقال سجال: "أشعر أنني مخلوق فضائي" علم عمرو أن سجالاً يحدق فعلاً في وجهه، تابع قائلاً: "لماذا؟" اقترب عمرو بهدوء خلف سجال وضمه قائلاً: "إذا شئتَ تستطيع أن تخوض عملية جراحية تزيل فيها كل هذه الندب" طأطأ سجال رأسه كأنه يفكر قليلاً في الموضوع فقال عمرو: "سأتكلف بذلك، سيكون كل شيء على مايرام" نظر عمرو إلى المرآة ثم رفع سجال رأسه ينظر إليها أيضاً، ولكنه بعد لحظة قال: "كلا" تفاجأ عمرو بهذا الرد فقال

سجال: "ستقع في مشكلة بسبب هذه الندب" قال عمرو: "لا عليك، سأتدبر الأمر، فقط قل نعم" نهض سجال بهدوء ليتركه عمرو ثم قال: "المشكلة أعمق من ذلك" عمرو كان يعرف ذلك، ولكن ربما يتحسن شيء ما، قال سجال منزعجاً: "أنا مريض" تعجب عمرو مما سمع، وضع سجال يديه على رأسه وقال: "أنا أعلم ذلك، كل ما أفعله، كل ما يجري حولي هي أمور يجب أن لا تحدث" بدأ سجال يرجف يوشك على البكاء، ظل عمرو صامتاً يستمع إليه فقال سجال: "أنا معتاد على كل ما يهدم، لقد هدمتُ حياتي وحياة الآخرين، فوق ذلك أنا أعلم أنه يجب أن أعاقَب، أنا من يعاقب في كل الأحوال، لماذا أنا الملام دائماً؟" بدأ سجال يبكي فوضع عمرو يده على ذراعه وقال بهدوء: "قد تكون معتاداً على فعل بعض الأشياء المؤذية، ولكننا نستطيع التخلص منها" أشار سجال بالنفي قائلاً: "لا تستطيع التخلص منها، إنها أمور اعتدت على القيام بها عشر سنين على الأقل" قال عمرو: "نستطيع التخلص من العادات، فقط لا تضغط على نفسك، سنجد حلاً للأمر" لم يقل سجال شيئاً فقال عمرو: "سنجد عادة جديدة تشغلك عن كل ما كنت تفعله، شيء تحبه وتتعلق به فعلاً" رفع سجال يديه عن رأسه وقال: "وهل ستعاقبني؟" قال عمرو: "على ماذا بالضبط؟" قال سجال: "لقد قتلتُ الكثيرين" قال عمرو: "كم عمرك يا سجال؟" "خمسة عشر" "إذن فإنك تعلم أن هناك من هو مسؤول عنك" لم يقل سجال شيئاً فقال عمرو: "أنت تعرف بالضبط من الذي يجب أن يعاقَب، إنه ليس أنت" علم سجال أن عمراً يقصد جواداً ولكنه قال: "ولكنني أعرف تماماً ماذا أفعل" ابتسم عمرو قائلاً: "لقد علّمتُ كل أولادي منذ الصغر أن يقولوا شكراً عندما يقدم أحدهم لهم خدمة"

نظر سجال إلى عمرو لا يفهم ماذا يقصد، فتابع عمرو قائلاً: "وهم يفعلون ذلك كل مرة، ولكن هل يفهمون فعلاً لماذا يفعلون ذلك؟" لم يستطع سجال الإجابة فقال عمرو: "كلا، إنهم يفعلون ذلك لأنني أفعله بل وطلبت منهم ذلك أيضاً، ولكن عندما يكبرون ويسيرون في الحياة سيفهمون المعنى الحقيقي للشكر والامتنان، إنها أمور لا تأتي إلا بالخوض في الحياة" لم يقل سجال شيئاً فجثا عمرو أمامه وقال: "عندما يكبر أولادي ويصبح لديهم أولاد، هل تتوقع أن يعلموا أولادهم قول شكراً؟" أشار سجال بالإيجاب، فقال عمرو: "وهل ستعلم أولادك القتل يا سجال؟" قال سجال بسرعة: "أبداً!" ابتسم عمرو قائلاً: "هذا يعني أن والدك هو السبب" سكت سجال فقال عمرو: "لا تقلق، سنحاول معاً فعل المستحيل، علماً أنني أؤمن أن ذلك ممكن جداً" ربّت على كتف سجال ثم قال: "هيا استبدل ثيابك قبل أن تصاب بالبرد".

خرج سجال وعمرو من الحمام، ولكن المفاجأة أنه كان هناك شخص يجلس على النافذة مقابلهما، إنه ساري! عمرو تفاجأ به أكثر من سجال، قال ساري: "أهلاً بعودتك" أشاح سجال برأسه وسار متجاهلاً سارياً ليدخل الغرفة، قال ساري: "هي! لماذا تتجاهلني؟" قال سجال وهو يفتح باب الغرفة: "لا أرغب في رؤيتك الآن" قال ساري: "هذا ليس لطيفاً!" نزل عن النافذة داخل الصالة ودخل وراء سجال الغرفة وأغلق الباب خلفه.

عمرو كان كأنه ليس موجوداً بينهما، ولكن كان عليه أن يثق بعض الشيء بساري كما وثق به من قبل، إنه فعلاً يتمنى ألا يفسد الأمور.

جلس سجال على كرسي أمام المرآة وأمسك علبة لمسحوق سيغطي بها الحروق على وجهه. اقترب ساري قليلاً قائلاً: "لقد تأخرتَ" قال

سجال: "من الأفضل أن تغرب عن وجهي لأنني في مزاج يسمح لي بالقتل" ابتسم ساري قائلاً: "ولكنك أفضل بكثير من الأسابيع السابقة" رمى سجال علبة المسحوق بقوة على وجه ساري ولكن سارياً أمسكها قبل أن ترتطم به وضحك قائلاً: "عندما لا تمزح فإنك فعلاً لا تمزح" ظل سجال جالساً مكانه فاقترب ساري وفتح العلبة وأخذ منها القليل وبدأ يدهن وجه سجال بنفسه قائلاً: "لقد قابلتُ كفاحاً في المدرسة" ظل سجال صامتاً فتابع ساري قائلاً: "لقد سأل عنك، إنه مشتاق إليك جداً" لم يعلق سجال أبداً بل ظل وجهه كما هو. وضع ساري طبقة أخرى من المسحوق وقال: "وقد تزوج واصل" اهتز جسد سجال قليلاً ولاحظ ساري ذلك ولكنه تابع قائلاً: "تزوج من مرام وكان قد دعاك إلى العرس" لم يعلق سجال أيضاً فتابع ساري قائلاً: "كرم وفرح على حالهما، أسرة بسيطة سعيدة" ظل سجال صامتاً إلى أن قال ساري: "ورند انتقلت إلى مدرسة البنات" رجف سجال أيضاً عندما سمع اسم رند، قال ساري: "لم نعد نراها كثيراً، ولكنني أظنك تحب أن تراها" نظر سجال إلى ساري بعيون لا مبالية فقال ساري ضاحكاً: "هيا، لا تستطيع أن تخفي ذلك، إنك مهتم بشأن واصل ورند، لقد تأثرت بسماعك اسمهما" نهض سجال دون أن يقول أي شيء وكان ساري قد أنهى إخفاء الآثار على وجه سجال كاملة، وقف سجال وسط الغرفة لا يريد التحدث في أي شيء ولكن سارياً قال: "أنت تعلم جيداً أن الجميع مشتاقون إليك" لم يقل سجال شيئاً فوضع ساري المسحوق على الطاولة وقال: "وأنا اشتقت إليك كثيراً" نظر سجال حينها إلى ساري الذي كان يقول هذه الكلمات بصعوبة واضحة.

سكت ساري قليلاً لا يدري ما يقول، ولكن سجالاً أيضاً لم يبد

حركة أخرى، قال ساري: "لا أريد أن أكون وحيداً هنا، مهما حدث فمازلتُ أشعر أن هذا المكان ليس مكاني، ولا أريد البقاء هنا إلى الأبد، كما أنني لا أريد الموت هنا كما تعلم" ظل سجال صامتاً فقال ساري: "أنت الوحيد الذي يفهم ذلك، أم أنك نسيت؟" قال سجال: "لم أنس" اقترب ساري من سجال وقال: "لا تتركني" تفاجأ سجال، ربما تغير ساري في نظره من قبل ولكن ليس إلى درجة يطلب فيها أن يكونا معاً بهذا الشكل! إنه أبسط مما يظن.

حدق سجال بوجه ساري الذي كان فعلاً مختلفاً، إنه قلق ومضطرب، هذه أول مرة يراه فيها يكشف كل ضعف أمامه، لطالما كان المنافس الشديد له كما يسمي نفسه، ولكن...

مد سجال يده بهدوء وعانق سارياً الذي قبض على ذراعيه بقوة ليشعر بالأمان أخيراً.

★★★

مر يومان وعاد سجال إلى المدرسة، فرح كفاح به كثيراً، فعلاً شعر سجال أن كفاحاً قد نسي كل ما جرى، وفور انتهاء الدوام خرج الثلاثة سجال وكفاح وساري للعب بالكرة.

لعب الثلاثة في فريق كان من المستحيل أن يهزم، على الرغم من تساهل سجال وساري في اللعب قدر الإمكان إلا أنهم فازوا بفارق كبير.

كانوا سعداء للغاية، تناولوا المثلجات والحلوى. عندها اقترح كفاح على سجال أن يزوره حيث يعرف كم يحب واصلاً، ولكن سجالاً لم يكن بعد قادراً على النظر إلى واصل بعد ما جرى، اعتذر عن ذلك قائلا قد يحاول في مرة أخرى.

غادر الجميع وعاد كفاح إلى منزله، واصل كان هناك يجلس مع مراد، دخل كفاح عليهما بسرعة قائلاً: "واصل لقد عاد سجال" قال واصل: "حقاً! وهل هو بخير؟" قال كفاح: "لعبنا معاً طول اليوم" كان ذلك مطمئناً، نظر مراد إلى كفاح وقال: "ومتى تدرس إذن؟" قال كفاح: "ليس هناك فروض علي" نظر مراد إلى كفاح نظرة الغير مصدق لما يسمع فقال كفاح: "لقد أنجزتها في الصف في المدرسة" قال مراد: "أنا لا أمنعك من اللعب مع الأولاد، ولكنني لا أريدك أن تعود إلى المنزل في هذا الوقت كل يومٍ" فكر كفاح، لقد كان يفعل ذلك كل يوم عندما لم يكن والده موجوداً، قال مراد: "سأسمح لك بيومين في الأسبوعٍ" قال كفاح منزعجاً: "يومين فقط!" لم يتوقع مراد أن يكون هذا قليلاً، قال كفاح: "حسناً حسناً، سأحاول" واصل كان يشعر أن شيئاً من هذا لن يحدث، والده ليس صارماً على لإطلاق، وكفاح لا يستطيع أن يكف عن لعب المباريات في الساحات.

دخلت مرام الغرفة قائلة: "هل نعود إلى المنزل؟" نهض واصل قائلاً: "حسناً" قال مراد: "مايزال الوقت مبكراً!" قال واصل: "هناك بعض التنظيفات فٍي المنزل" قال مراد: "هل تحتاجون إلى مساعدة؟" قالت مرام: "شكراً، سأتدبر أمري".

ودع واصل ومرام العائلة واتجهوا إلى السوق لشراء بعض الحاجيات.

★★★

رند كانت جالسة في المنزل تقلب التلفاز، كان من الواضح أنها تشعر بالملل، جلست فرح إلى جانبها وسألتها: "كيف كانت المدرسة؟"

قالت رند: "مملة" نظرت فرح إليها قائلة: "ألم تكوني صداقات هناك؟" قالت رند غير مبالية: "كلا" تعجبت فرح لذلك فقالت رند: "لم تعجبني أي منهن، إنهن سخيفات وسطحيات، كل ما يفكرن به هي الأزياء والمظاهر" قالت فرح: "ليس الجميع هكذا" قالت رند: "إنهن هكذا" فهمت فرح فوراً أن رندَ تقف أول مرة لتختار زميلة معها، كانت دائماً تجلس مع كفاح وسجال في المدرسة السابقة، الوضع مختلف.

قالت فرح: "هل تفضلين البقاء مع كفاح وسجال؟" قالت رند: "إنهم أصدقائي، لقد كنت سعيدة معهم" قالت فرح: "ستجدين صديقات تكونين سعيدة معهن، صدقيني" لم تقل رند شيئاً فقالت فرح: "هذه كانت فكرتك قبل دخول المدرسة، أعطهن فرصة، ليس الجميع كما وصفت" تنهدت رند وذهبت إلى غرفتها لتنام.

ظلت رند على الفراش تشعر بالملل، فجأة نهضت وأغلقت باب الغرفة وفتحت خزاتها لتعاود ارتداء الثياب السوداء.

★★★

عاد واصل ومرام في المساء إلى المنزل متعبين محملين بأكياس مليئة بمختلف الحاجيات.

فتح واصل الباب فاختبأ شخص داخل المنزل بسرعة دون أن يلاحظه. دخلت مرام ووضعت الأكياس التي كانت تحملها على الطاولة قائلة: "لم أتخيل أن نشتري كل هذا! لماذا نشتري دائماً ضعف ما نحتاج؟" ابتعدت مرام عن الطاولة وقد كان هناك من يختبئ تحتها، قال واصل: "لأننا نسينا أننا بحاجة لكل هذه الأشياء" وضع

واصـل الأكيـاس مـن يـده علـى الأريكـة وجلـس منهكـاً. نزعـت مـرام حجابها قائلة: "الوقت بات متأخراً، هـل تريـد أن تأكـل شـيئاً؟" قـال واصل: "شيئاً خفيفاً" قالت مرام: "سأحضّر ما نأكله" وذهبت إلى المطبخ بينما ظل واصل في الصالة وتمدد على الأريكة ليسترخي.

ظل المتسلل تحت الطاولة فترة يرجو ألا يلمحه واصل فيها، حـاول أن يتحرك إلى مكان أبعد ولكن واصلاً انتبه لحركته، نـهض واصل ففزع المتسلل وقذف بالطاولة بسرعة وركض.

علم واصل أنه كان قد تسلل في غيابهما ولكنه ركـض خلفـه بسـرعة ليمسكه، قفز من النافذة بسرعة، إنه يرتدي ثياباً سوداء ولثامـاً أسـود أيضاً.

فزعت مرام لما جرى ولكن واصلاً لم يتوان عن القفز وراءه، بل لحق به قبل أن يخرج من حديقة المنزل واستطاع أن يضـع قدمـه بـين قـدمي المتسلل فسقط أرضاً. اقترب واصل ليمسك به فوجّه المتسلل ضربه ولكـن واصلاً تفاداها وأمسك يده بقوة، لاحظ واصل أنـه صغير في السن! ولكنـه مايزال يقاوم.



نزع واصل اللثام بسرعة فإذا به يرى ما لم يكن في الحسبان، إنها... رند!

جفل واصل وأفلتت رند من يده وركضت خارج المنزل بسرعة، ظل واصل واقفاً مكانه لا يدري ماذا يجري! لماذا هي داخل المنزل؟ لماذا ترتدي ثياباً سوداء ولثاماً أسود لتخفي ملامحها؟ لماذا تهرب منه هكذا؟ لماذا تتصرف كالـ... لصوص؟

نادت مرام واصلاً ليدخل، سألته عمن كان ولكن كانت علامات الدهشة لم تفارق وجه واصل بعد، بل لم تفارقه ساعات، ما الذي يجري ولماذا؟ لم يستطع تفسير أي شيء.

أصرت مرام على معرفة ما جرى، واجه واصل مشكلة كبيرة في شرح ذلك، ولكن حتى مرام لم تستطع تفسير ما يجري، ولم تستطع أيضاً أن تنصح واصلاً بأي شيء، ماذا يمكن أن يفعل؟ وهل عليه إخبار كرم؟ وبماذا سيخبره بالضبط؟ إنه لا يعرف.

عادت رند إلى منزلها بسرعة تلهث بشدة، دخلت من نافذة غرفتها واستبدلت ثيابها واستلقت على الفراش تفكر ماذا ستفعل؟ هل سيخبر واصل كرماً بما جرى؟ بكل تأكيد، فهما لا يخفيان أي شيء عن بعضهما، فماذا ستفعل إذن؟ ماذا ستقول لكرم حينها؟ يجب أن لا تنتظر واصلاً ليكون المبادر إلى ذلك، يجب أن تتصرف بسرعة وإلا دمر كل شيء.

بدأت رند تفكر، عصرت كل فكرة في عقلها وكل نتيجة وكل احتمال، يجب أن تجد حلاً سريعاً يحل لها المشكلة اليوم قبل الغد، ولا يدع لواصل مجالاً ليتحكم بها وبعلاقتها بكرم.

ظل واصل مستيقظاً الليل كله يفكر، كيف يحدث شيء كهذا؟ وماذا يفعل؟

لم تستطع مرام مساعدته في شيء فهي حائرة، ما جرى كان غريباً ولا يستطيع أحد شرح الأمر إلا رند، لماذا كان عليها التخفي بالثياب السوداء إذا كانت تريد الدخول إلى المنزل؟ إنها مرحب بها في أي وقت، بل إنها لم تفعل أصلاً وتحضر إلى المنزل ألبتّه.

فكر واصل بكرم كثيراً، كل ما كان يهمه الآن هي ردة فعل كرم إذا

سمع حكاية كهذه وبم سيفكر. إنه لا يستحق مشاكل كهذه على الإطلاق، بل إنه يثق برند كل الثقة، لقد رباها بنفسه.

شعر واصل بصداع شديد في رأسه من شدة التفكير، ماذا عليه أن يفعل؟ هل عليه أن يخبر كرماً أم من الأفضل ألا يفعل؟ ربما كان من الأفضل أن يصارح رندَ وجهاً لوجه بعيداً عن كرم، قد تحل المشكلة دون علمه، ربما.



الفصل الثالث والسبعون

في اليوم التالي ذهبت رند إلى المدرسة، كانت تشعر أن يـدها تؤلمهـا ولكنها أخفت ذلك عن كرم وفرح، لقد لوى واصل يدها بشدة! يبـدو أن الألم لن يذهب وعليها الذهاب إلى الطبيب.

ذهبت إلى طبيبة المدرسة وفعلاً ربطت ذراعها بضماد وعلقتـه علـى كتفهـا، الآن مـا باليـد حيلـة، لا تستطيع أن تخفـي شيئاً، ولكنهـا تستطيع أن تقول أنها لوتها في المدرسة... أو...

سجال وساري أيضاً كانا في المدرسة مع كفاح، كفـاح كـان متحمسـاً جداً للعب كل يوم خاصة بوجـوده في فريـق لا يقهـر، سجال لا يـزال يشعر بالضياع، لا يدري ماذا يفعل، أو ماذا سيفعل، أو مـاذا يمكـن أن يفعل، ساري كـان يعلـم ذلـك تمامـاً ولكنـه كـان سـعيداً أن سجالاً إلى جانبه الآن على الأقل.

بعد اللعب جلس ساري مع سجال وقـد كـان كفاح مـايزال يلعـب بعيداً، قال ساري: "بم تفكـر؟" قـال سجال: "لست أدري، أنـا ضـائع كلياً" حدق ساري في كفاح الـذي كـان يلعـب فقـال سجال: "لقـد حقـق أمنيتك" ابتسم ساري قائلاً: "هل تعلم، أحياناً تفقـد الأمنيـات قيمتهـا عندما تتحقق" نظر سجال إليه فقال ساري بسرعة: "لا أريد أن أشعرك بشيء غريب جديد، اسمع، أنت مايزال لديك الكثير لتفعله" "مثـل ماذا؟" "عائلة عمرو كلها لديها ما هـو جديـد كـل يـوم، أنـت تريـد حياة لطيفة" "لم أعد أدري إذا كنت فعـلاً أريـد حيـاة لطيفـة" "لا تحاسب نفسك على ما فعلت في تلك الأيام، لقد مضى ذلك" "ولكـنني

لم أفعل شيئاً يكفر عن ذلك، ولا أدري إذا كان هناك ما يكفر عنه أصلاً" "ماذا قال عمرو؟" "قال أنني صغير ولست محاسباً على ما أفعل، قال إن جواداً هو المسؤول" "ولم تقتنع بذلك؟" أشار سجال بالنفي، حدق ساري بكفاح يلعب مع الأولاد بسعادة غامرة فقال: "أنت لا تذكر من قتلت أليس كذلك؟" "أبداً، لم أكن أهتم بذلك" قال ساري: "إذا كنت تريد أن تفعل شيئاً ما فسيكون شيئاً عاماً جداً" "مثل ماذا؟" "أي شيء يبعث السعادة في نفس الجميع" نظر سجال إلى ساري الذي أنهى حديثه بهذه الجملة ونهض ليتابع اللعب مع كفاح.

ظل سجال جالساً مكانه يفكر، كيف له أن يسعد الجميع؟ هل هذا ما يجب أن يبحث عنه؟

★★★

واصل كان في المعمل شارد الذهن، مايزال يفكر فيما جرى، ماذا يمكن أن يفعل؟ رند في الجهة الأخرى عادت إلى المنزل، فتحت فرح لها الباب وفوراً قالت ناظرة إلى يدها المربوطة: "ما الذي جرى؟" دخلت رند تقول: "لويت يدي" قالت فرح: "هل أنت بخير؟" قالت رند: "أجل لا تقلقي، هل عاد كرم؟" "كلا، مايزال الوقت مبكراً" دخلت رند غرفتها بهدوء ووضعت حقيبتها واستبدلت ثيابها وباشرت بحل الواجبات دون غداء.

★★★

عمرو كان يجلس في غرفته يقرأ في دفتره، مايزال لدى سجال طريق طويل حتى يحصل على نصف ما حصل عليه أولاده الآخرون،

ربما يجب أن لا يلومه أحد على شيء.

دخلت سناء عليه بفنجان من القهوة فوضع الدفتر جانباً وبدأ يشرب معها.

قالت سناء: "هل من جديد؟" قال عمرو: "أخشى أن الأمر سيطول" قالت سناء: "سألت هل من جديد؟" ابتسم عمرو قائلاً: "أخشى أن الجديد ليس بمطمئن" نظرت سناء إليه قائلة: "لماذا؟ إنه بخير هنا" قال عمرو: "إنه ضائع تماماً" "هذا ليس جديداً! متى كان سجال يعرف تماماً ماذا يفعل؟" "ليس كما هو الآن" "لقد كان يغادر المنزل دون إذن، يعود في اليوم التالي أو ربما الذي بعده، ثم تكتشف أنه يخفي آثار لكمات وحروق على جسده ثم تقول لي أنه يعرف ماذا يفعل!" سكت عمرو، لقد حدث كل ذلك فعلاً ولكن... ربما مايزال يشعر أن الأمر مختلف، قالت سناء: "لا أظن أن الأمر قد تغير" تنهد عمرو فقالت سناء: "أنت لم تيأس طوال هذه المدة، لا تقل أنك ستيئس الآن" قال عمرو: "إنه ليس اليأس بل الحيرة، أنا محتار جداً" "محتار كيف تجعله ينسجم من جديد؟" "محتار ماذا أفعل بما فعل" سكتت سناء، إنها لا تصدق أنها تقبل أن يظل سجال في منزلها وهي تعلم أنه قاتل، ومع ذلك لم تشأ أن تضغط على عمرو في ذلك أيضاً، ولكن عليه أن يفكر ملياً في الأمر، قالت: "يجب أن لا تتركه يفعل ذلك" قال عمرو: "المشكلة أنني أعرف أنه قادر على فعل ذلك متى شاء، في أي مكان، وفي أي ظرف، كيف يشاء، لا من رادع له أبداً" قالت سناء: "إذن فعليك بقلبه" "أفكر بذلك ملياً، فهذا قد يتطلب وقتاً طويلاً" "ليس كأنك ستبدأ ذلك الآن، لقد بدأته مذ دخل المنزل قبل عامين أو أكثر" سكت عمرو، ما تقوله سناء صحيح ولكنه بعد كل

ذلك فعل كل ما فعل، ما مقدار التغيير الذي حدث معه طول تلك المدة؟ قالت سناء: "أنا متأكدة أنه تغير رغم كل ذلك" نظر عمرو إلى سناء التي قالت: "لابد أنه تغير" قال عمرو: "وهل كنت تؤمنين أن هناك ما هو أسوأ من القتل الذي يفعله سجال؟" "ربما لا أستطيع أن أتخيل، ولكن هذا لا يعني أنه لا يوجد أسوأ منه" سكت عمرو فقالت سناء: "ولا أريد أن أتخيل على أية حال، كل ما أريد أن تعرفه أنني إلى جانبك، ولا أحب أن أترك سجالاً وما يفعل، إنه ألطف من أن يكون هكذا" لم يقل عمرو شيئاً فأمسكت سناء يده وقالت: "سأظل معك إلى النهاية" ابتسم عمرو قائلاً: "أنا مدين لكم بشكر كبير، جميعكم وقف وقفة رائعة معي" ابتسمت سناء ابتسامة ساخرة وقالت: "من المفترض أن يكون سجال هو الشاكر" قال عمرو: "سيفعل، سيفعل ذلك يوماً، أنا واثق من ذلك" عندها قبضت سناء على يد عمرو أكثر وحدقت به قائلة: "ولكنني لا أريدك أن تنسى" نظر عمرو إليها فقالت: "أولادي، أولادي، أولادي" كان عمرو يعلم تماماً أن سناء مستعدة للمقايضة بأي شيء إلا بأولادها، وعمرو كذلك يعرف ويفهم ذلك تماماً بل يبادلها الشعور أيضاً، أشار لها بالإيجاب راجياً أن يكون سجال على قدر من المسؤولية.

***

ظلت رند في غرفتها إلى أن حل المساء، عاد كرم إلى المنزل وأخبرته فرح أن رندَ لم تغادر غرفتها لسبب ما، فذهب إليها.

دخل كرم غرفة رند، كانت ممددة في الفراش فاقترب منها وجلس إلى جانبها بهدوء وقال: "كيف حالك يا رند؟" قالت دون

اكتراث: "بخير" نظر كرم في وجهها وقال: "أخبرتني فرح أنك لم تغادري الغرفة، فلماذا؟" قالت رند: "ليس هناك أي شيء" قال كرم: "وماذا حل بيدك؟" قالت: "التوت" "كيف حصل ذلك؟" قالت رند دون اكتراث: "واصل لواها".

سكت كرم، ماذا تقول؟ لا يمكن أن يحدث شيء كهذا! لماذا تقول شيئاً كهذا؟ هل عادت الغيرة منه من جديد؟ وإلى هذه الدرجة! إنه حتى لم يعد يرى واصلاً كما كان يراه في السابق. نظرت رند إليه وقالت: "أنت لا تصدقني" قال كرم: "لماذا يفعل واصل شيئاً كهذا؟" قالت رند: "لأنه يكرهني" لم يستطع كرم إلا أن يضحك على شيء كهذا، إنها تبالغ في الأمر كثيراً فقالت رند منزعجة: "إنه يكرهني، أقسم أنه قال لي ذلك" قال كرم: "لا تقسمي على أشياء كهذه" قالت رند منزعجة: "إذن سله، هل يستطيع أن ينكر أنه فعل ذلك؟" سكت كرم ثم قال: "لا أستطيع أن أسأله شيئاً كهذا" قالت رند: "لقد لوى يدي، سله إن كان فعل ذلك" نهض كرم قائلاً: "كفي عن هذا الهراء" قالت رند منزعجة: "من أهم لديك، أنا أم هو؟" قال كرم: "سبق أن أخبرتك ألا تسألي أسئله سخيفة كهذه" قالت رند: "أنا جادة، لا أريده أن يفعل شيئاً كهذا مجدداً" "لن يفعله مجدداً لأنه لم يفعله أصلاً" "أقسم أنه..." "هذا يكفي!" سكتت رند، فقال كرم: "لا أريد التحدث في ذلك، العشاء معد، تعالي نتناوله معاً" قالت رند: "لا أريد" قال كرم: "هل ستظلين على عنادك؟" أشاحت رند برأسها فغادر كرم الغرفة وأغلق الباب خلفه تاركاً رندَ على عنادها.

استلقت رند على فراشها تفكر "قد لا ينجح هذا، علي أن أوجهه أكثر".

فرح كانت جالسة في المطبخ، سمعت شيئاً من حوارهما عندما بدأ صوتهما يرتفع، قالت: "ألن تحضر؟" قال كرم: "إنها عنيدة بطبعها، ستهدأ غداً أو بعد غد" قالت: "ما الذي جرى؟" قال كرم: "لا أريد التفكير بذلك" وبدأ يشرب الشاي.

★★★

واصل في منزله كان يعمل في دريم، هناك مشكلة ماتزال عالقة في استخدامه، ويجب أن يجد لها حلاً.

فتح الحاسوب وبحث في الانترنيت مطولاً عن فكرة ما، بعد فترة من البحث خطرت له فكرة، يستطيع أن يضع جهازاً يحول الإشارات الكهربائية العائدة إلى طاقة أخرى، مثلاً... طاقة ضوئية على سبيل المثال. بحث في الحاسوب عن معلومات فإذا به يصل إلى قطعة إلكترونية صغيرة تفعل ذلك، ولكن مهلاً، لقد رأى هذه القطعة من قبل! إنها...

خرج واصل من منزله بسرعة حاملاً دريم في حقيبته واتجه إلى منزل والده.

دخل المنزل بسرعة، صعد إلى غرفته وفتح درجه ليجد القطعة ذاتها، إنها عنده!

حملها واصل وتذكر أن كرماً كان من أعطاه هذه القطعة، حيث قد تفيده في دريم، هذا فعلاً أمر لا يصدق! إنها القطعة المطلوبة تماماً.

جلس واصل من فوره يضع القطعة مكانها ويوصلها ويثبتها.

مرت ساعتان على حاله تلك إلى أن أنهى العمل، وضع الجهاز في أذنه وحرك دريم، كان الجهاز يضيء في كل حركة يقوم بها، قاس

واصل الترددات العائدة من الجهاز فإذا بها "صفر"

لم يصدق واصل ما جرى! لقد انتهت المشكلة، ليس هناك ضرر من استخدام دريم الآن، هل يعقل هذا؟ بعد كل ما جرى كان هذا هو الحل!

ظل جالساً مكانه يحدق في الأدوات حوله، فعلياً لقد انتهى، لقد أنهى العمل في دريم نهائياً، إنه الآن كامل كما أراد له دائماً أن يكون.

أخيراً بدأ واصل يحس بالفرحة، إنه فعلاً قد حقق حلمه أخيراً، لم يفت الأوان على ذلك، إنه الآن جاهز ليستخدمه... أي... أحد. لحظتها تذكر سجالاً، تذكر أن دريم قد استُخدم بشكل سيء، إنه فعلياً يساعد في ذلك.

هدأ واصل وزالت الفرحة عن نفسه سريعاً، إنه لا يريد لأحد أن يستخدمه، وخاصة لأغراض سيئة، ثم إنه قد مرض في كل الأحوال ولا شفاء له، لماذا يجهز دريم لمن سيستخدمه بعده بأبشع الطرق؟

بدأت أفكار واصل تتشوش كثيراً، إنه لا يريد أن يفكر في الأمر، إلى درجة ربما يُكذب فيها سجالاً من أجل ذلك.

نهض بسرعة يتناسى كل تلك الأفكار يعلم تماماً أين هو المكان الذي سيجعله ينسى.

★★★

كرم كان في منزله جالساً يقرأ مجلة في الصالة، بينما كانت رند في غرفتها وفرح ترتب خزانتها.

رن جرس الباب ففتح كرم حيث كان واصل، تفاجأ كرم لزيارته المفاجئة تلك، ولكنه قرأ السعادة على وجهه، قال واصل: "لقد أكملت

دريم" كان هذا مفاجئاً فعلاً! قال فرحاً: "مبارك، تفضل" دخل واصل سعيداً يقول: "هل تعلم ما الذي احتاجَه؟ الجهاز الذي أهديتني إياه، لقد وضعته فيه، لقد كان ما ينقصه فعلاً" قال كرم مندهشاً: "حقاً! ظننت أنه شيء سيفيدك، ولكنني لم أتصور أن يكون أهم قطعة" قال واصل: "أنا مدين لك بالكثير" ضحك كرم قائلاً: "لا تقل ذلك، لا دَين بيننا، اجلس حتى أحضر شيئاً نشربه".

جلس واصل ونسي كل شيء عما قاله سجال، وحضّر كرم عصيراً لهما وأخبر فرح أن واصلاً قد زارهم وعاد إليه.

شرب واصل العصير سعيداً، قال كرم: "يبدو أنك أنهيته للتو" قال واصل: "حضرت إلى هنا على الفور، أنت أول من يجب أن يعرف" فرح كرم قائلاً: "هذا جميل، ويذكرني بأيام الجامعة وكيف كنت تعمل فيه" قال واصل: "وأخيراً تحقق حلمي" فرح كرم بسعادة واصل الغامرة، لقد كان دريم وسيظل شغل واصل الشاغل.

فجأة نظر واصل إلى باب الصالة، رند كانت تقف هناك غاضبة، نظر كرم إليها قائلاً: "ما الأمر يا رند؟" قالت رند بحزم: "سله، سله هل أخبرني أنه يكرهني" تفاجأ واصل مما تقول! هل يعقل أن تفعل شيئاً كهذا؟ قال كرم غاضباً: "هذا يكفي يا رند" قالت رند منزعجة: "سله إذا كان من لوى يدي" لم يصدق واصل أن تبادر رند بهجوم كهذا، إنها تفكر في الأمر جيداً! قال كرم غاضباً: "رند، هذا يكفي!" صرخت رند: "أنا لم أطلب منك سوى أن تسأل! إنه أمامك!" نظر كرم إلى واصل غير مبال وقال: "آسف لما يجري، لم أتصور أن تصل الأمور إلى هذه الدرجة" ولكن رندَ صرخت قائلة: "إنه لا يستطيع أن ينكر، لقد فعل ذلك!" كان من الواضح أن رندَ لن تهدأ أبداً، واصل كان

مايزال مصدوماً مما تفعل، إنها تضعه في دائرة الاتهام قبل أن يفشي سرها، وفوق ذلك لم يكن ليفعل.

أخيراً قال كرم: "واصل، هل تُنهي هذا الموضوع معي؟ لقد بات الأمر مزعجاً فعلاً" نظر واصل إلى كرم يخشى فعلاً أن يسأله، فطريقة سؤال رند ليس لها إجابة سوى... نعم. فكر واصل: "لقد فعلت وأخبرتها أنني أكرهها ولم أكن فعلاً أعني ذلك، وقد لويت يدها فعلاً ولم أكن أعرف أنها رند، ولكن... ولكن الإجابة هي... نعم. وفوق ذلك ليس باستطاعتي قول الحقيقة، حيث أن السبب للوي يدها سيكون واضحاً مع كرهي لها، سيكون السبب مع المسبب، لقد وضعتني في موقف لا أستطيع فيه قول أي شيء" ولسوء حظ واصل أن كرماً قد نطقها فعلاً: "قل لي أنك لم تقل أنك تكره رندَ، ولم تكن من لوى يدها لأنتهي من هذا الموضوع إلى الأبد" نظر واصل إلى رند لا يعرف ماذا يقول، ولكن رندَ كانت سعيدة بوضع واصل في هذا الموقف، أخيراً فتح واصل فمه قائلاً: "نعم، لم أفعل" ثارت ثائرة رند وصرخت قائلة: "تكذب!" عندها نهض كرم منزعجاً وقال: "هذا يكفي، لقد تماديت كثيراً!" ولكن رندَ كانت منزعجة كثيراً، ركضت إلى غرفتها تصرخ: "كاذب! كاذب!" ظل واصل جالساً لا يصدق ما جرى، إنها أول مرة يضعه أحدهم فيها موقفاً يضطر للكذب فيه بصراحة، ولكن... ولكنها من كان قد أخطأ منذ البداية، كيف يقع اللوم عليه فجأة؟ إنها فظيعة، لا يستطيع واصل الآن إخبار كرم بأي مما حدث، ربما لم يكن يريد أن يفعل، ولكن الآن فهو لا يستطيع.

اعتذر كرم لواصل كثيراً، واضطر واصل للمغادرة بهدوء بعد ما جرى.

نسي واصل كل شيء عن دريمٍ، لقد قذفت رند قنبلة كبيرة في وجهه، لا يصدق بعد أنها فعلاً قد فعلت.

اتجه كرم فوراً إلى غرفة رند، حاولت فرح تهدئته ولكن دون جدوى، دخل الغرفة حيث كانت رند ممددة على فراشها تبكي، صرخ بها قائلاً: "لم أتوقع يوماً أن تفعلي شيئاً كهذا! هل جننت؟" صرخت رند قائلة: "إنه يكذب! يكذب!" صرخ كرم قائلاً: "أما تزالين مصرة؟" أمسكت فرح كرماً لتبعده عن رند قائلة: "هذا يكفي، هدئ من روعك" ثم نظرت إلى رند قائلة: "وأنت يا رند، لا يجوز أن تنعتي الناس هكذا" ضربت رند بيديها على فراشها صارخة: "إنه يكذب يكذب!" صرخ كرمٍ: "رند!" أمسكته فرح قائلة: "هذا يكفي، اتركها الآن" صرخ كرم قائلا: "لقد جن جنونها!" قالت فرح: "فدعها تهدأ قليلاً!" ظلت رند تبكي، لم يعرف كرم ماذا يفعل ولم يكن ليهدأ على الإطلاق فغادر الغرفة منزعجاً لا يريد رؤيتها وأغلق الباب في غرفته.

نظرت فرح إلى رند التي كانت ماتزال تبكي بحرارة فقالت: "ما كان عليك أن تفعلي شيئاً كهذا، هذا كان فظيعاً فعلاً" لم تقل رند شيئاً فقالت فرح: "من المحرجِ أن تضعيه في موقف كهذا، واصل كان ضيفاً في منزله" لم تقل رند شيئاً، ربما كان أي شيء أهون من أن يخبر واصل كرماً أنها كانت تتسلل إلى منزله، بل ربما اكتشف كل شيء.

مشت فرح لتغادر الغرفة، أمسكت مفصل الباب لتغلق الباب خلفها وهي تحدق برند التي كانت ماتزال تبكي بحرارة، فرح كانت تعلم أن رندَ هي المذنبة وليس عليها أن تراضيها، ولكن كان هناك شيء آخر لفت انتباهها، هناك خاتم على الطاولة، إنه خاتمٍ قد رأته من قبل في مكان ما، لون أرجواني مع طبعة دلفين مميزة جداً.

أغلقت فرح الباب ولكنها ظلت واقفة تحاول تذكر المكان الـذي رأت فيه هذا الخاتم، فهو مميز وتذكر جيداً أن صاحبته كانت فخورة جـداً به، تذكرت فرح فجأة... ميساء! إنه خاتم ميساء، لقد كانـت فخـورة جداً أنها قد اشترته من الهند، ولكن... لماذا هو هنا؟ بل لماذا لدى رند شيءٍ كهذا؟ إنها لا ترتدي خواتم فاخرة ولا تظن أن كرماً اشـترى لهـا شيئاً كهذا.

★★★

سجال كان جالساً في منزل عمرو في غرفـة الكتـب يقـرأ أي كتـاب، كان يحدق في الصفحات ولكن فكره شارد فيما يجب أن يفعـل "علـي أن أقدم شيئاً جيداً لمن آذيت، أنا حتى لا أذكرهم" قلـب صـفحة الكتـاب، كانت هناك صور لأزهار متنوعة "أنا لا أجيد فعل الأشـياء الجيـدة، لا أذكر أنني فعلت شيئاً كهذا في حيـاتي" قلـب الورقـة إلى صـورة منـزل ريفي "إذا كان علي أن أفعل شـيئاً فيجـب أن يكـون كـبيراً، ويجـب أن يعم كل الناس، ما هو هذا الشيء؟" عنـدها دخلـت لنـا الغرفـة، نظـر سجال إليها حيث كانت تحمل لعبتهـا وقـد انكسـرت عربتهـا. ظلـت واقفة عند الباب فقال سجال: "ما الأمر؟" قالت لنا: "لقد اشـتراها أبـي اليوم، لقد كسرتها" وبدأت تدمعٍ، أشار سجال إليها أن تقـترب وأخـذ اللعبة منها، لم يكن الكسر كبيراً بل كان بالإمكان إصلاحه.

أخذ سجال لاصقاً وألصق القطعة المكسورة وركبها في مكانها فباتـت كأنها جديدة. فرحت لنـا بهـا كـثيراً وقالـت: "لـن تخـبر والـدي عما جرى، أليس كذلك؟" قال سجال: "بالطبع لن أفعل" فرحـت لنـا كـثيراً وقبّلت وجنة سجال وركضت مغادرة الغرفة لتكمل اللعب.

ظل سجال جالساً مكانه، إنها سعيدة جداً! إنه لم يفعل لها شيئاً يذكر.

حمل الكتاب من جديد وقلب الصفحة التالية، كانت صورة لقوس قزح، حدق به سجال "الجميع يحب قوس قزح، رغم أنه عبارة عن طيف ضوء لا يستطيع أحد لمسه" قلب سجال الصفحة "غريب ما يفرح الناس، ظننت أنه علي فعل شيء كبير لأسعدهم، ولكن..." قلب الصفحة حيث صورة نبع يضع الأولاد أقدامهم تحته وهم يقفزون فرحاً.

★★★

عاد واصل إلى منزله حيث تنتظره مرام، قلقت مرام عندما رأت وجهه مخطوفاً، لقد كان عند كرم فلماذا يعود هكذا؟ قالت: "هل حدث شيء لكرم؟" أشار واصل بالنفي وألقى بجسده على الأريكة، قالت مرام: "ما الذي جرى؟" قال واصل بصوت لا يصدق أنه يقول شيئاً كهذا: "رند، لقد بادرت" جلست مرام تسأله: "هل أخبرت كرماً ما جرى؟" قال واصل: "أخبرته أنني لويت يدها" "حسناً، لقد فعلت لأنها كانت في منزلك ترتدي ثياباً خفية..." قال واصل منزعجاً: "لقد أخبرته أنني فعلت لأنني أكرهها" قالت مرام غير مصدقة: "ماذا؟ ما هذا الهراء؟" "طلب كرم إلي أن أقول الحقيقة أمامها" "وهل فعلت؟" "المشكلة أن السؤال كان فقط بنعم أو بلا، ولم أستطع قول شيء" سكتت مرام فقال واصل منزعجاً: "كنت أريد الحديث مع رند فقط عن هذا الموضوع، أنا لا أريد لكرم حتى أن يعرف، ولكنها... لست أفهم كيف تفعل شيئاً كهذا، إنها تتخيل أنني قد حصلت على

الفرصة لأخبر كرماً عن شيء يؤذيها!" "لا أظن ذلك" "فلماذا تفعل ذلك إذن؟" سكتت مرام قليلاً ثم قالت: "لأنها تعلم أنها في موقف ضعيف" سكت واصل قليلاً ثم قال: "لقد كذبْت" نظرت مرام إليه تتوقع أن يقول شيئاً كهذا، قال: "اضطررت للكذب، لم أستطع حتى التفكير بشيء آخر، لقد... لقد..." وضعت مرام يدها على كتف واصل وقالت: "اهدأ، إذا لم يحصل شيء سيء بعد فلا داع لكل هذا" قال واصل منزعجاً: "لم أتوقع أن تقوم رند بما فعلت، كان ذلك فظيعاً جداً!" "لأن ما تقوم به فظيع فعلاً" نظر واصل إلى مرام التي قالت: "ألا تفهم ذلك بعد، إنها تسرق المنازل، هذا أمر كبير جداً ولا يجب لأحد في الدنيا أن يعرفه وأنت عرفته" سكت الاثنان فجلس واصل على الأريكة وقال: "ليتني لم أعرفه" "ولكنك عرفته، ويجب أن تفكر بهدوء ماذا ستفعل" "ماذا سأفعل؟" "ما يزال الخيار قائماً أن تتحدث إلى رند لوحدكما" "لا أظن أن هذا خيار قائم أيضاً، أشعر أنها تفضل قتلي على أن تتفاوض" "ربما، ولكنها لا تملك خياراً آخر، أنت في موقف القوة هنا وعليك ألا تنسى ذلك، هذا هو السبب الذي يجعل رند تقاوم بشدة" "المشكلة أنني لست في موقف القوة كما تظنين، أنا أفكر بكرمٍ فقط، لا يهمني حتى ما تفعل رند، كل ما يهمني ألا أؤذي كرماً" سكتت مرام قليلاً ثم قالت: "ربما تتفاهمان من هذه الناحية، رند أيضاً يهمها ألا يعرف كرم".

عاد الجدال إلى نقطة الصفر، لم يعد يعرف واصل ماذا يفعل، بل ربما عليه الانتظار قليلاً حتى تهدأ رند بعض الشيء.

★★★

مضت أيام والجميع على حالهم، سجال يبحث عما يقوم به ليسعد الناس، عمرو مايزال يعمل في عيادته التي ما تزال تتدهور يوماً بعد يوم دون أن يخبر أحداً، وعائلته كلها على حالها.

مراد بات يقضي وقتاً أطول مع عائلته في المنزل، كفاح ومصعب يلعبان كثيراً وأحياناً مع والدهما، لمياء كانت مرتاحة البال، فكثير من الأعباء التي كانت تقع على عاتقها بات مراد من يحملها الآن.

شادن باتت تعيش مع الجدة وحدهما، غالباً ما تطل مرام عليهما بزيارة أو يزوران لمياء.

ساري يذهب إلى المدرسة كل يوم يقابل كفاحاً وسجالاً ويلعبان بعد الدوام، كل ما كان يريده أن يلعب مع كفاح، وأن يكون سجال إلى جانبه ليطمئن على المستقبل.

واصل تارة ينظر بفخر وسعادة إلى دريم، وتارة يفكر بم سيفعل مع رند، وتارة ينظم أمور المعمل المعقدة، ومرام باتت تتقدم في الحمل، قارب عمر جنينها الثلاثة أشهر.

رند كانت تذهب إلى المدرسة وحيدة، وتعود وحيدة، لم تكوّن صداقات بعد، كل ما يشغلها هو أمر واصل والكره الكبير الذي تحمله له كل يوم. كرم كان يداوم في الشركة ويدرب في النادي، مضى وقت ونسي فيه ما فعلت رند، أما فرح فكانت أحياناً تتذكر الخاتم في غرفة رند، صحيح أنها لم تره مرة ثانية ولكنها كانت متأكدة مما رأت.

★★★

كان سجال جالساً يشاهد التلفاز في المساء، عمرو وماهر كانا جالسين معه بينما نام الجميع في الطابق العلوي. سجال لم يكن مركزاً

في الفيلم الذي يتابعانه، كان مايزال يفكر، يجب عليه أن يبحث عن شيءٍ ما يسعد به الجميع كي يكفر عن بعض ما فعل، نظر إلى عمرو قائلاً: "أبي..." قال عمرو: "ما الأمر؟" قال سجال: "أفكر في العودة إلى الغناء" حدق عمرو به والتفت ماهر تاركاً أحداث الفيلم ليرى ماذا سيجري، قال عمرو: "ما الجديد الذي طرأ لتقرر ذلك؟" قال سجال: "إنه شيء أستطيع أن أفعله لأسعد الناس، ربما أستطيع إدخال السعادة إلى نفوسهم ولو قليلاً" قال ماهر: "ولكنك لم تغن شيئاً سعيداً من قبل" نظر عمرو إلى ماهر نظرة ليسكت، فانتبه ماهر له وعاود التحديق في التلفاز يستمع إلى ما سيقولان.

قال عمرو: "هل هذا هو السبب الوحيد؟" قال سجال: "أليس كافياً؟" قال عمرو: "ألم يكن العمل مرهقاً وضغطه عليك كبيراً؟" "لا يهم، إذا كان بإمكاني تعويض ما فعلت أستطيع تحمل ذلك" أشار عمرو بالنفي ثم قال: "لستَ مطالباً بإرهاق نفسك هكذا، ولا أريدك أن تعود إلى الضغط من جديد، سيكون هذا سيئاً جداً" لم يقل سجال شيئاً فقال عمرو: "اسمع، لا تضع نفسك في مواضع الشهرة حيث العيون كلها مصوبة إليك، هذا ضغط كبير سينفجر بطريقة أو بأخرى يوماً ما، هذا أسوأ ما يمكن أن يحدث" علم سجال أن عمراً يقصد أنه قد يعود إلى ما فعل عاجلاً أم آجلاً، قال عمرو: "من الأفضل ألا تفكر في شيء كهذا، لست مضطراً لفعل الكثير لإسعاد الناس، أشياء بسيطة قد يكون لها وقع أكبر بكثير من الغناء" قال سجال متلهفاً لإجابة شافية: "مثل ماذا؟" ابتسم عمرو وقال: "ألم تقرأ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (تبسمك في وجه أخيك صدقة)؟ إنها صدقة لأنها تبعث السعادة في نفوس الناس، والحديث أطول من ذلك (تبسمك في وجه أخيك صدقة

لك، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلالة لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة)" سكت سجال لا يعرف ماذا يقول فقال عمرو: "هذه أمور تستطيع القيام بها كل يوم لها أثر كبير في المجتمع ككل، إذا عملت بها تكفي" فكر سجال، إن ما يقوله عمرو بالتأكيد صحيح، ولكنه ربما أراد شيئاً فورياً، ولكنه يعلم أيضاً أن ما يأتي بسرعة يذهب بسرعة، قال عمرو: "بم تفكر؟" نظر سجال إليه وقال: "أبي... ما هي السعادة؟" نظر ماهر إلى والده شاعراً أن الحديث لن ينتهي أبداً، ابتسم عمرو قائلاً: "شعور احتار الجميع في أمره، كل ما أستطيع قوله لك هو أنه شعور من داخل الإنسان، لا يأتي من الخارج" قال سجال: "ألا يكون الإنسان سعيداً بحصوله على شيء ما؟" ابتسم عمرو قائلاً: "نحصل على أشياء كثيرة كل يوم دون أن نشعر، فأين السعادة من ذلك؟" سكت سجال فقال عمرو: "كما قلت لك، إنه أمر ينبع من الداخل، لا يستطيع أحد إجبار شخص أن يكون سعيداً" نظر سجال إليه قائلاً: "لا يستطيع؟" أشار عمرو بالنفي وقال: "ربما تحاول التخفيف عن الناس، أما السعادة فهي لهم ومنهم وفيهم" شعر سجال أن الوضع معقد، أخيراً سأل آخر سؤال يمكن أن يخطر على باله: "إذن، هل تعرف ما الذي يسعدني أنا؟" تفاجأ ماهر بسؤال سجال، أما عمرو فقد كان هذا السؤال بالنسبة له يحتمل احتمالين، إما أن سجالاً يعرف ويريد أن يخبر عمراً به لعله يستطيع تحقيقه له وهذا احتمال ضئيل، وإما أن يكون السؤال موجهاً له لكي يعرف سجال كيف يصبح سعيداً وهذا هو الأرجح ولكن... قال عمرو متأملاً

أن يكون الخيار الأول هو المقصود: "ماذا؟" ولكن سجالاً قال: "أردت أن أعرف" كما توقع عمرو فقد كان يسأله، قال عمرو: "لا يستطيع أحد الإجابة عن سؤال كهذا، أنت الوحيد الذي يملك الإجابة" طأطأ سجال رأسه فقال عمرو: "كل ما أريد أن أخبرك إياه ألا تفكر في أمور كبيرة أو معقدة، السعادة أقرب وأبسط من ذلك بكثير" كان من الواضح أن عمراً يحاول دائماً إبعاد الضغوط والأفكار الكبيرة عن رأس سجال، إنه لا يريد أن يعقد الأمور فيعود إلى ما كان عليه، ومع ذلك فإن سجالاً مايزال يشعر بالذنب، إنه لا يريد أن يقتل ومع ذلك فعل، إنه يعلم أنه فعل شيئاً سيئاً ومع ذلك فعل، هو الآن لا يدري لماذا ولكن ساعتها كان كل شيء يسير بسرعة وكأن شيئاً لم يكن.

نهض سجال قائلاً: "تصبحان على خير" قال ماهر: "لم ينته الفيلم بعد!" قال سجال: "أشعر بالنعاس" كلاهما كان يعلم أن الأمر ليس كذلك، ولكنه قد يكون بحاجة لبعض الراحة. عمرو كان يرجو ألا يرهق نفسه بالتفكير، فالأمور أبسط مما يظن، ولكن سجالاً لم يعتد البساطة في حياته أبداً.

ظل ماهر وعمرو يشاهدان الفيلم إلى أن انتهى، نهض عمرو ليذهب إلى فراشه ولكن ماهراً استوقفه واقترب منه ومد له ظرفاً صغيراً، لم تكن لدى عمرو أية فكرة عما في الظرف، أخذه وفتحه فإذا بداخله بعض النقود! نظر عمرو إلى ماهر الذي قال: "لقد عملت وحصلت عليها" تفاجأ عمرو لذلك فلم تكن لديه أدنى فكرة عن الموضوع! ابتسم وبدأ يعد النقود، إنها مئتا دينار كاملة، نظر عمرو إلى ماهر قائلاً: "لقد حصلتَ على مئتي دينارٍ، هذا مبلغ جميل جداً" قال ماهر: "إنه لك" ظل عمرو صامتاً فقال ماهر: "ستأخذه لأنني عملت من

أجل ذلك، أنا أعلم تماماً ما يجري، الحال ليست كما كانت عليه في السابق..." قال عمرو مقاطعاً: "وماذا عملت؟" قال ماهر: "أشياء متنوعة" "مثل ماذا؟" "أحياناً أتعاقد مع أصحاب الشركات على نسب إذا جلبت لهم الزبائن، أشياء من هذا القبيل" ابتسم عمرو وقال: "متى كان ذلك؟" "منذ شهر أو شهر ونصف" تفاجأ عمرو قائلاً: "وحصلتَ على هذا المبلغ! إنه راتب موظف، أنت موهوب" قال ماهر: "أنت لا تسخر مني" نظر عمرو إلى ماهر ووضع يده على كتفه وقال: "منذ متى كنت أسخر من إبداع أولادي، لقد قمت بعمل لم أتخيل حتى أن تفكر فيه، أنت شخص يعتمد عليه" قال ماهر: "المهم أنك ستأخذ النقود" هنا سكت عمرو محدقاً بماهر فقال ماهر: "لقد جمعتها لذلك، لن يكون لها أي معنى إذا رددتَها" وضع عمرو النقود على الطاولة وضم ماهراً إلى صدره بهدوء وقال: "شعورك بالمسؤولية يكفيني، هذه النقود سأكون سعيداً وفخوراً بها إذا ظلت معك واستخدمتها فيما ينفع" قال ماهر: "علمت أنك ستقول شيئاً كهذا، أريدك أن تحصل عليها" "ما الفرق في أن تكون معي أو معك؟" سكت ماهر فقال عمرو: "ألا تشتري للنا ما تريد؟ ألا تذهب إلى السوق إذا طلبت منك أمك ذلك؟ ألا تشتري للينا بعض الألوان ولمالك كتبه المدرسية؟" سكت ماهر فنظر عمرو إليه قائلاً: "هذا ما أفعله أنا، وهذا ما سأفعله بنقودك هذه إذا حصلت عليها، فلم لا تكون أهلاً للمسؤولية كاملة وتقوم بالعمل الذي أقوم به؟" سكت ماهر لا يدري ما يقول، ابتسم عمرو قائلاً: "أحب أن تظل هذه النقود معك، وكل نقود تحصل عليها بالحلال، أنت رجل يعتمد عليه وأحب أن أشعر بذلك، هذه نقودك تصرف بها على الوجه الأمثل" قال ماهر: "على الأقل لن أطلب

مصروفاً شخصياً" ضحك عمـرو قـائلاً: "إذا أردت مساعدة فـلا تـتردد" ابتسم ماهر قائلاً: "في عمر كهذا لا أظن أنني سأحتاج مئتا دينـار" قـال عمرو: "أؤمن أنك قادر على الحصول على أكثر منها" فرح مـاهر بـذلك وكان الرضى بادياً علـى وجهـه، ربـت عمـرو علـى كتفـه وقـال: "هيـا نذهب إلى الفراش".

صعدا كل إلى فراشه ووضع ماهر نقوده في درجه الخاص، أما عمـرو فلم ترق له فكرة أن ماهراً يعلم أن حـال العيـادة سـيء جـداً، وأنـه في ضائقة مادية، تمنى فعلاً ألا يكون ذلك واضحاً للجميع.

★★★

رند نهضت من فراشها وارتدت ثياباً سوداء وخرجـت مـن النافـذة بهدوء حيث كان كرم مع فرح نائمين في غرفتهما.

مضت نصف ساعة على غياب رند، نـهض كرم من فراشه وذهب إلى المطبخ يشرب كوباً من الماء، ثم عاد إلى غرفته ووقف أمام البـاب، نظـر إلى باب غرفة رند، اقترب منه وأمسك مقبض الباب وفتحه بكل هدوء لكي لا يوقظ رندَ.

لم يكن في بال كرم أي شيء سوى الاطمئنان عليها، ولكنه لم يتوقع ألا يجدها في الفراش!

تعجب كرم لذلك! ولكـن قبـل أن يفـزع اتجـه إلى الحمـام، لا أحـد هناك، لا أحد في الصالة أيضاً، خـرج إلى السـاحة وفـتح النـادي ولكـن أضواءه مطفأه، أين يمكن أن تكون؟ عندها لمح من زجاج النافـذة شخصـاً يركض بسرعة وخفة في الخارج، عاد كرم إلى غرفة رند، ولكن... هذه المرة كانت في الفراش نائمة وكأن شيئاً لم يحدث!

ظل كرم واقفاً يفكر، ماذا جرى؟ إنه متأكد أنها لم تكن قبل لحظات، وهي الآن غاطة في نوم عميق!

هم كرم بمغادرة الغرفة بهدوء حيث أنه اطمأن أنها في المنزل على الأقل، أما ما حدث فسيفكر فيه بهدوء، ولكنه لمح شيئاً يتدلى من تحت فراشها، إنه شيء أسود، ثياب!

أغلق كرم الباب وعاد إلى غرفته، نظرت إليه فرح قائلة: "ما الأمر؟" قال كرم: "لاشيء، شربت كوباً من الماء" قالت: "سمعت صوت باب المنزل" قال كرم: "لا عليك، لم يكن شيئاً مهماً" وعاد إلى جانبها في الفراش فقالت: "هل تعلم، لقد كنت أريد أن أسألك سؤالاً، هل سبق أن اشتريت لرند خاتماً ثميناً؟" تساءل كرم: "خاتم!" قالت: "أرجواني عليه طبعة دلفين" "لا أظن ذلك، رند لا تحب ارتداء الخواتم" قالت فرح: "لقد وجدته في غرفتها، ظننت أنني رأيت مثله لصديقة لي، ليس أمراً مهماً" أغمضت فرح عينيها لتعاود النوم ولكن كرماً لم يفعل، بل بات يفكر أكثر فأكثر، خاتم!



الفصل الرابع والسبعون

في الصباح ودع الأولاد سناء وعمراً خارجين إلى المدرسة، كل منهم حمل حقيبته وحقيبة الطعام التي أعدتها سناء لهم معهم سجال، ودعهما وغادر هو الآخر.

ظلت سناء مع عمرو تحضر له قهوة يشربها قبل المغادرة.

قالت سناء: "عمرو، هل من الصواب أن يكون سجال هنا؟" نظر عمرو إلى سناء التي سكبت القهوة وقالت: "أعني، ألا يكون وجوده هنا كمن نتستر عليه؟ أليس من المفترض أن تعلم الشرطة على الأقل من هو الفاعل؟" قال عمرو: "والد سجال هو الفاعل" ناولته فنجان القهوة وقالت: "أنت تعلم أن الأمور لا تسير هكذا، سجال هو الفاعل ووالده مسؤول عنه" شرب عمرو رشفة ثم قال: "وماذا سيجري إذا فعلتُ وسلمته للشرطة؟" قالت سناء: "أعلم أنك لا تريد أن تخون ثقته بك..." قاطعها عمرو قائلاً: "كلا، أنا جاد، ماذا ستفعل الشرطة؟" قالت سناء: "ستبحث عن والده وستضع سجالاً في مصحة للأحداث" وضع عمرو القهوة على الطاولة وقال: "بالضبط، أما والده فلن يجدوه لأن سجالاً لن ينطق بأية كلمة، وأما المصحة فسجال قادر على مغادرتها في لمح البصر وسيفعل على الفور، فما الفائدة؟" سكتت سناء فقال عمرو: "ما يتوجب على المصحة أن تفعله أفعله أنا هنا، هذا المكان أفضل بكثير" نهضت سناء ثم قالت: "أفهم تماماً كيف تفكر، ولكن هذا يضعنا موضع المسؤولية" قال عمرو: "أنا طبيب نفسي، علاج الأحداث جزء من عملي" قالت سناء: "وهو كذلك، عليك أن تبذل جهداً كبيراً" "أعلم ذلك تماماً".

★★★

غادرت رند إلى المدرسة وأوصل كرم فرح إلى منزل والدتها لتزورها باقتراح منه، لم يكن ذلك غريباً جداً، ولكن كرماً عاد إلى منزله دون أن يعلما.

دخل غرفة رند، صعب عليه أن يفعل شيئاً كهذا، ولكنه فعلاً بدأ يفتش الغرفة.

بحث في الأدراج وتحت السرير ثم في الخزانة، كان هناك صندوق كبير في زاوية الخزانة تحت الثياب، فتح الصندوق فإذا بأول شيء يقابله ثياب سوداء، حملها يحدق فيها جيداً، إنها الثياب التي كانت تتدلى من تحت فراش رند ذلك اليوم بكل تأكيد، بل هي الثياب التي كان يرتديها من ركض في الساحة أيضاً.

وضع الثياب جانباً عندما نظر إلى ما كان تحتها، مجموعة متنوعة من أشياء غريبة، دفاتر جميلة، أقلام مميزة، خواتم، تحف، حتى أدوات مكياج، رند لا تستخدم شيئاً من هذا! حمل كرم أحد الدفاتر المرتبة ونظر إلى الطابع عليها، إنه اسم فتاة في صف رند، وهناك دفاتر أخرى! أعادها يتساءل، لماذا تأخذ كل هذا؟ إنها حتى ليست بحاجة إليه!

أعاد كرم كل شيء مكانه بعد أن تأكدت شكوكه بل مخاوفه، ماذا سيفعل الآن؟ بل لماذا فعلت ذلك منذ البداية؟ ومتى كانت البداية؟ ولماذا لم يشعر بذلك طول تلك المدة؟

ألقى كرم بنفسه على الأريكة لا يصدق ما يجري، إنه لم يقصر معها في شيء، كل ما احتاجته كان لها، بل إن معظم ما في الصندوق هي أشياء لم تكترث بها يوماً.

ظل يفكر، كانت تخرج في الليل متخفية وتذهب إلى المنازل، هي

قادرة بكل تأكيد على فعل الكثير فهو من دربها ويعرف ذلك جيداً، ولكنه دربها لتدافع عن نفسها، لا لكي... تسرق!

ظل كرم يفكر، لماذا؟ وماذا سيفعل الآن؟ ولكن دون جدوى، كل شيء يلف في رأسه دون أن يجد حلاً، ودون أن يصدق ما يجري.

★★★

خرج واصل من منزله متجهاً إلى المعمل، ولكن كان هناك ما استوقفه في بداية الطريق، إنه كرم.

كان الوضع غريباً، لم يكن كرم على طبيعته تماماً، كأنه يخفي شيئاً ما.

اقترب واصل منه قائلاً: "صباح الخير، غريب أن أراك هنا" قال كرم: "أردت أن أذهب إلى النادي، هل تأتي معي؟" شعر واصل أن هناك أمراً ما يشغل كرماً، فوق ذلك ليس من عادته أن يتأخر عن موعد الدوام في الشركة والذي قد بدأ منذ ساعة.

وافق واصل على الفور وذهب معه إلى النادي.

هناك لا يزدحم المكان في هذا الوقت من الصباح الباكر، كان واصل وكرم كمن يسيران في مكان مهجور. دخلا قاعة البيليياردو ليلعبا وحدهما وفعلاً بدآ.

كلاهما كان بارعاً في هذه اللعبة، كانت المنافسة حامية ومسلية ومع ذلك كانت أصوات تراطم الكرات هو المسيطر على الجو، كان كل شيء هادئاً تماماً.

لحظة بلحظة بدأ الجو يصبح أكثر هدوءاً، باتت أصوات الكرات تتدحرج على الطاولة واضحة بشكل ملحوظ.

ركز كرم عصاه على الكرة البيضاء فحدق واصل بالعصا جيداً، إنها ترجف كما توقع، إن كرماً في عالم آخر.

ضرب كرم الكرة فأدخل اثنتين دفعة واحدة، ابتسم واصل "رغم كل ذلك فما تزال مسيطراً" ركز كرم ليضرب كرة أخرى ولكن العصا باتت ترج أكثر، ضرب الكرة ودخلت في آخر لحظة، لم يتوقع واصل أن تدخل فعلاً، فيده لم تكن على مايرام.

ركز كرم في كرة أخرى، ولكن هذه المرة ظل مركزاً فترة، كانت عصاه ترجف بشدة، من المستحيل أن يضرب الكرة، ظل مركزاً لعله يهدأ قليلاً ولكن واصلاً وضع يده على يد كرم، نظر كرم إليه ولكن واصلاً لم يقل شيئاً، كان من الواضح أنه يرى يده ترجف.

فجأة ألقى كرم بالعصا من يده وعانق واصلاً بشدة وبدأ يبكي، بات صدى صوته يبكي بحرارة هو الصوت الوحيد في الصالة، شعر واصل بالأسى عليه، مع ذلك لم يفصح كرم عما يزعجه أبداً، علم واصل أنه يريد أن يبكي فحسب، حتى وإن لم يكن يريد قول أي شيء فقد كان البكاء كافياً.

لم يضغط واصل على كرم أبداً، بل لم يقل شيئاً على الإطلاق، تركه يبكي كما يشاء إلى أن هدأ، عندها غادر إلى عمله بهدوء وذهب واصل إلى المعمل.

أحياناً يكون البكاء كافياً لمساندة شخص ما لا يريد أن يفصح عما يبكيه، حتى وإن لم تعلم ما يجول في خاطره، فقد تكون هذه أفضل مواساة له.



ذهب كفاح وساري مع سجال إلى النهر ليلعبوا هناك، رفع ساري وكفاح ثيابهما وركضا داخل الماء يتراشقان بينما ظل سجال واقفاً على الضفة يراقبهما.

ربما اعتاد على رؤية كفاح سعيداً هكذا طول عمره، ولكن الوضع مختلف بالنسبة لساري، ما الذي يجعله سعيداً هكذا؟ هل كان هذا كل ما يتمناه في حياته وقد تحقق؟ "السعادة ليست بالأشياء الكبيرة، إذن هل لكل إنسان سعادة معينة؟" نظر ساري إلى سجال وناداه قائلاً: "سجال! ألا تلعب؟" رفع سجال ثيابه وخطا داخلا الماء ليقترب منهما، ولكنه مايزال يفكر "هل سأسعد مثل ساري إذا لعبت معه؟ لا أظن ذلك، ولكن لماذا؟ هل لأن سعادتي فعلياً ليست هنا، أم... لأن سارياً قد وجدها هنا... فعلي أن أجدها في مكان آخر؟" كانت هذه أول مرة يفكر سجال فيها هكذا، لأن ساري سعيد جداً باللعب فعلى سجال أن يجد شيئاً آخر، إنه يريد شيئاً خاصاً به.

نظر سجال تحت قدميه حيث كانت الأسماك قريبة منه لِما أبدى من الهدوء، بسرعة خاطفة التقط سمكة من تحت قدميه ورفعها يحدق بها وهي عبثاً تقاومه "هل لديهم سعادة أيضاً؟ وهل هي من نوع مختلف؟" نظر كفاح إلى سجال يحمل السمكة فقال: "كيف استطعت الإمساك بها؟ هذا رائع!" قال ساري: "أعدها، ستموت خارج النهر" ما إن سمع سجال كلمة تموت حتى جفل وسقطت السمكة من يده في الماء عائدة إلى السباحة مبتعدة عنه بأقصى سرعة، علم ساري أن سجالاً قد خشي أن يقتل، كفاح كان مستاء لأن السمكة قد ضاعت منهم، تعجب سجال لردة فعل كفاح، ساري كان من اقترح إعادتها إلى الماء بينما كان كفاح يريدها! ما الذي يجري؟

لاحظ ساري أن سجالاً بات ضائعاً "من السهل أن يضيع هذا الفتى" عندها ناداه قائلاً: "تعال نلعب" اقترب سجال بهدوء منهما رغم أنه لم يكن في مزاج للعب، همس ساري في أذنه: "إنها مجرد سمكة" نظر سجال إليه دون أن يقول شيئاً بل دون أن يقتنع أيضاً فقال ساري: "الوضع مختلف" ها هو ساري أيضاً بات يقف إلى جانب كفاح، شعر سجال بالضياع أكثر، إنه لا يريد أن يقتل أي شيء.

عاد إلى المنزل وما تزال الأفكار تدور في رأسه، كانت سناء قد أعدت مائدة الغداء للجميع، استبدل ثيابه ثم جلس إلى المائدة ونظر أمامه إلى الطبق الرئيسي، إنها دجاجة مشوية. ظل سجال يحدق فيها، عندها مد ماهر يده واقتطع قطعة الفخذ من الدجاجة ووضعها في طبقه، شعر سجال بشعور مؤذ، عندها نظر إلى الآخرين، مالك بدأ يقضم قطعته، نظر إلى لنا، هي أيضاً تطلب من والدتها قطعة، عمرو أيضاً يأكل وسناء ولينا! لماذا هو الوحيد الذي يشعر أن الدجاجة تتقطع بينهم؟ إنها... ميته.

شعر سجال بشيء من الغثيان، نهض عن الطاولة دون أن يأكل شيئاً، سأله عمرو: "ما الأمر؟ ألا تأكل؟" قال سجال: "فيما بعد، لا أشعر أنني بخير" وصعد إلى الطابق العلوي ثم دخل الحمام وتقيأ. هذه أول مرة يشعر بالغثيان، لطالما قتل الكثيرين ولكن... ولكنه لأول مرة تخيل أن ما يأكله أيضاً هو شيء مقتول، لماذا لا يشعر الجميع بشيء كهذا؟

فتح عمرو الباب قائلاً: "هل أنت بخير؟" قال سجال: "أجل" وفتح صنبور المياه لينظف المغسلة فعلم عمرو أنه قد تقيأ، قال: "هل أكلت شيئاً في الخارج؟" قال سجال: "أنا بخير، لا تقلق" اقترب عمرو منه

ووضع يده على جبينه ليحس حرارة سجال، ولكن سجالاً قال: "أنا بخير" قال عمرو: "لم تكن بخير على الطاولة" قال سجال: "لا بأس، لا تقلق" قال عمرو: "إذن لنعد" ولكن سجالاً قال: "سـ... آكل فيما بعد" نظر عمرو إلى سجال ينتظر الحقيقة ولكن سجالاً لم يقل شيئاً فقال عمرو: "كلّما قلت لا شيء، لا تقلق، لا لا لا، أعرف أن هناك شيئاً ما" ابتسم سجال مدركاً أن الوضع دائماً هكذا فقال عمرو: "هل تريد أن تقول شيئاً؟" قال سجال: "ليس هنا على الأقل".

دخل عمرو مع سجال غرفة الأولاد وحدهما لعله يستطيع أن يفهم ما يجري، من الغريب أن يشعر سجال بالغثيان فهو يعرف حق المعرفة أنه يقتل بلا مبرر وبلا مبالاة.

جلسا على الفراش فقال عمرو: "ما الأمر؟" قال سجال: "لقد شعرت بالغثيان" "من ماذا؟ ألم يعجبك الطعام؟" لم يدر سجال كيف يقول شيئاً كهذا ولكنه قال: "أعتقد أنني سأصبح نباتياً" سكت عمرو يفكر فيما يقصده سجال، قال سجال: "هذه الحيوانات مقتولة، كيف تأكلونها؟" فهم عمرو ما يقصده سجال ومع ذلك كان متعجباً جداً أنه يفكر بهذه الطريقة! إنه لم ينس بعد أن سجالاً كاد يأكل لحم أخيه عندما كان صغيراً، فقال: "ولماذا اخترت أكل النبات على الحيوان؟" نظر سجال إلى عمرو لا يفهم سؤاله، السبب واضح في نظره فقال عمرو: "ألأن النباتات لا تتحرك ولا تتكلم فإنك تأكلها؟ إنها مخلوقات حية أيضاً، وقطفها يعني قتلها" لم يفكر سجال بهذا أبداً، أكل النباتات قتل أيضاً! قال سجال: "ألا نستطيع أن نعيش دون أن نقتل؟" ابتسم عمرو وقال: "كلمة قتل مؤذية أليس كذلك؟" طأطأ سجال رأسه فقال عمرو: "نحن نذبح الحيوانات ونقطف النباتات، أليس هذا

أفضل؟" قال سجال: "أنتم تحرفون الكلم لصالحكم، فلماذا الإنسان؟" قال عمرو: "لأن الله سخر المخلوقات جميعها لخدمة البشر، هكذا خلق الدنيا" "ولماذا البشر؟" "لأنهم حملوا على عاتقهم أمانة لم يرض مخلوق آخر حملها" "أمانة؟" ثم تلى عمرو الآية: " إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾" سكت سجال فقال عمرو: "نحن مكلفين بحِمل ثقيل، إنما سخر الله الكون لأجلنا ليساعدنا على حمله" قال سجال: "وهل يبلي البشر بلاء حسناً في ذلك؟" ابتسم عمرو قائلاً: "البعض يرضي الله والآخر يسخطه، هكذا هو حال المؤمن والكافر" قال سجال: "وأنت اخترت أن تحمل الأمانة" "ما أعانني الله عليها" سكت سجال قليلاً ثم قال: "إذا لم أفعل فإن الله سيغضب مني" ربّت عمرو على كتف سجال وقال: "ليس من المفترض أن تتجاهل شيئاً كهذا، ولكن تذكر أيضاً أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها" "فماذا أفعل؟" "في مكانك الآن تستطيع أن تفعل الكثير" "حقاً؟" "أن تكون شخصاً طيباً محباً متعاوناً كريماً خلوقاً ليس أمراً سهلاً" طأطأ سجال رأسه يفكر هل كان في يوم من الأيام كما يصف عمرو؟ ربت عمرو على شعر سجال وقال: "ظننت أنك قرأت الكثير وفهمته، ولكنني كنت مخطئاً، لا تستطيع أن تفهم كل شيء بمفردك حتى لو كنت ذكياً" لم يقل سجال شيئاً فقال عمرو: "هل ستأكل الآن؟" نظر سجال إلى عمرو وقال: "ليس الآن على الأقل" ضحك عمرو وقال: "أعرف أن الشعور سيء، لا تفكر به هكذا، هذا كل ما في الأمر" نهض وقال: "هل تحب أن أجلب لك

الحساء" أشار سجال بالإيجاب فجلب له عمرو الحساء وتركه في الغرفة يتناول الحساء بمفرده.

★★★

أنهى واصل عمله في المعمل واتجه إلى منزل والده ليجلس عند والدته قليلاً، لمياء سعدت بوجوده كثيراً، ولكن واصلاً انتبه أنها تحضر لشيء ما، هناك قوالب متنوعة، قوالب للحلوى، وأخرى للمثلجات، سأل واصل: "هل سيدعو والدي أحد المسؤولين؟" قالت لمياء: "أبداً، هذا حفل لمصعب" "مصعب!" دخل مصعب المطبخ سعيداً بالتحضيرات، فقالت لمياء: "ليس من الممتع أن ترى التحضيرات، يجب أن تتفاجأ بها غداً" قال مصعب: "غداً! ألن آكل اليوم؟" قالت لمياء: "بالطبع لا" كان واصل متأكداً أنه ليس عيد ميلاد مصعب، نظر إليه قائلا: "مصعب، ما الاحتفال الذي تنوي أن تقيمه؟" قال مصعب: "أمي تريد أن تحتفل بي" قالت لمياء: "أخبره ماذا فعلت" نظر واصل إلى مصعب قائلاً بلطف: "لابد أنك فعلت شيئاً مميزاً، ماذا أنجزت؟" قال مصعب: "لقد أتممت حفظ جزء من القرآن الكريم في المدرسة" فرح واصل بذلك كثيراً وقال: "هذا رائع! هل سمّعتها كلها؟" قال مصعب: "لدي شهادة من المدرسة بها" قال واصل سعيداً: "تهانيا، أنت تستحق أكثر من حفلة" قال مصعب فرحاً: "حقاً! هل ستشتري لي هدية؟" لم يفكر واصل في الأمر بعد ولكنه قال: "بكل تأكيد، أريد أن أرى الشهادة" "إنها في غرفتي" وأمسك يد واصل سعيداً وأخذه معه يقفز إلى الغرفة قائلاً: "تعال".

دخل واصل غرفة مصعب وكفاح، إنه لا يدخلها كثيراً في العادة

ولكنه لاحظ فوراً الشهادة معلقة على الحائط، قال: "واو! إنها جميلة فعلاً" قال مصعب: "قالت والدتي أنها ستضعها في إطار" اقترب واصل من الشهادة قائلاً: "بالطبع يجب أن تفعل" وبدأ يقرأ ما كتب فيها، قال مصعب: "ماذا ستحضر لي؟" نظر واصل إليه قائلاً: "ماذا تريد؟" "ليس هناك شيء معين في بالي" وبدأ يفكر، قال واصل ناظراً إلى ساعته: "ليس هناك وقت سأخرج الآن، يفضل أن تقول ما تريد بسرعة" قال مصعب: "ألن تحضر شيئاً؟" قال واصل: "سأحضر بكل تأكيد" "حسناً، أنا أعرف ما أحضرت والدتي، وما أحضره والدي، حتى كفاح، سأترك هديتك مفاجأة لي" شعر واصل أن مصعباً بدأ يكبر فجأة، رغم أنه مايزال على بساطته وظرافته إلا أن هناك إحساساً غريباً بدأ يشعر به كلما زار المنزل ونظر إليه، الصغار يكبرون بسرعة، لا يلاحظ ذلك إلا من يغيب عنهم.

عندها سمع واصل صوت البيانو، قال مصعب: "إنه كفاح، يتدرب مذ بدأت تعلمه" نظر واصل إلى مصعب قائلاً: "أعلمه!" قال مصعب: "ذلك اليوم، ألا تذكر؟" لم يكن هناك إلا يوم واحد جلس فيه واصل مع كفاح على البيانو معاً، ولكنه لم يكن فعلاً تدريباً يذكر.

نزل واصل مع مصعب إلى غرفة الضيوف حيث يعزف كفاح على البيانو، كان أداؤه جميلاً بالنسبة لمبتدئ.

نظر كفاح إلى الباب حيث يقف واصل ومصعب، شعر كفاح بالخجل وقال: "أعرف أنه سيء" أشار واصل بالنفي قائلاً: "أبداً، لم أتوقع أن يكون عزفك أنت، إنه جميل فعلاً" شعر كفاح بدفعة كبيرة بتلك الكلمات فقال: "حقاً! هل هو جيد فعلاً؟" قال واصل: "بالتأكيد" اقترب منه قائلاً: "أرني ماذا عزفت" شعر كفاح بسعادة كبيرة باهتمام واصل

وبدأ يقلب في الأوراق، يقول: "مقتطفات من هذه، وبداية هذه" قال واصل: "أسمعني شيئاً مما تعزف" وضع كفاح يديه على البيانو، كان من الواضح أنهما ترجفان حيث يريد أن يعزف أفضل ما لديه أمام واصل، واصل لاحظ ذلك ولكنه لم يعلق أبداً، تركه يفعل ما يقدر عليه.

فعلاً عزف كفاح مقطوعة قصيرة بسيطة، ولكنها كانت جيدة وقليلة الأخطاء، وعندما أنهى قال واصل: "كان هذا جيداً فعلاً" نظر كفاح إليه سعيداً وقال: "حقاً؟" قال واصل: "علي أن أخرج الآن، في المرة القادمة سأعلمك مقطوعة نعزفها معاً" شعر كفاح أنه يحلم، يعزف مع واصل! ولكنه قال: "وكيف ذلك؟" قال واصل: "chopsticks، مقطوعة يمكن أن يعزفها اثنان معاً" قال كفاح: "سيكون هذا رائعاً" قال واصل: "غداً سأحضُر لحفل مصعب، سأعلمك حينها" عندها قفز مصعب قائلاً: "وأنا، وأنا" ابتسم واصل قائلاً: "وسأعلمك شيئاً أيضاً" فرح مصعب كثيراً، عندها غادر واصل مندهشاً من تطور كفاح السريع، لقد جلس معه مرة واحدة على البيانو ولكنه استطاع أن يفعل الكثير. وقف واصل في السوق يحدق في البضائع لشراء شيء لمصعب، ولكنه كان يفكر "الصغار يقدِّرون كل شيء، يتذكرون أصغر التفاصيل، لم أكن أتخيل أن يسعد كفاح بالبيانو هكذا، إنه ليس من النوع الذي يهوى الموسيقى" مشى إلى سوق آخر يتذكر مصعباً يقول له: "إنه كفاحٍ، يتدرب مذ بدأت تعليمه" "تعليمه! حتى مصعب يذكر ذلك جيداً، فيكف بكفاح؟" وقف يحدق في الألعاب وهو يفكر "ليتني عاملتهما بطريقة أفضل من قبل، إنهما يستحقان أكثر من ذلك".



عاود سجال السير في الطرقات يحدق في وجوه الناس باحثاً عن ابتسامات حقيقية تخفي وراءها سعادة يبحث عنها، أين يمكن له أن يجد سعادته؟

توقف سجال عن المشي مفكراً، إنه يريد أن يسعد الناس ولكن الحقيقة أن معظم الناس هنا أسعد منه، كيف يستطيع أن يقدم لهم ما لا يملك؟ إذن على الأقل يجب أن يكون سعيداً، ولكنه عاد إلى البداية، أين سيجد سعادته؟

عاود السير هنا وهناك، لم يترك حديقة أو متنزهاً أو باحة لم يمر فيها ناظراً إلى الجميع، توقف عن السير وهو يرى أن أتعسهم أفضل حالاً منه، هل من المفترض أن يفكر في نفسه قبل كل شيء؟

استدار ليعود إلى المنزل، ولكن حينها استوقفه ما لم يكن في الحسبان، إنه... واصل، يقف هناك على الطرف الآخر من الباحة، لم يلحظه بعد. تجمد سجال في مكانه شاعراً ببرودة كالجليد تسير في عروقه، مضى وقت طويل لم يره فيه، ولكنه كان يتهرب دائماً من هذا اللقاء.

لم يستطع سجال أن يحرك ساكناً، عندها استدار واصل، وأخيراً رآه.

ظل الاثنان واقفين ينظران إلى بعضهما، لم يستطع سجال أن يتحرك أبداً، كان يرجو فعلاً أن يعود كل شيء على ما كان عليه، فقد قضى أجمل الأوقات إلى جانب واصل، ولكن هل يعقل أن يحدث شيء كهذا؟

بعد برهة كان واصل من اقترب، شعر سجال برعشة في كامل جسده، كان عليه أن يكون المبادر لا واصلاً، فهو من أخطأ في حقه،

ولكنه مع ذلك شعر أن قدميه ماتزالان ملتصقتين في الأرض بل ربما تغوصان أكثر فأكثر كلما اقترب واصل.

وقف واصل أمامه ونظر إليه قائلاً: "لقد مضى وقت طويل" لم تكن تلك الكلمات عتاباً على الإطلاق، كانت هادئة ودافئة خففت رعشة سجال قليلاً. جلس واصل على ركبته ينظر إلى سجال الذي لا يحرك ساكناً فقال: "كيف حالك؟" كان على سجال أن يقول شيئاً وإلا بات الوضع غير طبيعي على الإطلاق، قال: "بخير" ابتسم واصل، هذا كل ما استطاع سجال قوله، قال: "ما بك؟ هل أنت خائف مني؟" لم يكن ذلك ما يشعر به سجال رغم أنه يذكر تماماً ما قاله لواصل في المشفى، ولكن ما يشعر به ليس الخوف، ربما... الخجل، مختلطاً بالندم مع شيء من الشوق، كيف له أن ينسج كل هذه المشاعر في كلمة؟ ولكن كانت هناك كلمة أهم من كل هذا كان عليه أن يقولها، قال: "أنا... آسف" فرح واصل أنه سمعه ينطق ذلك أخيراً، ابتسم له قائلاً: "على الأقل قل أنك سعيد أنني مازلت على قيد الحياة" شعر سجال برعشة قوية في جسده، كيف استطاع قول شيء آخر فيما مضى؟ ولكن واصلاً لم يترك له المجال ليقول شيئاً قائلاً: "أنا سعيد برؤيتك".

لم يكد سجال يصدق! بعد كل هذا مايزال واصل على حاله، هل يصدق فعلاً؟ هل هو بهذا القدر من الطيبة ليغفر له ما قال؟

ظل سجال صامتاً مرتبكاً، عندها قال واصل: "هل تحب أن تشرب شيئاً، أخبروني أن هناك محلاً جديداً للعصير في المنطقة، هل تحب أن تجرب؟" أشار سجال بالإيجاب فأمسك واصل يده ليسير به إلى المحل.

طول الطريق كان سجال يحدق في يد واصل، إنه يمسكه! كم يشعر بالطمأنينة والحنان عندما يضع يده في يده، تذكر عندما ترك عمرو يده

فجأة فشعر أنه قد ضاع منه، لم يشأ أبداً أن يحدث شيء كهذا مع واصل فقبض بيده بقوة لكي لا يفلته. شعر واصل بقبضة سجال تمسك يده بقوة، إنه يريد أن يظل إلى جانبه.

وصلا المحل فكان على واصل ترك يد سجال، ولكن سجالاً كان قابضاً عليها، وفوق ذلك رأى واصل ما لم يتوقعه أبد، إن سجالاً يبكي!

نظر واصل إلى الموظف وقال: "كوبان من عصير إذا سمحت، سفري".

أخذ واصل العصير وخرج من المحل مع سجال دون أن يقول شيئاً ودون أن يفلت يده إلى أن وصلا شاطئ البحر وجلسا على كرسي هناك.

ترك سجال يد واصل عندما جلسا جنباً إلى جنب، ولكنه كان مايزال صامتاً رغم أن دموعه قد جفت على وجنتيه. فتح واصل العلبة وحمل الكوبين كل في يد ليقدم واحدة إلى سجال، ولكن ما إن التلفت إلى سجال حتى ألقى سجال بجسده على صدر واصل يمسكه بقوة. وضع واصل العصير جانباً فقال سجال: "لقد اشتقت إليك" ابتسم واصل وربت على شعر سجال قائلاً: "وأنا كذلك، اشتقت إليك" فرح سجال كثيراً بسماع ذلك، فواصل مايزال يحبه ويهتم لأمره كما كان. ربما كان ما يقوله ساري وعمرو صحيح فعلاً، لم يصبح سجال وحيداً حتى بعد كل ما جرى، كل من يحبونه مايزالون إلى جانبه.

★★★

رند كانت تسير في الطرقات حاملة حقيبتها المدرسية، ماتزال تفكر فيما يمكن أن تفعل، وفيما يمكن أن يفعل واصل، يجب ألا يصل الخبر إلى كرم بأي ثمن.

ظلت تسير هنا وهناك تحـاول الوصـول إلى حـل دون جـدوى حتـى أنهكها التفكير.

نظرت حولها فإذا بها قد وصلت البحر "لم أتوقع أنني قد سرت كل هذه المسافة!" استـدارت لتغـادر، ولكنهـا لمحـت شخصـين تعرفهمـا يجلسان على كرسي بعيد، إنه واصل مع... سجال! لم تره منذ زمـن، ولكنه يغط في نوم عميق.

ظلت رند تحدق بهما دون أن يلاحظـا، لمـاذا يجلـس مـن تحـب إلى جانب من تكره؟ هذا ذكرها بما فعل سجال بها عندما أخـبر كرمـاً مـا كان يفترض أن يكون سراً بينهما.

شعرت بالغيظ لكل مـا يجـري، لقـد باتـت وحيـدة تمامـاً، بـل وفي موقف صعب ،هي في أمس الحاجة لمساعدة أحدهم.

استدارت وركضت عائدة إلى المنزل "سجال، لمـاذا تفعـل ذلـك بـي؟ لماذا؟".

★★★

بعد فترة أفاق سجال، رفع رأسه بهدوء فإذا به مايزال بين ذراعي واصـل أمـامٍ الشـاطئ، عـدل جلسـته قـائلاً: "هـل غفـوت؟" قـال واصل: "قليلاً، ألا تشرب عصيرك؟" أشـار سـجال بالإيجـاب وتنـاول العصير وبدأ يشرب.

قال واصل: "هل تعلم، لقد كنت أبحث عن هدية لمصعب، لقـد حفـظ نصف جزء مـن القـرآن والجميـع يحتفلـون بـه، فكـرت بشـراء لعبـة ولكنني لم أهتد إلى شيء مناسب، ربما سأشـتري لـه بعـض الحلـوى، فهذه الهدية التي يحبها الجميع" لم يقل سجال شيئاً فنظر واصل إليه

حيث مايزال يشرب العصير ببطء وكأنه شارد الذهن، قال واصل: "ما الذي جرى؟" نطق سجال أخيراً قائلاً: "إنه ليس والدي" سكت واصل، هناك أشياء غريبة حدثت بكل تأكيد، نظر سجال إليه قائلاً: "لقد خدعني طول الوقت، عملت لأجله كل شيء" قال واصل: "كيف عرفت ذلك؟" قال سجال: "والدتي، لقد اكتشفت أنها لا تلد، لا يمكن أن أكون ابنها" لم يدر واصل ما يفترض أن يقول، فقال سجال: "لقد كنت مثل ساري طول الوقت" قال واصل: "كم جريمة اقترف هذا الرجل؟ أكاد لا أصدق" وقف سجال قائلاً: "لم يبق شيء لم يفعله، لا أحب أن أفكر أن هناك المزيد" قال واصل: "إلى أين ستذهب؟" قال سجال: "إلى المنزل، لا أريد أن يقلق السيد عمرو علي" قال واصل: "علي شراء هدية لمصعب، ولكن هل تحب أن نصلي قبل ذلك".

وافق سجال ودخلا مسجداً قريباً ليصليا، كان الجو هادئاً والناس متفرقون كل يجلس يقرأ أو يصلي، قال واصل: "لقد فاتتنا الجماعة منذ مدة" ثم نظر إلى سجال وسأله: "هل تحب أن نصلي جماعة معاً؟" لم يكن لدى سجال مانع.

صلى سجال إلى جانب واصل، كان الجو هادئاً وكل شيء صاف، إنه يشعر براحة غريبة، إنه يصلي إلى جانب واصل، هذا كل ما كان يريده، هل هذه هي السعادة بالنسبة له؟

أنهى الاثنان الصلاة، حدق سجال في واصل مفكراً "سعادتي كانت إلى جانبه دوماً، أردت دوماً أن أكون إلى جواره، أن أكون... مثله" نظر واصل إلى سجال حيث انتبه أنه يحدق به فقال: "هل هناك خطب ما؟" أشار سجال بالنفي، كان يرغب في البقاء أكثر ليشعر فعلاً بسعادته ولكنه نهض قائلا: "علي المغادرة الآن".

ودع سجال واصلاً، كلما ابتعد عنه شعر أنه يريد أن يلتفت ويراه وراءه، لربما تبعه، إنه لا يريد فراقه على الإطلاق.
وقف سجال خارجِ المسجد ونظر إلى السماء مفكراً "إلى جواره وجدت سعادتي، أخيراً علمت ما تعني السعادة بالنسبة لي" ثم تابع سيره إلى المنزل مسروراً.

★★★

عاد كرم إلى المنزل بعد دوام قصير في الشركة لم يستطع فيه إنجاز أي شيء، استقبلته فرح، أما رند فقد كانت في غرفتها ماتزال تفكر في كل ما يجري.
كان واضحاً على كرم أنه ليس على مايرام، ولكن فرح لم تستطع انتزاع أي كلمة منه، لم يجلس على العشاء ولم يستطع التكلم في أي شيء، ولم يدخل غرفة رند بل لم يرها أبداً.
لم تدر فرح ما تفعل، ربما يتحدث في الصباح.

★★★

عاد سجال إلى المنزل مبتهجاً، تعجب عمرو لذلك فقد كان سجال متجهماً هذه الأيام، ولكنه في الوقت نفسه كان سعيداً برؤيته هكذا ومتشوقاً لمعرفة السبب.
لم يقل سجال شيئاً على الفور فسأله عمرو: "هل حدث شيء جيد اليوم؟" قال سجال: "هل يمكن أن يجد أحدهم سعادته مع شخص آخر؟" ابتسم عمرو قائلاً: "لم لا؟" قال سجال: "كيف ذلك؟" فكر عمرو قليلاً ثم قال: "أعلم أناساً يجدون سعادتهم بالحصول على أدوات

جديدة، أو بالتربيت على ظهر القطط أو بامتطاء الفرس، إذا كانت السعادة تنطبق على الجمادات والحيوانات فلم لا تنطبق على الإنسان؟" قال سجال: "لماذا لم تقل لي أن السعادة موجودة في هذه الأشياء؟" أشار عمرو بالنفي وقال: "السعادة ليست شيئاً، كثير من الناس يشعرون بالسعادة بعد إنجاز عمل أخذ منهم وقتاً طويلاً، أو الحصول على علامة جيدة في امتحان، هذه ليست جمادات" سكت سجال فقال عمرو: "كل هذا ليس مهماً، فشخص ربما يجعله ذلك سعيداً بينما يجعل الآخر تعيساً، المهم أن تقرر أنت أين تكون سعيداً" قال سجال: "لقد كنت مع واصل" فهم عمرو كل ما سيقوله سجال، ولكنه تركه يصف ما شعر به فقال سجال: "لقد اعتذرت له وجلسنا معاً" قال عمرو: "وهل كنتَ سعيداً معه؟" أشار سجال بالإيجاب فقال عمرو: "تهانينا" لم يعرف سجال ما يقول، بل ربما شعر بالخجل قليلاً فقال عمرو: "هناك أمر آخر يجب أن تعرفه، السعادة يمكن لها أن تكون في أشياء كثيرة، ليس من الضرورة أن تكون في شيء واحد" فكر سجال قليلاً، إنه يكون سعيداً إلى جوار واصل كما يكون سعيداً إلى جوار... رند.

ربت عمرو على كتف سجال قائلاً: "أنا واثق أنك ستعيش سعيداً، فقط ركز على ذلك" وغادر الغرفة.

ظل سجال جالساً يفكر، إذا سامحه واصل على ما فعل فهل يعقل أن تسامحه رند؟

★★★

فتحت فرح عينيها لتنظر إلى كرم الذي لم ينم بعد، إنه ممدد في

الفراش يفكر، نظرت إليه جيداً، إنه حتى لم ينتبه أنها مستيقظة.

قالت: "ألم تنم بعد؟" أشار كرم بالنفي دون أن ينظر إليها، جلست فرح ووضعت يدها على خد كرم قائلة: "ما الذي جرى؟ ألا تقول شيئاً؟" ولكن كرماً ظل صامتاً فقالت فرح: "هل هو بشأن الشركة؟ أستطيع أن أتحدث إلى والدي في أي شيء" رفع كرم يدها عن خده قائلاً: "سبق أن أخبرتك أن هناك ثلاثة أشخاص في حياتي" قالت فرح: "هل حدث مكروه لواصل؟" أشار كرم بالنفي فسكتت فرح، إنها رند ثانية، فقالت: "ماذا الآن؟ ألم تنته من الأمر في المرة السابقة؟" وضع كرم يده على رأسه لا يدري ماذا يفعل، فقالت فرح: "وسأخبرك ثانية أنك تستطيع الحديث إليها، أنتما متفاهمان جداً" قال كرم: "بت أشك في ذلك" "على الأقل تعرفان بعضكما جيداً، لقد عشتما معاً طول الوقت" "بت أشك أنني أعرفها" بات الوضع أسوأ، فقالت فرح: "انهض" نظر كرم إليها فقالت: "تحدث إليها، لن تكون نائمة" "ماذا سأقول؟" "ما تريد أن تقول، أي شيء" "لست أدري ماذا أفعل" "ليس مهماً، فقط ادخل غرفتها وستتحدثان، إذا فتحت الموضوع فقد يكون لديها الكثير لتقول" ظل كرم صامتاً فدفعته فرح خارج الغرفة قائلة: "عد عندما تنهي حديثك معها نهائياً" وأغلقت الباب خلفها.

ظل كرم في الممر لا يصدق ما يجري، ولكنه أمام غرفة رند الآن، ماذا سيقول؟ بل كيف سيبدأ؟ بل هل عليه أن يظل مسيطراً على أعصابه؟ سيفور بأية لحظة.

أخذ كرم نفساً عميقاً قد يسيطر به على أعصابه ودق الباب ودخل، فعلاً كانت رند ماتزال مستيقظة جالسة على الفراش، نظرت إلى كرم

قائلة: "أهلاً، لم أرك اليوم" أغلق كرم الباب خلفه قائلاً: "رند، لدي ما أسألك عنه" "تسألني؟" اقترب منها ببطء يحاول أن يكون هادئاً ولكن قلبه كان يخفق بشدة، ويداه ترجفان لولا أنه وضعهما في جيبه. وقف أمامها فقالت: "ما الأمر؟" قال كرم: "لماذا تجمعين أشياء لا تحتاجين إليها؟" سكتت رند لا تدري ما تقول فقال كرم: "خاصة إذا كانت أشياء الآخرين" هنا انتهى كل شيء بالنسبة لرند، لقد علم كرم، علم بكل شيء، قالت رند دون أي تفكير: "أخبرك واصل" ولكن هذه الكلمة فاجأت كرماً أكثر من أي شيء آخر، قال: "واصل!" شعرت رند أن كرماً لا يعرف شيئاً عما جرى، ولكنها لم تقل شيئاً، فقال كرم: "ما علاقة واصل بالأمر؟" ولكن رندَ لم تستطع قول أي شيء، أمسك كرم يد رند قائلاً: "ماذا يعرف واصل؟" قالت رند قلقة: "لا أدري".

هنا ظل كرم صامتاً، إنه يحاول قدر الإمكان ألا ينفعل، ترك يد رند وقال: "لطالما كانت ثقتي بكل كلمة تقولينها وكأنها كلمة أقولها أنا لذات نفسي" طأطأت رند رأسها تعلم أن هذا ما كان سيزعج كرماً، قالت: "لذلك لم أكن أريدك أن تعرف" قال كرم: "اصدقيني القول يا رند، هل ما أخبرني به سجال كان صحيحاُ؟" ظلت رند صامتة، تلك كانت أول مرة تكذب رند فيها على كرم، ولكن سكوتها كان كافياً بالنسبة لكرم، قال كرم: "لماذا؟" لم تقل رند شيئاً، فنظر كرم إليها قائلاً: "لقد كنتِ في الخارج عندما دخلتُ الغرفة، فجأة رأيت شخصاً في الساحة وكنتِ قد عدت إلى الغرفة، لقد كنت ترتدين ثياباً سوداء، لماذا يا رند؟" لم تستطعٍ رند قول أي شيء فنظر كرم إلى الخزانة حيث الأشياء المخبأة قائلاً: "معظم الأشياء لا تحتاجينها، أنا واثق أنك لا تحبينها، هل تخجلين من طلب شيء كهذا مني؟" قالت رند بصوت

خافت: "لا" قال كرم: "هل قصرت معك في شيء؟" قالت رند أيضاً: "لا" قال كرم: "إذن لماذا؟".

بعد هدوء قالت رند: "لأنها أشياء مهمة" حدق كرم بها يحاول أن يفهم ما تقول، تابعت رند قائلة: "إنها مهمة لأصحابها، رغم أن معظمها أشياء بسيطة ولكنهم كانوا فخورين بها دوماً" قال كرم: "فما المشكلة في ذلك؟" قالت رند منزعجة: "لماذا يكون لديهم هذا الإحساس بأهمية الأشياء التافهة؟ أنا ليس لدي شيء مهم!" لم يستطع كرم فهم أي شيء مما تقول رند ولكنها تابعت قائلة: "أنا لا أعرف ما يشعرون به، لا أريدهم أن يشعروا به أصلاً" قال كرم: "أوتسلبينهم لأنك لا تملكينه؟" سكتت رند فقال كرم: "إذا لم تعرفي شعور الأشياء المهمة فأنت أيضاً لا تعرفين كم هو قاس هو الشعور عندما يفقد الانسان هذا الشيء المهم" قالت رند: "بل أعرف" سكت كرم فقالت رند: "أعرفه كل يوم وكل لحظة" هنا لم يستطع كرم قول أي شيء، إنه يعرف أن رندَ تعني والداها، ربما أمها على الأرجح، هنا يعجز كرم عن فعل أي شيء، أو حتى الجدال حول أيٍ موضوع، لقد مر زمن لم يسمع فيه شيئاً عن والديه أصلاً، هو أيضاً يعرف الشعور الذي تتحدث عنه رند، قال: "أوترغبين في سلبهم أهاليهم أيضاً؟" رفعت رند رأسها تنظر إلى كرم الذي كان ينتظر الإجابة فأشارت بالنفي، تنهد كرم قائلاً: "أنا لا أستطيع فعل شيء حيال ذلك، لقد عجزت" للحظة تذكرت رند أن كرماً أيضاً يفهم ما يعني أن يفقد الشخص والديه، لقد كان صغيراً هو الآخر، ولكنه قال: "هل يعلم هذا أحد غير واصل؟" قالت رند: "سجال" حدق كرم بها ثم تنهد ثانية وقال: "وهل يعلم هذا أحد غير واصل و... سجال؟" أشارت رند بالنفي، عندها قال كرم: "هل

ستفعلين ما سأطلب منك؟" شعرت رند بجدية الموقف فأشارت بالإيجاب مهما كان الأمر.

لم يقل كرم شيئاً لرند عما سيفعل، غادرت في الصباح إلى المدرسة ثم عادت إلى المنزل حيث كان كرم بانتظارها، نظر إليها قائلاً: "هل أنت جاهزة؟" قالت: "جاهزة لماذا؟" قال: "لما سأطلب منك" أشارت رند بالإيجاب، عليها أن تفعل ما سيطلبه كرم مهما كان.

خرج معها إلى أن وصلا عمارة كبيرة، دخل كرم ومعه رند وصعدا إلى طابق، كان من الواضح أن كرماً يعرف أين يذهب.

أخيراً قرأت رند لافتة على الباب قبل أن يدخلا "طبيب نفسي" شعرت رند برجفة في داخلها، وقف كرم أمام الباب ثم نظر إلى رند وقال: "لن أجبرك على الدخول، هنا ستجدين مساعدة لكل ما تحتاجين، هل ستدخلين؟" شعرت رند برهبة لذلك، ولكن كرماً ظل واقفاً، لن يتحرك قبل أن تتحرك رند.

ظلت رند واقفة فقال كرم: "إنها خطوة، إما إلى الأمام أو إلى الخلف، لن تستفيدي شيئاً إذا دخلت مجبرة هنا، أريدك أن تفهمي تماماً أنك ستجدين هنا حلاً لأمور كثيرة ربما عجزتُ عن توفيرها" نظرت رند إلى كرم تريد أن تقول له أنه لم يقصر في شيء معها ولكن لم تعرف كيف تصوغ ذلك الآن بعد كل ما فعلت، ولكن كانت هناك طريقة واحدة تعرفها الآن، هي خطوة إلى الأمام ليرتاح بال كرم.

فعلاً خطت رند الخطوة إلى الأمام ودخلت المكتب، ارتاح بال كرم لذلك ودخل معها.

رحبت السكرتيرة بهما وأدخلتهما إلى المكتب حيث كان الطبيب هو عمرو.

رحب عمرو بكرم كثيراً، علمت رند بطريقة أو بأخرى أن هذا هو والد سجال، تعجبت أن كرماً قد أحضرها إلى شخص قريب منه بعد كل ما جرى، ولكن بكل الأحوال فإن سجالاً يعرف كل شيء عن الموضوع.

شرح كرم بصعوبة ما جاء من أجله ولكن عمراً تفهم الوضع جيداً وكان على أتم الاستعداد للمساعدة.

رند كانت هادئة جداً لا تعرف ما تقول، كان على كرم تركها لتتحدث بحرية أكبر وفعلاً تركها في العيادة، وسيعود لاصطحابها عندما ينتهيان.

هكذا بدأت رند جلساتها مع الطبيب عمرو، كل جلسة كانت أفضل من سابقتها حيث بدأت رند فعلاً تتحدث بكل ما تفكر فيه، وبدأ عمرو يكسب ثقتها بروية، ولكنه كان يعرف أن عليه أن يتحدث أيضاً إلى شخص آخر هو كرم، على الأقل كان عليه أن يقول له: "أنت لست الملام على ما يجري" فقد كان لهذه الكلمة وقعاً مهماً في نفسه.



الفصل الخامس والسبعون

مرت أيام وقد ارتاح بال سجال، كـان يبـدو سـعيداً معظـم الوقـت، مستمتعاً بقضاء أبسط الأوقات مـع عائلتـه أو مـع كفـاح وسـاري أو مـع واصل.

جلست عائلة عمرو مجتمعة في الصالة، الجميع يتحلق حول عمـروٍ كالعادة ينتظرون منه قصة جديدة أو حكاية ما قبل النوم، ولكـن عمـراً لم تكن قد خطرت بباله أية حكاية، لذلك استطاع تفادي الموقف بسؤال سجال إذا كان يستطيع أن يحكي الحكاية اليوم.

كانت هذه المرة الثانية التي سيروي فيها سجال حكاية للعائلة، في المرة الأولى كانت الحكايـة مأسـاة حقيقيـة، ولكـن الأسـوأ أنهـا كانـت حكايته هو، هذه المرة كان على سجال انتقاء حكاية جيـدة، بـل ربمـا مبتكرة من وحي خياله تناسب عقول جميع الجالسين، هـذه أول مـرة سيحاول فيها فعل شيء كهذا.

شجع الجميع سجالاً على سرد حكاية مهما كان مضمونها، وعمـرو كان مصغياً بعناية لكل كلمة سيقولها.

فعلاً فكر سجال جيداً وبدأ الحكاية: "دخل شاب في السابعة عشـرة من العمر مشفى قريباً من منزله فزعاً عندما وصـله خـبر سـقوط أختـه الصغيرة عن سور المنزل أثناء اللعب بـالكرة، سـأل الاسـتعلامات أيـن يجد أخته فبحثوا في الملفـات طـويلاً ولم يجـدوا اسمهـا، بحـث ثانيـة ولكن عبثاً يحاول، هل كان الخبر خاطئاً، أم أنها لم تكن أخته؟ ولكـن عامل المصعد العجوز ربت على كتف الشاب القلق وأشار لـه أن يحضـر

إليه، تبع الشاب العامل فأشار له أن يركب المصعد، أخبره الشاب أنه يبحث عن أخته فأشار العامل له أن يدخل المصعد مجدداً، دخل الشاب المصعد لا يدري ماذا سيحدث، دخل معه أشخاص كل نزل على طابقه الذي يقصد، ولكن الشاب لم يكن يقصد طابقاً معيناً، صعد الطوابق العشرة، في كل طابق ينزل الزوار والمرضى والأطباء، بينما هو يعاود النزول إلى الطابق الأول ليلقى العجوز ثانية، ولكن العجوز أشار له بالنفي وأعاده إلى المصعد! عاود الشاب الصعود ثانية مع الزوار، كل ينزل ويصعد إلا هو، يبقى في المصعد إلى آخر طابق ثم يعاود النزول، ولكن العامل مايزال مصراً على إعادته. بدأ الشاب يظن أن عامل المصعد مجنون، هكذا صعد الشاب ونزل أربع مرات، ومايزال العامل مصراً على بقائه. قرر الشاب أن ينزل في أي طابق وأن يغادر المشفى دون أن يراه عامل المصعد حيث بدأ يشعر بالخوف.

توقف المصعد في الطابق الرابع ونزل كل من فيه، بقي الشاب وحده لأول مرة في المصعد ولكنه قرر أن ينزل مع الناس في الطابق الرابع، ما إن تحرك حتى أغلق باب المصعد أمامه يمنعه من الخروج، كبس الشاب زر المصعد دون جدوى، إنه لا يفتح! تحرك المصعد به وحده إلى الطابق الخامس، قرر أن ينزل هناك ولكن لدهشته لم يقف المصعد على الطابق الخامس! فتح فإذا به أمام حقل كبير، فرك عينيه لا يصدق ما يرى! أين هو بالضبط؟

تقدم الشاب سائراً في الحقل، إنه حقيقي، نظر إلى السقف فإذا بها سماء.

تابع المشي، إنه أجمل حقل يراه في حياته، الأزهار جميلة وكثيرة، والفراشات تطير في كل مكان من زهرة إلى زهرة.

تابع الشاب سيره مسافة كبيرة إلى أن رأى مجموعة أطفال، اقترب أكثر فرآهم يلعبون معاً رغم إصاباتهم.

من الوهلة الأولى استطاع الشاب أن يخمن أن إصابات الأطفال كانت أسوأ من أن تسمح لهم باللعب هكذا، ومع ذلك فهم يلعبون وكأنهم لا يشعرون بأي ألم.

أخيراً سمع صوتاً خلفه يقول: من تزور؟ التفت خلفه بسرعة فإذا بها ممرضة شابة، قال: أختي، لقد أخبروني أنها نقلت إلى هذا المشفى، أشارت الممرضة بالإيجاب وطلبت منه أن يتبعها.

تبع الشاب الممرضة إلى أن وصلا زاوية في الحديقة مليئة بالأسرّة، معظمها كان فارغاً وقد خمن الشاب أنها للأطفال الذين يلعبون، وبعض الأسرة كانت تحوي أطفالاً مرضى.

لمح الشاب أخته في سرير فركض إليها وعانقها بحرارة، أخيراً استطاع أن يجدها، كان سعيداً جداً أنها بخير.

اقتربت الممرضة قائلة: ستتمكن من اللعب عما قريب. شكر الشاب الممرضة كثيراً فقالت: لا شكر على واجب، وتركتهما لتنصرف إلى عملها.

جلس الشاب إلى جانب أخته سعيداً بقربه منها، سألها عما جرى فأخبرته الحكاية، كان من الواضح أن إصابتها كانت خطيرة، ولكنه كان سعيداً جداً بنجاتها.

بعد فترة عادت الممرضة قائلة: حان وقت الوداع، نظر الشاب إلى الممرضة قائلاً: ألا أستطيع البقاء أكثر؟ قالت: تستطيع أن تزور في يوم آخر، سأوصلك إلى غرفتك.

لم يعرف الشاب ما تقصده الممرضة، عليه أن يعود إلى المصعد ليعود

إلى المنزل، ولكن... أين المصعد؟ أين يجده بين هذه الحقول؟

سأل الممرضة عن المصعد فتوقفت عن المشيٍ وقالت: لا تستطيع أن تجد المصعد، هو من يجدك. جفل الشاب قائلاً: ومتى سيكون ذلك؟ قالت: لا أحد يعلم.

بدأ القلق يتسرب إلى نفس الشاب، عليه العودة إلى المنزل، ولكن الممرضة لم تقل شيئاً على الإطلاق وتابعت السير.

وصل منزلاً صغيراً ريفياً وأشارت له الممرضة أن هذا هو المنزل الذي ستسكنه، لم يعرف الشاب ما يجري، كان المنزل جميلاً ولكن... كان بحاجة إلى المصعد.

دخل المنزل، كان كل شيء ريفياً إلا شيئاُ واحداً، المصعد! لقد كان أمامه مقابل الباب الرئيسي، تركت الممرضة الشاب عندما دلف إلى المصعد، ضغط على المفتاح ففتح الباب على حائط مغلق نُحت فيه أربعة أشخاص واقفين، لم يعرف الشاب ماذا يفعل، ولكن المصعد أغلق بعد خمس ثوان!

عاود الشاب الضغط على المفتاح ففتح المصعد بعد خمس دقائق على حائط نحت عليه شخصان جديدان، ثم أغلق بعد خمس ثوان.

شعر الشاب أنه فعلاً المصعد ذاته ولكنه غير قادر على الدخول، بل إن الناس هم الزوار لا يرونه ولا يستطيع أن يجلس إلى جانبهم.

اقتربت الممرضة منه ثانية وقالت: لقد حضرت وأنت وحدك في المصعد، عليك أن تنتظر أن تكون وحدك ثانية.

علم الشاب أنه يجب أن لا يراه أحد في المصعد فظل يكرر المحاولة مراراً وتكراراً دون جدوى، كيف صدف أن كان وحده في المصعد في ذلك الوقت ليس يدري، ولكن مشفى كهذا يندر فيه أن يكون المصعد خالياً

بين الطابق الرابع والخامس، ولكنه لم ييأس وظل يحاول.

استمر بالمحاولة ساعات بل أياماً دون جدوى، عاود زيارة أخته ثم تجربة المصعد لأسابيع.

بدأ اليأس يتسلل إلى نفس الشاب، بات منظره يجلس أمام باب المصعد مألوفاً للجميع، حتى أنهم بدأوا يلقبونه بفتى المصعد.

ظل الوضع على هذه الحال إلى أن نفد صبر الشاب، وحمل فأساً وجهه إلى باب المصعد، ما إن فتح الباب على الجدار حتى هوى الشاب بفأسه ليكسر الحائط.

كان على الحائط رجل وفتاتان، ضرب الشاب بفأسه على الحائط فقاربت ضربته رجل الرجل فتغيرت ملامحه وتألم.

ارتعب الشاب من هذا المنظر وأغلق المصعد، عندها ركضت الممرضة إليه وأمسكت الفأس قائلة: ماذا تفعل؟ إنهم أناس حقيقيون، يجب أن لا تؤذيهم!

بدأ الشاب يشعر بالخوف، إنهم فعلاً أمامه ولكنهم لا يرونه.

عاود الشاب الجلوس أمام المصعد من جديد، ولكن بلا فائدة، عندها خطرت بباله فكرة، لا حل غيرها.

حمل فأسه من جديد وانتظر إلى أن فتح باب المصعد، كان هناك شابة مع ثلاثة أطفال، لم يستطع الشاب فعل أي شيء لهذا المظهر، إنها لا شك أمهم.

انتظر إلى أن فتح المصعد ثانية، هناك ثلاثة شباب، حمل فأسه وضرب قريباً من طرف أقدامهم، شعر ثلاثتهم بضربة آذتهم، ولكن أحداً لم يعرف من أين، وأغلق المصعد.

ظل الشاب يفعل ذلك بكل من يصل إليه، إلى أن بات المصعد مخيفاً

لدى الناس، وانتشرت الإشاعات أن من يصعد المصعد سيصله عقاب ما.

أخيراً بدأ الناس ينفضون عن المصعد شيئاً فشيئاً، إلى أن تحقق الحلم أخيراً، إنه المصعد، يفتح ليس على جدار ثقيل، بل على غرفة صغيرة يكاد ينسى الشاب أنها حجرة المصعد.

ظل واقفاً لثوان يحدق بها، لا أحد هنا، وليس هناك جدار، هذا يعني أنني قادر على الصعود... والخروج.

بدأ المصعد يغلق بابه فركض الشاب ملقياً بالفأس خلفه، أخيراً هو داخل المصعد، ولكنه نظر إلى الباب يغلق فإذا بها أخته تركض إليه صارخة: لا تتركني! ولكن الشاب لم يستطع أن يفرّط بفرصته أبداً. مدت أخته يدها داخل المصعد فخشي أن يغلق عليها الباب، أمسكها ليسحبها معه ليخرجا ولكن أخته بدأت تسحب به إليها ليعود، صرخ الشاب: لنخرج معاً من هنا! قالت أخته: بل ستبقى معي! ظل الباب يغلق، عندها ترك الشاب يد أخته وحال الباب بينهما، هي في الطابق، وهو في المصعد مغادراً.

صرخ الشاب: سأعود لزيارتك يوماً! اعتني بنفسك! ولكن المصعد فتح بابه، شعر الشاب بالخوف والباب يفتح ببطء، نظر أمامه فإذا به الطابق الرابع.

لم يصدق الشاب ذلك، هو أخيراً حر، ركض في الطابق ينظر إلى الناس حوله، إنه أخيراً في المشفى بين الناس، عندها ركض على الدرج هابطاً الطوابق، لا يريد النظر إلى المصعد أبداً.

خرج من المشفى وكان الوقت مساء، نظر خلفه إلى البناية لا ينوي العودة إليها ثانية، ولكنه نظر إلى إحدى النوافذ فإذا بها أخته إلى جانبها المرضة وعامل المصعد يشيرون له سعيدين بخروجه، لم يصدق

الشاب ما رأى، ولكنه أشار لهم أيضاً ثم خطر بباله أن يعد النوافذ في العمارة، بدأ بالعد ثم توقف فجأة لا يريد حتى أن يفكر في الموضوع وتابع طريقه عائدا إلى المنزل."

بذلك أنهى سجال حكايته ونظر إلى وجوه الجالسين، الجميع كان يحدق به دون أن يرمشوا، لنا ومالك كان فمهما مفتوحاً، والجميع مندهشون ساكنون وكأن على رؤوسهم الطير.

قال سجال: "ما الأمر؟ ألم تعجبكم الحكاية؟" عندها تحرك الجميع معاً وكأنهم كانوا في صورة ثابتة وتحركت فجأة، قال ماهر: "بل إنها أعجب حكاية سمعتها في حياتي" قالت سناء: "أنت تجيد حبك الحكايات" قال مالك: "هل قرأتها في مكان ما؟ ما اسم الكتاب؟" قال سجال: "كلا، لقد اخترعتها الآن" قال عمرو: "هذه موهبة عبقرية، لا أكاد أصدق!" نظر سجال إليه قائلاً: "هل كانت جيدة؟" قال عمرو: "كانت رائعة، مدهشة! هل تعلم، عليك أن تجرب الكتابة، سيكون ذلك رائعاً" قال سجال: "الكتابة!" قال ماهر: "تؤلف مجموعة قصصية، سيكون لها إقبال كبير بلا شك" لم يعرف سجال ما يقول، إنه لا يشعر بما يشعرون، قالت لينا: "هل هناك حكاية أخرى؟ بل متى ستخرج الفتاة من المشفى؟ ولماذا لم تخرج مع أخيها؟" قال سجال: "لم أفكر في الأمر" ضحك عمرو قائلاً: "هذه أمور جمالية لستِ مضطرة للتركيز على التفاصيل فيها يا لينا، تكمن الغرابة في الحكاية في هذا الطابق، وليس عليك أن تفهمي تماماً ما يجري فيه" قال مالك: "بل المصعد! هذا الشاب لن يركب مصعداً في حياته" قال سجال: "أظن ذلك" ضحك الجميع فقال عمرو: "أنا جاد، تستطيع أن تكتب قصصاً وسأنشرها لك" صدر صوت من الجميع بالإعجاب فجأة

بينما كان سجال يحدق بهم، ما الأمر؟

قال عمرو: "سيكون الكثير من القراء سعيدين بقراءة شيء كهذا" ما إن سمع سجال كلمة سعيدين حتى قفز قائلاً: "حقاً! هل أستطيع أن أسعد الناس بالكتابة؟" نظر عمرو إلى أولاده قائلاً: "هل كنتم سعيدين بالاستماع لهذه الحكاية؟" قال الجميع معاً: "بكل تأكيد" قال عمرو: "وهم بانتظار حكاية أخرى جديدة" فرح سجال كثيراً بذلك، لقد وجد ما يفعله ليسعد الناس، بنشر كتاب يستطيع أن يقرأه الكثيرون، بذلك يستطيع أن يسعد أكبر عدد من الناس، قالت سناء: "سنسمع حكاية ولكن ليس اليوم، لقد حان وقت النوم" شعر الجميع بخيبة أمل فقالت سناء: "ارحموا سجالاً قليلاً، لا يستطيع أن يروي شيئاً آخر في نفس الجلسة" ولكن سجالاً كان قادراً، بل كان قادراً على رواية الآلاف على شاكلة تلك الحكاية، هذا جعله فعلاً يفكر في الأمر ملياً، نظر إلى عمرو قائلاً: "سأفعل، سأؤلف كتاباً" فرح عمرو بذلك، ربت على شعر سجال ثم قال للجميع: "تصبحون على خير".

★★★

في اليوم التالي خرج واصل إلى المعمل كالعادة، رحب به الموظفون حيث كان واصل قد رفع أجورهم بعد أن حقق المعمل أرباحاً طائلة. جلس يراجع بعض الحسابات عندما دخل كرم عليه.

نظر واصل إليه ورفع السماعة الواقية عن أذنيه قائلاً: "أهلاً" رفع واصل صوته قدر المستطاع ليسمع كرم ما قاله، ولكن كرماً أشار له إلى الخارج ليتحدثا قليلاً.

وقف واصل مع كرم خارج المصنع حيث يستطيعان الحديث بهدوء ودون أن يسمعهما أي شخص.

قال واصل: "هل اليوم عطلة؟" قال كرم: "كلا، سأذهب إلى الشركة بعد أن أتحدث إليك قليلاً" شعر واصل أن الأمر مهم فقال: "ماذا جرى؟" نظر كرم إلى واصل قائلاً: "لماذا لم تخبرني؟" قال واصل: "أخبرك بماذا؟" قال كرم: "بما تعرف عن رند" سكت واصل لا يدري ماذا عرف كرم بالضبط، قال كرم: "لقد بعثتها إلى الدكتور عمرو، قال لي أن كل شيء سيتحسن في بضع جلسات" طأطأ واصل رأسه لا يدري ما يقول فقال كرم: "لقد عرفتَ بالأمر قبلي" قال واصل: "لأنها دخلت منزلي وأمسكتُ بها" قال كرم: "لماذا لم تخبرني؟" "كنتُ أنوي التحدث إلى رند، ولكنها دافعت عن نفسها بشراسة" "كان عليك أن تخبرني" "ماذا؟ لا أستطيع أن أخبرك شيئاً كهذا" سكت كرم فقال واصل: "لم أكن لأتخيل ردة الفعل على وجهك حينها، كنت سأندم بكل تأكيد" سكت الاثنان برهة إلى أن قال كرم: "من الجيد أنني عرفت" قال واصل: "من الجيد أن رندَ قبلت الذهاب إلى طبيب نفسي" "أظن أنها كانت مرغمةُ على ذلك" لم يقل واصل شيئاً فقال كرم: "أردتك أن تكون صريحاً معي، ذاك الأمر يهمني" "أعلم ذلك، ولكنني كنت أريد أن أتحدث إلى رند فقط، لربما استطعتُ فعل شيء دون أن أحزنك" "أنت لا تستطيعٍ فعل شيء لرند، حتى أنا بت لا أستطيع" طأطأ واصل رأسه قائلاً: "أنا آسف" هز كرم رأسه ثم قال: "أنا منفعل" قال واصل: "أعلم ذلك" نظر كرم إلى الساعة وقال: "لقد تأخرت، علي الذهاب" رفع واصل رأسه بسرعة قائلاً: "أنت لست غاضباً مني أليس كذلك؟" قال كرم: "كلا، أنا

فقط مازلت مصدوماً مما يجري" ثم ركب سيارته وغادر.

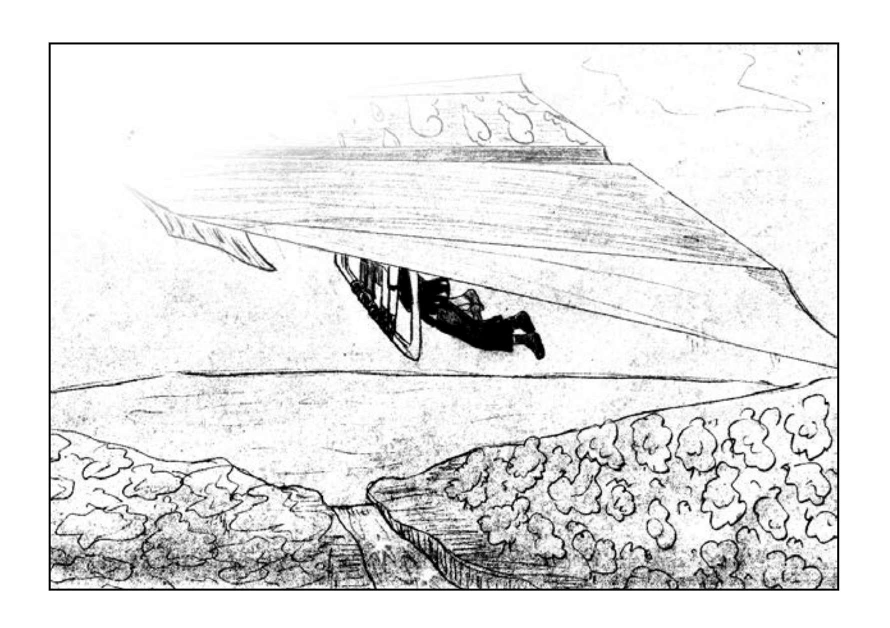
كان واصل يفهم تماماً ما يشعر به كرم، ليس من السهل أن يعرف أن رندَ التي رباها وعاش من أجلها تسرق دون أن يعلم، فكر كيف هو حال رند الآن؟ هل هو أسوأ من حال كرم أم ماذا؟

★★★

سجال اتجه إلى الغابة، هناك استقبله ساري بفرحة غامرة، يبدو أن لديه ما يقول، أمسك يد سجال وسحبه إلى وسط الغابة حيث رأى آخر ما يتوقع، إنها طائرة شراعية كبيرة!

نظر سجال إليها قائلاً: "ما هذا؟" قال ساري: "لقد صنعتُها" نظر سجال إلى ساري ثم عاود التحديق في الطائرة وقال: "صنعتها!" ركض ساري نحوها وقال: "لطالما تمنيت فعل شيء كهذا، أريد التحليق بها إلى الضفة الأخرى" قال سجال: "إنها بعيدة" قال ساري: "يفترض أن تصمد" نظر سجال إلى الجناح حيث أحدهما كان أزرق اللون بينما رسم على الآخر بعض الغيوم، قال ساري: "كنت ألونه، أوشكت على الانتهاء من الجناح الأول، ثم سألون الجناح الثاني" ابتسم سجال قائلاً: "أنت فعلاً مستمتع بشيء كهذا!" عندها أمسك ساري يد سجال قائلاً: "هل تطير معي؟" تعجب سجال من طلبه فقال ساري: "إنها مصممة لتتحمل ذلك" شعر سجال أن سارياً سعيد جداً بما صنع، ابتسم وأشار بالإيجاب.

فعلاً أمسك سجال وساري المقبض وركضا إلى أسفل المنحدر وقفزا فوق البحر لتطير الطائرة بهما فوق الأمواج.



لقد نجحا في الطيران وكان ساري سعيداً جداً، سجال كان فرحاً أيضاً، ولكنه كان أسعد بسعادة ساري التي لا توصف، إنه فعلاً يستمتع بوقته هنا كثيراً.

قضا الاثنان وقتاً في الهواء، قال ساري: "أليس هذا رائعاً؟" قال سجال: "هل كنت تنوي الطيران مع كفاح؟" نظر ساري إلى سجال ثم قال: "أخشى عليه من شيء كهذا" قال سجال: "أولا تخشى علي؟" قال ساري: "إذا حدث أي مكروه نستطيع السباحة" قال سجال: "مكروه! وهل هناك احتمال لسقوطنا؟" ضحك ساري متحمساً وقال: "إنها مغامرة" لم يكد سجال يصدق أن سارياً يجرب شيئاً كهذا به، ولكنهما وصلا بأمان إلى الضفة الأخرى ونزلا على الأرض بسرعة وتدحرجا.

ساري كان يضحك فرحاً بتجربته، لقد حققها بنجاح فعلاً. سجال كان يضحك كلما نظر إلى ساري مستمتعاً بما يفعل، حدق ساري في

السماء قائلاً: "هناك، لقد كنا للتو هناك" نظر سجال إلى السماء وقال: "لقد كان ذلك جميلاً حقاً" قال ساري: "كنت أعرف أنني قادر على صناعتها" قال سجال: "لم أكن لأشك بذلك" وقف ساري ونفض الغبار عن ثيابه بعد السقوط وقال: "هذه غابة مختلفة، حتى الأشجار هنا غريبة" وقف سجال قائلاً: "إنها ليست غريبة، ولكنها مختلفة عن الغابة السابقة" قال ساري: "هل تستكشفها معي؟" أشار سجال بالإيجاب حيث كان من الواضح على ساري أنه يرغب في ذلك كثيراً، بل ويبدو كأنه يحقق أحلاماً لم يعرف سجال أنها كانت أحلامه.

تجولا في الغابة ووجدا أنهاراً جميلة فيها، قال ساري: "في غابتي لا توجد أنهار" قال سجال: "تستطيع أن تغير مكان سكنك، اسكن هنا وتنقل بالطائرة" ضحك ساري سعيداً بفكرة كهذه ولكنه قال: "المنزل هو المنزل، لقد اعتدت على تلك الغابة" سكت سجال، فهم ساري فوراً ما في عيونه حيث كل هذا المكان وكل هذا الزمان ليس منزلهما، عندها قال ساري: "هل تعلم، تساءلت مرة كم يفترض أن يكون عمر كفاح بالنسبة لي" توقفا عن السير وحدق سجال في السماء قائلاً: "إذا حسبت فارق التواريخ، من المفترض أن يكون هناك فارق ستة عشر عاماً" قال ساري: "لقد بقينا هنا ما يقارب العامين ونصف أليس كذلك؟" قال سجال: "تستطيع أن تحسب أعمارهم بجمع ستة عشر عاماً إلى العمر الذي شاهدناهم به أول مرة" ابتسم ساري قائلاً: "بذلك يكون كفاح في السادسة والعشرين من العمر!" نظر سجال إلى ساري الذي جلس على العشب ثم ألقى بنفسه محدقاً في السماء فقال سجال: "هذا كثير أليس كذلك؟" قال ساري: "لا أظنه سيتذكرني" ابتسم سجال قائلاً: "هل تنوي أن تقابله عندما نعود؟" ضحك ساري قائلاً: "سيكون ذلك غريباً

جداً"   "سيكون منشغلاً في أغلب الأحيان، ولا وقت للعب" أشاح ساري بنظره فشعر سجال أنه انزعج مما قال، ألهذه الدرجة يهم ساري أمر اللعب مع كفاح؟ عندها قال ساري: "ورند تكون أيضاً في السادسة أو السابعة والعشرين، من يدري، ربما تكون قد تزوجت" مع أن سجال كان يعرف جيداً أن رندَ ستكون أكبر منه بكثير، ولكن هذه الكلمات كانت أكثر من مزعجة بالنسبة له، نظر ساري إليه قائلاً: "ماذا؟ ألم تفكرٍ في ذلك؟" نظر سجال إليه قائلاً: "ماذا تعني؟" جلس ساري قائلاً: "أنا أعلم أنك تحبها" أشاح سجال برأسه قائلاً: "الوضع مختلف" تذكر سجال ما فعله مع رند، قد يكون ما فعله فعلاً لا يغفر، ولكن إذا ما فكر ملياً يكتشف أنها الوحيدة التي لم يستطع مواجهتها عندما ترك الجميع، بل استخدم كرماً للانفصال عنها، لم يستطع أن يواجهها بما تكره على الإطلاق كما هو الآن غير قادر على مواجهتها والاعتذار عما فعل. قال ساري دون اكتراث: "لا يهمني ذلك، انس الأمر، ماذا عن عمرو؟" فكر سجال، بعد ستة عشر عاماً من الآن ماذا سيكون وضع عمرو يا ترى؟

ظل صامتاً يحدق في السماء، عندها عاود ساري التمدد على العشب وقال بصوت خافت: "مع كل ذلك أريد العودة" نظر سجال إليه فتابع ساري قائلاً: "ما زلت أشعر أن هذا المكان ليس مكاني، أشعر أنني مجرد متطفل لا يُحسب له حساب هنا، حتى أنني لم أولد بعد" فكر سجال في الأمر، مرٍ ما يقارب السنتين، هذا يعني أن فارق السنين الآن هو أربعة عشر عاماً، هل من المفترض أن يكون قد وُلد؟ عندها قال ساري: "كل ما أعرفه هو أنني لا أريد أن أموت هنا" نظر سجال إلى ساري، لقد بات يكرر هذه الجملة مراراً، نظر ساري إلى سجال

قائلاً: "أنت لن تتركني أليس كذلك؟" ابتسم سجال قـائلاً: "لقـد اتفقنـا علـى ذلـك مـراراً" قـال سـاري: "لا أريـد أن أكـون وحيـداً هنـا" قـال سجال: "لستَ وحيداً، لديك من يشاركك المصيبة نفسها" سكتا قليلاً ثم بدآ يضحكان معاً، فشر البلية ما يضحك.

نظر سجال إلى الطائرة عندما أمسكا بها ينويان العـودة، قـال: "مـن الجميل أن تصنع شيئاً كهذا" ابتسم ساري قـائلاً: "كنـت ألـون الجنـاح الأول، بقي الجناح الثاني" قال سجال: "هل تعلم، أريد أن أكتب" نظر ساري إلى سجال قائلاً: "تكتـب! مـذكرات؟" قـال سـجال: "بـل قصصاً وروايـات" "هـل تسـتطيع فعـل ذلـك؟" "لم لا، سـأجرب" ابتسـم ساري قائلاً: "وهل سأقرؤها؟" قال سـجال: "بكـل تأكيـد، لقـد وعـدني السيد عمرو أن ينشرها" "في هذا الزمان؟" سكت سـجال قلـيلاً فقـال ساري: "ما الفرق، ليس مهماً، سيكون تشـابه أسمـاء لا أكثـر" سـاري محـق، بـل ربمـا لا يـذكر أحـد الكتـاب بعـد سـتة عشـر عامـاً، قـال ساري: "عليك أن تكتب شيئاً مثيراً" "مثيراً!" نظر ساري إلى سـجال الذي لم يفهم ما يعني فقـال سـاري يائسـاً: "اكتـب مـا يحلـو لـك" ثـم انطلقا.

★★★

فرح جلست مع كرم تسأله: "أين تذهب رنـد؟" كـرم لم يخـبر فـرح عن أي شيء يدور بينه وبين رند على الإطلاق، وليست لديـه النيـة أن يخبرها، قال: "دروس خصوصية" قالت: "هل هـي بحاجـة إلى ذلـك؟" قال كرم: "كل الحاجة" سكتت فرح قليلاً ثم قالت: "أنت لا تبـدو علـى مـا يـرام، مـا الـذي جـرى؟" نظـر كـرم إليهـا وابتسـم قـدر المسـتطاع

وقال: "ليس هناك أي شيء، أنا بخير" سكتت فرح وهي تعلم أنه يكابر، عندها رن الجرس ودخلت رند.

فرح أيضاً كانت تحس أن رندَ قد تغيرت، إنها هادئة جداً وكئيبة، وقلما تحدثت إلى كرم.

نظرت رند إلى كرم قائلة: "مرحباً" قال كرم: "أهلاً، كيف كان يومك؟" قالت رند بصوت خافت: "كان جيداً" ثم سارت إلى غرفتها، قالت فرح: "ألا تودين تناول شيء ما؟" قالت رند: "فيما بعد" وأغلقت باب الغرفة.

نظرت فرح إلى كرم قائلة: "كلاكما غير طبيعي، لا تستطيعان أن تخفيا شيئاً" لم يقل كرم شيئاً فقالت فرح: "ماذا ستأكل؟" نهض كرم قائلاً: "أي شيء" ثم اتجه إلى غرفة رند.

فتح الباب فكانت جالسة على الفراش تحدق في الأرض، قال كرم: "هل أدخل؟" قالت رند: "لدي رسالة لك من الدكتور عمرو" أغلق كرم الباب خلفه فقالت رند: "لستَ الملام على كل ذلك" لم يقل كرم شيئاً فنظرت إليه رند قائلة: "لطالما أردت أن أقول لك ذلك" قال كرم: "فلماذا إذن؟" لم تقل رند شيئاً فاقترب كرم قائلاً: "أنا أعتبر هذا فشلاً لي، لم أستطع أن أعوضك عن أي شيء" قالت رند: "لستَ مضطراً لتعويضي عن أي شيء، فأنت أيضاً فقدت والديك مثلي" قال كرم: "أولم أكن والدك ووالدتك يوماً؟" بعد برهة أشارت رند بالنفي، سكت كرم حيث جف حلقه ولم يعد لديه ما يقول، ولكن رندَ نظرت إليه قائلة: "ليس من المفترض عليك أن تكون، أنت أخي، وأفضل أخ في هذه الدنيا، هذا ما يفترض أن تكون وأنت كذلك" لم يستطع كرم أن يقول شيئاً فتابعت رند قائلة: "أنا أعرف أنه لا يملك أحد أخاً مثلك في هذه

الدنيا، وأنا فخورة بك" طأطأ كرم رأسه فقالت رند: "لم أكن أريـدك أن تعرف شيئاً مما يجري لأنني كنت أعلـم أنـك سـتلوم نفسـك، أنـت لم تعلمني شيئاً من هذا ولم تكن لترضى عنه" لم يستطع كـرم قـول شـيء بعد فأمسـكت رنـد بـه قائلـة: "سـأعيد كـل مـا أخـذت، وسيسـاعدني الدكتور عمرو، ولكن الأهم أن تكون راضياً ومرتاحـاً" قـال كـرم: "لقـد كنتِ تفتقـدين والـدينا طـول الوقـت؟" لم تقـل رنـد شـيئاً فشـعر كـرم بالحزن ولكنها قالت بسرعة: "لا أريد أن أفقد أخي الوحيد" نظـر كـرم إليها ونزل على ركبته ووضع يده على خدها قائلا: "لن أتركك أبـداً يـا رند" قالت: "لا أريدك أن تكون منزعجاً مني" ابتسم قـائلاً: "إذا أعـدتِ كل ما أخذتِ إلى مكانه وكففت عن فعـل ذلـك ثانيـة فلـن أكـون حزينـاً أبداً" "هل تعدني؟" "أعدكِ بماذا؟" "أن نعود كمـا كنـا، أن تثـق بي من جديد" لم يكن ذلك سهلاً بالنسبة لكرم بكل تأكيد ولكنه ابتسم قائلاً: "أعدك" فرحت رند بذلك فقال كرم: "تعالي نتناول الغـداء معـاً" وافقت رند علـى الفـور وقفـزت تعـانق كرمـاً ثـم ذهبـا إلى المطـبخ معـاً ليتناولا الغداء مع فرح التي لاحظت التغير المفاجئ على وجهيهما.



الفصل السادس والسبعون

مرت الأيام وبدأ سجال يكتب بكل حماسة، عمرو كان سعيداً جداً به، ولكن سجالاً لم يكن يسمح لأحد بقراءة ما يكتب قبل أن ينهيه.

كان سجال يكتب في أي وقت، وغالباً ما ينام على المكتب والقلم في يده فيضطر عمرو لحمله إلى الفراش، وأحياناً يكتب في الفصل ويمنع سارياً وكفاحاً من قراءة ما يكتب.

كان سجال مستمتعاً رغم أنه لم يكن واثقاً أن ما يكتبه سيعجب أحداً، عمرو كان دائماً يشجعه مهما كان ما يكتب، فمنظره ممسكاً بالدفتر والقلم كان كافياً لبعث السعادة في العائلة كاملة.

رند أعادت معظم الأدوات التي سرقت، كل ليلة تعيد إحداها خلسة كما أخذتها، حتى أنها حفرت حيث خبأت مع كفاح بعض الذكريات لتعيد منها ما كان مسروقاً ،وبات حالها يتحسن وعلاقتها بكرم تعود إلى مجراها.

أما واصل فقد قارب موعد ولادة مرام وبات شغله الشاغل، سيكون أباً عما قريب.

★★★

بعد أيام وأثناء دوام كرم في الشركة دخل عليه شخص حدق به كرم جيداً، إنه يعرفه، أين شاهده من قبل؟ كانت لحظات إلى أن نطق ذلك الشخص: "كرم! أنت كرم أليس كذلك؟" نهض كرم وتذكر الشخص أخيراً وابتسم قائلاً: "دكتور علي! أهلاً بك، متى عدت من السفر؟"

ضحك الدكتور وسلم على كرم قائلاً: "منذ أسبوعٍ، أرى أنك تخرجت وبت تعمل في شركة محترمة" ابتسم كرم قائلاً: "الحمد لله، ما أخبارك أنت؟ هل كانت السفرة موفقة؟" قال الدكتور: "الحمد لله، أنجزت كل ما أردت أن أنجز" عندها أشار كرم للدكتور بالجلوس وطلب كوبين من القهوة ليتحدثا.

الدكتور علي كان المشرف على مشروع واصل للتخرج (دريم) في الجامعة، سأل الدكتور عن أخبار واصل فقال كرم: "إنه يملك معملاً، وقد تزوج وستلد زوجته عما قريب" "ما شاء الله! الأيام تسير بسرعة، قبل لحظات كان يركض في الجامعة حاملاً دميته بين ذراعيه، دريم على ما أظن، كان اسمه دريم" أشار كرم بالإيجاب وقال: "دريم الآن بات متطوراً جداً، لن تعرفه عندما تراه" سكت الدكتور قليلاً ثم قال: "هل ظل يعمل به؟" تعجب كرم لجدية الدكتور المفاجئة فقال: "إنه حلم حياته وقد أبدع به بما فيه الكفاية" شعر الدكتور باستياء لما يسمع فقال كرم: "ما الأمر؟" نظر الدكتور إلى كرم وسأله: "كيف هي صحة واصل؟" تعجب كرم أن يسأله الدكتور عن صحة واصل فجأة، ولكنه قال: "بخير، نوعاً ما" قال الدكتور: "كن صريحاً معي، هل هو بخير؟" لم يعرف كرم ما يقول، كان من الواضح أن الدكتور يتوقع الأسوأ، قال كرم: "لماذا تسأل؟" تنهد الدكتور وقال: "يبدو أنك لا تعرف شيئاً، بل يبدو أنه لم يخبر أحداً على الإطلاق" "يخبر ماذا؟" قدم موظف القهوة لكرم والدكتور علي وغادر تاركاً الجو في توتر غريب.

انتظر كرم الدكتور ليقول ما لديه وحده، أخيراً فتح الدكتور فمه مقرراً أن يخبر كرماً فهو أعز صديق لواصل: "دريم، إن داراته مؤذية

لمستخدمه" تفاجأ كرم لما سمع، لم يخبره واصل عن شيء كهذا من قبل! تابع الدكتور قائلاً: "إنها تؤثر على إشارات الدماغ لدى واصل، يجب أن لا يظل يستخدمه فلا أحد يعلم ماذا يمكن أن يجري" جف حلق كرم، واصل مريض! نعم إنه يعلم ذلك، ولكن بسبب دريم! قال الدكتور: "لم أتصور أن يكون متهوراً إلى هذه الدرجة ليضحي بصحته مقابل لعبة. الشباب، لا أحد يستطيع أن يفهمهم" ظل كرم مصدوماً لا يكاد يسمع ما يقوله الدكتور، كان واصل مريضاً طول الوقت بسبب دريم! إنه يعاني فعلاً، ولكن... لماذا يصر على العمل بدريم إذا كان السبب؟ وإذا كان يعلم أنه السبب؟ نظر كرم إلى الدكتور وقال: "هل يعلم واصل ذلك؟" قال الدكتور: "حذرته قبل أن أسافر، ولكنني أظن أنه لم يستمع لنصيحتي" لم يستطع كرم أن يصدق ذلك، لقد كان يؤذي نفسه! إنه يعلم أنه لو أخبر أحداً لمنعه بالقوة من متابعة العمل.

لاحظ الدكتور التغيرات التي طرأت على وجه كرم عندما علم الخبر ففضل المغادرة، استأذنه وغادر المكتب بينما بالكاد استوعب كرم ذلك.

لم تمر ثوان على جلوس كرم على مكتبه مصدوماً لما سمع حتى نهض بسرعة وغادر الشركة متجهاً إلى معمل واصل.

★★★

وصل كرم المعمل بأقصى سرعة، هناك كان كل شيء هادئاً ولا صوت لأي آلة على غير العادة، والوقت مايزال مبكراً على الإغلاق.

وقف كرم أمام الباب، لا يوجد أي صوت على الإطلاق، حتى أنه بات يسمع صوت الرياح في المكان.

حمل هاتفه واتصل بواصل، رن الهاتف كثيراً ولكن لا مجيب!

سار قليلاً ليغـادر المكـان واتصـل ثانيـة، كـان المكـان هادئـاً بشـكل مريب، ولكنه سمع صوتاً خفيفاً صادراً من مكان ما، رفع السماعة عـن أذنه ليسمع فإذا به يسمع لحناً مألوفاً، إنه صوت هاتف واصل.

لم يجب أحد بعد، أقفل كرم الهاتف فتوقف صوت الرنين.

اقترب كرم من البناية أكثر ورن ثانية، لقد تأكد أن هاتف واصل في الداخل.

اقترب من الباب وأمسك المقبض وفتحـه فـإذا بالبـاب غـير مقفـل! دخل بهدوء، لا أحد هنا. سار قليلاً ونادى: "واصـل! هـل أنـت هنـا؟" ولكن أحداً لم يجب.

رفع هاتفـه ثانيـة واتصـل، بـات صـوت رنـين هـاتف واصـل أكثـر وضوحاً، اتجه كرم حيث يسمع ودخل مكتباً في الطابق الأرضي فإذا به واصل نائم على المكتب وهاتفه يرن في جيبه.

اقترب كرم من واصل، إنه لا يسمع رنين هاتفه! هزه ليوقظه وفعلاً استيقظ.

نظر واصل إلى كرم متعجباً من وجوده هنا، سـأله كـرم: "هـل كنـت نائماً؟ لقد اتصلت بك عدة مرات" نظر واصل إلى هاتفـه، لقـد رن أربـع مرات! قال: "آسف، أظنني كنت مستغرقاً" لم يكـن يبـدو علـى واصـل أنه بخير، كان الإرهاق واضحاً عليه، قـال كـرم: "أيـن العمـال؟" قـال واصل: "اليوم صيانة، لم يحضر أحد، حضـر بعـض الفنـيين وغـادروا" "ولم لم تغـادر أنـت؟" نظـر واصـل إلى أوراقـه حولـه وقـال: "كـان مـن المفترض أن أغادر، ولكـن أظـن أن النعـاس غلـبني" مـع ذلـك كـان مـن الواضح أن واصلاً يعاني شيئاً أكثر من النعاس.

نظر واصل إلى كرم قائلاً: "من الغريـب أن تـأتي الآن! ألـيس هنـاك

دوام؟" تذكر كرم ما جاء من أجله فقال: "واصل، كيف هي صحتك؟" نهض واصل يرتب الأوراق على المكتب وقال: "عن أي شيء تقصد؟ الحادث أم ما قبل الحادث؟" كان جواب واصل كمن يسخر من السؤال، ولكن كرماً كان جدياً وقال: "لماذا خبأت الأمر" نظر واصل إليه قائلاً: "أمر ماذا؟" قال كرم: "أمر دريم" وضع واصل الأوراق من يده وقال: "ما بال دريم؟" قال كرم: "لقد عاد الدكتور علي من السفر" سكت واصل لحظة ثم ابتسم قائلاً: "حقاً! الحمد لله على سلامته" قال كرم: "لقد أخبرني أنه قد حذرك، ولكن يبدو أنك لم تستمع إليه" لم يعد هناك مجال للشك، كرم بكل تأكيد عرف قدراً جيداً من المعلومات عن الموضوع، طأطأ واصل رأسه وابتسم قائلاً: "لقد فات الأوان لذلك" قال كرم منزعجاً: "لقد حذرك ومع ذلك أصررت" رفع واصل رأسه والابتسامة ماتزال على وجهه يحاول تهوين الأمر قدر الإمكان وقال: "لم أفهم ما يقصد، نعم لقد استهترت بالأمر في البداية إلى أن اكتشفت ما يقصد بعد فوات الأوان" سكت كرم فقال واصل: "لم أتصور أن يحدث شيء من هذا القبيل، لم أعرف إلا عندما بت أراجع الأطباء" قال كرم: "ولكنك ما تزال تعمل به" "لأنه قد فات الأوان للتراجع" سمع كرم كلمة فات الأوان بما فيه الكفاية فقال واصل: "ما أصابني لا شفاء له، ما الفائدة أن أترك دريم الآن؟" قال كرم: "ألا تصبح حالك أفضل إذا ما تركته؟" أشار واصل بالنفي، عندها سأل كرم: "ألا تسوء حالك إذا استخدمته؟" ابتسم واصل قائلاً: "ليس بعد الآن، لقد عدلته ليكون صالحاً للاستخدام دون أن يؤذي أحداً" فكر كرم قليلاً ثم قال: "ولكنك كنت تستخدمه قبل ذلك" طأطأ واصل رأسه فقال كرم: "أنت تعلم أن فيه خطراً على حياتك، لماذا كنت تستخدمه؟"

أشاح واصل برأسه ثم قال: "ما الفرق؟ لقد كنت مريضاً في كل الأحـوال" أمسكه كرم قائلاً: "لـو كنـت سـتعيش ساعة إضـافية لكـان هـذا سـبباً كافياً!" بعد برهة أشار واصل بالنفي فقال كـرم منزعجـاً: "لكـان هـذا سبباً كافياً لي على الأقل" حدق واصل به حيث بـدأ كـرم يـدمع وتـابع قائلاً: "لمرام، لوالدتك، لابنك" طأطأ واصل رأسه فقال كـرم: "ألم تفكـر بنا؟" بات المكان هادئاً أكثر من العادة، لا يستطيع واصل أن يـرد علـى كرم الآن.



ترك كرم ذراع واصل وقال: "لقد أخفيتَ الأمر عنا لأنك كنت تعلم أننا سنمنعك عنه بالقوة" قال واصل: "أجل" حدق كرم به فقال واصل: "أردت أن أكمله، فهذا يعني لي الكثير" لم يستطع كرم تصديق ما يسمع، حمل حقيبة واصل بسرعة وأخرج منها دريم وأمسك برأسه فنظر واصل إليه بهدوء وقال: "ماذا تنوي أن تفعل؟" قال كرم: "إنه السبب في كل ما يجري" قال واصل بهدوء: "أعلم ذلك، ولكن ما فائدة هذا الآن؟" كان هدوء واصل يشل حركة كرم تماماً، قال واصل: "أنا أعلم أنك لن تكسره، لأجلي لن تفعل" رفع كرم يده عن رأس دريم مستسلماً، إنه فعلاً لا يستطيع أن يفعل شيئاً كهذا بحق واصل. اقترب واصل من كرم وأخذ دريم من بين يديه وقال: "وكنت متأكداً أنك ستفعل ذات الشيء إذا أخبرتك سابقاً" حدق كرم بواصل فابتسم واصل قائلاً: "إنه جميل أليس كذلك؟" لم يستطع كرم تخيل ذلك! دريم يعني لواصل أكثر مما تصور! معٍ أنه كان يعلم أن واصلاً سيكون سعيداً إذا أجابه أن دريم جميل فعلاً ولكنه لم يستطع أن ينطقها.

أعاد واصل دريم إلى حقيبته ونظر إلى كرم الذي كان مايزال واقفاً مكانه فقال: "كرم، هل تعدني أن تعتني بولدي؟" هبت رعشة قوية في جسد كرم وحدق بواصل الذي كان يقول جملته بكل بساطة، قال كرم: "ستعتني به أنت" ابتسم واصل قائلاً: "بالطبع سأعتني به، ولكن هل تعدني أن يكون كولدك؟" خفت الرعشة عن جسد كرم قليلاً وقال: "بل أعز من أولادي" فرح واصل لذلك قائلاً: "كنت أثق أنك ستقول ذلك" ثم حمل حقيبته وقال: "تعال معي" قال كرم: "إلى أين؟".

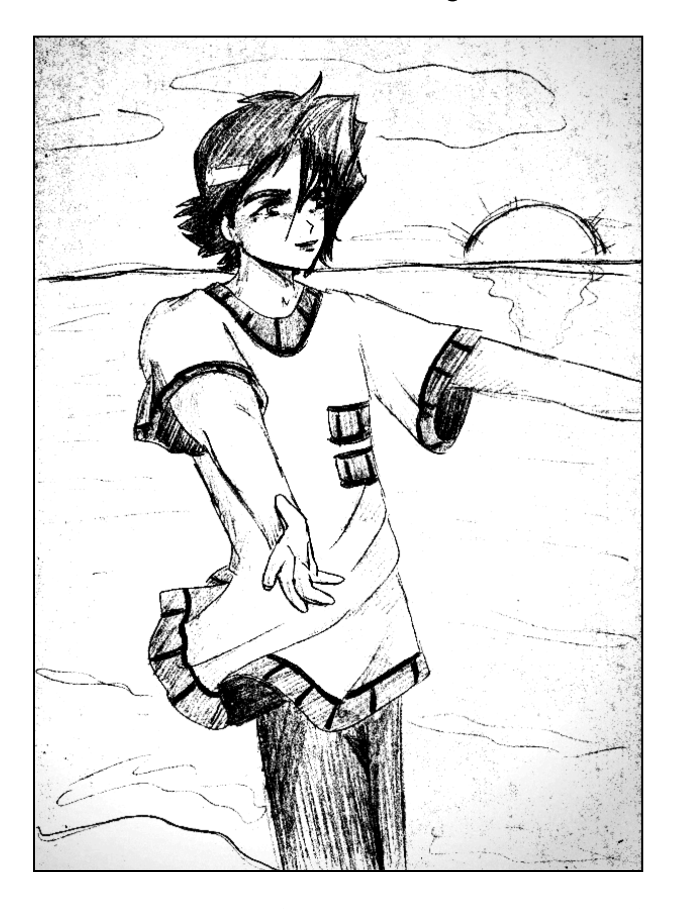
بدأت الشمس بالمغيب، والسماء انصبغت باللون الأحمر، وقف واصل إلى جانب كرم أمام شاطئ البحر.

كرم تبع واصلاً دون أن يسأله إلى أين يذهب، فقط وصلا الشاطئ ووضع واصل حقيبته أرضاً ونظر إلى كرم وقال: "ابق واقفاً هنا" تعجب كرم لذلك ولكنه فعل، أما واصل فقد سار بمحاذاة الشاطئ مسافة ثلاثين متراً ووقف ينظر إليه من هناك.

قال واصل: "سأجري إليك بأقصى سرعة" تعجب كرم لذلك بل وقلق على واصل قائلاً: "ولكن... هل تستطيع الآن؟" تجهز واصل للانطلاق واضعاً يديه على الأرض وقال: "لقد حفظت القرآن من جديد، وسمّعته كاملاً" أنصت كرم لما يقول واصل الذي تابع قائلاً: "وعادت أرباح المعمل أفضل من السابق" هب الهواء من حولهما وتابع واصل رافعاً رأسه وجسده لينطلق وقال: "وقد تزوجت وبنيت عائلة مميزة"



ابتسم كرم، وأخيراً قال واصل: "وأتممت صنع دريم" أغمض كرم عينيه بينما رفع واصل رأسه قائلاً: "أنا لا أعرف المستحيل" فتح كرم عينيه وقد ملأتهما الدموع ومد يده ليستقبل واصلاً عند خط النهاية



وفعلاً انطلق واصل بأقصى سرعة قائلاً: "أستطيع فعل ذلك".

ركض واصل بأقصى سرعة يقترب من كرم، ركض متجهاً نحوه بكل ما أوتي من قوة، شعر بألم في صدره في منتصف الطريق والتفت

قدمه وكاد يسقط ولكنه أعاد توازنه بسرعةٍ وتابع الركض، كرم كان سعيداً جداً برؤيته يركض نحوه، وفعلاً وصل واصل، ألقى بنفسه بين ذراعي كرم وسقطا أرضاً على رمال الشاطئ، لقد وصل، ركض بأقصى سرعة وقد تحمل كل شيء.



رفع واصل رأسه ينظر إلى كرم الذي كان قد ذرفت الدموع من عينيه فرحاً بما أنجزه واصل، ابتسم واصل قائلاً: "أنا لم أتغير" ابتسم كرم قائلاً: "أبداً، كأيام الجامعة" فرح واصل لذلك وعانق كرماً وتابعت

الشمس مغيبها ترسل أشعة دافئة على أكتافهما.

★★★

مرت الأيام، ونقل واصل مرام سريعاً إلى المشفى حيث ستلد ولده الأول.

مراد ولمياء أيضاً كانا في المشفى يقفان إلى جانب واصل عندما خرجت الممرضة تعلمهم أن مرام ولدت صبياً جميلاً بكامل صحته.

كانت فرحة لا تصدق، سأل واصل فوراً عن مرام فطمأنته الممرضة أنها في صحة جيدة، كل شيء على مايرام والحمد لله. ارتاح واصل وطلب فوراً رؤيتهما.

كان الإرهاق واضحاً على وجه مرام، ولكن سعادتها كانت لا توصف بوجود ولدها إلى جانبها. بالنسبة لواصل كان هذا أجمل منظر يراه في حياته، لقد بات أباً أخيراً.

انتشر الخبر بسرعة وبارك الجميع لهما، طبعاً كان كرم أول المباركين، حضر إلى المشفى فوراً يحمل طبقاً من الحلوى للجميع.

غادرت مرام المشفى في اليوم التالي عائدة مع واصل والطفل إلى منزلهما السعيد، لقد بات لديها عائلة حقيقية وباتت أماً أخيراً.

★★★

سجال كان مايزال يكتب، بدأ الفضول يتسرب إلى نفس الجميع لقراءة ما أنجز، ولكنه لم يسمح لأحدهم بالقراءة بعد لأنه لم ينه شيئاً مما كتب. عمرو كان مستمتعاً بذلك، لقد انشغل سجال كثيراً بهذه الهواية التي لم يتوقع أحد أن تعجبه!

جلس سجال في حديقة حيث كان الأولاد يلعبون حوله بينما كان مستهماً في الكتابة، وقف أحدهم خلفه وقال: "ماذا تفعل؟" التفت سجال فإذا به واصل!

وقف سجال فقال واصل: "ماذا تكتب؟" قال سجال: "قصة" ابتسم واصل قائلاً: "حقاً! عن ماذا؟" فرح سجال بابتسامة واصل، الكتابة فعلاً قد تبعث السعادة في نفوس الناس بهذه البساطة، قال سجال: "ليس شيئاً محدداً" قال واصل: "هذا جميل، هل سأقرؤها؟" سمع سجال هذا السؤال من كل من يعرف، كانت إجابته على الدوام: عندما أنهي كتابتها. ولكن في هذه اللحظة، وهو يقف أمام واصل قال: "هل تحب أن تفعل؟" قال واصل: "سأكون سعيداً جداً بذلك" شعر سجال برغبة شديدة في إعطاء القصة لواصل، ولكنه قال: "لم أكملها بعد" قال واصل: "متى ستنتهي؟" قال سجال: "لست أدري" شعر واصل أن الوضع غريب، إنه لا يدري عن ماذا يكتب أو متى سينهيها! ماذا يفعل بالضبط؟

قال سجال: "بصراحة، لست متأكداً أنها ستعجب أحداً" ابتسم واصل قائلاً: "في الأرض بلايين الناس، لا يوجد شيء لا يعجب أحداً" دائماً كان تفكير واصل مختلفاً عن الجميع ولكنه كان مريحاً، عندها قدّم سجال الدفتر لواصل قائلاً: "هل تقرؤها؟" نظر واصل إلى سجال الذي قال: "لم أنهها بعد، ولكن أريد أن تخبرني عن رأيك" فرح واصل بذلك وأخذ الدفتر قائلاً: "سأكون سعيداً جداً بذلك" فرح سجال بتفاعل واصل الكامل معه، لم يكن يتصور أن يعطي دفتره لأحد ولكنه لم يستطع إلا أن يفعل مع واصل، كان يريد أن يسمع رأيه الصريح فيما يفعل.

وضع واصل الدفتر في حقيبته وقال: "علي أن أشتري بعض الحاجيات للمنزل، هل تمشي معي؟" وافق سجال على الفور.

تعجب سجال عندما رأى واصلاً يشتري حفاظات ومنظفات للأطفال، نظر واصل إليه عندما شعر أنه يراقبه فقال: "لقد ولدت مرام" تفاجأ سجال لذلك، قال واصل: "لقد أصبحتُ أباً" قال سجال: "مبارك! متى كان ذلك؟" قال واصل: "قبل أيام فقط" قال سجال: "مبارك، لم أعرف عن الأمر قبل الآن" قال واصل: "أعرف، ولكن هناك ما لا تعرفه بعد" نظر سجال إلى واصل الذي قال: "ماذا سأسمي الطفل" قال سجال ببساطة: "ماذا؟" نظر واصل إلى سجال قائلاً: "سجال".

تفاجأ سجال كثيراً بما سمع، سيسمي ابنه سجالاً! سيولد الآن! هل يعقل؟...

نظر واصل إلى سجال قائلاً: "هل هناك مشكلة؟" نظر سجال إلى واصل، كان في عيونه شيء من السعادة والدهشة وقال: "لماذا تريد أن تسميه سجالاً؟" ابتسم واصل قائلاً: "أظن أنني أحب الأسماء الغريبة، مثل واصل" قال سجال: "واصل اسم أغرب من سجال" "أجل، أردت اسماً تقبل به مرام" "هل قبلت؟" "ليس لديها مانع على الأقل" سكت سجال، ليس في بال واصل أي مما يفكر فيه، ولكن للحظة نظر واصل إليه وقال: "ولأنني أحببتك".

دخلت الكلمة كالثلج في صدر سجال، هل يعقل ذلك؟ هل يمكن أن يكون ما يفكر فيه صحيحاً؟

اشترى واصل كل ما يحتاج ثم عاد إلى منزله ليداعب طفله بينما استأذن سجال بالمغادرة.

ركض سجال من فوره إلى الغابة ينادي سارياً، نزل ساري من أعلى شجرةٍ ينظر إليه لا يدري هل جاء بخبر جيد أم سيء، وجهه كان غريباً.

قال ساري: "ما الأمر؟" أمسك سجال بذراع ساري وقال: "طفل واصل، طفله اسمه سجال!" فهم ساري ما يقصده سجال على الفور فقال: "هل تظن فعلاً...؟" قال سجال: "ربما" سكت الاثنان، ساري لم يكن يدري هل من المفترض أن يكون سجال سعيداً؟ حتى سجال لم يكن يعرف ما يشعر به بالضبط، ابتسم ساري قائلاً: "تهانينا" قال سجال: "هل تظن أن هذا أمر جيد حقاً؟" قال ساري: "أنت تحب واصلاً كثيراً" قال سجال: "ولكنني لا أذكر أنه قد رباني يوماً" قال ساري: "لأنك كنت مع جواد منذ الصغر" سكت سجال.

ظل الاثنان صامتين برهة فقال ساري: "أنت لست متأكداً بعد أنه سيكون أنت" قال سجال: "إنه مجرد تشابه أسماء، بل والوقت يوحي بصحة ذلك أيضاً" قال ساري: "حسناً، لنفترض أنه أنت، ماذا يعني ذلك؟" "ماذا يعني ذلك؟" "أعني لماذا وصلت إلى جواد؟" سكت سجال، هذا سؤال كان يريد الإجابة عنه منذ زمن، قال ساري: "إما أن يكونا قد تخليا عنك" حدق سجال بساري غاضباً من هذا الافتراض ولكن سارياً تجاهله وتابع قائلاً: "وإما أن يكونا قد ماتا وبت يتيماً" قال سجال منزعجاً: "ماذا تقول؟" قال ساري: "وإما أن يكون جواد قد سرقك منهما ولم يستطيعا إيجادك منذ ذلك الحين" ظل سجال صامتاً مصدوماً من كل الاحتمالات، كلها أسوأ من بعضها، قال ساري: "هل لديك احتمال آخر؟" طأطأ سجال رأسه، ليس هناك احتمال آخر لإبعاد ذلك الطفل عن واصل، ولكنه قال: "احتمال أن لا أكون هذا

الطفل" قال ساري: "بالضبط".

دخل واصل منزله واتجه فوراً إلى سرير طفله الصغير الذي كان نائماً بهدوء، مع أن ملامحِ الطفل ما تزال غير واضحة ولكن كان من الواضح أنه سيكون وسيماً عندما يكبر، على الأقل كان واصل متأكداً من ذلك.

ظل واصل يحدق في الطفل إلى أن استيقظ، عندها حمله فوراً وبدأ يداعبه. مرام كانت مسرورة بهما جداً، خاصة أن الطفل كان يضحك كلما كان واصل إلى جانبه.

داعبت مرام الطفل أيضاً وقد كان واصل سعيداً جداً بهما



بعدها أرضعت مرام الطفل الذي عاد للنوم من جديد. رغم أنه قد لعب ساعات مع واصل إلا أن واصلاً شعر أنه ينام كثيراً.

أبقت مرام الطفل نائماً بين أحضانها، إنه أجمل منظر حلم واصل أن يراه في حياته، زوجته مرام تحمل ولده الذي ينام بسلام بين أحضانها.

مر اليوم بهدوء، ظل الطفل نائماً معظم الوقت، قالت مرام: "هناك دفتر قد أحضرتَه معك" قال واصل: "أجل، هذا دفتر لسجال، ألف فيه حكاية يريدني أن أقرأها" قالت مرام: "أمازلت مصراً أن تسميه سجالاً؟" قال واصل: "إذا كنت ترغبين باسم آخر فليس لدي مانع" فكرت مرام ثم قالت: "ما رأيك باسم براء؟" اسم براء كان جميلاً بالنسبة لواصل، ولكنه كان قد أخبر سجالاً أنه سيسمي ولده على اسمه، ألا يكون مزعجاً أن يغير رأيه؟ قالت مرام: "ألم يعجبك؟" قال واصل: "إنه جميل" قالت مرام: "ليس لدي مانع أن تسميه سجالاً" قال واصل: "سنتحدث عن ذلك في الغد، أريد أن أقرأ ما كتب" تمددت مرام قائلة: "هل ترغب في تسميته سجالاً حباً في الاسم أم في الشخص؟" قال واصل: "كلاهما" أغمضت مرام عينيها قائلة: "حسناً، ليس لدي مانع، بشرط أن يكون اسم الطفل الثاني هو براء".

فتح واصل دفتر سجال، كان الخط مرتباً بل كل السطور ملونة بألوان مختلفة، إنه يشجع حامله على القراءة بكل تأكيد. بدأ واصل يقرأ "كان أنس نائماً عندما رأى تلك الفتاة، كانت تقف على تلة تحدق في الأفق، التفتت إليه بهدوء، إنه لا يعرفها بل لم يرها من قبل أبداً، ظل واقفاً يراقبها، إنها جميلة وهادئة، شعرها يتطاير مع النسيم. حدقت به بعيون عميقة قائلة: "ساعدني" تعجب أنس من طلبها،

ولكنه قال: "من أنت؟" مدت الفتاة يديها إليه قائلة: "ساعدني" مد أنس يده ليمسك يدها ولكنه استيقظ من حلمه فجأة.

نهض أنس شاعراً بشعور غريب، إنه أشبه برسالة من أن يكون حلماً، ولكن على أية حال الحلم يظل حلماً.

أنس في الخامسة عشر من العمر، تناول فطورة وارتدى ثيابه ليذهب إلى المدرسة.

نسي كل ما جرى في الحلم، كان يومه في المدرسة جميلاً إلى أن غادر، سار في الطريق عائداً إلى المنزل، كان كل شيء على مايرام إلى أن رآها، إنها تلك الفتاة! توقف عن المشي فجأة، إنها تسير مقابله تماماً، إنها تقترب، إنها بلا شك ذات الفتاة التي رآها في الحلم.

ظل أنس متسمراً مكانه إلى أن مرت الفتاة إلى جانبه دون أن تقول أي شيء أو حتى أن تنظر إليه، أحس أنس كأن أنفاسه انقطعت في تلك اللحظة، كان متأكداً أنها ستهمس له بشيء مثل: "ساعدني"

التقط أنس أنفاسه، إنه مجرد حلم، وتابع السير، ولكنه سمع فوراً صوت ارتطام سيارة بعمود الكهرباء خلفه، التفت بسرعة فإذا به يرى الفتاة قد سقطت على الأرض مغشياً عليها من أثر الحادث.

ظل أنس واقفاً مصدوماً مما رأى، لقد صدمتها السيارة! صدمتها وقد كانت ماتزال تسير على الرصيف!

لم يفهم أنس ما يجري، كل ما يعرفه أنها قد طلبت منه المساعدة بطريقة أو بأخرى، ولكنه... ولكنه لم يفهم الرسالة.

اجتمع الناس وحضرت الإسعاف ولكن بعد فوات الأوان، لقد فارقت الفتاة الحياة في لحظة الحادث، لم يصدق أنس ما يجري، كان مايزال واقفاً مكانه يحدق في الفتاة إلى أن أدخلوها سيارة الإسعاف،

ماذا كان من المفترض أن يحدث؟ ماذا كان من المفترض أن يفعل؟"

قلب واصل الصفحة مبتسماً "لديه طابع مألوف في شخصيته، إنه مايزال يحاكي القدر والمستقبل"

★★★

سجال كان ممدداً في فراشه في منزل عمرو، دخل عمرو عليه قائلاً: "مساء الخير" قال سجال: "مساء الخير" نظر عمرو حوله في الغرفة وقال: "لم أرك تكتب اليوم! أين دفترك؟" قال سجال: "أعرته لواصل" نظر عمرو إليه قائلاً: "هل أنهيت الحكاية؟" قال سجال: "ليس بعد، أردت أن أسأله عن رأيه فيها" ابتسم عمرو حيث رفض سجال فعل ذلك مع أي كان، واصل بالتأكيد شيء مميز بالنسبة له، قال عمرو: "دائماً واصل! أنت تميزه فعلاً" نظر سجال إلى عمرو قائلاً: "حقاً؟" قال عمرو: "ألا تلاحظ ذلك؟ لقد منعت الجميع بشدة أن يقرؤوا الحكاية" لم يبال سجال بذلك فعلاً، هناك ما هو أهم يفكر فيه الآن.

جلس عمرو إلى جانبه قائلاً: "بم تفكر؟" قال سجال: "بواصل" "في أي شأن؟" "أفكر في علاقتي معه" "إنها جميلة ومميزة، ما الذي يقلقك فيها؟" سكت سجال، ليس هناك شيء سيء يفكر فيه، ولكن المشكلة أبعد من ذلك بكثير.

ربت عمرو على شعر سجال قائلاً: "المهم أن واصلاً سعيد أيضاً" فكر سجال إن واصلاً سعيد الآن، ولكنه قد لا يكون كذلك في المستقبل، قال عمرو: "لا تفكر كثيراً، دع الأمور تسير كما هي" قال سجال: "هل تنصحني ألا أفكر فيما يمكن أن يحدث؟" قال عمرو: "التخطيط

للمستقبل شيء، والتفكير فيما يمكن أن يحدث شيء آخر، لا أحد يعلم ما سيحدث حتى لو خططت جيداً" سكت سجال، إنه يعلم النتائج قبل التخطيط، هذه مشكلة.

نهض عمرو قائلاً: "أنت تريد أن يكون الجميع حولك سعيداً، واصل أهم شخص تفكر في سعادته" حدق سجال بعمرو ثم قال: "حتى لو كان ذلك على حساب سعادتي؟" سكت عمرو، إنه لا يعرف بم يفكر سجال، ما الذي يمكن أن يسعد واصلاً ولا يسعد سجالاً؟ ولكنه قال: "هذا إيثار، إنه أعمق حب على الإطلاق".

ألقى عمرو تلك الكلمات قبل أن يغادر الغرفة، سجال بات حائراً جداً "أنا أريده أن يكون والدي، إنه يحبني، وكان دائماً الأفضل معي، إنه أفضل أب يمكن أن أحصل عليه، ولكن... ولكنني أعلم أن هذا لن يفيدني، فأنا لن أكون معه على الإطلاق، بل لن أذكره، كل ما سأحصل عليه هي هذه الذكرى الجميلة هنا، واسم واصل يلتصق باسمي طول العمر" تقلب سجال على فراشه يفكر "ولكن بالنسبة لواصل فكونه والدي يعني أن تحدث معه مشاكل كثيرة، وبالتأكيد سيفقدني، لا أحد يعلم كيف، ولكن الأمر سيكون مؤلماً له ولمرام بكل تأكيد، إذا كنت أنا هذا الطفل فلن يهنأ بي على الإطلاق" تقلب ثانية في الفراش يفكر "ومرام، إنها أروع من أن تكون والدتي، هل أستحق حقاً عائلة كهذه؟" هز سجال رأسه يطرد آخر فكرة من رأسه "الأمر ليس هكذا، إنه ليس استحقاقاً، يجب أن أفكر بما سيحل بهذه العائلة الجميلة إذا ما كانت حكايتي التعيسة جزءاً منها" نهض سجال من الفراش منزعجاً ولكنه قرر أخيراً: "يجب أن لا أكون جزءاً من هذه العائلة، يجب أن أحرص على أن تكون أسعد عائلة في الدنيا".

★★★

واصل تابع القراءة، بينما كانت مرام والطفل يغطان في نوم عميق "ظل أنس مصدوماً مما جرى، هل يلوم نفسه على أمر ما؟ هل كان عليه أن يقوم بشيء ولم يقم به؟

ظل على حيرته إلى أن غلبه النعاس، رغم أنه لم ينم إلا ساعة واحدة، إلا أن هذه الساعة كانت الأهم في حياته فقد رآها، إنها ذات الفتاة، تسير إلى جانبه لتقطع الشارع، إنه يحمل حقيبة المدرسة وهي كذلك، إنه نفس المشهد.

مرت الفتاة دون أن تقول شيئاً واقتربت من المنعطف، الآن ستخرج السيارة عن الطريق لتضرب الفتاة في الرصيف، صرخ أنس: "انتبهي!" توقفت الفتاة عن المشي ونظرت إليه لا تدري هل هي المعنية بالتحذير أم غيرها، ولكنها تأكدت من ذلك عندما خرجت السيارة عن الرصيف وضربت عمود الكهرباء المقابل لها مباشرة.

لحظات فصلت الفتاة عن موت محتم، ظلت واقفة مكانها لا تصدق ما ترى! حدقت بأنس ثم قالت: "شـ... شكراً" ولكن أنساً طأطأ رأسه مدركاً أن هذا لم يحدث فعلاً، الواقع كان غير ذلك، قال: "يجب أن لا تشكريني، لم أستطع فعل شيء حتى عندما طلبت مني المساعدة" قالت الفتاة: "ماذا تقول؟ لقد أنقذتَ حياتي" قال أنس: "هنا ربما، ولكن ليس في الواقع" سكتت الفتاة، كان أنس حزيناً جداً، منظر الفتاة تقف أمامه يبعث في نفسه حزناً أكبر حيث كان بالإمكان أن يراها تقف أمامه في الواقع كما هي واقفة الآن.

اقتربت منه بهدوء وقالت: "لقد أنقذتَ حياتي فلماذا أنت حزين؟" شعر أنس أن الفتاة لم تفهم شيئاً مما قال، بل لم يكن يدري كيف يفسر لها أنهما الآن في حلم ليس أكثر، ولكنها قالت فجأة: "لقد

أنقذتني هنا، وسأعيش هنا" نظر أنس إليها فتابعت قائلة: "سأعيش في أحلامك" تعجب أنس! إنها تعلم أنهما في حلم، قال: "ماذا تقصدين؟" قالت: "ربما أكون قد مت بالنسبة للجميع، ولكنني لست كذلك بالنسبة لك على الأقل" قال أنس: "ماذا سيحدث إذن؟" قالت: "ستراني في أحلامك، سأعيش هنا" لم يصدق أنس ما سمع ولكنه لحظتها استيقظ من النوم"

هنا توقف سجال عن الكتابة، واصل كان منبهراً بما قرأ، ربما كان عليه أن ينتظر أن ينهي سجال الحكاية قبل أن يقرأها، إنه متشوق جداً لمعرفة ما يمكن أن يجري.

★★★

الفصل السابع والسبعون

في الصباح تجهز واصل للذهاب إلى المعمل ووضع دفتر سجال في حقيبته، قبّل مرام والطفل وغادر.

في الطريق قابل سجالاً الذي كان ينتظره، ظن واصل أن سجالاً ينتظر أن يحدثه عن القصة، ولكن سجالاً لم يكن يتوقع أن يقرأها واصل بهذه السرعة.

قال واصل: "صباح الخير" قال سجال: "صباح الخير" لم يكن يبدو على سجال أنه سعيد، ظن واصل أنه قلق أن القصة لن تعجبه فقال: "لقد قرأتُ القصة" نظر سجال إلى واصل متعجباً أنه قد قرأها بهذه السرعة فقال: "هل أنهيتَها؟" أخرج واصل الدفتر من حقيبته وقال: "لقد أنهيت قراءة هذا الجزء، ولكن عليك أنت أن تنهيها بأسرع وقت لأنني أرغب في معرفة ما سيجري" فكر سجال فيما قاله واصل، هل يعني أن الحكاية قد أعجبته؟ قال واصل: "إنها أكثر من رائعة" فرح سجال بذلك كثيراً وقال: "حقاً! هل أتابع؟" قال واصل: "يجب أن تتابع، يجب أن أعرف ما سيجري" أمسك سجال بالدفتر سعيداً جداً بتشجيع واصل، عندها قال واصل: "هذه موهبة رائعة، كن فخوراً بها" نظر سجال إلى واصل سعيداً جداً بما يسمع، ولكنه تذكر لحظتها ما جاء من أجله، فطأطأ رأسه وقال: "واصل... لدي طلب" قال واصل: "ما هو؟" قال سجال: "أن لا تسمي طفلك سجالاً، رجاء" تعجب واصل لما يسمع! إنه يقنع مرام طول الوقت بالاسم خاصة بعد أن أخبر سجالاً بذلك، قال واصل: "لماذا؟" قال سجال: "الأمر معقد قليلاً" علم

واصل أنه أمر يخص المستقبل فقال: "سبق أن اتفقنا أنك لا تستطيع تغيير المستقبل" قال سجال: "أعرف، كل ما أريده أن تطلق على طفلك اسماً آخر، فأنت لم تسجل اسمه بعد" لم يفهم واصل كيف يفكر سجال بالضبط، ولكنه وضع يده على ذراعه وقال: "إذا ما كان هذا الأمر مهماً بالنسبة لك فسأغير الاسم" شعر سجال أنه يرغب في تغيير رأيه للحظة ولكنه هز رأسه وقال: "الأمر مهم" رغم أن الحزن كان بادياً على وجه سجال بهذا القرار إلا أن واصلاً احترمه وقال: "مرام ترغب في تسميته براء، هل يعجبك الاسم؟" شعر سجال بخيبة أمل، ولكنه قال: "إنه جميل" رفع واصل يده عن كتف سجال وقال: "حسناً، لكما هذا، سيكون اسمه براء إن شاء الله" ابتسم سجال قدر ما يستطيع ثم تابع واصل طريقه إلى المعمل بينما ظل سجال واقفاً يشعر برجفة في كل جسده، إنه ليس هذا الطفل، إنه ليس هو.

★★★

ساري كان في الغابة يقطف بعض الثمار عندما رأى سجالاً يقترب بخطوات قصيرة، يضم دفتره بين يديه ويحدق في الأرض حيث يخطو، نظر إليه ساري حيث كان الحزن بادياً على وجهه، فقال: "ما الأمر؟" توقف سجال عن المشي وبعد فترة قال: "سيكون اسمه براء" فهم ساري فوراً ما يقصده سجال بل ما فعله بالضبط، ظل سجال واقفاً مكانه غير قادر على الحراك أو حتى الكلام، اقترب ساري منه ووضع يديه على ذراع سجال وقال: "سيكون سعيداً" بدأت الدموع تنهمر من عيون سجال وقال: "أنا حتى لا أستحق أباً حنوناً، لا تجوز لي حياة هانئة على الإطلاق" عندها ارتفع صوته بالبكاء وألقى الدفتر على الأرض

وألقى بنفسه على صدر ساري يصرخ بأعلى صوته، ساري ضمه بين ذراعيه مدركاً كم كان يريد سجال أن يكون واصلاً والده، بل كان أجمل أمل في حياته وقد دمره بنفسه.

★★★

عاد سجال بخطوات متثاقلة إلى المنزل، يريد أن ينسى الموضوع رغم أن عيونه كانت ماتزال متورمة من شدة البكاء.

دخل المنزل بهدوء وحاول ألا يراه أحد على هذه الحالة وظل ملازماً فراشه يحاول أن ينام.

الساعة كانت ماتزال الرابعة عصراً، عاد عمرو إلى المنزل في استراحة من العمل ينوي بعدها أن يعود ثانية. جهزت له سناء بعض الطعام مع كوب من العصير لينشط جسده.

رن الهاتف، رد عمرو عليه ولكنه سمع صوتاً غريباً، كان أشبه بصفير مزعج! أغلق السماعة وعاود شرب العصير.

رن الهاتف ثانية، ظن عمرو أن المكالمة ربما تكون من بلاد أخرى، رفع السماعة فإذا به الصوت ذاته ولكنه سكت لحظة، قال عمرو: "السلام عليكم" أخيراً كان هناك مجيب: "هل أستطيع التحدث إلى سجال؟" كان الصوت خشناً، يبدو أنه شخص كبير بل ومرهق أيضاً، قال عمرو: "من يريده؟" بعض صمت قصير أجاب: "مدير أعمال لشركة فنية كبيرة، هل لي بالتحدث إليه؟" لم تعجب عمرو الفكرة ولكن الأسوأ أنه شعر أن الوضع ليس كذلك، لم يكن يريد أن يُكذب الرجل ولكنه لم يرتحِ للأمر على الإطلاق.

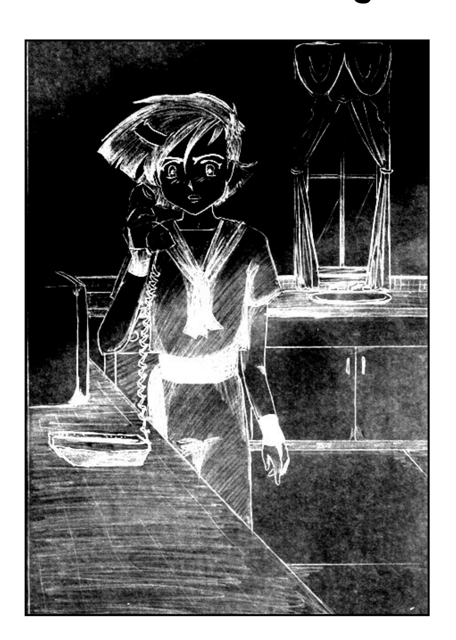
نادى عمرو سجالاً للتحدث في الهاتف، نزل سجال الذي كان قد

هدأ قليلاً بعد غفوة قصيرة، سأل عمراً عن المتصل فأخبره أنه لا يدري، رفع سجال السماعة بينما ظل عمرو وسناء جالسين في الصالة، كان من الواضح أن أذن عمرو كانت تركز في كل كلمة يقولها سجال.

كانت أذن سجال أَحَدّ من أذن عمرو، كان صوت الصفير مايزال عالقاً في الخط ولكنه منخفض، قال سجال: "مرحباً" قال المتصل: "أهلاً".

جفل سجال، كان هذا آخر صوت يمكن أن يتوقعه! عمرو لاحظ التغير الذي طرأ على وجهه فظل يراقبه.

لم يقل سجال أي شيء، ظل صامتاً لا يريد أن يصدق ما يسمع، قال المتصل: "ما الأمر؟ ألم تشتق لي؟" ولكن سجالاً بدأ يرجف، ليس قادراً على النطق بأي كلمة، قال المتصل: "لا؟ طبعاً لأنك لم تقم بشيء مما طلبته منك" بدأ العرق بتصبب من جبين سجال، بل بدأت عيونه تدمع أيضاً، نهض عمرو، بات الوضع غريباً، من المتصل؟ ولماذا يقلق سجال هكذا؟



قال الصوت: "على العموم لقد اشتقت لك، ولزميلك الغر أيضاً" وقف عمرو أمام سجال الذي لم يكن يرى شيئاً أمامه على الإطلاق، قال الصوت: "ثلاث ساعات" اتسعت عيون سجال، بات القلق يسيطر عليه أكثر فأكثر، تابع الصوت قائلاً: "مهلة أخيرة، نلتقي بعدها".

ألقى سجال سماعة الهاتف من يده وركض خارجاً من المنزل من فوره.

ناداه عمرو مراراً ولكن سجالاً لم يكن يسمع شيئاً حينها، بل لم يكن يرى أو يدرك أي شيء، لديه ثلاث ساعات فقط وعليه أن يتصرف.

عمرو شعر أن الوضع سيكون سيئاً منذ البداية، رفع سماعة الهاتف فسمع صوت الصفير ثانية فأغلق الهاتف، من يكون المتصل؟

ركض سجال بأقصى سرعته ودون أي تفكير إلى حيث يجد شاكراً، مر زمن لم يطارده فيه ولكن ليس لديه الآن سوى ثلاث ساعات ليتصرف.

كان سجال يعرف حق المعرفة أن المتصل هو جواد، وأن الهاتف قد شبك بدارات من المستقبل، لم يتوقع أن يفعل شيئاً كهذا ولكن بعد ثلاث ساعات لن يكون هنا، سينقل رغماً عنه إلى المستقبل.

وصل سجال شركة كبيرة، لم يكن ليدخل من البوابة فشق زجاج الطابق الخامس بهدوء ودخل، لابد أن يكون الرجل في المكتب الرئيسي للشركة.

ركض سجال بخفة إلى المكتب، كان هناك حرس كثير يحمي الغرفة، لم يكن لدى سجال أي وقت للتفكير فيما سيفعل، اقتحم المكان فبدأ الحرس يلاحقونه.

كسر كل المصابيح في الممرات التي سار فيها وكسر رشاشات المياه المعدة لإطفاء الحريق فبات المكان مظلماً وممطراً.

لم يجرؤ الحرس في البداية على استخدام أسلحتهم لعلمهم أن المقتحم صبي صغير، ولكنهم لم يستطيعوا فعل شيء بعد أن أظلم المكان.

وصل سجال باب المدير واقتحمه، في الغرفة كان المدير قد ركب مصعداً خاصاً به وهرب، لم يبق في الغرفة سوى الحرس وقد علق سجال فيها.

نزل المدير بالمصعد هارباً من سجال، بعد لحظات ارتج المصعد قليلاً، نظر المدير إلى السقف فإذا به سجال يكسره بعصا حديدية، ارتعب المدير وفتح باب المصعد عنوة فكان يقف بالقرب من الطابق الثاني، نصف الباب كان معلقاً في الأعلى.

قفز المدير ودخل الطابق، كان الحرس في حالة نفير، صرخ المدير قائلاً: "إنه هنا! فوق المصعد!" صوب الجميع أسلحتهم وبدؤوا الإطلاق فابتعد المدير عن الباب في آخر لحظة، عندها ألقى أحدهم قنبلة فجرت المصعد.

هدأ الوضع، نهض المدير وقد اتسخت ثيابه من جراء الإنفجار. حدق في الحرس يطمئن أنه مايزال في أمان، عندها رن جهاز االإرسال لدى شرطي، سمع فيه: "إنه على الدرج!".

فعلاً كان سجال ينزل درج الطوارئ قفزاً، إنه ينزل إلى الطابق الثاني حيث المدير، ما إن سمع الحرس ذلك حتى ألقوا قنابلهم أسفل الدرج حيث يقفز.

نظر سجال تحته فإذا بالقنابل يكاد أن يسقط عليها، مد رجليه وارتكز

على الحائط ليقفز في آخر لحظة إلى الجهة المقابلة قبل أن يصل الأرض حيث القنابل، ولكن القنابل انفجرت، واندفع سجال بقوة على الحائط.

امتلأ المكان بالدخان، لم يعد أحد يرى أو يعلم ما جرى، لقد نجى سجال من الموت بآخر لحظة، ثم نهض باحثاً عن المدير شاكر.

لسوء حظ المدير أن سجالاً كان قادراً على تمييزه رغم بعده عنه، حمل سجال سكينه ورماها بسرعة خاطفة على صدر المدير ولكنه لم يتوقع ما رأى! لقد ألقى أحدهم بجسده أمام المدير في آخر لحظة.

صرخ المدير: "أخي!" ولكنه كان قد سقط على الأرض بلا حراك، حمل شاكر مسدسه من جيبه وصوبه إلى حيث كان من المفترض أن يكون سجال وأطلق ولكن عبثاً فقد كان قد غيّر مكانه منذ زمن.

بات سجال مختبئاً لا يعرف أحد مكانه، وفوضى المكان كانت لصالحه، أما المدير فقد نفد صبره بعد أن مات أخوه أمام عينيه لحمايته، ثارت ثائرته وصرخ قائلاً: "لن تفلت مني أكنت إنساً أمٍ جناً! لقد قتلت أخي ولن تفلت الآن وأنت في أرضي" سجال كان مختبئاً خلف جدار انكسر من الانفجار، ولكنه عندما سمع المدير ينطق بهذه الكلمات شعر أنه قد سمعها من قبل "لن يفلت مني، أنا متأكد أنه هو من قتل أخي، وقد كنت متأكداً أنني قتلته... قتلته... قتلته" رنت هذه الكلمات في أذن سجال، إنه تصريح قد سمعه يوماً في المستقبل، لقد كان يتحدث عنه، كان يظن سجال أنه خرف ولكن الآن... إن سجالاً هنا فعلاً وقد قتل أخاه... ولكن هل يعني هذا أنه...

بدأ الخوف يتسرب إلى نفس سجال، لقد قال أنه قتله فهذا يعني أنه سيموت هنا والآن، لقد أوقع نفسه في المكان والزمان المناسبين ولا يستطيع تغيير المستقبل، سيموت هنا، هنا!

بدأ سجال يرجف وقد فقد تركيزه، كل ما يفكر فيه الآن هو النجاة بأي وسيلة، كان المصعد محطماً والدرج أيضاً، من أين المفر؟ عندها تذكر صوت والده على الهاتف "ثلاث ساعات" ارتبك سجال أكثر، إنه ميت لا محالة، لا يستطيع الهروب.

لم يستطع سجال أن ينظم أفكاره فقد صرخ أحد الحراس: "إنه هنا!" وبدأ إطلاق النار.

رغم أن سجالاً قفز بسرعة وهرب من رشق الرصاص إلا أن ساقه لم تنج، لقد أصيبت بطلقة مباشرة جعلته يفقد توازنه ويسقط أرضاً.

لقد انتهى الأمر، إنه في مرمى الرصاص، يحدق في المدير الذي كان أول من يصوب عليه، لم يكن لديه خيار آخر، كان المصعد أقرب منفذ له الآن، قفز ليلقي بنفسه حيث حجرة المصعد ولكن الطلقات كانت أسرع إليه، أصيب بطلقتين في ظهره وسقط في حجرة المصعد إلى الأسفل.



فتح سجال عينيه بعد برهة، لقد سقط على حجارة تراكمت إثر الانفجارات، حاول رفع جسده ولكنه تألم كثيراً، فوق ذلك كان ينزف بشدة، كان عليه أن يتصرف بسرعة قبل أن يحضر أحدهم إليه.

نظر أمامه إلى بوابة المصعد، لابد أنه في أول طابق في العمارة، أمسك الباب وفتحه بيديه، لم يكن ذلك صعباً فلم يتأثر الباب بأي من الانفجارات فوقه.

الغريب في الأمر أن أحداً لم يكن هناك! كان الطابق يؤدي إلى مصف للسيارات ولكن لا توجد سيارة هنا، بل لا يوجد أحد أبداً.

تحرك سجال خارجاً من المصعد مستخدماً كل ما تبقى من طاقته، فكر للحظة لو أنه لم يرتبك قليلاً لكان الوضع مختلفاً، لقد أفلت زمام الأمور من يديه تماماً.

ارتكز إلى الحائط ونهض شاعراً بألم في كل مكان، ولكنه اضطر للركض عندما سمع صوت انهيار المبنى، ركض بأقصى سرعة مبتعداً حيث انفجرت البناية كاملة.

نجى سجال في آخر لحظة، لم يكد يصدق أن شاكراً قد فجر المبنى بأكمله للتخلص منه! ابتعد عن المكان ليستريح قليلاً، بل ليفكر في الإصابات التي أصيبها.

ولكن لم يكن لديه وقت لذلك أيضاً حيث نظر إلى الساعة فقد كانت قد مرت ساعتان ونصف على اتصال والده.

عاود جسده يرجف بأكمله، لم يبق سوى نصف ساعة! ماذا يفعل؟ لقد فات الأوان لكل شيء، لم يستطع التفكير إلا بشيء واحد كان ما قد فكر فيه منذ زمن، دريم، يجب أن يساعده واصل.

نهض وركض بأقصى سرعته إلى منزل واصل، لم يتبق وقت طويل،

مرت عشر دقائق إلى أن وصل.

رن جرس المنزل فخرجت مرام تنظر إليه متعباً جداً، بل وثيابه ملطخة بالدماء! لم تكد تدرك ما ترى حتى قال سجال: "واصل، أين واصل؟" قالت مرام: "أظنه في منزل والده..." لم تكمل مرام كلمتها حتى ركض سجال إلى حيث واصل.

لم يتبق وقت، ربع ساعة وينتهي كل شيء، كل شيء!

وصل سجال المنزل ودق على الباب بسرعة، فتحت لمياء الباب تشعر أن هناك خطباً ما، قال سجال يلهث: "هل واصل هنا؟" حدقت به لمياء جيداً، إنه في حالة يرثى لها، بل كيف يستطيع السير والكلام هكذا؟ قالت: "إنه في غرفته، ما الذي جرى؟" قال سجال وهو يركض إلى الداخل بسرعة: "عذراً، يجب أن أراه بسرعة" ركض سجال على الدرج فرأت لمياء الدماء على ظهره! هل كان ذلك مجرد تمثيل؟

فتح سجال الغرفة فجأة، كان واصل يجلس إلى الحاسوب، لا يفتح أحدهم الباب عليه هكذا في العادة، ولكنه عندما التفت ورأى سجالاً على حاله هب من مكانه، ولكن قبل أن يقول واصل شيئاً قال سجال: "لم يبق لدي وقت، لدي أقل من ربع ساعة!" قال واصل: "ربع ساعة لماذا؟" قال سجال: "للعودة، سيعيدني إلى المستقبل! لقد انتهى أمري، ليس هناك ما أفعله" كان من الواضح أن سجالاً يفقد أعصابه، إنه كمن يهستر، اقترب واصل منه قائلاً: "هدئ من روعك..." ولكن سجالاً لا يستطيع أن يهدأ، ظل يقول: "سأعود بعد ربع ساعة! لقد اتصل... لقد..." ثم طأطأ رأسه وقال بهدوء: "انتهى كل شيء" أمسك واصل بسجال وقال: "لا تقل ذلك، تستطيع أن تشرح لي الأمر بأقل من دقيقة" قال سجال بسرعة: "لقد اتصل والدي من المستقبل، أمهلني

ثلاث ساعات لأنجز مهمتي ثم سيعيدني إلى المستقبل، لم أستطع قتل شاكر، ولم يتبق لي سوى ربع ساعة" نظر في ساعته فإذا بالوقت قد مر أيضاً فقال: "عشر دقائق!" جثا سجال على ركبتيه منهاراً، أمسكه واصل وجلس على الأرض يقول: "لابد أن يكون هناك حل ما" ولكن سجالاً لم يقل شيئاً، لم يتبق سوى عشر دقائق، ماذا يمكن أن يحدث في عشر دقائق لم يستطع فعله فترة إقامته هنا؟



وضع سجال رأسه على صدر واصل وأمسك بذراعيه بقوة وقال: "لا أريد أن أموت، أنا خائف".

ساد الهدوء المكان، عندها قال واصل: "لدينا وقت" نظر سجال إليه فقال واصل: "أنت تريد أداة تدمر دريم، لدي كل الوقت لصناعة شيء كهذا" حدق سجال بواصل الذي تابع قائلاً: "واصل وسجال، ستكون

كلمة التدمير الذاتية لدريم" اتسعت عيون سجال، أخيراً سيفعل واصل شيئاً كهذا! تابع واصل قائلاً: "كل ما عليك أن تقول هذه الكلمات بوضوح أمام دريم" بلع سجال ريقه، هناك أمل.

لمح سجال الساعة في غرفة واصل، بقيت خمس دقائق فقط، نظر سجال في عيون واصل وقال: "أثق أنك ستفعل" كان من الواضح أن واصلاً قد صمم على ذلك، شعر سجال بالراحة نوعاً ما، ولكنه كلما نظر إلى الساعة شعر بدقات قلبه تتسارع، أمسك واصلاً وشد على ذراعيه، إذا كانت هذه هي آخر لحظة يعيشها في هذا الزمن فهو يفضل أن تكون بين ذراعيه.

مرت دقيقة، ضم واصل سجالاً إلى صدره، دقيقة أخرى، بدأت عيون سجال تدمع، سيغادر ويترك الجميع، مرت دقيقة، إنها آخر لحظات، بقيت دقيقة واحدة، بدأ سجال يشعر بالخوف الشديد، قبض على ذراع واصل بكل قوته.

انتهى الوقت...

فتح سجال عيونه بهدوء، إنه مايزال يقبض يديه على ذراع... واصل!

رفع رأسه ونظر في الساعة، لقد مر الوقت! مر بكل تأكيد، نظر إلى واصل الذي لم يفهم ما يجري، كان في حيرة من أمره كما كان سجال.

بعد هدوء دام أكثر من دقيقة قال واصل: "هل مضى الوقت؟" قال سجال: "من المفترض!" سكت الاثنان، لا تفسير لما يجري.

نظر واصل في الساعة وقال: "لقد مضت أكثر من دقيقة" نهض سجال وما تزال علامات الدهشة والخوف على وجهه، قال واصل: "أظن أنه لن يحدث شيء" نظر سجال إلى واصل، ربما يكون واصل محقاً ولكن

من يضمن له ذلك؟

عندها خطر ببال سجال الشخص الوحيد الذي يقف نفس موقفه، ساري، هل يمكن أن يكون قد غادر؟

ركض سجال مغادراً الغرفة بسرعة دون أن يقول شيئاً، نهض واصل بسرعة ليلحق به منادياً ولكنه فجأة أحس بدوار، المكان بات معتماً وسقط على الأرض مغشياً عليه.

★★★

ركض سجال بأقصى سرعته إلى الغابة حيث من المفترض أن يجد سارياً، ساري لم يعلم شيئاً مما جرى بين سجال ووالده، ومن المفترض أن يكون أول من يعلم، مع ذلك ذهب سجال إلى واصل.

وصل سجال الغابة ونادى بأعلى صوته: "ساري! ساري أين أنت؟".

بعد لحظات قفز ساري من على جذع شجرة إلى الأرض ينظر إلى سجال لا يدري لم كل هذا الفزع!

حدق سجال في ساري سعيداً أنه مايزال هنا، بينما حدق ساري بسجال ينظر إلى آثار الدماء على ثيابه!

ارتاح بال سجال وأغمض عينيه قائلاً: "أنت بخير، الحمد لله" عندها فقد توازنه فركض ساري وأمسكه قبل أن يسقط، قال ساري فزعاً: "ماذا فعلت؟ لقد خشيتُ أن تكون عند الانفجار الكبير في المدينة" ابتسم سجال وقال: "لستُ من فعله، إنه شاكر ذاته..." رفع ساري يده عن ظهر سجال فكانت مليئة بالدماء، سجال كان يفقد وعيه فعلم ساري أن حالته خطرة.



مدد ساري سجالاً على الأرض ونزع قميصه، كان سجال يحـاول أن يتحدث إليه قدر المستطاع: "لقد اتصل بي" وجد ساري آثـار رصاصـتين على ظهر سجال، علم أن علاجه سيكون عملية صعبة ولكنـه بـدأ علـى الفور، تابع سجال قائلاً: "والدي، اتصل من المستقبل" توقف ساري عن العمل فجأة عندما سمع ما قاله سجال! ابتسم سجال قـائلاً: "أنـت لم تعلم شيئاً مما جرى" تابع سـاري العمـل، لم تكـن لديـه أدوات سـوى خناجره وبعض الرباط مع شعلة نار للتعقيم وخيـوط سجال الحـادة، كان عليه أن يتصرف بأي شكل.

قال سجال: "أمهَلني ثلاث ساعات لأتم مهمتي، ولكنني لم أنجـح"

قال ساري في منتصف عمله: "وكم مضى من الوقت؟" قال سجال: "ثلاث ساعات وربع" نظرٍ ساري إلى سجال الذي قال: "لم يحدث شيء" تابع ساري العمل قائلاً: "وهل كانت مزحة؟" قال سجال: "ليس من عادة والدي أن يمزح، ثم إنني متأكد أنه يتحدث من المستقبل، لقد كان صوت الشيفرة واضحاً جداً" لم يكن لدى ساري ما يجيبه عليه، تابع العمل حتى أخرج الرصاصتين من ظهر سجال بصعوبة ليكتشف أن هناك رصاصة ثالثة في فخذه عليه أن يقوم أيضاً باستخراجها.

غط سجال في نوم عميق بينما أنهى ساري العمل بكل تفان، كانت ثياب سجال ملطخة بالدماء فاستبدلها بثياب من عنده وتركه ينام بهدوء إلى جانبه.

***

عمرو كان جالساً أمام الأخبار، الفوضى كانت عارمة مكان الحدث، ولكن كل شيء يؤكد أن سجالاً هو الفاعل، بل لا أحد يؤكد أنه قد قُتل في الانفجار.

سناء ظلت جالسة إلى جانب عمرو، لقد بات الوضع خطيراً جداً.

أسئلة كثيرة كانت تدور في رأس عمرو لم يستطع الإجابة عن أي منها، بدأ يشعر بصداع شديد ولكنه لم يستطع أن يقفل التلفاز.

***

فتح سجال عينيه ليرى نفسه نائماً إلى جانب ساري الذي اعتنى به جيداً. نهض سجال ينظر إلى ثيابه فقال ساري: "هل تشعر بتحسن؟" قال سجال: "لقد أنقذتَ حياتي" نهض ساري قائلاً: "لم أر يوماً أحداً

يتحمل الإصابات كما تتحملها! لقد كنتَ واعياً معظم الوقت" ابتسم سجال، لقد كان يعلم أنه قد تربى على ذلك، ثم قال: "شكراً" قال ساري: "ماذا ستفعل الآن؟".

★★★

عمرو كان مايزال متسمراً أمام التلفاز، الساعة باتت العاشرة ليلاً والأخبار ماتزال تعرض الحادث، بعد لحظات بدأ الجميع يتحدث عن الفاعل، وكأن الجميع عرفه، لحظات وعرضت صورته على التلفاز، إنه سجال.

لقد انتهى كل شيء، بات سجال مطارداً من الشرطة، لا يستطيع فعل أي شيء له.

طأطأ عمرو رأسه ولكنه شعر بشيء خلفه فالتفت ليرى سجالاً واقفاً على باب المنزل.

ظل عمرو صامتاً فترة، لقد كان الإرهاق بادياً على وجه سجال ولكنه ابتسم وقال: "لقد جئت لأعتذر" نهض عمرو ليقترب منه ولكن سجالاً قال: "لا أستطيع البقاء هنا بعد الآن، فكما ترى، باتت صورتي في كل مكان" لم يستطع عمرو قول أي شيء، ظل واقفاً مكانه فطأطأ سجال رأسه وقال: "لقد خيبتُ أملك" قال عمرو: "من المتصل؟" ابتسم سجال فقال عمرو: "لقد كان والدك أليس كذلك؟" أشار سجال بالإيجاب، ربما كانت هذه أول مرة يعترف فيها سجال بوجود والده قريباً من المشاكل، قال عمرو: "إنه ليس والدك، فلماذا تصغي لكلامه؟" ابتسم سجال ابتسامة ساخرة وقال دون أن ينظر في عيون عمرو: "سأموت إن لم أفعل" هنا لم يستطع عمرو قول أي شيء، نظر

سجال إليه قائلاً: "لقد قتلتُ، رغـم كـل مـا دار بيننـا لم أسـتطع إلا أن أفعل" قال عمرو: "قتلتَ لتعيش؟" ابتسم سجال قائلاً: "لـيس بعـد، لم أنجز المهمة أيضاً" فهم عمرو أن سـجالاً كأنـه لم يفعـل شـيئاً بالنسـبة لوالده، إنه مهدد بالقتل، بل ربما كان كذلك طول الوقت.

قال سجال: "لا أستطيع البقاء أكثر من ذلك، علـي المغـادرة، آسـف لكل ما جرى، وشكراً على الضيافة" قال عمرو بسـرعة: "أنـت لم تكـن ضيفاً هنا، هذا منزلك" شعر سجال بسعادة لسماع تلك الكلمـات ولكـن شيئاً منها لن يغير الواقع، التفت ليغادر فقال عمرو: "هل سنلتقي؟... في الموعد؟" التفت سجال ناظراً إلى عمرو وقال: "لا أعدك بذلك".

ألقى سجال تلك الكلمات اليائسة وغـادر المنـزل، لم يسـتطع عمـرو حبس دمعته، لم يعد لديه ما يفعل، لقد بات في حيرة مـن أمـره، إنـه يعلم أن سجالاً مظلوم في كل مـا يجـري ولكـن مـاذا بقـي لم يفعلـه مـن أجله؟ نظر إلى الأريكة حيث كان يجلس فوجد دفتره الذي يـدون فيـه كل ما فعله لأولاده، ربما لا يستطيع أن يقارن سجالاً بالآخرين هكذا.

ساري كان ينتظر سجالاً عنـد بـاب الحديقـة، خـرج سـجال فقـال ساري: "هل انتهيت؟" أشار سجال بالإيجاب فقال سـاري: "هيـا بنـا" ولكن سجالاً قال: "سألحق بك بعد قليل" نظـر سـاري إلى سـجال الـذي كان يريد أن يظل وحده قليلاً، قال ساري: "لا تفعـل شـيئاً غبيـاً" قـال سجال: "لا رغبة لي في فعـل أي شـيء" وسـار وحـده في الطريـق تاركـاً سارياً يعود إلى الغابة وحده.

★★★

واصل فتح عينيه، إنه مستلق علـى الفـراش وهنـاك مـن يجلـس في

الغرفة إلى جانبه، دقق نظره فإذا به كرم.

نهض واصل فقال كرم: "هل أنت بخير؟" قال واصل: "لقد فقدتُ وعيي!" قال كرم: "كنتَ ملقى على الأرض عندما دخلت" قال واصل: "هل يعلم أحد ذلك غيرك؟" قال كرم: "كلا، جئتُ للزيارة فوجدتك هكذا" تنهد واصل ووضع يده على جبينه فقال كرم: "علمتُ أنك لا تريد أن يعلمٍ أحد بذلك فلم أخبر أحداً" قال واصل: "شكراً".

نهض كرم قائلاً: "هذا بسبب دريم أليس كذلك؟" لم يجب واصل، كان من الواضح أن الإجابة ستكون نعم، تنهد كرم فقال واصل: "كرم، هل تسدي لي خدمة؟" نظر كرم إلى واصل الذي قال: "أريد أن تشتري لي جهازاً لاقطاً للصوت".

لم يفهم كرم لماذا يطلب واصل شيئاً كهذا، ولكنه كان متأكداً أنه يخص دريم، قال واصل: "لا تقلق، هذا لن يضر بي أبداً".

وافق كرم وغادر المنزل ليشتري ما طلب واصل، كان واصل يشعر أنه يجب أن ينجز ذلك الجهاز بأسرع وقت، فربما لا يستطيع صناعته بعد ذلك.

★★★

جلس عمرو على الأريكة والدموع تنهمر من عينيه لم يعد قادراً على حبسها، ضمته سناء إلى صدرها تحاول التخفيف عنه قدر المستطاع علماً أنها تعلم ألا شيء سيخفف عنه الآن.

سجال ظل يسير وحده على ضفة النهر يفكر في كل ما جرى وفي كل ما سيجري. كان أكثر ما يشغل باله هو عودته للقتل من جديد، مهما حاول، وكلما وعد ألا يفعل فإنه يعاود الكرة.

حدق عمرو بالتلفاز حيث ماتزال الأخبار تعرض الحادث، بل وتضع صورة سجال على زاوية الشاشة، أقفلت سناء التلفاز كي يكف عمرو عن التحديق فيه وضمته إلى صدرها أكثر.

جلس سجال على ضفة النهر، هناك شيء كبير قد تغير، إنه لا يكاد يصدق أنه لن يجلس ثانية في ذلك المنزل، لم يكن يتصور ذلك ولكن له وحشة كبيرة، ماهر ومالك ولينا ولنا وسناء، كلهم باتوا عائلته، بالطبع بفضل عمرو، لم يكن ليتصور أن يقدّم له أحدهم ما قدمه له، ومع ذلك لم يقدم له شيئاً في المقابل.

هدأ عمرو، لم يعد هناك مجال للتفكير، كل ما بقي له هو موعده الذي قرر منذ اللحظة أن يتمسك به طول العمر، مهما حدث، سيظل مخلصاً لهذا اليوم الذي التقى به مع سجال، حتى وإن لم يحضر سجال فهو سيحضر إن كان قادراً على ذلك.

★★★

واصل كان في منزله يعدل في دريم بالقطعة التي اشتراها له كرم، مرام كانت تداعب براء لينام.

كان واصل مستهماً في العمل وكأن عليه أن ينجزه الليلة، خرجت إليه مرام بعد أن نام براء وقالت: "أراك مستهماً بالعمل كثيراً!" قال واصل: "يجب أن أنجز هذا الجهاز" "لابأس في ذلك، ولكنك ترهق نفسك كثيراً" "يجب أن أنهيه بسرعة" "لماذا؟" لم يستطع واصل الإجابة عن هذا السؤال، إنه مجرد شعور في نفسه أن عليه أن ينجزه الآن وإلا فلن يكون هناك وقت آخر.

اقتربت مرام منه قائلة: "خذ قسطاً من الراحة، تعال ننم" قال

واصل: "بعد قليل" يئست مرام من المحاولة فهمت بالعودة إلى غرفتها فنظر واصل إليها قائلاً: "مرام... أنا آسف، علي فعلاً أن أنجزه بسرعة" "ليس عليك أن تعتذر، متى ستنهي العمل؟" "علي أن أنهيه في أقل من أسبوع" أشارت مرام بإصبعها وقالت: "أسبوع واحد، لن أقبل بهذه الحال أكثر من أسبوعٍ" ابتسم واصل وأشار لها بالإيجاب ثم دخلت الغرفة لتنام تاركة واصلاً في خضم عمله.

★★★

توغل ساري في الغابة إلى أن وصل حقيبته التي يضع فيها حاجياته، حملها على ظهره وسار قليلاً، لوهلة أحس بشيء يتحرك خلفه، نظر خلفه إلى الأشجار ولكن لا شيء هناك، نظر أمامه ليتابع طريقه ولكنه توقف لهول ما رأى!

إنه شخص يقف على بعد أمتار منه، شخص يعرفه ولكنه كان آخر من يتوقع أن يراه هنا، إنه... جواد!

ظل ساري متسمراً مكانه، إنه جواد بالتأكيد، لقد حضر من المستقبل، حضر ليلحق به وبسجال. بدأ ساري يرجف قبل أن ينطق جواد بأية كلمة، اقترب جواد بهدوء وابتسامة عريضة ترتسم على وجهه لخوف ساري منه.

وقف جواد على بعد عشرة أمتار من ساري وقال: "ألا ترحب بي؟ أنا ضيف هنا" لم يستطع ساري أن ينطق بأية كلمة، عندها أحس بشيء يتحرك في حقيبته فألقاها على الأرض فوراً وراقبها، هناك شيء يمزقها من الداخل ليخرج، إنه... دريم!

دريم كان مختلفاً بعض الشيء عما يملكه واصل، لونه بات داكناً

وهناك الكثير من الإضافات عليه، كلها أدوات حادة من الواضح أنها تستخدم للقتال.

سيطر الخوف على ساري، بات لا يدري أين ينظر، أمامه يقف جواد وخلفه دريم، ظل حائراً ينظر هنا وهناك، ليست لديه أدنى فكرة عما دفع جواداً بالحضور إلى هنا.

ابتسم جواد قائلاً: "لقد فشلتما في المهمة" اقشعر جسد ساري من هذه الكلمة، فهي تعني الموت المؤكد، ولكن جواداً تابع قائلاً: "وقد أعطيتُ سجالاً فرصة ثانية ولكنه لم يفلح" علم ساري أنه يقصد الثلاث ساعات الماضية، تابع جواد قائلاً: "لذلك اضطررت للقدوم إلى هنا... بنفسي".

فهم ساري أن الثلاث ساعات كانت المهلة لقدوم جواد إلى هنا لا بارجاعهما إلى المستقبل، إنها لم تكن مزحة، لقد كان جاداً في كل ما يقول.

قال جواد ساخراً: "ولأنني أعتبر نفسي عادلاً فسأعطيك فرصة كما أعطيت سجالاً" بلع ساري ريقه، إنه يعلم أنه لا يستطيع أن يقتل شاكراً مهما حدث، ولكنه في مثل هذه اللحظة مستعد لفعل أي شيء، ولكن جواداً طلب منه شيئاً آخر، تعجب ساري لطلبه ولكنه لم يفكر لحظة بشيء غير التنفيذ، فانطلق بسرعة خاطفة إلى هدفه.

***

عمرو كان جالساً على الأريكة لم يتحرك من مكانه، وسناء ظلت إلى جانبه طول الوقت تحاول التخفيف عنه ولكن دون فائدة.

نزلت لينا من الطابق العلوي لتشرب كوباً من الماء، نظرت سناء

إليها وقالت: "ألم تنامي بعد؟" قالت لينا: "الجميع مستيقظ، لم ينم أحد" طالما لم تمر سناء على الغرف لتتفقدهم فلن يناموا أبداً.

مالك وماهر كانا يتحدثان في غرفتهما، كل جالس على فراشه يفكران لماذا لم تتفقدهم سناء الليلة؟

مالك كان سعيداً بذلك، بات غير قادر على مقاومة روح المغامرة والبقاء مستيقظاً أطول وقت ممكن. نهض من فراشه وفتح الحاسوب، قال ماهر: "لن تستطيع إطفاءه بسرعة إذا مرت والدتنا" قال مالك متحمساً: "هذه هي المغامرة" لم يكن ماهر يحس بهذه الإثارة فهو في الغالب ينام بعد الجميع.

جلس مالك إلى الحاسوب وبعد دقيقة قال ماهر بسرعة: "أسمع أصوات أقدام" أطفأ مالك الحاسوب بأقصى سرعة استطاعها وركض إلى الفراش وغطى نفسه بلمح البصر.

ساد الهدوء الغرفة، بعد لحظات رفع مالك اللحاف ينظر إلى ماهر الذي كان مايزال جالساً، شعر مالك ألا أحد سيدخل فنظر إلى ماهر متعجباً فقال ماهر: "لقد كنتُ أختبر سرعتك فحسب" شعر مالك أنه قد شرب المقلب كاملاً فقفز من فراشه يحمل مخدته يضرب بها ماهراً.

كانا يضحكان مما جرى ولكنهما توقفا فجأة عندما فتح أحدهم باب الشرفة، إنه ساري، يلهث بشدة، يبدو أنه ركض مسافة طويلة، ولكن القلق كان بادياً على وجهه!

لم يقل أحدهم شيئاً فقد كان دخوله غريباً، ولكن سارياً قفز بسرعة وغرز خنجره في صدر مالك!



حدث ذلك في لحظة، تناثر دم مالك في كل مكان وسقط على الفراش دون حراك، لم يستطع ماهر تصديق ما رأى! بل لم يتوقع حدوث شيء كهذا مطلقاً! كل ما استطاع فعله هو الصراخ ليسمع كل من في المنزل صوته.

خرج ساري من الشرفة بالسرعة التي دخل فيها تاركاً ماهراً يمسك بأخيه يحاول أن يناديه أو أن يوقظه.

دخل عمرو وسناء الغرفة بسرعة قلقين، ليس من عادة ماهر أن يصرخ في أي حال! ولكن كان هذا آخر ما يمكن أن يتصوراه!

ركضا فزعين إلى مالك، إنه فاقد وعيه تماماً! سناء بدأت تصرخ منادية مالكاً ولكن لا فائدة، عندها قال ماهر لعمرو: "ساري! ساري دخل فجأة وغادر!".

★★★

ركض ساري بأسرع ما لديه عائداً إلى الغابة، بينما مايزال سجال جالساً قرب النهر توضأ من مياهه وبدأ يصلي، كان ضوء القمر ينعكس على النهر منيراً المكان.

وسط الهدوء الذي يحيط بسجال كان ساري في أسوأ أحواله، وصل حيث التقى بجواد الذي كان يرتكز على جذع شجرة ينظر إلى ساعة يده، قال: "على الأقل مازلت سريعاً" قال ساري يلهث بشدة: "لقد... فعلتُ ما طلبتَ مني" ابتسم جواد قائلاً: "أعرف، انتهت مهمتك" ظل ساري صامتاً فقال جواد: "بينما قتلتَ أنت مالكاً، جعلتُ سجالاً يقتل لنا، يالها من عائلة" لم يقل ساري شيئاً، كل ما ينتظر سماعه أنه لن يُقتل، ولكن هذا ما لم يسمعه، حيث نظر جواد إليه وقال: "لقد فرغت منك، لم أعد بحاجة إليك على الإطلاق" شعر ساري بالخوف فقال: "ولكنني نفذت المهمة!" قال جواد ساخراً: "لتموت والجميع يحقد عليك، هل تعلم كيف ستكون ردة فعل سجال عندما يعلم بالخبر، قد يقتلك بيديه" لم يصدق ساري ما يسمع! إنه مجرد فخ ليموت هباء، كان قادراً على قتله منذ البداية، ولكن...

عندها أحس ساري بشيء يتحرك خلفه، أخرج خنجره بسرعة مستديراً إلى حيث دريم...



أنهى سجال صلاته وجلس على الضفة ثانية، هل يستطيع أن يظل هكذا طول العمر؟ ولكن لسبب يجهله لم يكن مرتاحاً، عمرو كان يبكي كما لم يبك من قبل، وساري كان يقاتل كما لم يقاتل من قبل، هو الوحيد الجالس بهدوء لا يدري ما يجري حوله.

فجأة سمع صرخة مدوية، نهض بسرعة وقد ميز أنه صوت ساري! ساري كان يسقط على ركبتيه، بدأ سجال يركض بسرعة إلى الغابة، سقط ساري على الأرض دون حراك.



وصل سجال الغابة بأقصى سرعة ونادى بأعلى صوته على ساري ولكن ليس من مجيب، إنه متأكد أنه كان صوته وقد صدر من الغابة.

ركض متعمقاً إلى أن لاحظ آثار عراك شديد في المكان، ساري الوحيد القادر على فعل كل هذا.

لم يمض وقت حتى وجد سجال سارياً ملقى على الأرض، ركض إليه وأمسكه يناديه: "ساري! ساري هل تسمعني؟" كان ساري في حالة يرثى لها، جسده مليء بالكدمات والجروح، أخطرها جرح عبر ظهره ينزف منه بشدة.

قلق سجال عليه كثيراً، بل من القادر على فعل ذلك بساري؟ فتح ساري عينيه بصعوبة فأمسك سجال يده قائلاً: "ساري، ماذا يجري؟" حاول ساري أن يتكلم ولكنه لم يستطع من شدة الإرهاق، فقال سجال: "ستكون بخير..." وحمله ليركض به إلى أقرب مشفى، ولكن سارياً استطاع أن ينطق بجمل قصيرة: "والدنا... إنه... هنا" توقف سجال عن الركض فجأة ونظر إلى ساري الذي قال: "دريم... لقد... قاتلتُه" قال سجال خائفاً: "ماذا تقول؟" قال ساري: "الحقيقة... لقد حضر..." عاود سجال الركض لا يريد أن يقتنع بما يسمع، ولكن سارياً قال: "لقد أمهلك... ثلاث ساعات... لكي يحضر" شعر سجال أن كل شيء قد توضح، ولكنه مايزال بعد يخشى أن يصدق ذلك، نظر إلى ساري الذي بدأ يدمع، قال سجال: "لقد وصلنا تقريباً، ستكون بخير في المشفى..." مد ساري يده إلى وجه سجال وقال: "أنت لا تكرهني... أليس كذلك؟" قال سجال منزعجاً: "بالطبع لا! لماذا تقول شيئاً كهذا؟" نزلت دموع ساري وقال: "لقد... فعلت شيئاً... فظيعاً" لم يقل سجال شيئاً، ولكن سارياً تابع قائلاً: "أرجوك... ألا تكرهني" قال

سجال: "أنا لا أكرهك!" قال ساري: "والدنا... يريدك أن تكرهني..." لم يفهم سجال شيئاً مما قاله ساري، ولكنه كان قد وصل المشفى وقال: "ستكون بخير، لقد وصلنا" ولكن سارياً أمسك صدر سجال مؤكداً عليه: "أرجوك... عدني..." قال سجال: "أعدك بماذا؟" قال ساري والدموع في عينيه: "ألا تكرهني" قال سجال: "أعدك" ابتسم ساري وارتاح باله، فأدخله سجال بسرعة إلى الطوارئ ليدخل إلى غرفة العمليات بأقصى سرعة.



كان ساري في غرفة العمليات بينما ينتظر سجال خارجها، ظل يفكر في الأمر، هل يعقل أن يكون والده هنا؟ هل هذا هو مقصود

المهملة التي أمهله إياها فعلاً؟ إذا كان هنا ودريم، فهذه هي النهاية.

لحظات هي التي جلسها سجال وحيداً ينتظر سارياً خارج الغرفة، نظر أمامه فرأى مالم يتوقع رؤيته، إنه دريم!

دريم المستقبل يقف مقابله، نهض سجال خائفاً، ولكنه لم يقترب، كل ما فعله أن رفع إبرة يريها لسجال، ظل سجال مكانه ولكن دريم أيضاً لم يبادر بأية حركة! لم يفهم سجال ما المقصود من ذلك في البداية ولكنه نظر إلى غرفة ساري ثم عاود النظر إلى حيث كان دريم،لقد اختفى!

أدرك سجال ما قصد ولكن بعد فوات الأوان، فقد أضاء الضوء الأحمر فوق غرفة العمليات.

ركض سجال فاتحاً باب العملية منادياً سارياً بأعلى صوته! ولكن... ما من مجيب، كان ساري ممدداً على فراش العمليات دون حراك. سار سجال ببطء إليه لا يصدق ما يجري، نظر إلى محلول العمليات المعلق فلاحظ خرماً صغيراً أدرك أنه خرم الإبرة التي استخدمها دريم لدس سم في المحلول.

كان عليه أن يفكر في شيء كهذا، لقد كان ساذجاً جداً، ساري لم يقم بتركه لأحد عندما كان مصاباً، بينما سلمه هو لمن قتله! اقترب منه بهدوء لا يصدق أنه فارق الحياة! تمتم سجال: "أنا السبب... لقد تخليت عنك" حدق بساري الذي كان في عالم آخر الآن، مد سجال يده ليلمس سارياً ولكنه تردد يفكر بكل ما يجري: "لم تكن تريد أن تموت هنا، حتى هذا لم أستطع تحقيقه لك" ظل واقفاً أمامه لا يريد أن يصدق ما يجري، أمسك بساري وقال: "أخبرني أن كل هذا لم يحدث، أخبرني أن ما قلتَه لي كان كذباً، أخبرني أن ما رأيتُه..." بدأ سجال

يبكي: "كان خيالاً" ولكن سارياً كان على حاله، فعلا صوت بكاء سجال عليه، وصرخ قائلاً: "أنت لا تستحق كل هذا!... لماذا؟"...

في مشفى آخر كان عمرو يجلس مع عائلته وقد تلقوا خبر وفاة مالك بكل أسى.

قدمت إليهم الشرطة تحمل صورة: "هل هذا هو ساري الذي تسبب في وفاة ولدك؟" نظر عمرو إلى ماهر الذي أشار بالإيجاب فقال الشرطي: "لقد مات" تفاجأ الجميع ولكن أكثرهم دهشة كان عمرو! قال الشرطي: "قبل ساعات فقط، في مشفى مجاور، مات إثر ضربات عنيفة" لم يفكر عمرو بشيء آخر، سجال علم بالأمر فقتل سارياً، لا أحد يستطيع فعل شيء كهذا سواه. سأل الشرطي: "هل لديكم فكرة عن الفاعل؟" انتظر الجميع جواب عمرو الذي أشار بالنفي ففعل الجميع الشيء ذاته.

انتهت إجراءات الشرطة والمشفى، كل شيء كان كئيباً، لم يعرف عمرو كيف يستطيع العودة إلى المنزل بدون مالك، بل إن سناء لم تتكلم معه طول المدة، إنه يخشى فعلاً أن تضع اللوم عليه في كل شيء، ولكن هل هو الملام فعلاً؟

طلع فجر اليوم التالي، كان سجال يقف قرب البحر حيث الشجرة الكبيرة التي صمدت إلى المستقبل، دفن سارياً قربها حيث يثق تماماً بقدرتها على حمايته.

ظل واقفاً أمامه، مايزال يتحدث إليه رغم أنه قد واراه التراب: "أشعر بفراغ كبير، وكأن الحياة في العالم قد انتهت" كان يحدق في التراب لعل سارياً يسمعه، تابع قائلاً: "ليس من العدل أن أعيش وأنت تموت، كلانا كان في الموقف نفسه طول العمر" جثا سجال

على ركبتيه وبدأ يدمع ويقول: "لم أكد أصدقك! لقد أخبرتني ولكـن... ولكنني... كنت مستهتراً، مستهتراً جداً!" بدأ يبكي بشدة قائلاً: "كـم كنت أرغب في تكـذيبك حينهـا..." وضع رأسه علـى الـتراب يبكـي بحـرارة ويقـول: "أنـا آسـف... آسـف!" وتـابع البكـاء إلى أن أشـرقت الشمس.

ظل سجال جالساً قرب الشجرة، إنه التالي بلا شـك، ولكـن متـى؟ هل سيظهر والده قريباً أم أنه سيدعه يعاني مرارة انتظار الموت المؤكد؟ ليس غريباً عليه أن يفعل ذلك، ولكن سجالاً فقد كل رغبة في المقاومـة. أغمض عينيه لينام قلـيلاً، فـلا شـيء سـيتغير الآن، حتـى العـودة إلى المستقبل باتت حلماً بعيد المنال.



الفصل الثامن والسبعون

فتح واصل عينيه فإذا به مايزال ممسكاً بدريم والمفك، لقد غفى قليلاً.

نهض ليتجهز للخروج إلى المعمل حيث كانت مرام ماتزال نائمة مع براء، لبس واصل ثيابه بهدوء ولكن مرام فتحت عينيها ونظرت إليه قائلة: "إلى أين؟" قال واصل: "صباح الخير، سأذهب إلى المعمل" نهضت مرام قائلة: "ولكن اليوم جمعة!" توقف واصل فجأة ونظر إليها قائلاً: "حقاً!" أشارت مرام إلى الفراش ليجلس قليلاً وقالت: "عليك أن تستريح قليلاً، أنت مرهق جداً" فعلاً إنها فرصة جيدة لأخذ قسط من الراحة، ولكن... عليه أن يكمل صناعة دريم، هل عليه أن يستريح يوم الجمعة؟ قالت مرام مقاطعة أفكاره: "لن تستطيع إنجاز أي شيء إن لم تنم جيداً" كانت مرام محقة في ذلك، استبدل واصل ثيابه ونام إلى جانبها بهدوء.

كرم جهز الإفطار مع رند وفرح، كانت كل العلاقات قد عادت إلى مجاريها.

كفاح خرج مع مصعب للعب مع الأولاد في الحديقة بعد أن أقنعا مراد بذلك، بينما ظل مراد مع لمياء في المنزل يقضيان وقتاً جميلاً معاً.

شعر كفاح أنه يرغب في وجود ساري معه أكثر من أي وقت آخر، تمنى فعلاً لو يجده في أي مكان ليناديه ليلعب، ولكن... شعور غريب كان يقول له أنه لن يحضر.

شادن كانت تتحدث إلى الجدة وتنظف المنزل سعيدة بكون مرام

تملك منزلها الخاص الآن وتتوقع أنها تقوم بتنظيفه أيضاً في هذه اللحظة.

كل كان يعيش حياته الطبيعية إلا عمرو، فلم يخرج أحد من المنزل، ولم ينطق أحد بأية كلمة، كل ما كان يسمعه هو بكاء بين الحين والآخر لكل من يتذكر ما كان يضفيه مالك من مرح في المنزل.

اليوم هو الجمعة، هل سيرى سجالاً يا ترى؟ ما إن خطرت هذه الفكرة في باله حتى قالت سناء: "لن تذهب" لم يقل عمرو شيئاً فنظرت سناء إليه وقالت: "لستُ أصدق كيف تفكر، لقد وعدتَ منذ البداية ألا يحدث أي مكروه لأولادنا" لم يستطع عمرو قول أي شيء فقالت سناء منزعجة: "ماذا تريد أكثر من هذا؟" قال عمرو: "أفهم تماماً ما تقصدين، ولكن..." قالت سناء منزعجة: "لكن ماذا؟" قال عمرو: "إنه ليس ذنبه" قالت سناء منزعجة: "وهل كان ذنب مالك؟" انهمرت الدموع من عيون سناء، حاول عمرو أن يضمها إلى صدره ولكنها نهضت وغادرت الغرفة.

ظل عمرو جالساً مكانه، إنه يفقد أكبر دعم في حياته، ومع ذلك مايزال يشعر بدافع قوي للذهاب، هناك الكثير يجب أن يعرفه.

★★★

سجال فتح عينيه، لقد نام بهدوء ولم يحدث شيء، مايزال عند الشجرة والشمس قد أشرقت منذ زمن.

نظر خلفه إلى التراب حيث ساري، كان يتمنى لو كان كل ما جرى مجرد حلم ولكن آثار الدفن كانت واضحة.

عاود النظر إلى البحر يفكر "لماذا تركني؟ إنه قادر على فعل أي

شيء" ولكن لم يكن هناك من يجيب على استفسارات أو حتى من يفكر إلى جانبه، لقد بات وحيداً تماماً.

ضم ذراعيه إلى قدميه وبدأ يتحدث إلى ساري: "ماذا أفعل الآن؟ الانتظار مربك جداً" نظر إليه وقال: "ألم يكن حدوث كل شيء فجأة أفضل؟" طبعاً لم يكن هناك من مجيب. عاود سجال النظر إلى البحر، يبدو يوماً صافياً وهادئاً جداً، ولكن من يصدق شيئاً كهذا وجواد في الجوار؟

★★★

استيقظ واصل، كان وحده في الفراش، نظر إلى الساعة فإذا بها الحادية عشرة صباحاً! نهض فزعاً وخرج من الغرفة ليرى مرام تجلس مع براء تشاهد التلفاز بكل هدوء.

نظرت إليه قائلة: "صباح الخير" قال واصل: "لقد نمتُ ست ساعات!" قالت مرام: "هذا جيد" "هذا كثير! علي أن أنهي ما بدأت" قالت مرام ببساطة: "ستفعل، الإفطار معد، تناول شيئاً" هز واصل رأسه وقال: "أنت لم تفهمي شيئاً بعد، ليس لدي وقت" قالت مرام: "إذن سأحضر لك شيئاً تتناوله وأنت تعمل".

هدأ واصل قليلاً وجلس يتابع العمل بدريم، رغم أنه كان لديه اليوم كاملاً للعمل إلا أنه مايزال يشعر أنه سيتأخر.

★★★

مر الوقت، وسجال مايزال جالساً مكانه "لم يحدث شيء! لم يطل أحد، لماذا يماطل هكذا؟ إنني في كامل الاستعداد للموت" فكر قليلاً

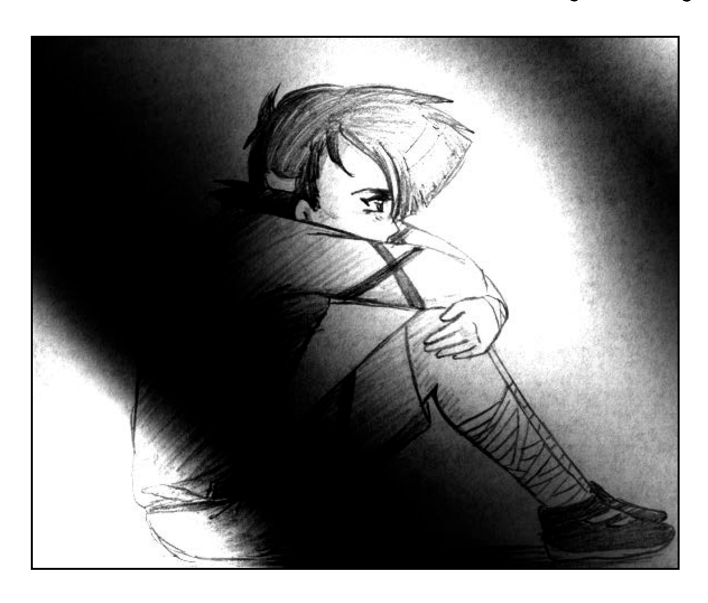
"ربما... ربما هذا هو السبب، إنه لا يريد أن أكون هكذا، إنه... لا يريد أن يريحني".

نظر إلى ساعته فإذا بها أصبحت الرابعة والثلث، إنه يوم الجمعة، نظر إلى حيث النهر يفكر "هل سيحضر؟ ربما، ولكن السؤال هل سأذهب أنا؟" لم يكن لدى سجال ما يفعل، نهض ونظر إلى حيث ساري وقال: "لن أتأخر، ليس من المفترض أن أعرض حياة عمرو للخطر، يجب أن يفهم ذلك".

عمرو كان فعلاً هناك، ينتظر سجالاً عند النهر، رغم كل ما جرى مايزال يرغب في لقائه والاستفسار عن كل شيء.

وصل سجال بخطوات متثاقلة يحمل هموم الدنيا على كتفيه، نظر أمامه فإذا به عمرو يقف هناك، ينتظره.

اقترب سجال منه بهدوء وجلس ينظر إلى النهر يحاول أن يتحدث معه وكأنهما غريبان.



قال عمرو: "لقد حضرتَ" قال سجال: "يجب أن لا نظل هنا طويلاً، هذا قد يعرض حياتك للخطر" سكت عمرو فقال سجال: "والدي هنا" قال عمرو بسرعة داخلاً في الموضوع: "لقد مات مالك".

نظر سجال إلى عمرو بعيون لا تصدق ما تسمع! مالك! مالك مات! لماذا؟

فهم عمرو من نظرات سجال أنه لا يعرف شيئاً عن الموضوع ولكنه تابع قائلاً: "ساري قتله".

هنا جفل سجال، تذكر سارياً وهو يطلب منه ألا يكرهه، أنه فعل شيئاً فظيعاً... ولكن... ولكن...

بعد دقائق من الهدوء حدق سجال في النهر قائلاً: "لقد مات ساري" قال عمرو: "علمت ذلك، ظننت أنك من قتله" قال سجال: "والدي قتله، لا بل... والدي أيضاً من قتل مالكاً، لقد هدد سارياً أن يفعل، ومع ذلك..." ضم سجال رأسه إلى قدميه لا يريد أن يتابع الكلام، لم يقل عمرو شيئاً، ولكن على الأقل هناك بعض الأشياء قد توضحت له، ولكن سجالاً قال بصوت قلق خافت: "وأنا التالي" نظر عمرو إلى سجال الذي ظل يخبئ رأسه بين قدميه.

جثا عمرو ليضع يده على كتف سجال ولكن سجالاً قال: "لا تفعل" توقف عمرو فتابع سجال: "يجب أن لا تكون هنا، لم يكن عليّ حتى أن أحضر" رفع رأسه ونظر إلى النهر وقال: "إنه يقتل أي شخص، يجب أن لا تكون قريباً مني".

كان سجال محقاً بكل تأكيد، ولكن... أن يترك عمرو سجالاً هكذا وهو يعلم أنه سيموت كان أمراً صعباً جداً، ولكن سجالاً كان المبادر فوقف وقال: "لا تبحث عني، الجميع بحاجة إليك" لم يستطع عمرو

قول أي شيء فمشى سجال ليبتعد عن المكان قائلاً: "آسف لكل ما جرى، فأنا أجلب المتاعب أينما حللت".

لم يستطع عمرو أن يرد على سجال بأي شيء، إنه يعلم أن المسبب بكل ما يجري هو والده، ولكن... ماذا عساه أن يفعل؟

★★★

عاد سجال إلى حيث ساري، وهناك أخيراً قابله... إنه جواد، كان يقف مقابل قبر ساري يحدق فيه، سجال توقف عن الحراك تماماً، قال جواد دون أن ينظر إلى سجال: "كان هنا طول الوقت، غريب ما يحدث" كان سجال يرغب في أن يقفز قفزة واحدة عليه يتخلص فيها منه إلى الأبد ولكنه كان يعلم أنه لا يستطيع. التفت جواد إليه فشعر سجال بالخوف، إن له رهبة لا يستطيع سجال مقاومتها.

قال جواد: "هل أنت حزين عليه؟" لم يقل سجال شيئاً، بل بدأ يرجف، قد يحدث أي شيء في أية لحظة، تابع جواد قائلاً: "غريب ذلك، لم تكن تكترث له يوماً، بل لم أعلمك شيئاً من هذه المشاعر الرقيقة على ما أذكر" بدأ سجال يعرق، ماذا يفعل؟ لوهلة كان يريد أن يراه، أما الآن فهو يتمنى لو تبخر أحدهما.

قال جواد: "لقد قتل أخاك" هنا نطق سجال بسرعة دون أن يفكر: "أنت من قتله" نظر جواد وابتسم قائلاً: "يبدو أن لديك ما تقول" قال سجال: "لقد جعلتني أقتل لنا في المستقبل، هل كنت تعلم أنها أختي؟" قال جواد بكل بساطة: "ليست أختك ولكن كأختك... نعم" غضب سجال لذلك، كل شيء يسير ببساطة عند جواد الذي قال: "يجب أن لا يكون لديك إخوان، لقد ماتوا جميعاً لتُصنع أنت"

قال سجال: "أيجب أن لا يكون لدي أب أيضاً؟" لم يفهم جواد ما يقصد فقال سجال: "أنت لست والدي" ضحك جواد وقال: "ماذا يعني هذا؟" طأطأ سجال رأسه قائلاً: "على الأقل، أخبرني من هو والدي الحقيقي؟ من أي عائلة أنا؟" قال جواد ببساطة: "لا أعرف" نظر سجال إليه فتابع قائلاً: "لقد وجدتك عند الباب، كنت ظريفاً وبريئاً لدرجة لم أصدق فيها أنك من سيكون سجال فعلاً، كل ما وجدته هو رسالة قصيرة مكتوبة على ورق رقيق" حتى هذه لم يستطع سجال أن يعرفها، عندها تحرك جواد، تحرك مقترباً من سجال، تراجع سجال خطوة إلى الوراء ولكن ما الفائدة، إنه يعلم ألا مهرب.

قال جواد وهو يقترب من سجال: "كما ترى لقد أنهيت أمر ساري، علماً بأنك من كان يقوم بهذه المهمة" قال سجال محاولاً استجماع كل شجاعته: "إنه لا يستحق ذلك، لماذا عليه أن يموت قبل أن يولد حتى!" ابتسم جواد قائلاً: "أليس هذا مثيراً؟" قال سجال: "يجب أن لا يحدث شيء كهذا، لم يكن من المفترض أن نأتي إلى الماضي منذ البداية، فنحن لا نستطيع تغيير أي شيء" وصل جواد إلى سجال وأمسك ذقنه قائلاً: "نستطيع فعل الكثير، ولكنك ساذج" لم يستطع سجال أن ينطق بأية كلمة، بل لم يستطع حتى أن يبلع ريقه باقتراب جواد منه.

ترك جواد سجالاً فجثا سجال على الأرض لم يعد قادراً على احتمال المجادلة أكثر، إنه يعلم ألا فائدة، ويعلم تماماً أن دريم في مكان ما لا يدري من أين سينقض عليه في أية لحظة.

حدق جواد بسجال قائلاً: "هل تريد أن تموت؟" لم يقل سجال شيئاً، بل حتى لم ينظر إلى جواد، ابتسم جواد وقال: "ليس بعد،

هناك ما يتوجب علي فعله" ما إن ارتخى سجال قليلاً وذهب عنه التوتر حتى ظهر دريم من تحت الرمال من خلفه وربط سجالاً بخيوط حادة كالخيوط التي كان يستعملها.

نظر سجال خلفه إلى دريم ثم نظر إلى جواد الذي قال: "سيلعب قليلاً".

فعلاً ابتعد جواد بينما بدأ دريم الهجوم على سجال، استطاع سجال فك الخيوط عن ذراعيه بسرعة ونهض يدافع عن نفسه دون جدوى، دريم كان سريعاً وصغيراً، وكان مجهزاً بكل أنواع الأسلحة في كل زاوية، لا يستطيع أحد الإمساك به على الإطلاق.

تعرض سجال لضربات شديدة، بل استطاع دريم أن يغرز شفراته في أماكن متعددة من جسده.

سقط سجال على الأرض متعباً، إنه يعلم ألا فائدة من المقاومة، نظر إلى دريم الذي يسير ببطء مقترباً منه، لم يكن يراه جيداً فقد بدأ يدوخ، ولكنه تذكر... كلمة السر.

اقترب دريم ببطء، لا يفصل بينه وبين سجال إلا متر واحد، عندها قال سجال بصوت واضح: "واصل... وسجال".

ولكن دريم تابع سيره، لم يحدث شيء! بدأت عيون سجال تدمع، حتى هذا لم ينجح، لقد فقد الأمل في كل شيء... كل شيء.

★★★

واصل كان مستهماً في العمل، رن جرس المنزل ففتحته مرام فإذا بهم كرم وفرح ورند يزورونهم.

فرحت مرام لذلك كثيراً، حيث كان على أحدهم أن ينتزع دريم من

بين يدي واصل ولا يستطيعٍ أحد فعل ذلك إلا كرم.

دخل كرم فوجد واصلاً على حاله يعمل بدريم، قالت له مرام بصوت منخفض: "إنه هكذا منذ البارحة، لم يُرد حتى أن ينام" فهم كرم على الفور أنه أمر غير محتمل فاقترب من واصل الذي انتبه إليه للتو.

وضع واصل دريم جانباً ووقف لاستقبال كرم، عانقه مرحباً فقال كرم: "من الجيد أنك تترك دريم لاستقبالي" قال واصل: "لا تقل شيئاً كهذا" قال كرم: "أخبرتني مرام أنك تعمل به متواصلاً منذ البارحة" "لقد نمت ست ساعات، ثم... هناك شيء علي إنجازه" "أيتعلق بالقطعة التي اشتريتها لك؟" أشار واصل بالإيجاب فتنهد كرم قائلاً: "كنت أعلم أنه لم يكن علي شراؤها" عندها انتبه واصل إلى وجود رند.

رند ظلت واقفة فقال كرم لها: "تعالي يا رند" واصل كان متعجباً أن رندَ قبلت أن تدخل المنزل! ولكنه أمسك يد كرم يقول له بصوت خافت: "لا تجبرها على ما تكره" قال كرم: "هناك أمور لا تستطيع رفضها".

اقتربت رند ووقفت أمام واصل الذي ابتسم وقال: "أهلاً بك يا رند" قالت رند دون أن تنظر إليه: "مبارك" لم تبارك رند لواصل على الزفاف ولا على المنزل ولا على الطفل من قبل، ولكن كان هذا أكثر من كاف بالنسبة لواصل، قال لها سعيداً: "شكراً، يسرني أنك دخلت المنزل" لم تقل رند شيئاً فقال كرم: "هناك شيء آخر" قالت رند: "آسفة لما جرى" شعر واصل أن هذا ما أرادها كرم أن تقوله بالضبط، جثا واصل لينظر في عيون رند ومع ذلك لم تتحرك رند أبداً فقال واصل: "لم

أكن لأسبب لك أية مشاكل، فأنت أخت لـي" ولكـن رنـدَ لم تقل شيئاً وظلت صامتة.

عندها قالت مرام لواصل وكرم: "لماذا لا تخرجان معاً؟ الجو جميل في الخارج" فهم واصل على الفور أن مرام تريده أن يترك دريم قليلاً، ولكنه قال: "ليس قبل أن نشرب شيئاً" كرم أمسك يده قائلاً: "سنشرب شيئاً في الخارج، هيا بنا".

لم يستطع واصل قول أي شيء، أخرجه كرم من المنزل ليتمشيا بينما ظلت مرام مع فرح ورند وبراء في المنزل.

★★★

قرب الشجرة كان سجال ملقى على الأرض متعباً، فتح عينيه فإذا به وحده، لقد غادر والده ودريم.

تمالك نفسه ورفع جسده ينظر حوله، المكان هادئ جداً وكأن شيئاً لم يحدث.

نظر سجال إلى حيث دفن سارياً، زحف إليه بكل ما أوتي من قوة وتمدد إلى جانبه يقول: "ماذا ينوي أن يفعل؟ لقد تركني!" حدق به وقال: "ما أزال أشعر أنك إلى جانبي، أنت الوحيد الذي كنت وستظل إلى جانبي دوماً" عندها تذكر مالكاً وما جرى فقال: "لا، لم تكن أنت من فعل ذلك" سكت قليلاً ثم تابع قائلاً: "لقد وعدتك ألا أكرهك، وأنا على وعدي..." ولكن عيونه بدأت تدمع، وضع رأسه على التراب قائلاً: "لقد كان... خير أخ" وبدأ يبكي، إنه لا يصدق حتى أنه مات بهذه البساطة! كل من في المنزل الآن يحقدون عليه بلا شك، لقد جلب لهم كل التعاسة.

★★★

دخل عمرو العمارة التي يعمل فيها، لا أحد هناك فاليوم جمعة، دخل مكتبه الفارغ وأغلق على نفسه الباب وجلس على كرسيه وحيداً ليستطيع البكاء قدر ما يشاء...

بكى عمرو، بكى كثيراً على مالك، لم يكن له ذنب في أي مما جرى، بكى على الحال التي وصل إليها الجميع، حتى سجال... كل ما فعله من أجله ولّى وكأنه لم يفعل شيئاً، سناء الآن باتت في حالة لا يمكن لها أن تثق بأي شيء مما يفعل، ماذا عساه أن يفعل الآن؟ ماذا عساه أن يفعل؟

سجال كان يرتكز على الشجرة متعباً، ما يزال يتحدث إلى ساري بين الحين والآخر: "أشعر بالبرد... إما أن الجو بدأ يبرد أو أنني أنزف" ولكن لم تكن لديه القوة حتى لينظر إلى جسده، نظر إلى البحر قائلاً: "لم يعد لدي ما أفعله، لقد ضاعت آخر ورقة... كلمة السر لم تنجح" أغمض عينيه: "لم أعد أريد حتى أن أفكر بالسبب، ولم أعد أريد أن أفكر بطريقة أخرى أنجو فيها، ليس لدي القوة لفعل أي شيء" فتح عينيه ناظراً ثانية إلى البحر، حدق فيه طويلاً، كم هو كبير وصاف، وأشعة الشمس تنعكس عليه "أشعر بالضعف، لأول مرة في حياتي أشعر أنني بحاجة إلى قوة خارقة تساعدني..."



في هذه اللحظة أدرك سجال أن كل ما يفعله قد ذهب أدراج الرياح، بل ولم يستطح أحدهم مساعدته بأي شكل، لم يبق لديه سوى حل واحد، حل ربما لم يلجأ إليه قبل الآن، حل كان عليه أن يفكر به منذ البداية ولكنه لم يفعل "... لا حول... ولا قوة إلا... بالله" كانت هذه أول مرة ينطق سجال فيها هذه الكلمات، ربما لأنه ظن أنه قادر على تدبر كل أموره بنفسه، كان قوياً كفاية ولكنه نسي أن هناك دائماً الأقوى، وليس هناك من هو أقوى من الله.

أغمض سجال عينه ثم ابتسم: "هذه أول مرة... لم أكن أعرف أنها تبعث الراحة في النفس" لحظات هي التي مرت حتى سمع سجال صوت أقدام تقترب، بل وبدأت تركض مقتربة! فتح عينيه قدر ما يستطيع فرأى واصلاً مع كرمٍ يتحلقان حوله.

أمسك واصل بسجال قلقاً عليه قائلاً: "سجال... هل أنت بخير؟ ماذا جرى؟" إلى أن استوعب سجال أن واصلاً هو من أمامه، وإلى أن أدرك ما يقول ألقى بجسده المتعب عليه.

أمسكه واصل قلقاً عليه جداً، كانت حالة سجال يرثى لها، قال كرم: "سأتصل بالإسعاف" ولكن سجالاً قال فوراً: "كلا... سأكون بخير" قال واصل منزعجاً: "كيف تقول ذلك؟ إنك تنزف بشدة!" ابتسم سجال قائلاً: "حقاً؟ توقعت ذلك" ولكن كرماً تابع الاتصال فنظر سجال إليه قائلاً: "لا تخطئ الخطأ الذي فعلته" وبدأ يدمع ويقول: "لقد مات ساري في المشفى" حدق واصل بسجال لا يصدق ما يسمع فأشار سجال لهما على التراب قائلاً: "لقد قتله والدي... قتله بالسم في المشفى، لقد... لقد حملتُه إلى هناك بيدي" أغلق كرم الهاتف دون أن يكمل اتصاله فقال واصل: "ولكن... ولكن والدك..." قال سجال: "لقد حضر... جاء

بنفسه... مع..." استوقفه واصل، فهو يعرف تماماً تتمة الجملة، كرم لم يكن يفهم الكثير ولكنه على الأقل استوعب أن والد سجال من فعل به وبساري كل هذا.

تابع سجال قائلاً: "لقد... قتل سارياً... وأنا التالي" قال واصل منزعجاً: "سنحاول فعل شيء معاً، لا تيأس..." ابتسم سجال قائلاً: "كلمة السر لم تعمل..." سكت واصل، بعد كل هذا... لم ينجح في مساعدته.

ظل سجال صامتاً فقال واصل: "لأنني لم أنجزها، لأنه ليس لدي الوقت الكافي" حدق كرم بواصل لا يفهم ما يعني، ولكن لم يكن شيء مما يقوله جيداً.

حمل واصل سجالاً بين ذراعيه فقال سجال على الفور: "إلى أين... لا أريد الذهاب إلى المشفى" قال واصل: "إلى منزلي، سنعتني بك هناك على الأقل" شعر سجال بالخوف وقال: "كلا! عليك أن تتركني... والدي يراقبني بلا شك، لن يتوانى عن قتل أي شخص" قال واصل غاضباً: "وهل تريدني أن أتركك هكذا؟" تذكر سجال عمراً، لقد كان هكذا أيضاً إلى أن مات مالك، لم يكن يستطيع سجال أن يقول لواصل شيئاً كهذا، ولكن قد تكون حياة مرام أو حتى براء في خطر.

فقد سجال وعيه وأخذه واصل وكرم إلى المنزل.

★★★

بدأ سجال يحلم... الجمهور بانتظاره ليخرج على المسرح، هناك الكثير من الناس ولكن سجالاً متعب، إنه يعلم أن جواداً يراقبه في مكان ما.

تأخر سجال عن الخروج لحظات فبدأ الجمهور يضج بالأصوات، كان على سجال أن يخرج بسرعة.

حزم سجال رأيه وخرج ليقف أمام الجمهور، سكت الجمهور لحظة ولكنه تابع الاستياء، تعجب سجال كيف يفكر الجميع؟ إنه على وشك الموت والجميع هنا بانتظار أغنية! ألا يشعر أحد بما يحل به؟ فكر لحظة، إن الناس هنا كثر، لربما إذا صرخ فيهم بما يجري لن يستطيع جواد فعل شيء به.

أمسك سجال المايكريفون وبدأ يصرخ قائلاً: "هناك من يلاحقني! إنه ينوي قتلي!" ولكن أحداً لم يسمع، تعجب سجال من ردة الفعل هذه فصرخ مجدداً: "قد لا تروني هنا مرة ثانية! أنا لا أمزح!" ولكن أحداً لم يسمع، إنهم لا يسمعون شيئاً مما يقول!

علا صوت المشاهدين أكثر، كلهم يريدون سجالاً، تعجب سجال، إنه واقف أمامهم! يبدو أن لا أحد يراه، كيف ذلك؟

بعد دقائق ضج الجمهور أكثر وبدأ يخرج من الصالات مستاء، سجال ظل واقفاً يراقبهم، إنه هنا، ولكن لا أحد يراه، كل ما يهمهم أن يستمعوا لأغنية.

جثا سجال على الأرض، لا أحد يفكر به، لا أحد يشعر بما يجري حوله، كل شخص يهمه ما يهمه فحسب، لا أحد يستطيع مساعدته، لا أحد يقف إلى جانبه...

لحظات هي حتى فتح سجال عينيه ليرى واصلاً وكرماً يحدقان به، إنهما ليسا وحدهما، مرام وفرح أيضاً هنا و... رند.

نظر سجال إليهم جميعاً فقال واصل: "هل أنت بخير؟" نظر سجال إلى واصل فقال كرم: "أكاد لا أصدق!" قالت فرح: "هذه معجزة!"

ابتعدت مرام قائلة: "سأحضر بعض الحساء" نظر سجال إلى رند التي كانت قلقة جداً عليه، قالت: "هل أنت بخير؟" ابتسم سجال قدر المستطاع، إنها فعلاً قلقة عليه، قال: "أجل" ولكن رندَ ظلت قلقة، إن حالته غريبة جداً.

عادت مرام بالحساء فساعد واصل سجالاً على الجلوس ليشرب، جلس كرم إلى جانبه أيضاً يقول: "لقد كنتُ مصراً على أخذك إلى المشفى، فقد نزفت كثيراً" قال سجال: "جيد أنك لم تفعل" قال واصل: "شخص غيرك كان قد فارق الحياة منذ زمن" قال سجال كما كان يقول دوماً: "أنا معتاد على ذلك" سكت الجميع، حدق بهم سجال، على الأقل هناك أشخاص مهتمون بأمره.

فجأة تذكر سجال شيئاً مهماً، هم بالنهوض فجأة وهو يقول: "ساري..." أمسكه واصل قائلاً: "إلى أين؟" قال سجال: "ساري... لقد تركته! يجب أن أعود..." لم يعرف واصل ما يقول، ولكن سجالاً قال بسرعة: "لقد تخليت عنه مرة، لن أفعل ذلك مجدداً" ولكن واصلاً لم يترك يده، بل أعاده بهدوء إلى الفراش وقال: "أنت لا تتخلى عنه هكذا" قال سجال: "إنه وحيد... وحيد..." بدأ سجال يدمع فعانقه واصل، كل ما يفكر به أن سارياً الآن... في وضع مختلف.

هدأ سجال قليلاً، ولكنه مايزال يرغب في العودة إلى حيث ساري بعد أن يستريح قليلاً، تابع تناول الطعام، تناول كل ما قدمته مرام له، نظر إليه واصل قائلاً: "ألم تقل أن سارياً قد مات بالسم؟" أشار سجال بالإيجاب، لم يشأ واصل أن يكمل سؤاله، فقد كان سجال يرفض دائماً تناول أي شيء وحده في مثل هذه اللحظات، ولكن سجالاً فهم ذلك على الفور وقال: "إنه لا يريد قتلي، على الأقل ليس قبل أن

يعذبني" لم يصدق واصل ما يسمع، يكاد لا يتصور أن من يفعل كل هذا إنسان!

نظر سجال إلى حيث كانت تجلس رند، كانت قد وضعت كرسياً في زاوية الغرفة تجلس عليه، قال سجال: "أنا مدين لك باعتذار" نهضت رند واقتربت من سجال بهدوء، فقال سجال: "لقد كان ذلك فظيعاً" قالت رند: "لقد علم كل شيء" قال سجال: "كيف كانت ردة فعله؟" لم تستطع رند قول أي شيء فقال سجال: "أنا آسف، لقد كنت أحمق" قالت رند: "أين كنتَ طول الوقت؟" حدق سجال في الطعام بين يديه وقال: "في أي مكان وكل مكان لا ترينني فيه" بدأت رند تدمع فقال سجال: "كنت أعلم أنني قد فعلت شيئاً فظيعاً..." ولكن رندَ قاطعته قائلة: "لقد كنتُ بحاجة إليك كثيراً... ومع ذلك كنتُ وحدي طول الوقت" طأطأ سجال رأسه فقالت رند: "هل ستهرب ثانية؟" سكت سجال لا يدري ما يقول، في هذه اللحظات بالذات هو غير قادر على إطلاق أي وعد أياً كان، كل ما استطاع قوله: "لا أرغب في ذلك" كان ذلك كافياً بالنسبة لرند.

نظر واصل إليه قائلاً: "أنا آسف، بشأن دريم" نظر سجال إلى واصل لا يدري ما يقول، لم يفعل واصل ما اتفقا عليه، ولكن واصلاً قال: "أنا أعلم تماماً لماذا حدث ذلك، هذا لأنني لا أستطيع صناعته" قال سجال: "تستطيع ذلك..." قاطعه واصل قائلاً: "يحتاج لوقت طويل" سكت سجال فقال واصل بصوت خافت: "أنا لا أملك هذا الوقت" قال سجال: "لا أحد يعرف..." ولكن واصلاً قاطعه ثانية وقال: "علي أن أفكر بشيءٍ أسرع، شيء لا يستطيع أحد فصله عن دريم" سكت سجال، إنه تقريباً فقد كل أمل، ولكن واصلاً كان مايزال مصمماً، لم يعرف

سجال هل هو سعيد بتصميم واصل أم أنه قد فقد حتى الرغبة في نجـاح أي خطة.

وضع سجال الطعام جانباً وقال: "علي الذهاب الآن" قال واصـل: "إلى أين؟" قال سجال: "المكان نفسه" قال واصل: "تستطيع البقـاء هنـا" هـز سجال رأسه قائلاً: "لا أستطيع البقاء هنـا، سـأعرض حيـاة كـل مـن في المنزل إلى خطر أكيد، هذا كاف" سـكت واصـل لا يـدري مـا يقـول، إن سجالاً محق ولا شك.

غادر سجال المنزل رغم محـاولات الجميـع لإبقائـه، لم يكـن يريـد لأحد أن ينتهي كما انتهى مالك، إن والده يستطيع فعل أي شيء.

★★★

عاد عمرو إلى منزله، دخل فكانت سناء جالسة وحـدها في الصـالة، أغلق الباب بهـدوء خلفـه فقالـت: "هـل كنـتَ هنـاك؟" سـكت عمـرو، نظرت سناء إليه قائلة: "لا أصدق أنك تفعـل ذلـك!" قـال عمـرو: "لقـد تحدثتُ إليه" قالت سناء منزعجة: "إنك تهـتم بـه أكثـر مـن أولادك!" قال عمرو: "إنه كولد من أولادي" غضبت سناء قائلة: "كـلا، إنــه لـيس كذلك! إنه غريب يجلب المتاعب!" سكت عمرو، ليس لأنه لا يستطيع أن يرد على سناء، ولكنـه لم يرغـب في أن يطيـل الجـدال أكثـر، فهـو يعرف أن سجالاً ضحية في كل ما يجري، ولكنه يعلم أن سناء لا ذنـب لها في أن تضحي هي الأخرى.

بدأت سناء تبكي مجدداً، كان من الواضح أنها لم تكـف عـن البكـاء لحظة، اقترب عمرو منها فجلست على الأريكة تقول: "أكـاد لا أصـدق أنه مات مقتولاً، إنه لا يستحق شيئاً كهذا..." ضمها عمـرو إلى صـدره

فتابعت البكاء بحرارة.

عمرو كان مايزال يتساءل، هل هو الملام على ما جـرى؟ هـل توقـع حدوث شيء كهذا وتابع المسير في هـذا الطريـق؟ ربمـا لم يتخيـل وقـع ذلك في نفسه، ولكن... ولكنه يشعر أنه لا يحق له أن يبكي أمام سـناء بطريقة أو بأخرى.

★★★

عاد سجال إلى حيث دفـن سـارياً، وقـف أمامـه يقـول: "آسـف لمـا جرى، أرجو ألا أكون قد تـأخرت" كـان المكـان هادئـاً ومظلمـاً، صـوت الأمواج كان الشيء الوحيد الذي يسمعه سجال.

جلس قرب الشجرة كما كـان يفعـل وأغمـض عينيـه لا يـدري مـاذا يفعل بالضبط، إنه كمن ينتظر حتفه تماماً.

★★★

واصل كان جالساً في منزله يفكر، فـرح نظـرت إلى كـرم حيـث كـان عليهما المغادرة لأن الوقت بات متأخراً.

اقـترب كـرم مـن واصـل قـائلاً: "مـا الـذي يجـري بالضـبط؟" قـال واصل: "الكثير، لم أعد قادراً على التحمل" قـال كـرم: "خـذ قسـطاً مـن الراحة، تبدو مرهقاً جداً" قال واصل منزعجاً: "هـذا مـا لا تسـتطيع أن تفهمه بعد، ليس لدي وقت" سكت كرم، كل ما كـان يخشـاه أن يسـأل واصلاً لماذا يقول ذلك دائماً، ولكن واصلاً كان يعني فعلاً ما يقـول، إنـه يشعر أنه لن يكون على قيد الحياة ربما بعد أسابيع.

نهض كرم قائلاً: "دائماً هناك وقـت لمـن يسـتغله" قـال واصـل: "ولم

يعد لدي أدنى فكرة عما يجب أن أفعل" حمل كرم سترته ليغادر قائلاً: "ركز أفكارك، فلم تخنك مرة" نظر واصل إلى كرم الذي قال: "أليس كذلك؟" فكر واصل، لقد كان دائماً يفكر كثيراً وينفذ بدقة وكل شيء سار على أحسن ما يرام، لم يكن يوماً يفكر بالفشل أبداً.

ربّت كرم على كتف واصل قائلاً: "أنا أثق بك" سعد واصل بتلك الكلمات وغادر كرم المنزل مع فرح ورند.

مرام جلست إلى جانب واصل حاملة براء بين ذراعيها، كان واصل هادئاً جداً غارقاً في التفكير فقالت: "ما الذي يشغلك بالضبط؟ وما الذي يجري مع سجال؟" تنهد واصل لا يدري ما يقول فقالت مرام: "إنه من يشغلك أليس كذلك؟" قال واصل: "وماذا إذا قلت لك أن هذا صحيح؟" سكتت مرام قليلاً ثم قالت: "ما الذي يجري معه؟ إنه يتأذى كثيراً" نهض واصل قائلاً: "إنه في خطر" سكتت مرام لا تصدق أن واصلاً يقول شيئاً كهذا بهذه البساطة، ولكنه تابع قائلاً: "هل هذا ما كنتِ تريدين أن تسمعيه؟" قالت مرام: "ولماذا خرج من هنا إذن؟ كان عليك أن تحميه" قال واصل: "لست قادراً على فعل ذلك، إنه أقدر مني على حماية نفسه" قالت مرام: "من الذي يهدده؟" ابتسم واصل لا يدري كيف يقول شيئاً كهذا، ولكنه قال: "والده، أو... من رباه" وقفت مرام قائلة: "لماذا يفعل ذلك؟" قال واصل: "لا أدري، ما أدراني؟".

ألقى واصل بنفسه على الأريكة منزعجاً من كل ما يجري، اقتربت مرام منه تقول: "وهل كنت تعمل بدريم من أجله أيضاً؟" قال واصل: "اطمئني، لن أتابع العمل" قالت مرام: "لقد كان من أجله" قال واصل: "أجل، ولكن لا فائدة الآن" نظرت مرام إلى دريم على الأرض والمفكات حوله، قالت: "هل تعلم، أحياناً أشعر أنني أحب أن أراك

تعمل به" قال واصل: "لقد كان الأمل الوحيد" نظرت مرام إلى واصل وقالت: "إذن لا تتخلى عنه".

سكت الاثنان قليلاً ثم حدق واصل بدريم، كان وجه دريم مقابلاً لواصل وكأنه يحدق به أيضاً، للحظة خطرت ببال واصل فكرة.

نهض واصل وجلس على الأرض ممسكاً بدريم، إذا كان ليس هناك وقت، فربما عليه أن يصمم شيئاً بسيطاً وسريعاً.

أمسك واصل دريم وحدق به "كلمة السر والاستقبال الصوتي قد يأخذ وقتاً، علي أن أفكر بشيء أبسط من ذلك بكثير، ولكن يجب ألا يستطيع أحد نزعه من دريم أيضاً" أدار واصل دريم بين يديه يبحث عن حل، بينما تركته مرام يفكر وحده بهدوء.

ظل واصل يحدق بدريم، عليه أن يفعل شيئاً ما، شيئاً سريعاً ربما بالأدوات التي حوله فقط، شيئاً ربما يجب أن ينهيه الليلة، الليلة.

حدق واصل مطولاً بالأدوات "حتى وإن كان بسيطاً يجب أن يكون بلا أسلاك، شيء لا يستطيع أحد التخلص منه طوال عشر سنوات أو أكثر، بل ربما... شيء لا يعلم أحد بوجوده أصلاً، شيء... شيء أستطيع استغلاله... أساسي لا يمكن لدريم أن يعمل دونه..." نظر إلى الأدوات حوله وفكر "المشكلة أن الأدوات كلها موجودة في أماكن مخلتفة، البطاريات ليست شيئاً مميزاً، حتى الدارات، بل كل جزء منه هو عبارة عن أدوات معروفة يمكن أن تكون في أي آلة" عاود التقليب في دريم "حتى القطعة التي جلبها كرم لي، موجودة في معظم الأجهزة في المنزل، محول... محول" خطرت ببال واصل الفكرة أخيراً "حتى وإن كان موجوداً في أجهزة أخرى، المهم أن يكون مهماً في دريم" حمل واصل المفك "كل ما أحتاجه هو ألا ألمس دريم، وإنما أصنع جهازاً

يظل معي، قادراً على تدمير الدارات الأساسية عن بعد، ولكي لا أدمر الأجهزة الأخرى سيكون لدى الجهاز نطاق قصير للعمل، في كل الأحوال قد لا أستطيع أن أصنع جهازاً بنطاق واسع" بدأ واصل العمل، وضع دريم جانباً وبدأ يصنع جهازاً صغيراً، كل ما يحتويه هو مقبض ومكبس، وظيفته تدمير الدارات الكهربائية في أي جهاز حوله، قد يكون بسيطاً ولكنه فعال بكل تأكيد مع أي جهاز، حتى دريم المستقبل.

★★★

أشرقت الشمس، أشرقت بسرعة فقد انقضى الليل بأحداث متتابعة، فتح سجال عينيه بهدوء، المكان كان هادئاً جداً، ومايزال صوت الأمواج الغالب على المكان مع صوت العصافير تزقزق بطلوع الفجر.

نظر سجال إلى جانبه حيث دفن سارياً، كل شيء هادئ وكأن شيئاً لم يحدث، ولكنه للحظة أحس بحركة ما إلى جانبه الآخر، نظر بسرعة فإذا به دريم المستقبل يجلس إلى جانبه مرتكزاً على الشجرة.



فزع سجال ونهض بسرعة مبتعداً، عندها سمع صوت ضحكات، إنه جواد بلا شك.

استدار سجال إلى حيث الصوت فرأى جواداً يسير مقترباً منه يقول: "صباح الخير" لم يرد سجال، كان مايزال قلقاً، بل إن جواداً هو آخر شخص يحق له أن يقول كلمة خير. وقف جواد أمام سجال وقال: "كيف كان يومك؟" لم يقل سجال شيئاً بل لم يكن يرغب في أن يغض طرفه عن دريم الجالس بالقرب منه.

ضحك جواد قائلاً: "ألم يكن جيداً؟ إلى جانب واصل والجميع؟" حدق سجال بجواد، من السيء جداً أن يعرف واصلاً.

سار جواد مقترباً من دريم حيث ساري وقال: "من المؤسف أن يزداد عدد المدفونين هنا أليس كذلك؟ أقترح أن تبني مقبرة جماعية" قلق سجال كثيراً، كم من الناس ينوي أن يقتل؟ التفت جواد إلى سجال وقال: "وأنت ستكون آخرهم".

كان جواد ينوي أن يقتل كل من يعرف سجال، كان يريد أن يجعله يندم على تعرفه على الجميع، كان القاسم الوحيد بينهم هو سجال، إذا مات سجال ينجو الجميع، ولكنه لا يريد ذلك، لا ينوي أن يترك أحداً أبداً.

صرخ سجال قائلاً: "إذا كنت تريد أن تقتل فلم لا تتخلص مني؟ أنا أمامك هنا" أشار جواد بالنفي وقال: "أنت تفهم تماماً أن الموت هو ما تطلبه، أما ما أطلبه أنا... فهو مختلف" سكت سجال، لا فائدة... لا يستطيع أحد ردعه عن أي شيءٍ سيفعله، بل بذلك يكون سجال هو السبب الوحيد في موتهم جميعاً.

جثا سجال على الأرض، خارت قواه ولم يعد قادراً على فعل أي

شيء، عندها قال جواد: "حسناً، السؤال الآن بمن سنبدأ" نظر سجال إليه فقال جواد: "واصل... قد يكون مسلياً".

ارتعد سجال، واصل بالكاد بدأ حياته مع عائلته، لديه طفل بأمس الحاجة إليه، ومرام... بل ربما يموتون أيضاً.

مشى جواد ببطء يقول: "لن يكون عملاً صعباً، ولكنا سنستمتع" وقف دريم فتجمد سجال مكانه يحدق به، سار إلى جانب جواد ثم قفز على كتفه حيث جلس إلى أن ابتعدا.

ظل سجال واقفاً مكانه، ماذا يفعل؟ هل ستكون هذه هي النهاية؟ هل سيقف مكتوف اليدين؟ واصل... واصل لا يستحق ذلك... لا يستحقه أبداً! ماذا يفعل؟

بعد لحظات من التفكير نظر إلى حيث ساري، يجب أن لا ينتهي أحد هكذا، لا يجب.

ركض سجال متجهاً إلى منزل واصل، لم يكن يخطر بباله ما سيفعل ولكن كل ما يعرفه الآن أنه سيبذل حياته كلها لفعل المستحيل أياً كان.

★★★

واصل كان نائماً في الصالة والأدوات متناثرة حوله كالعادة. فتحت مرام الباب فرأته نائماً على حاله، أيقظته وطلبت منه أن ينام في الفراش ولكن كان عليه أن يذهب إلى المعمل، طلبت منه أن ينام قليلاً ثم يذهب ولكن لم يكن لديه وقت لذلك.

استبدل واصل ثيابه ليغادر عندما رن الهاتف، ردت مرام فإذا بها أمها شادن تطلب منها المساعدة بالعناية بالجدة لتشتري بعض الأغراض.

طلبت مرام من واصل أن ينتظر في المنزل قليلاً لعله يستريح، واصل

كان متعباً فعلاً ولكنه لم يكن يريد أن يتأخر عن المعمل، وعدته مرام ألا تغيب أكثر من ربع ساعة فوافق، ولكنها أيضاً طلبت منه أن يعتني ببراء، فلن تغيب أكثر من ربع ساعة.

وافق واصل وبقي في المنزل وحده مع براء وغادرت مرام، براء كان مستيقظاً ولكنه كان ممدداً في فراشه يلهو.

جلس واصل إلى جانبه يداعبه عندما رن الجرس، كان ذلك أسرع من المتوقع! هل يمكن أن تكون مرام؟

فتح واصل الباب فإذا به سجال يلهث بشدة يقول: "إنه آت! سيأتي إلى هنا!" أدخل واصل سجالاً وأقفل الباب قائلاً: "اهدأ قليلاً" قال سجال منزعجاً: "أهدأ! كيف لك أن تكون هادئاً هكذا؟ إنه ينوي قتلك!" قال واصل بهدوء: "لم يكن هذا أمراً مستبعداً أليس كذلك؟" لم يصدق سجال ما يسمع فقال واصل: "أنا من صنع دريم، لابد أن يعرفني جيداً" قال سجال منزعجاً: "عليك أن تغادر، أن تهرب، افعل أي شيء!" نظر واصل إلى سجال وقال: "الهرب لم يكن حلاً يوماً، أنت تعلم ألا فائدة من الهرب، ثم... أنت لست المذنب في ذلك، أنا من صنع دريم، أنا مذنب أكثر منك" قال سجال: "ولكن... يجب أن لا تموت!" مشى واصل قليلاً وقال: "سأموت كما كتب الله لي، هذه ليست مشكلة" لم يصدق سجال ما يسمع، واصل أهدأ مما يظن! ولكن واصلاً التفت إليه قائلاً: "لدي من أدافع عنه، لا أستطيع تركه أبداً" سمع سجال صوت براء داخل الغرفة يضحك تارة ويبكي أخرى، كان الوضع غريباً ولكن واصلاً قال: "أنا لست ضعيفاً، سأدافع عن نفسي قدر ما أستطيع، وعن هذا المنزل الذي بنيت، وعن هذا الطفل الذي بات كل شيء لي" سكت سجال لا يدري ما يقول، واصل دائماً كان يفكر بطريقة

مختلفة، ولكنه قال: "لا تستطيع قتاله، إنه أقوى مما تظن" قال واصل: "بسبب دريم، أنا أملك وأحداً" كاد سجال ينسى أن دريم هو فعلاً نفسه في الجهتين ولكنه قال: "لقد أضاف إليه أسلحة كثيرة..." قاطعه واصل قائلاً: "ولكنني من صنعه" سكت سجال، هل يعني واصل ما يقول؟ هل سيقاتل بدريم ضد دريم فعلاً؟

جثا واصل وربت على كتف سجال وقال: "ستساعدني أليس كذلك؟" قال سجال: "بالطبع" قال واصل: "أنا لا أنوي الموت هباء، مايزال هناك ما أفعل" رفع واصل الجهاز الذي صنعه يريه لسجال، ولكن لم يكن لديه الوقت ليشرح لسجال شيئاً حيث فتح الباب، وكان جواد هناك.

كانت هذه أول مرة يرى فيها واصل جواداً، بالإضافة إلى... دريم.

حدق واصل بدريم طويلاً، إنه مختلف، يبدو شرساً فعلاً بالإضافات التي عليه، ولكنه هو بكل تأكيد، إنه فعلاً دريم في المستقبل.

شعر واصل بالأسى، صحيح أنه لم يعد هناك مجال للشك بحكاية سجال، ولكنه لآخر لحظة كان يتمنى أن يكذبه، لماذا يصبح دريم هكذا؟

سجال كان خائفاً جداً، لا يبدو على واصل أنه يدرك فعلاً ما يحدث، إنه هادئ! كيف له أن يكون هادئاً في موقف كهذا؟ نظر سجال إلى جواد عندما سمعه يقول: "لقد سبقتني إلى هنا، ما تزال سريعاً" ظل سجال صامتاً فقال جواد: "لن يفيدك ذلك في شيء" صرخ سجال قائلاً: "أنا هنا أمامك، اقتلني وأنه كل شيء" قال جواد: "سبق أن أخبرتك أنني لا أنوي فعل ذلك" قال واصل: "إذن دعه وشأنه" نظر جواد إلى واصل ثم قال: "شجاعة في آخر لحظة، هذا مؤثر" قال واصل لسجال: "خذ براء وغادرا المنزل" شعر سجال أن واصلاً بدأ يشعر

بخطورة الموقف، أو أنه بدأ يشعر بتوتر علىٍ الأقل، لجواد ودريم رهبة لا يستطيع أحد أن يهملها، ولكن سجالاً قال: "سأظل معك، لن أتركك أبداً!" قال واصل: "براء يجب أن يغادر، لا أريده أن يبقى هنا" ولكن سجالاً قال: "سنحميه معاً" لم يقتنع واصل بذلك ولكنه لم يستطع أن يجبر سجالاً، إنه يعلم أنه يلوم نفسه على ما يجري الآن، ولكن واصلاً كان يلوم نفسه أكثر من أي شخص آخر، دريم أمامه هو ثمرة جهد كبيرٍ بذله ليتم حلمه الذي دمر أحلام الكثيرين، إذا كان عليه أن يفعل شيئاً ما فعليه أن يدمره بأي ثمن.

تحرك دريم المستقبل، قفز على الأرض بهدوء فوضع واصل جهاز تحريك دريم في أذنه ليبارز. لم يستخدم واصل دريم لأغراض القتال من قبل، ولكنه واثق أنه سيقدم أفضل ما لديه.

وقف دريم، إنه جاهز للقتال والدفاع عن الجميع، بل والانتقام لكل من تأذى أيضاً.

سجال تحرك ليدافع عن واصل، ولكن دريم المستقبل هجم عليه أولاً.

تفاجأ الجميع لذلك ولكن دريم المستقبل استطاع إصابة رجل سجال إصابة مباشرة جعلته يسقط أرضاً غير قادر على الوقوف عليها.

فزع واصل لذلك! إن دريم المستقبل أسرع مما يظن! ثم... من المفترض أن يقالته هو، ومع ذلك كان يريد له أن يرى ما يفعل.

ركض واصل إلى سجال وأمسك به، ولكن سجالاً قال: "اهرب! لا تستطيع أن تفعل شيئاً" قال واصل: "هذا خيار كلانا يعلم أنه مستحيل" سجال كان يعرف ذلك، عندها نظر واصل إلى دريم المستقبل وبدأ تحريك دريم ليركض عليه.

كان دريم يقاتل خالي اليدين بينما يقاتل دريم المستقبل مستخدماً أسلحة منتشرة في كل مكان من جسده، ومع ذلك كان دريم سريعاً وقوياً، كان قادراً على تفادي معظم الضربات الموجهة إليه.

جواد فرح لذلك، بدأ يشعر بمتعة وكأنه يلعب لعبة، واصل وضع سجالاً جانباً وركز في القتال أكثر، كل شيء بات سريعاً، سريعاً جداً! هل يستطيع مجاراة ذلك؟

ولكن هناك شيء ما... شيء لفت انتباهه، كلا الآلتين لا تؤديان الحركات على أكمل وجه، هناك شيء ما يحدث في كل حركة، وكأنها قوى مضادة، وكأن دريم لا يريد أن يقاتل شبيهه والحال كذلك في دريم المستقبل، أو...

حدق واصل بجواد، الجهاز حول أذنه هو بالضبط نفسه الجهاز حول أذن واصل، كيف لم يفكر في شيء كهذا؟ إنه نفس الجهاز! إذن...

توقف واصل عن التركيز بدريم وبدأ يركز بدريم المستقبل، بدأ يحاول التحكم به والتركيز عليه، فعلاً قد توقف!

توقف كل شيء، لم يعد أي من دريم الحاضر والمستقبل يتحركان، لقد تجمدا.

بينما سقط دريم على الأرض ظل دريم المستقبل متجمداً، إنه يتلقى إشارات من جهتين.

تعجب جواد لما يجري ولكنه صرخ قائلاً: "تحرك! ماذا جرى لك؟" ولكن دريم المستقبل كان عاجزاً عن مقاومة إشارات واصل له بالتوقف، واصل كان يحدق بدريم، يحدق به جيداً، تعجب سجال لما يجري، هذا سحر! دريم المستقبل يقف عاجزاً!

واصل ظل يحدق بدريم المستقبل ويقترب منه قائلاً: "أنت لي، أنا

من صنعتك مهما جرى" ظل دريم المستقبل عاجزاً عن الحراك، بينما يقترب واصل حاملاً جهازه الصغير ليدمره، صرخ جواد: "تحرك!" ولكن واصلاً مايزال مسيطراً، اقترب مسافة مناسبة ورفع مقبض جهازه ليضغط على الزر بكل أسى، سجال كان يراقب دون أن يتحرك، جواد كان قد فقد أعصابه، ماذا ينوي أن يفعل واصل؟ كانت لحظة تحبس الأنفاس، هل هي النهاية؟



قال واصل بهدوء: "آسف" ولكنه ما إن نوى أن يضغط على الزر حتى أصيب بدوار يكاد يفقد وعيه، إنه المرض، ينقض عليه في أسوء توقيت جعل فيه دريم المستقبل ينفد من سيطرته ويعود إلى سيطرة

جواد ليقفز علىٍ واصل.

ولكن واصلاً كان مايزال يحدق بدريم يقول في قرارة نفسه: "أنت لي، لي أنا وحدي" غرز دريم المستقبل شفرته في صدر واصل واخترقت ظهره معلنة نهاية المعركة.

فزع سجال وصرخ: "واصل! ..." ولكن واصلاً بالكاد كان يسمع، كل ما يعرفه أنه يسقط على الأرض.

هل ضاع كل شيء هباء؟ هل ذهب تعبه أدراج الرياح؟ إنه يسقط.. يسقط.. وكل شيء يتحول إلى سواد.

ولكنه للحظة شعر بالجهاز مايزال في يده، تمالك نفسه وأمسك شفرة دريم بيده ليمنعه من الابتعاد عنه، سقط واصل ودريم مايزال مرتبطاً به، بل ويقف على صدره أيضاً، حدق واصل به وقال: "لقد انحرفتَ عن قلبي قليلاً، ماتزال وفياً لي" فعلاً انحرف دريم في آخر لحظة ليبتعد عن قلب واصل، ولكن واصلاً رفع جهازه قائلاً: "الوداع" وكبس الزر.

انفجر دريم المستقبل... انفجر على صدر واصل معلناً نهاية المعاناة التي تسببها للجميع، لم يصدق سجال ما يرى! دريم المستقبل يتفتت أمامه! إنه يتناثر قطعاً صغيرة! ولكن... ولكن واصلاً... قد أصيب.

زحف سجال إلى واصل فزعاً يناديه، لقد كان الانفجار كبيراً كفاية ليسبب إصابة مباشرة في صدر واصل، ولكن واصلاً كان مايزال على قيد الحياة، أو... يلفظ آخر أنفاسه.

أمسكه سجال، أمسكه بقوة قائلاً: "واصل... هل تسمعني؟" قال واصل بصوت خافت متعباً: "لقد فعلتُ الصواب، لست نادماً عليه" قال سجال: "لا تقل ذلك، سأتصل بالإسعاف، ستكون بخير" ولكن واصلاً

قال: "لا فائدة، أنا أنزف بشدة" قال سجال منزعجاً: "لا تقل ذلك، ستكون بخير!" حاول سجال أن ينهض ليصل إلى الهاتف ولكنه توقف عندما رأى جواد يمسك بدريم الحاضر ضاحكاً، حدق سجال به لا يستطيع النهوض أو الدفاع عن نفسه أو فعل أي شيء، ولكن جواداً ضحك قائلاً: "لقد حصلت عليه، دريم... حصلت عليه هنا" جفل سجال، وحدق واصل بجواد، ما الذي يقوله بالضبط؟

حدق جواد بدريم وقال: "لقد كان هكذا عندما حصلت عليه، إنه اليوم بكل تأكيد" عندها سمع صوت بكاء، إنه صوت طفل يبكي في الغرفة المجاورة.

فتح جواد الباب، صرخ واصل: "دعه! لا تقترب منه!" ولكنه لم يكن قادراً على الحراك، سجال قفز بكل ما أوتي من قوة إلى جواد ولكنه ضربه ضربة قوية أسقطته أرضاً خائر القوى، فلم يكن سجال قد تعافى من قتاله الماضي، بالإضافة إلى إصابته الآن.

دخل جواد الغرفة، براء كان يبكي على فراشه، حدق فيه ثم ابتسم قائلاً: "ثياب بنية وغطاء أصفر، كما لو كان البارحة" لم يصدق سجال ما يرى! إن جواد يحمل براء خارجاً به من الغرفة.

نظر جواد إلى سجال وقال: "سبق أن سألتني من تكون، أظن أنني أستطيع أن أجيبك الآن" صرخ سجال قائلاً: "إنه براء! لا يمكن أن يكون أنا!" نظر جواد إلى ورقة صغيرة على الطاولة إلى جانبها قلم، فابتسم وأمسك بالقلم وكتب "سجال" ثم قال: "بذلك تصبح سجالاً" لم يكد يصدق كل من سجال وواصل ما يجري! إنه يجري أمامهما! جواد يأخذ براء ودريم، بل... ويطلق عليه بنفسه اسم سجال!

قال سجال مرتبكاً: "غير صحيح! دعه وشأنه!" نظر جواد إلى

سجال قائلاً: "أنا أعرف تماماً ما أفعل، في هذا اليوم وجدت طفلاً يرتدي ثياباً بنية مغطى بلحاف أصفر مع رسالة أمام باب منزلي، كانت الرسالة واضحة أن هذا هو سجال الذي عرفت، لم أصدق أنه هو في البداية حيث أنه كان رقيقاً جداً، ولكن... ولكنك كنت أنت".

واصل لم يستطع أن يقول أي شيء، وسجال كان مصدوماً لما يسمع، حيث تابع جواد قائلاً: "المضحك أنني لم أكن أعرف أنني من وضع الطفل أمام الباب، ياللسخرية!" يئس سجال من فعل أي شيء، إنه يأخذه، جواد يأخذه إلى حتفه ولا يستطيع فعل شيء، واصل أيضاً كان أضعف من أن يفعل شيئاً، لقد استطاع أن يدمر دريم المستقبل، ولكنه لم يستطع أن يغير شيئاً من الماضي الأليم الذي يسير أمامه.

... خرج جواد، خرج تاركاً سجالاً مع واصل كل ملقى على الأرض، خرج ليعلن بداية الدائرة.

سجال لم يكن يصدق بعد! هو... لقد كان هو براء، لقد ظن أنه بتغيير اسمه يستطيع ألا يكون هو.

للحظة سمع واصلاً يقول: "سجال..." نظر سجال إليه، إن واصلاً يفقد وعيه، زحف سجال إليه بكل ما أوتي من قوة وأمسكه ففتح واصل عينيه، قال سجال: "تمالك نفسك!" ولكن واصلاً كان يفكر في الكثير الآن، الكثير مما لا يمكن للوقت المتبقي أن يستوعبه، قال: "أنا آسف" قال سجال: "ليس عليك..." ولكن واصلاً قاطعه قائلاً: "لم أستطع حمايتك، لذلك..." طأطأ سجال رأسه وقال: "لقد استطعتَ حمايتي الآن، لقد دمرت دريم" قال واصل: "ولكنه حصل على الآخر" لم يستطع سجال قول شيء، لم تتم فرحة الانتصار على دريم المستقبل لحظة.

بات واصل يتنفس بصعوبة، فزع سجال ولكن واصلاً قال: "ابق إلى

جانبي، لقد تمنيت أن تكون ولدي" دمعت عينا سجال وقال: "وتمنيتُ أن تكون والدي... دوماً" ابتسم واصل وقال: "ولكنني لم أكن خير أب" أشار سجال بالنفي وقال: "على الأقل عرفتُ الآن كل ما جرى، لقد حاولتَ حمايتي، وأنا فخور بك" دمعت عينا واصل وقال: "ولكنني لم أفلح" مد واصل يده إلى خد سجال وقال: "لقد وعدني كرم أن يعتني بك، اذهب إليه" أمسك سجال يد واصل وأشار بالإيجاب، قال واصل: "إنه من أثق به، سيعاملك كابن له" أشار سجال بالإيجاب ولكن حال واصل بدأت تسوء أكثر، أمسكه سجال بقوة وقال: "واصـ..." ولكنه لم يستطع أن يكمل كلمته فقال واصل: "أردت دائماً أن أسمعها... أرجوك" فقال سجال: "... أبي" ابتسم واصل قائلاً: "شكراً، لقد فعلتُ كل ما أستطيع فعله" ولكن سجالاً قال: "لا تتركني، أرجوك" أنزل واصل يده بهدوء وقال آخر ما استطاع قوله: "أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله" وأغمض عينيه إلى الأبد.

بكى سجال، بكى كثيراً، لماذا كان عليه أن يفقد والده في اللحظة التي يعرف فيها أن له أباً عظيماً؟ لقد دافع عنه، ضحى بحياته من أجله... ولكن كل شيء سيدور.

صرخ سجال وضم واصلاً بين ذراعيه، لماذا لا يستطيع تغيير أي شيء؟ أي شيء! لماذا هو فاشل هكذا؟ لقد دافع والده عنه ولكنه لم يستطع حماية نفسه، لقد ذهب... ذهب إلى حتفه، إلى الحياة التي كان يعيشها وسيعيشها وسيظل يعيشها، ألا يستطيع أحدهم كسر هذه الحلقة التعيسة؟

فقد سجال كل أمل بتحسن الأوضاع، لقد كان دريم أمله الوحيد والآن عاد كل شيء إلى الصفر، بل وأسوأ... ساري ومالك وواصل لن

يراهم ثانية، عمرو في أسوأ حالاته، وعائلة واصل تفككت كلياً، ما الذي يفعله هنا؟ لقد دمر حياة الكثيرين.

ما كان عليه أن يحضر إلى الماضي، لقد صنع مستقبلاً تعيساً للجميع بحضورة إلى هنا، لقد رسم الحلقة بنفسه... بنفسه!

نظر حوله إلى آثار فتات دريم المستقبل، كانت هناك قطع حادة في كل مكان، أمسك أحدها وحدق بها، إنها النهاية، نهاية الحلقة تكمن هنا.

قبض سجال على طرفٍ القطعة وصوب الطرف الحاد على صدره... لقد انتهى كل شيء، فعلاً وبحركة سريعة طعن سجال نفسه وفقد وعيه وسقط على الأرض.



بات كل شيء مظلماً، لم يعد يرى سجال شيئاً، بل بعد لحظات بدأ يسمع أصواتاً وضجيجاً، بل ربما شعر بنفسه ينقل من مكانه، أحدهم يحمله.

الأصوات مألوفة لديه بعض الشيء، ولكنه لم يكن يستطيع تمييز الكثير، أشياء مثل "إنه مايزال يتنفس!... بسرعة... إسعاف...!" كلمات من هذا القبيل، ولكنه كان في عالم آخر، كان يغوص بهدوء مبتعداً عن كل شيء، عن كل ما جرى وكل ما سيجري، كان يسبح في الظلام، لا شيء هنا غير الظلام، كان يفكر "لقد حماني، ولكنني لم أستطع حماية نفسي... لطالما لمت الآخرين على ما يجري معي، وكنت الملام طول الوقت... الملام الوحيد... دائماً..." مد سجال يده ولكن ليس هناك أي شيء يراه حوله يستنجد به، إنها النهاية.

بدأ يسمع أصواتاً أكثر فأكثر... الناس يزداد عددهم، صراخ! بكاء! بات يسمع الكثير، هاتف! و... عمرو! أحدهم يذكر عمراً!

أغمض سجال عينيه قليلاً ثم عاود فتحها لينظر حوله ولكن مايزال كل شيء داكناً، إنه مايزال يسبح في الفراغ، ولكن... هناك شيء ما... بل شخص ما، يقف هناك.

وقف سجال يحدق به، إنه... ساري!

فرح سجال برؤيته كثيراً وركض ليقترب منه، ولكن سارياً أشار له بالنفي مع ذلك كان سجال يركض إليه، بدأ ساري يقول: "كلا، ليس من هنا... اذهب!" ولكن سجالاً ظل يركض نحوه فانزعج ساري وقال: "قلت لك اذهب!" ما إن وصل سجال إلى حيث ساري حتى دفعه ساري بكل قوة قائلاً: "اذهب!...".

اختفى ساري، اختفى وعاد سجال إلى الظلمة وحده، ولكنه سمع

صوتاً مألوفاً، إنه صوت المياه تجري في النهر بانسيابها المعتاد، التفت خلفه فرأى عمراً يقف على ضفة النهر ينتظره والشمس أوشكت على المغيب، كان عمرو يحدق في النهر وسجال يقف خلفه على بعد أمتار.

تحرك سجال، تحرك مقترباً من عمرو ولكنه شعر للحظة أنه لن يصل، مد يده وأسرع في الجري إليه ولكنه ما إن وصل حتى اختفى عمرو! اختفى لتطير أسراب حمام كثيرة حول سجال، ما عاد يرى شيئاً بسببها.

تحولت أسراب الحمام إلى غربان غادرت تاركة وراءها الظلمة المعهودة، لقد عاد وحده، جثا على الأرض، لقد تركه الجميع، بل ربما هو من ترك الجميع.

فجأة سمع صوتاً قوياً واضحاً يوقظه، إنه عمرو يقول: "سجال!" فتح سجال عينيه بهذه الكلمة.

هذه المرة لم يكن في حلكة الظلام، بل كان في غرفة هادئة، يجلس وحده فيها والنافذة مفتوحة والستائر تتحرك مع نسيم الهواء العليل.

نهض سجال فأحس بألم في صدره فنظر إلى جسده ليرى ضماداً قد لف عليه بإتقان، نظر حوله إلى الغرفة، إنه يراها أول مرة ولكن لم يصعب عليه تمييز أنه في المشفى، ولكنه وحده، كل الأصوات قد اختفت فجأة، حتى عمرو.

تمالك نفسه ونهض من الفراش ونظر من خلال النافذة، المكان هادئ جداً بل وأصوات العصافير تزقزق بطلوع الفجر كان الصوت الوحيد الذي يسمعه.

لم يكن ذلك مهماً، لم يكن مهماً أبداً، المهم أن عليه مغادرة المكان قبل أن يحضر أحدهم وخاصة جواد.

قفز سجال من النافذة وسار في الطرقات.

لم يكن سجال في كامل وعيه بعد، كان مايزال يشعر بالإرهاق والتعب ومع ذلك كان يشعر أن هناك شيئاً ما، شيئاً كبيراً قد تغير، هدوء لم يكن يشعر به قبل لحظات، ما الذي تغير؟ ما الذي يجري؟

نظر سجال حوله فرأى مئذنة مطلة على المكان ففضل التوجه إلى هناك ليستريح قليلاً ويصلي.



الفصل التاسع والسبعون

دخل سجال المسجد، إنه جميل وكبير، لا يذكر أنه دخله من قبل، توضأ وصلى ركعتين وجلس يلتقط أنفاسه.

ربما لا يكون هذا المكان آمنا أيضاً، لابد أن جواداً يعرف مكانه، وضع سجال يده على صدره، إنه يؤلم كثيراً، لابد أنها الطعنة التي طعن نفسه بها، ولكن ماذا جرى؟

كل ما يذكره هي أصوات مختلطة لم يفهم منها شيئاً، بل ربما ليس هناك داع للتفكير في ذلك فلابد أن الجميع فزع ونقله إلى المشفى، هذا هو التفسير الوحيد.

التفت سجال ليجد رفاً رتبت عليه المصاحف فأخذ وأحداً وبدأ يقرأ، شيء ما كان يقول له أنه بأمان هنا، فالجو أهدأ من أن يكون في خطر.

أنهى سجال تلاوته وأعاد المصحف مكانه، عندها سمع اثنين جالسين يتحدثان، أحدهما يقول للآخر: "هل سمعت بها؟" قال الآخر: "أجل، ولكنني ما أزال أظن أنها خرافة" "ما الذي تقوله؟ الجميع يتحدثون حولها، إنها حقيقية!" "ربما، ولكنني ما زلت أظن أنها إشاعات" "هل رأيت صورتها؟ إنها في المجلة" "أجل، ولكن بماذا يهمك ذلك؟ قاعدة تحت البحر، ماذا إذن؟" تعجب سجال أن يسمع أشخاصاً يتحدثون عن قاعدة تحت البحر! إنها قاعدة جواد بلا شك، ولكن... هل بدأ بصناعتها؟ قال الآخر: "ربما يقطنها سكان من الفضاء، أو ربما كانت هنا منذ ملايين السنين يقطنها حوريون لا

نعرف شيئاً عنهم" "إن خيالك واسع جداً" فكر سجال، نعم إن خياله واسع جداً، إنها مجرد بناية تحت البحر.

تركهما سجال يتناقشان وخرج يسير في الطرقات، عندها تذكر، واصل... شعر سجال برعشة تعم جسده، تذكر كل ما جرى، تذكر أنه كان والده طول الوقت، تذكر أنه عاش أسعد اللحظات معه، تذكر أنه ضحى بحياته من أجله و...

جلس سجال على كرسي في الحديقة، لقد حدث كل شيء بسرعة، إنه لا يكاد يستوعب كل ما جرى، إنه الآن... بيد جواد.

عندها مر شاب يحمل جريدة يبيعها للناس، نظر إلى سجال وقال: "هل تريد جريدة؟" نظر سجال إليه، ليس من العادة أن يقرأ صبي جريدة، أشار بالنفي فقال البائع: "ألا تريد أن تقرأ عن مستعمرة الماء؟" فهم سجال أنها باتت حديث الجميع حتى الصبيان، ولكنه أشار بالنفي أيضاً فسار البائع مبتعداً.

لمح سجال على الجريدة صورة المستعمرة، إنها كبيرة وكاملة! نهض من مكانه بسرعة يستوقف بائع الجرائد، أخذ جريدة ونظر... حدق في تاريخ الإصدار، إنه... إنه... في المستقبل!

رمى سجال بجسده على الكرسي، لقد عاد، إنه في المستقبل، حدث ذلك وسط الفوضى.

أخذ البائع الجريدة وغادر المكان بينما ظل سجال متجمداً على الكرسي مشلول الحركة والتفكير، فجأة، وفي لحظة واحدة يعود! لقد... عاد! إنه حتى لا يعرف إذا كان من المفترض به أن يكون سعيداً أم لا، إنه... هنا، لقد عاد!

ظل سجال في حالة من الضياع فترة، إنه حتى لا يعرف ماذا يفعل،

لطالما كان يعرف أنه سيعود ولكن... ولكن الوضع مختلف، إنه لم يعد قادراً على تجميع أفكاره، كان يتصور دائماً أن عودته إلى هنا ستكون النهاية، ولكن بطريقة أو بأخرى حدث الأسوأ في الماضي، فماذا سيحدث الآن هنا؟

نظر سجال حوله، إن كل شيء مختلف ومع ذلك لم يلاحظ ذلك إلا الآن! الكراسي، معظم الأسواق، بعض المباني، لم يخطر بباله أبداً أن يكون قد عاد.

فكر سجال، لقد كان جواد في الماضي، هل عاد؟ إذا كان قد عاد معه فهذا يعني أنه مايزال في خطر.

مع ذلك نهض سجال، سار يفكر "لقد تركت الجميع في أسوأ أحوالهم، ترى... ماذا يفعلون الآن؟".

كان أول مكان توجه إليه هو آخر مكان كان فيه، منزل واصل.

المنزل كان مختلفاً، بعض الأشجار نمت وبعض الترتيبات قد تغيرت، ومع ذلك مايزال المنزل كما هو.

رن سجال جرس الباب ففتح شاب لا يعرفه، سأله سجال: "عفواً، أليس هذا منزل... السيد واصل؟" قال الشاب: "كلا" لم يزد على ذلك شيئاً، فقال سجال: "آسف على الإزعاج".

أغلق الشاب الباب وظل سجال واقفاً قليلاً، لقد سبق أن أخبره ساري أن واصلاً سيموت شاباً، لقد صدق، ولكن الآن عمن يبحث؟ إذا كان واصل قد مات، وبراء هو هنا سجال نفسه، إذن... لم تبق سوى مرام، يستحيل أن تظل في هذا المنزل.

استدار سجال، سار شاعراً بالخوف مما سيقبل عليه، إنه يرغب فعلاً بالذهاب إلى ذاك المنزل ولكن... ولكنه تركه في حالة سيئة بعد

وفاة مالك، والآن...

توقف سجال عن المشي مفكراً، لقد عاد، إذن ف..لنـا... قـد ماتـت قبل فترة وجيزة، وهو من قتلها، كيف له أن يذهب إلى هناك بعد كـل هذا؟

جلس سجال على كرسي على الرصيف، قـد لا يجـرؤ علـى رؤيتـه ثانية، لقد جلب لهم كل التعاسة، إنه لن يفاجأ أبداً إذا طردتـه سـناء من الباب.

فكر سجال، ولكن لنا هي التي كانت قد حضرت إليـه، هـذا يعـني أنهـم مـايزالون يذكرونـه، بـل ويريدونـه أيضـاً، تـذكرها تقـول: "في منزلنا، ألا تذكر..."

تذكر سجال لنا جالسة إلى جانبه تحاول التحدث إليه بينما يـربط هو الأسلاك حول قفازه، كانت تقول: "لقد قضينا معاً أجمـل الأوقـات، لا أصدق أنك لا تذكر شيئاً من هـذا" ولكـن سجالاً لم يكـن يبـالي بهـا أبداً، عندها قالت: "والدي حزن كثيراً بفراقك، إنه يتمنى رؤيتـك كـل يوم... كل يوم... كل يوم...".

وقف سجال، قرر أن يذهب إلى المنـزل، قـرر أن يحـدثهم بكـل مـا يجري، يجب أن يشرح لعمـرو سـبب اختفائـه سـتة عشـر عامـاً، بـل والسبب الذي يجعله وبعد الستة عشرة عاماً يظل في عمر الثلاثة عشر.

توجه سجال إلى منزل عمرو، ركض إليـه شـاعراً أنـه إذا لم يسـرع فهناك شيء ما سيفقده أكثر.

وصل المنزل، هناك أشياء قد تغيرت أيضاً ولكن ليس كثيراً، المنـزل كما هو، شيء من الحديقة قد تغير فحسب.

أمسك مقبض الباب ليدخل كما كـان يفعـل في العـادة ولكنـه توقـف

فجأة، لا يجوز له أن يفعل ذلك، رن الجرس ووقف ينتظر.

كان قلب سجال يدق بشدة، سمع صوتاً في الداخل، إنه يفتح الباب، الباب يفتح بهدوء، من يا ترى؟ وكيف ستكون ردة فعله؟

حدق سجال، إنه... شخص يعرفه... ولكن... ولكنه ليس من عائلة عمرو، أين رآه؟

قال الرجل: "عفواً، من تريد؟" كان الرجل طويلاً وتقف خلفه امرأة يبدو أنها زوجته، حتى هي شعر سجال أنها مألوفة له، نعم... لقد تذكر.

تذكر عندما كان في منزل عمرو مع الجدة يجلسون على الطاولة، تذكر عندما شعر بدوار ورأى أناساً مختلفين يجلسون على الطاولة، أب وأم وابنتين، إنهما... إنهما هاذان بالتأكيد!

قال الرجل ثانية: "عفواً، من تريد؟" قال سجال: "السيد عمرو، أليس هذا منزل السيد عمرو؟" قال الرجل: "لقد انتقل منذ زمن، سكنّا مكانه" قال سجال: "وهل تعرف أين ذهب؟" قال الرجل: "كيف لي أن أعرف؟".

فكر سجال، لقد باع عمرو المنزل لهذا الرجل، في تلك اللحظة عندما رآهم كان ينتقل إلى المستقبل حيث كانوا يجلسون هنا، هذا تفسير ما جرى.

عندها قاطع الرجل أفكاره قائلاً: "هل تريد شيئاً آخر؟" قال سجال: "أبداً، آسف على الإزعاج".

أغلق الرجل الباب فسمع سجال صوت زوجته في الداخل تقول: "أليس هو ذلك الصبي الذي رأيناه فجأة يجلس معنا على الطاولة؟" فضل سجال أن يترك المكان قبل أن يفكرا في الموضوع أكثر.

★★★

سار سجال مبتعداً، إذا لم يكن عمرو هنا فاين سيكون؟ ولماذا نقل المنزل؟ هل بسبب ما جرى مع مالك أم أن هناك سبباً آخر؟

توقف سجال ينظر حوله، أين يمكن أن يجده؟ أين يمكن أن يكون؟ المدينة باتت أكبر مما كانت عليه قبل ستة عشر عاماً، كيف سيجده؟

تذكر سجال لنا، هي من وجدته، من السهل أن تجده لأنه يغني، يغني...

نظر إلى جانبه حيث كان هناك شاب يقرأ الجريدة، صورة القاعدة البحرية واضحة جداً، فكر سجال "وماذا عن القاعدة؟ ماذا عن جواد؟ هل عاد؟" فكر سجال بالذي سيفعله، هل يستطيع العودة إلى القاعدة؟

للحظة خطرت ببال سجال فكرة، ربما لا يكون جواد قد عاد، إنه هنا وحده ربما لفترة وجيزة، عليه أن يستغل الفرصة.

ذهب سجال إلى البحر وسبح مسافة كبيرة، ثم غاص إلى الأسفل إلى حيث المركز وكله أمل أن يكون قد سبق جواداً إلى هناك.

وصل سجال المركز فدخل الحاجز الضوئي بسهولة وفتح الباب إلى غرفة خالية من الماء. وقف سجال ومر في غرفة أخرى سُلط فيها شعاع أزرق خرج منه سجال جاف الثياب.

كان كل شيء متطوراً هنا، المركز صنع بإتقان، سار سجال في الممرات إلى أن قابل بعض الأشخاص، كل انحنى برؤية سجال يرحب بعودته.

كان الوضع جيداً، الجميع مايزالون يعاملونه كالسابق، هذا مؤشر على أن جواداً لم يحضر بعد.

تابع سيره إلى غرفة الانتقال مباشرة، ليس هناك وقت يضيعه، ما إن فتح الباب حتى نهضت فتاة في الأربعين من العمر من مكتبها إلى

الحاسوب المركزي وركضت تستقبله قائلة: "سيدي، لقد عدت سالماً! لقد ظننت أن هناك شيئاً ما قد حدث" نظر سجال إليها بهدوء واتزان وقال: "وأين والدي؟" قالت: "على وشك الانتقال، كنا نبحث عنك هناك ولكن إشاراتك اختفت فجأة" سار سجال متجاهلاً ما تقول يحدق في الحاسوب، جواد لم يعد بعد، نظر إليها قائلاً: "هل بدأت عملية النقل؟" قالت: "ليس بعد، لحظات وتبدأ" عندها فتح سجال ملفات الحاسوب إلى أن وصل كلمة السر، تفاجأت الفتاة لما يفعل ولكنه فعلاً كتبها و... بدأ إنذار أحمر.

قالت الفتاة مرتبكة: "ماذا يجري؟" قال سجال: "يفضل أن تخلوا المكان قبل فوات الأوان، لديكم ربع ساعة" لم تصدق الفتاة ما تسمع ولكن كل من في القاعة من العاملين نهضوا، قالت الفتاة: "هل أنت جاد؟" سار سجال إلى حيث أداة الانتقال وقال: "كما ترين، الحاسوب لا يكذب" نظرت الفتاة إلى الحاسوب، إنه فعلاً تدمير ذاتي خلال ربع ساعة!

لم يكن أحد قادراً على المجادلة، فسجال من يفعل ذلك، بل لم يكن هناك وقت للتفكير، إنهم في عرض البحر وعليهم أن يفعلوا شيئاً.

ركض الجميع خارج الغرفة بينما وصل سجال نفسه بأداة الانتقال، عليه أن ينهي ما يجري الآن وإلى الأبد.

بدأ الانتقال، كل شيء تغير أمامه، إنها ألوان، بل أجرام، أشكال غريبة ارتسمت أمامه وعلق فيها، إنه لم ينتقل فعلياً، إنه في دارة الزمن.

ظل سجال واقفاً وكل شيء يتحرك حوله كالدوامة، إنه ينتظره، ينتظره في منتصف الطريق، وفعلاً قد وصل، جواد يقف أمامه ينتقل

إلى المستقبل.

تعجب جواد برؤية سجال! قال سجال مبتسماً: "لقد سبقتُك" قال جواد: "ما الفرق؟" قال سجال: "أنت الآن وحيد، لا تملك شيئاً تدافع به عن نفسك" سكت جواد مدركاً أن سجالاً يود الانتقام منه بأية وسيلة، قال جواد: "ماذا تنوي أن تفعل؟ كلانا علق في الزمن" قال سجال: "لسوء الحظ أنني وعدتُ ألا أقتل أحداً، رغم أنك أكثر من يستحق القتل" قال جواد: "فماذا ستفعل إذن؟" قال سجال: "لقد تعذبتُ بما فيه الكفاية، ولا أريدك في حياتي مجدداً" سكت جواد لا يعرف ما ينوي سجال أن يفعل، وسجال بدأ يغني



صدري يخفق
قلبي ينبض
حياتي تتغير

My chest is beating
My heart is thriving
My life is changing

I started seeing | **بدأتِ أرىً**
a wonderful world | **عالماً جميلاً**
filled with beauty and joy | **مليئاً بالجمال والمتعة**
for the fearless of heart | **لقلب لا يخاف**
not for those who fall | **ليس لمن يسقطون**
and can't keep their act apart | **ولا يستطيعون أن يخفوا ذلك**

رفع سجال يده فتغيرت الدوامة حولهما إلى سماء غائمة، وبدأت السماء تقطر دماً عليهما، إلى أن امتلأت الأرض بالدماء حول قدمي جواد.

"Every man for himself" | **"كل رجل أناني"**
is what they'll tell you out there | **هذا ما سيقولونه لك**
if you don't stand up | **إذا لم تستعد**
and protect your heir | **وتحمي نفسك**

Think I'm bluffing | **تظن أنني أثرثر**
then look out your window | **إذن أنظر من النافذة**
and spy for a day | **وابحث ليوم واحد**
tell me what you conclude | **وأخبرني ماذا استنتجت**
at the end of the day | **في نهاية اليوم**

بدأ جواد يغوص بالدماء بين قدميه، فلمع برق حول المكان، وبدأت أيدي الأطفال التسعة عشرة تصعد على قدمي جواد تسحبه.

You'll change your perspective | **ستغير نظرتك**
you'll change your way | **ستغير طريقتك**
for life is about | **لأن الحياة عبارة عن**
glory and trust | **كبرياء وثقة**

which you have to work for
with power and guts

عليك ان تعمل لاجلهما
بقوة وجرأة

Don't think it's easy
for nothing comes
without a price
even good people
who are nice
which makes you say
"Oh my God, what a heist"

لا تظن أن هذا أمر سهل
لأنه لا شيء يأتي
دون ثمن
حتى الناس الطيبون
اللطيفون
مما يجعلك تقول
"يا إلهي! ما هذا؟"

ظهرت حول سجال أطياف تلفه، كان ساري مع مالك وواصل يقفون إلى جانبه ثم ظهرت لنا، بدأ جواد يخاف مما يجري، نظر إلى حيث قدميه فكان دريم يمسك بها، كل شيء يسير كما يريد سجال بشكل غريب!

That's life my friend
a box of surprises
with many goals
hidden inside
for seekers of gold

هذه هي الحياة يا صديقي
صندوق من المفاجآت
بأهداف متعددة
مخبأة
لمن يبحث عن الذهب

But all I have
is one word of advice
always be nice!
and never think twice!

ولكن كل ما أملكه
هي نصيحة بكِلمة
كن دائما لطيفا!
ولا تفكر!

انكسر كل شيء حول المكان، بات مظلماً وقدما جواد ثابتة على الأرض بلا حراك دون أي شيء تحتها وهواء شديد يعصف بالمكان، عندها ظهر منظر النهر والشمس تغرب، وعلى نهاية الضفة يقف

عمرو.

بدأ سجال يبتعد عن جواد، والتفت سجال ليقابل عمراً الذي التفت إليه، فابتعدا أكثر فأكثر، وأمسك سجال بيد عمـرو إلى أن فـتح عينيـه ليكون في المركز.

انفصل جهاز الانتقال كلياً تاركاً جواد يعوم بـين الأزمـان، لم يكـن سجال يعرف تماماً ما هي نهايته ولكنه تركه يدور في حلقة الـزمن لا يعرف أين تكون نهايته.

نظر سجال إلى جهاز التفجير الذاتي، بقيت خمس دقـائق عليـه أن يخرج بها سريعاً.

ركض سجال إلى المخرج، الجميـع كـانوا قـد غـادروا المكـان ولكنـه توقف لحظة قبلها وتذكر، هناك شخص لابد أنه لم يخرج من المركز.

عاود سجال الركض ولكن هذه المرة إلى الجهة المعاكسـة، ركـض إلى أن وصل بوابة خشبية أشبه بباب منزل، بل قصر جميـل. فـتح البـاب بسرعة فإذا بها صالة كبيرة فخمة في الداخل، لم يكن أحـدهم ليتوقـع وجود شيء كهذا في مركز تحت البحر.

ركض سجال صاعداً السلالم إلى غرفـة في أعلـى الـدرج، فـتح البـاب فإذا بها هناك، تجلس علـى الكرسـي بـلا حـراك وتحـدق بشـيء بـين يديها، إنها رهف.

ركض سجال إليها قائلاً: "ألم تسمعي الإنذار؟ المكان سينفجر خلال خمس دقـائق!" قالـت بصـوت خافـت دون أن تنظـر إلى سـجال: "أيـن جواد؟" سكت سجال، ولكن ليس هناك وقت للنقـاش فـاقترب وأمسـك يدها بسرعة قائلاً: "لا وقت لدينا!" ولكنه نظر إلى ما بين يديها، إنها مسند صغير كتب عليه "شـكراً" كانـت تمسـك بـه جيـداً كـأثمن شـيء

حصلت عليه في حياتها.

نظرت رهف إلى سجال بهدوء وقالت: "هل قتلته؟" أشار سجال بالنفي فتعجبت رهف لذلك وقالت: "ظننتُ أنك ستفعل يوماً ما" قال سجال: "تركته بين الأزمنة، لا أعرف ما سيجري له" عاودت رهف التحديق بالمسند، قال سجال: "يجب أن تسرع..." ولكنها قاطعته قائلة: "هل تعلم مِن مَن هذه؟" نظر سجال إلى المسند، إنه لا يذكر أنه رآه من قبل، أشار بالنفي فقالت: "إنها من واصل" تفاجأ سجال بما يسمع! مِن واصل! متى؟ تابعت رهف قائلة: "عندما أنقذته من العاصفة الثلجية، عاد وشكرني، هذه هدية منه" حدق سجال بالمسند، نعم لقد تذكر... لقد كان مع واصل عندما أخذت رهف الهدية وأعادت ثيابه، قالت رهف: "هذا أثمن ما حصلت عليه في حياتي" حدق سجال بالمسند، لم يكن يظن أن رهف رقيقة وحساسة إلى هذه الدرجة، إنها تجلس ممسكة بالمسند كملاك حزين، بات لا يدري هل هي غريبة الأطوار أم أن الأطوار كانت غريبة معها؟ إنها لا تطلب الكثير.

نظرت رهف إلى سجال وقالت: "لم يبق وقت، إذا لم تخرج ستموت هنا" قال سجال: "ستخرجين معي" نظرت رهف إلى المسند بين يديها ثم مدته إلى سجال ليأخذه قائلة: "خذه معك، اعتن به، هذا كل ما أريد" أمسك سجال بالمسند لا يصدق ما يفعل ولكن رهف قالت: "لقد أحببته، ولكنني كالعادة لم أستطع فعل شيء حيال ذلك، أريد أن أحافظ عليه الآن، عدني أنك ستحافظ عليه" رن جرس الإنذار، بقيت دقيقة واحدة، نظر سجال إلى رهف التي قالت: "غادر به بسرعة!" قال سجال: "نستطيع أن نركض إلى الخارج..." ولكنها دفعته قائلة: "دعني وشأني، يجب أن تغادر!" نظر سجال إلى المسند لا يصدق

أنه سيترك رهف هنا! ولكنها قالت: "أنا لم أكن خير أم، ولم أكن خير زوجة، ولم أكن خير محبة، كل ما أريده الآن أن تنجو مع المسند" نظر سجال إليها قائلاً: "لقد أنقذتُك بالقوة من قبل، وصفعتني" قالت: "وسأفعل الشيء ذاته الآن" بقيت نصف دقيقة، بات من المستحيل حتى على سجال أن يخرج من المركز، نظر إليها نظرت أخيرة وقال: "وداعاً... أمي".

رنت هذه الكلمة كالموسيقى العذبة في أذن رهف، إنها حتى لا تذكر أنها سمعت شيئاً كهذا من قبل. ركض سجال مغادراً المكان بينما ظلت رهف جالسة مكانها وبدأت تدمع، أخيراً شعرت أنها أم لأول مرة، رغم أنها تعلم أنه ليس ابنها، ولكنها لم تعلم أنه يعلم ذلك.

ركض سجال بأقصى سرعته ليخرج حاملاً المسند قابضاً عليه بكلتا يديه بقوة، فهذا المسند بالإضافة إلى ما قالته رهف عنه، من والده، تذكار لا يمكن أن يفرط فيه أبداً.

بقيت عشر ثوان، الباب مايزال بعيداً، توقف سجال وقبض يده بقوة وضرب الجدار إلى جانبه، ضربه بكل قوة حتى انشق وخرج إلى قاع البحر، ركض بسرعة إلى أن خرج من الحاجز الضوئي وبدأ يسبح.

سبح سجال بأسرع ما لديه، ثوان هي حتى لمعت القاعدة معلنة النهاية، انفجرت القاعدة انفجاراً عنيفاً دفع سجالاً بعيداً بكل قوة.

★★★

نهض سجال، نظر حوله فإذا به على الشاطئ، لقد قذفه الموج إلى هنا بعد انفجار القاعدة.

حاول النهوض فأحس بشيء في يده، إنه المسند الذي أعطته إياه

رهف، إنه هدية واصل لها لم يتركه طول الوقت.

رفع سجال المسند ينظر إليه، إنه أول وآخر ما حصل عليه من رهف، وتذكار مهم من والده.

نظر سجال ثانية حوله، إنه يعرف هذا المكان، ربما تغير قليلاً ولكن... ولكنه رأى الشجرة الصامدة وميزها، إنها هي بكل تأكيد.

اقترب سجال من الشجرة ونظر إلى جانبها حيث من المفترض أن يكون قد دفن سارياً منذ أكثر من عشرة أعوام.

حدق في التراب إلى جانب الشجرة، لقد نبتت عليه أزهار جميلة. جثا سجال يحدق فيها، إن سارياً هنا بكل تأكيد، نظر إلى الأزهار قائلاً: "آسف أنني غبت عنك كل هذه المدة، خشيتُ أن تكون وحيداً، ولكن..." وضع يده على زهرة وقال: "لديك صحبة جميلة هنا".

بعد فترة وقف سجال وقال: "أعدك ألا أغيب عنك، لم يكن الأمر بيدي كما تعلم" وضع يده على الشجرة مرتكزاً عليها ينظر إلى التراب ثم قال: "سأزورك كل يوم".

حدق سجال في الأزهار فوق التراب وودع سارياً وغادر.

مشى لا يدري أين يذهب، لم يعد هناك أحد في منزل واصل ولم يعد عمرو في منزله أيضاً، عندها تذكر واصلاً يوصيه بالذهاب إلى كرم، نعم عليه أن يفعل ذلك، ولكن... هل سيتفهم كرم الموقف؟

لم يكن هناك خيار آخر، سار سجال آملاً أن يكون كرم مايزال يسكن منزله الذي يعرف، بل ويفكر أيضاً في رند، إنها تكبره الآن بكثير، هل يستطيع رؤيتها؟ بل هل يريد أن تراه؟

وصل سجال منزل كرم، النادي مايزال كما هو ولكن المنزل زاد طابقاً كبيراً وجميلاً، سمع سجال أصواتاً صادرة من المركز، استدار

حول المنزل وصعد على نافذة ينظر إلى اللاعبين.

هناك الكثير من الشباب يتدربون، ولكنه ميز فوراً المدرب بينهم، إنه كرم... ازداد صلابة وجدية، لم يستطع سجال حتى التفكير في الدخول عليه حينها.

فجأة سمع سجال صوتاً يقول: "ماذا تفعل؟" التفت فإذا به يرى فتاة تقارب العاشرة من العمر، إنها... رند.

نزل سجال عن النافذة مندهشاً لما يرى! كانت الفتاة تقف على رصيف الشارع تنظر إلى سجال بعيون ملؤها الشك وتقول: "إذا كنت تريد مشاهدة التدريب، فلم لا تدخل؟" اقترب سجال منها قليلاً وقال: "رند!" قالت: "كلا، بل ياسمين، عمتي رند تدرس في الطابق الثاني" تعجب سجال لفرط الشبه بينهما! إنها نسخة طبق الأصل عن رند!

قالت ياسمين: "هل تريد أن تدخل؟" مع أنها كانت تعرض عليه شيئاً جيداً إلا أن وجهها لم يخل من الحزم الذي كانت عليه رند في صغرها، اعتذر سجال عن الإزعاج وركض مبتعداً عن المكان.

توقف سجال عن الجري قرب السوق، هناك أخذ نفساً عميقاً وتساءل لماذا كان عليه أن يهرب هكذا؟ بذلك قد لا يستطيع العودة.

جلس على كرسي في الطريق يفكر "إنها نسخة عن رند بشكل فظيع! إنها ابنة كرم" نظر سجال حوله فإذا بالجرائد تعلن خبر انفجار المركز تحت البحر "لقد انتشر الخبر بسرعة" أخذ نفساً عميقاً وفكر "بذلك يكون الكابوس قد انتهى إلى الأبد" وقف ثانية وحزم رأيه "يجب أن أقابل كرماً، لعله أنهى التدريب".

عاد سجال إلى منزل كرم ولكنه كان حذراً ألا تراه ياسمين، كان

التدريب مايزال جارياً فقرر أن يبحث عن رند، لقد قالت ياسمين أنها في الطابق الثاني.

توجه سجال خلف المنزل وتسلق الطابق إلى أن وصل نافذة تطل على غرفة تجلس فيها فتاة في السابعة والعشرين من العمر، تكتب في دفاترها المتناثرة على الطاولة.

حدق سجال في جدران الغرفة، إن صوره تملأ المكان! لا توجد صورة أو ملصق له ليس على زاوية في الغرفة! نظر إلى الطاولة التي تكتب عليها الفتاة، هناك إطار فيه صورة لسجال أيضاً ولكن... هذه الصورة هي التي أعطاها سجال لرند، إن توقيعه عليها، ماتزال تحتفظ بها.

أدرك سجال أن رندَ لم تنسه، إنها ماتزال متعلقة به بطريقة أو بأخرى، بل إنها هي التي تجلس على الطاولة بكل تأكيد، شعر أشقر طويل، وتبلغ السابعة والعشرين من العمر، إنها رند بلا شك.

استدارت رند عندما أحست أن هناك شيئاً عند النافذة ولكن سجالاً اختبأ بسرعة فلم تلاحظه.

نزل سجال بهدوء وقد كان سعيداً جداً بما رأى، ولكنه مايزال غير قادر على لقائها، ماذا سيخبرها؟

في كل الأحوال كان عليه أن يفعل شيئاً مهماً، كان عليه أن يفي بوعد قطعه على نفسه منذ سنين.

بعد نصف ساعة نادت فرح على رند لتنزل وتتناول الغداء مع العائلة، غادرت رند الغرفة وجلست على المائدة تتناول الطعام مع فرح وياسمين وبنت أخرى تصغر ياسمين بثلاث سنوات كانت البنت الثانية لكرم واسمها هدى.

كرم لم يكن جالساً معهم فقد غادر إلى العمل بعد انتهاء التدريب فوراً.

بدأ الجميع تناول الطعام وسألت فرح رندَ: "ألم يكن الدرج كافياً؟" قالت رند: "إنه جيد، ولكن ماتزال هناك بعض الأشياء بحاجة لمكان، لا بأس سأتدبر الأمر" قالت ياسمين: "لقد حضر صبي يظن أنني عمتي رند" ضحكت هدى قائلة: "أنت أصغر من أن تكوني عمتي" قالت فرح: "ولكنك تشبهينها تماماً، لقد كانت مثلك تماماً عندما كانت في عمرك" ضحكت رند لذلك، فمنظر ياسمين حازم جداً بينما تغيرت هذه النظرات الحادة في وجه رند عندما كبرت.

أنهى الجميع الغداء ونظفوا المطبخ وعادت رند إلى غرفتها في الطابق العلوي.

فتحت رند باب غرفتها فرأت ما لم تتوقع! كل صور سجال في الأدراج قد فتحت ووضعت على الطاولة، لا بل كلها قد وُقع عليها!

التفتت رند حولها، كل الصور الملصقة على الجدران أيضاً باتت تحمل توقيع سجال بل... و كتب تحتها أيضاً "**my love**"!

إنه خط سجال! خطه بلا شك.

نظرت رند إلى الصورة في الإطار، لقد وُضع خلفها صندوق صغير، حملت رند الصندوق وفتحته فإذا به هاتف خلوي ثمين وجميل! لم تصدق رند ما ترى! إنه... سجال، ولا يمكن أن يكون أحداً غيره.

لقد وعدها في الماضي أن يشتري لها هاتفاً غير الذي أضاعت في سفرها، مايزال يذكر الوعد وقد وفى به.

وضعت رند الهاتف على صدرها مسرورة جداً بما ترى، إنه قريب، قريب بطريقة ما.

سجال كان واقفاً على جذع شجرة قريبة يراقب رندَ، كل ما كان يرجوه أن تكون سعيدة بما ترى، وأن تذكر أجمل أيام قضوها معاً.

★★★

مر وقت وغادرت رند المنزل إلى الجامعة حيث تكمل دراسات عليا، وعاد كرم إلى المنزل معه سيارة تحمل خزانة في صندوقها.

فتحت فرح الباب لا تصدق ما ترى، كرم أخبرها أنها خزانة جديدة لرند، وطلب من العمال أن يدخلوها ويرفعوها إلى الطابق العلوي.

سجال شاهد كل ما يجري، تذكر خوف رند أن يقل اهتمام كرم بها، إنه هاهنا يثبت عكس ذلك.

غادرت السيارة وقدم سجال قبل أن يدخل كرمٍ المنزل، كانت فرح تقف على الباب تنتظر كرماً ليدخل ولكنه ظل واقفاً.

وقف سجال على الباب أمام كرم وقال: "مرحباً" عندها سمع سجال صوت فرح تقول: "أنت! ألست سجالاً المغني الشهير؟" تنهد كرم لإعجاب فرح الشديد به، إنها حتى لا تذكر أنها كانت تحبه هكذا منذ أكثر من عشرة أعوام، قال سجال: "أنا هو" سعدت فرح كثيراً به وقالت: "هذا شرف كبير، تفضل" ولكن كرماً قال: "ومن قال أنني أهتم بالغناء والمغنين؟" والتف متجاهلاً سجالاً ليدخل إلى المنزل ولكنه توقف عندما قال سجال: "ولكنك تهتم بالأصدقاء والوعود" توقف كرم ونظر إلى سجال الذي قال: "لقد وعدتَ واصلاً أن تعتني ببراء، ولكنك لم تفعل" لم يصدق كرم ما يسمع! ما علاقته بشيء كهذا؟ بل كيف يعرف؟ نظر سجال إليه وقال: "ألستُ محقاً؟" انزعج كرم وقال: "لقد

بحثتُ عنه في كل مكان، عشر سنين قضيتها في البحث المتواصل ولم أستطع أن أجده حياً أو ميتاً، ماذا يمكن أن أفعل أكثر؟" قال سجال ببساطة: "أن تستمع إلي" سكت كرم فنظر سجال إليه وقال: "أنا أعرف مكان براء" لم يكد كرم يصدق ما يسمع! هل يعقل هذا؟ هل يعرف أحدهم براء حقاً؟ ولكن سجالاً قال: "في المقابل، أريدك أن تستمع إلى ما سأقول مفصلاً، وأن تصدق".

لم يكن لدى كرم خيار آخر، لقد فعل المستحيل ليجد براء دون فائدة، الاستماع إلى ما سيقول سجال أسهل من معظم ما قام به في السابق.

جلس سجال مع كرم في متنزه قريب من المنزل وبدأ سجال يسرد لكرم كل ما جرى إلى آخر لحظة عندما عاد بها إلى المستقبل، لم يكد كرم يصدق ما يسمع، صحيح أن هذا يفسر الكثير ولكن... أن يكون سجال هو نفسه براء... هذا شيء لا يصدق!

أنهى سجال حديثه وترك كرماً في حيرة من أمره، لقد كان هو براء طول الوقت، كلا بل كان واصل يعرف منذ البداية أن سجالاً كان قد قدم من المستقبل، فوق ذلك... لقد كانت القطع المتناثرة حول الغرفة ذلك اليوم قطع دريم فعلاً، ولكنه كان دريم المستقبل، لقد علم كرم منذ البداية أن هذه القطع مختلفة قليلاً عن قطعِ دريم، كل شيء يثبت أن سجالاً يقول الحقيقة، إنه لا يختلق شيئاً من مخيلته، إنه يعرف تماماً ما يقول.

قال سجال: "هذا ما جرى، آسف لما سببته طول هذه الفترة، لا أشك أبداً أنك بحثت عن براء طويلاً" شعر كرم برغبة في البكاء، لقد تعب كثيراً، تعب من العبء الذي وضعه واصل على عاتقه عشر

سنين، كان هذا كثيراً عليه، كثيراً جداً.

أمسك سجال يد كرم وقال: "لقد أوصاني أن أحضر إليك، إنه يثق بك جداً" حدق كرم في سجال الذي ابتسم له سعيداً بعودته إلى الجميع.

عانق كرم سجالاً، أخيراً عثر عليه، عثر بعد بحث طال وجهد أضناه ووعد قصم ظهره عشر سنين، أخيراً براء بين ذراعيه.

بدأت الشمس تغرب فنظر سجال إلى كرم قائلاً: "أين أجد والدتي؟... مرام؟" قال كرم: "إنها تعمل في صيدلية مجاورة، تعال معي".

أخذ كرم سجالاً إلى حيث تعمل مرام، كانت تجهز للمغادرة حين فتح كرم الباب معه سجال.

رحبت مرام بكرم ونظرت إلى سجال معه، ظلت تحدق فيه لا تدري ما تقول، بل لا تفهم ما تشعر به، عندها قال سجال: "لقد طال الغياب أليس كذلك؟" لم تدر مرام ما تقول، إنه سجال! إنها تعرفه منذ زمن بعيد، ولكن سجالاً قال: "أمي" ساد الصمت المكان، جفلت مرام، ظلت واقفة دون حراك، عندها قال كرم: "إنه براء".

كانت هذه الكلمة التي ترغب مرام في سماعها منذ زمن، وهذا هو تفسير ما تشعر به بكل تأكيد، إنه اللقاء الذي انتظرته طويلاً.

ركضت مرام تاركة كل شيء في يدها وعانقت سجالاً بقوة، فرح كرم بذلك، إذا كان أحد غير قادر على التعرف على براء فإن الوحيد القادر هي أم تتعرف على ابنها.

بكت مرام كثيراً، أين كان عنها طول هذه المدة؟ ولماذا؟ سجال كان سعيداً بها جداً، إنه يشعر لأول مرة أن له أماً حنوناً، كانت تتوق لرؤيته، بل كان أمل حياتها كله.

جلست مرام مع سجال وكرم تستمع إلى الحكاية كاملة كما فعل سجال قبل قليل مع كرم، لقد كانت فعلاً تشعر منذ البداية بشعور غريب تجاه سجال حتى عندما كان في الماضي، لقد كان ابنها طول الوقت حتى قبل أن تلده!

لم تكد مرام تصدق ما تسمع! إنها حكاية خيالية ولكن مهما حدث فإن قلبها صادق بكل تأكيد، إنه هو... هو.

نظر كرم إلى سجال وقال: "ستعود معها إلى المنزل" أشار سجال بالإيجاب فمسحت مرام على شعر سجال قائلة: "ما الذي تقوله؟ لن أسمح بغير ذلك بكل تأكيد" عندها قال كرم: "هناك ما يتوجب علي فعله الآن، إياك أن تسبب المشاكل" قال سجال: "لا تقلق" ولكن مرام ضمته إلى صدرها قائلة: "فليفعل ما يشاء، أنا راضية مادام إلى جانبي"

ابتسم كرم، يبدو أن مرام ستفسد سجالاً بدلالها بسهولة.

غادر كرم تاركاً مرام مع سجال يعودان إلى المنزل وحدهما.

★★★

سأل سجال أمه: "أين تسكنين الآن؟" قالت مرام: "في منزل والدي، هذه الأيام أسكن وحدي حيث سافرت والدتي مع جدتي لتعالج الجدة في الدولة المجاورة" "ما بال الجدة؟" "إنها متعبة قليلاً، أظن أنه السن ليس أكثر".

تابعا المشي إلى أن وصلا المنزل، نظر سجال إلى المنزل المجاور، إنه منزل والد واصل، نظر إلى الشرفة، إنها شرفة غرفة واصل، كم كان يحب أن يقف هناك.

قالت مرام: "هل تريد أن ترى جدتك؟" نظر سجال إليها قائلاً: "ما

أخبارها؟" قالت: "كفاح بات يعمل مسوقاً، مصعب يدرس الفيزياء في الجامعة، وهي تعتني بهما" "ماذا عن السيد مراد؟" "عاد للسفر من جديد، لا يستطيع البقاء في مكانٍ واحد" "أما تزال صحته جيدة" "أجل، إنه يعتني بنفسه جيداً" فرح سجال بذلك فسألته مرام ثانية: "هل تحب أن تزورهم؟" "ليس الآن، لا رغبة لي في سردٍ الحكاية ثانية" "كما تشاء، ولكنهم سيكونون سعيدين بك جداً " "من الغريب أن أرى كفاحاً أكبر مني" ضحكت مرام لذلك وقالت: "لم يكن التلاعب في الزمن صحيحاُ" "لن أفعل ذلك مجدداً ما حييت".

دخلت مرام مع سجال المنزل، أخيراً دخلت مع ابنها ليعيشا معاً، هذا يوم لن تنساه أبداً.

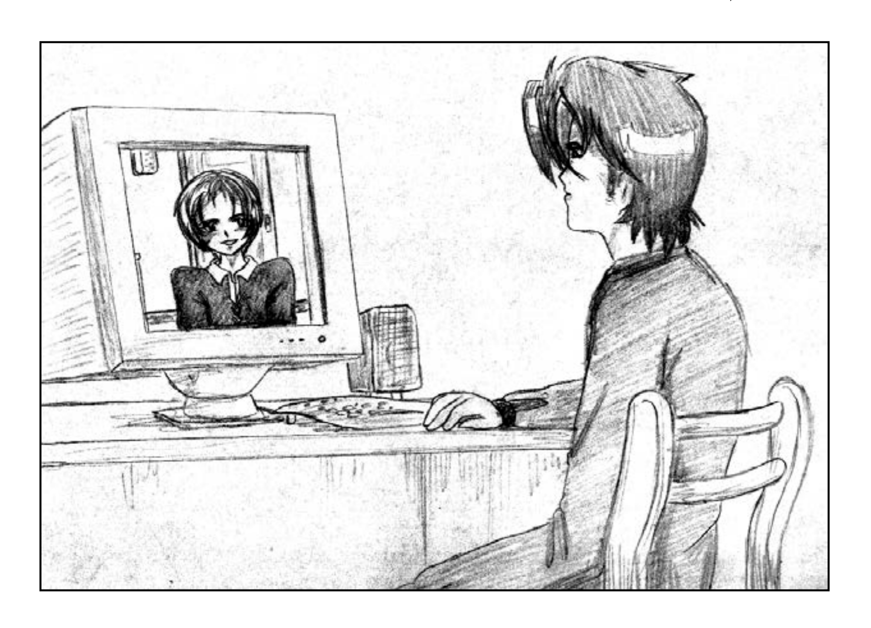
★★★

كرم كان قد عاد إلى منزله، دخل غرفته وفتح جهازِ الحاسوب.

كان وحده في الغرفة عندما فتح ملفاً احتفظ به جيداً وقد كان عنوانه "**Dream**" ضغط عليه فطلب الملف كلمة السر، تذكر كرم عندما أخبره واصل عن الطريقة التي يكتب بها كلمة السر، بل عن كلمة السر لجهازه التي كانت "سجال" ولكنه أخبره حينها أن اسمه "كرم" كان كلمة السر لشيء أهم.

شعر كرم بالحزن بتذكره لحظات سعيدة كهذه، كتب كلمة السر "**vl_**" التي هي "كرم" على لوحة المفاتيح ففتح الملف يحوي تصميم دريم كاملاً.

ليس هذا فحسب، بل وقد فتحت شاشة أخرى تعرض فيلماً صغيراً كان قد صوره واصل لنفسه يتحدث إلى كرم، لم تكن هذه أول مرة يفتح فيها كرم هذا الملف ولكنه الآن فتحه لغاية مهمة.



بدأ الفيلم، واصل يجلس على الكرسي أمام الحاسوب يقول: "مرحباً كرم، أفترض بمشاهدتك هذا الفيلم أنك قد عرفت كلمة السر، وأنني... لست إلى جوارك لسبب ما. المهم، أردت أن ألقي التحية عليك أولاً و... أجل، أردتك أن تعتني بهذا الملف بالنيابة عني، فهو مهم جداً لي كما تعلم".

شعر كرم أنه يرى الفيلم لأول مرة، إنه دائماً يشعر بذلك كلما فتحه، تابع يشاهد واصلاً يقول: "ما أردتك أن تعرفه من هذا الفيلم أنني، وبطريقة ما، علمت أن دريم سيخرج عن السيطرة، بل

وسيستخدم لأغراض سيئة، كل ما أردته أن أقول أنني لا أريد أن يحصل ذلك علماً بأنه سيحصل".

فهم كرم أخيراً أن سجالاً كان من قص على واصل ما جرى، هكذا يكون كرم قد فهم كل شيء، تابع "ما أريده منك أن تحتفظ بهذا الملف في مكان أمين، لا يصل إليه أحدهم على الإطلاق، بل... إنه أمانة لديك، إذا أحسست أن هناك من سيحصل عليه، أو من سيستخدمه، فلك كامل الصلاحية بأن تشطبه".

لهذا السبب كان كرم قد فتح الملف، تابع "أنا لم أستطع فعل ذلك كما تعلم، ولكنني أثق بقرارك، لك كامل التصرف فيه، فأنا أثق بك كل الثقة".

قبض كرم على يده، لقد حمّله واصل أعباء ثقيلة جداً برحيله، تابع "هذا كل شيء يا صديقي، أعلم أنني أثقل عليك، ولكن... ليس لدي خيار آخر، مع حبي" سلم واصل في الفيلم وانتهى العرض.

ابتسم كرم "تثقل علي؟ لقد باتت حياتي جحيماً برحيلك" وضع كرم رأسه على الطاولة منزعجاً، ولكنه تذكر أنه وجد براء، وهذا كان أهم شيء.

نظر كرم في الملف، إنه كبير وقد عمل واصل فيه بإتقان، كل شيء مفصل، كل زاوية وكل قطعة، إنه عمل لا يستطيع أحد القيام به إلا واصل.

نظر كرم قليلاً في الملف، عندها قال: "لم يعد هناك دريم الآن، لقد دمرتَه في الماضي، لقد استطعت القيام بذلك" قام كرم بنسخ الفيلم جانباً إلى الحاسوب ثم قرر أخيراً شطب ملف عمل دريم: "لن يقوم أحد بصناعة دريم غيرك" ثم ضغط على زر "**Delete**" وشطب الملف إلى الأبد.

عاود كرم فتح الفيلم ليشاهد واصلاً ثانية وثالثة، إنه لا يمل أبداً من رؤيته خاصة الآن بعد أن أنهى كل ما كان عليه أن يفعله من أجله.

★★★

مرام كانت قد حضرت الفراش لتنام مع سجال، بحثت له عن بجامة مناسبة فوجدت واحدة بلون رمادي يستطيع سجال أن يرتديها لينام الليلة.

ارتدى سجال البجامة ونام إلى جانب مرام، إنه ينام إلى جانب والدته لأول مرة.

عانقته مرام، لا تريد له أن يغيب لحظة عن ناظرها، سجال كان سعيداً جداً بالهدوء الذي يلف المكان، أغمض عينيه وغط في نوم هادئ عذب بين ذراعي مرام.

لم تمض عشر دقائق حتى رن الهاتف، رفعته بسرعة لكي لا يزعج سجالاً ولكنه كان قد استيقظ.

قالت مرام: "نعم خالتي لمياء" عرف سجال أن لمياء هي المتصلة، قالت مرام: "أنا في المنزل"... ظل سجال يستمع إلى المكالمة من جانب مرام "لابأس سأتدبر أمري، لقد عدت مسرعة فحسب" فهم سجال أن لمياء لا تريد لمرام أن تنام وحدها في المنزل، ولكن مرام لا تريد أن تقول لها أن سجالاً معها..."سأتصل بك في الصباح لا تقلقي علي"... "أجل، أجل، تصبحين على خير" أغلقت مرام الهاتف فقال سجال: "ألا تنامين وحدك في العادة؟" قالت مرام: "لم يمض على سفر والدتي وجدتي أسبوع، معظم الوقت كنت أقضيه في منزل خالتي لمياء، وأحياناً كانت تنام هي معي في منزلي" "أليس هذا جميلاً؟" "ليس

الآن" لفّت مرام سجالاً بيديها وقالت: "لا أريد شيئاً الآن سواك" ابتسم سجال، إنه يعني الكثير الكثير لمرام، لماذا لم يفكر بذلك من قبل؟ حتى إن كان والده قد توفي، فما تزال والدته على قيد الحياة، بل ومستعدة لفعل أكثر مما فعله له والده من تضحية.

أغمض سجال عينيه سعيداً بدفء مرام، يستمع إلى نبضات قلبها الحنون، وينام لأول مرة وقد فهم ألا شيء يعوض الإنسان عن الأم.



الفصل الثمانون

طلع الفجر، مرام لم تنم لحظة واحدة، كانت تراقب سجالاً وتحدق فيه طول الوقت، كانت تخشى أن يغيب عن ناظرها لحظة تفقده فيها، أما سجال فقد كان مستمتعاً بنوم هانئ لم يحلم به من قبل.

بعد لحظات فتح سجال عينيه ونظر إلى مرام التي كانت تراقبه، ابتسمت قائلة: "صباح الخير" كان جميلاً أن يسمع سجال هذه الكلمة لحظة استيقاظه، قال: "صباح الخير، ألم تنمي؟" قالت مرام: "لم أستطع النوم" "لم تنمي!" جلست مرام قائلة: "هل أحضّر لك الحمام؟" قال سجال: "لا ترهقي نفسك، يجب أن تنامي قليلاً" ولكن مرام وقفت قائلة: "سأحضّر لك الحمام، وريثما تستحم أكون قد حضرت الإفطار" سكت سجال، إنه يفهم جيداً أنها مستمتعة بذلك، بل كانت ترغب في القيام به منذ سنين.

نزلت مرام وحضّرت الحمام لسجال، دخل سجال ليستحم فطلبت مرام منه ألا يغلق الباب، لم يرد سجال أن يناقش أمه في أي أمر الآن لأنه يعلم تماماً أنها تقلق عليه حتى من نسيم الهواء.

حضرت مرام الإفطار بينما أنهى سجال حمامه وخرج يضع المنشفة حول رقبته. ركضت مرام إليه وبدأت تنشف شعره جيداً خشية أن يصاب بالبرد. لم يشعر سجال بعناية كهذه من قبل، شعور بالقرب من مرام كان لا يقدر بثمن.

نشفت مرام شعر سجال جيداً ثم أخذته إلى المطبخ حيث أعدت له إفطاراً شهياً، جلس سجال إلى جانب مرام وقد كان سعيداً جداً بذلك،

شعر للحظة أنه كمن يسكن قصراً خيالياً والجميع فيه يعملون على خدمته، ولكن أصحاب القصور لا يعرفون معنى العناية القلبية التي تتميز بها الأم عن أيٍ شخص آخر.

سألت مرام سجالاً عن الطبق الذي يرغب في تناوله، لم يكد يصدق سجال أن مرام تطعمه بيدها! شعر سجال وكأنها تعوض عن ذنب اقترفته بحقه، ولكن... مرام كانت آخر شخص يلام على ما يجري.

نظر سجال إلى مرام قائلاً: "ألا تأكلين؟" قالت مرام: "بلى بلى" ولكنها تابعت إطعام سجال متجاهلة نفسها تماماً.

حمل سجال لقمة بيده ليطعمها بنفسه، فلن تأكل شيئاً إذا لم يفعل ذلك، ولكن مرام كادت تبكي وهي تتناول اللقمة من يد سجال، عانقها سجال وقبّل خدها قائلاً: "أنا أحبك" ضمته مرام إلى صدرها وبدأت تبكي، إنها لا تكاد تصدق أنه إلى جانبها، بعد كل هذه السنين لا يمكن أن يغيب عن عينها لحظة، أخيراً... أخيراً هما معاً.

★★★

لم تكن هناك لحظات أجمل من التي قضاها سجال مع والدته في المنزل، ولكن كان عليه أن يثلج صدر الجميع بعودته أيضاً، كان عليه أن يسرد الحكاية للجميع حتى لمن باتوا الآن أكبر سناً.

رنت مرام جرس منزل مراد ففتح مصعب الباب، نظر سجال إليه، إنه شاب في العشرين، بات نشيطاً وحيوياً، بل يبدو أنه يريد أن يخرج بسرعة إلى مكان ما. قال مصعب: "مرحباً مرام، تفضلي" قالت مرام: "هل خالتي لمياء في المنزل؟" قال: "أجل، إنها في غرفة الجلوس تشاهد التلفاز" دخلت مرام وأدخلت سجالاً معها، شعر سجال أن

مصعباً لم يذكره، أو أنه قد خون ذاكرته حيث كان يريد أن يخرج ولكن مرام استوقفته ليسمع الخبر المهم والحكاية كلها.

دخلت مرام مع سجال ومصعب غرفة الجلوس حيث لمياء، نهضت لمياء تستقبل مرام ولكنها توقفت عندما رأت سجالاً هنا.

ظلت لمياء واقفة لحظة تفكر في السبب الذي يجعل سجالاً يعود إلى منزلها، ولكنها قالت: "أهلاً" قالت مرام: "هل تذكرينه؟ إنه سجال" شعرت لمياء أن مرام تقول ذلك بكل بساطة، الجميع يعرف أن سجالاً كان هنا منذ أكثر من عشرة أعوام، ولكنه... ولسبب يجهله الجميع لم يكبر طول هذه المدة.

قالت مرام: "لديه الكثير ليقوله، ولكن لدي أنا كلمة واحدة يجب أن تبدأ حكايته بها" نظرت لمياء إلى مرام التي تابعت قائلة: "إنه براء، ولد واصل".

جفلت لمياء: "ما الذي تقولينه؟" قالت مرام: "الحقيقة التي بحثنا عنها طويلاً" ظل سجال واقفاً، مصعب حدق به قائلاً: "حقاً!" أشار سجال بالإيجاب فلم تستطع لمياء حمل نفسها وسقطعت على الأريكة فهرع إليها الجميع.

فتحت لمياء عينيها لترى سجالاً بالقرب منها فرفعت جسدها واستجمعت قواها وأمسكت به قائلة: "كيف؟" عندها أجلست مرام سجالاً ليسرد الحكاية كاملة وسط ذهول الجميع.

ما إن أكمل سجال حكايته حتى ركض مصعب ينادي كفاحاً ليسمع، لمياء عانقت سجالاً تبكي، حصل كل هذا ولم يكن أحد يعرف، بل كان واصل هو الوحيد الذي يعرف وأخفى الأمر عن الجميع.

نزل كفاح إلى الغرفة بعد أن أخبره مصعب أطراف الحديث، كان

كفاح قد بات شاباً طويلاً ممشوقاً، لم يعد الصبي الذي يعرفه سجال ويلعب معه دوماً، وقف كفاح يحدق في سجال، إنه هو لم يتغير على الإطلاق!

وقف سجال يستقبله باحترام، ابتسم كفاح قائلاً: "هذا ضرب من الخيال، لا أصدق أن شيئاً كهذا يحدث!" قالت مرام: "بل صدق، إنها الحقيقة" اقترب كفاح من سجال وجثا لينظر إليه فقال سجال: "بتُّ أقصرِ منك بكثير" ابتسم كفاح لا يكاد يصدق ما يرى، أمسكه قائلاً: "أنت لم تتغير ألبتّه" قال سجال: "لقد عدتُ للتو، لم يمض يوم على انتقالي" لم يكد يصدق كفاح ما يسمع! سجال... ولد واصل! ولكن كان كل ما تذكره ليقوله: "لا عجب أن واصلاً كان يفضلك على الجميع" سكت الجميع، هذا أمر لا يستطيع أحد إنكاره، رغم أن واصلاً لم يكن يعرف مسبقاً أن سجالاً هو ابنه، إلا أنه كان يحبه حباً لم يفهم أحدهم حقيقته إلا الآن، لقد كان خير أب.

★★★

بذلك انتشر الخبر بين العائلتين، عاد مراد من سفره ليرى حفيده براء، وعادت شادن مع الجدة التي انتعشت فيها الروح عندما سمعت بالخبر، الجميع كان سعيداً به جداً.

فهم الجميع الحكاية حتى فرِح ورند، كان سجال خجلاً جداً من ذلك ولكن رندَ كانت سعيدة جداً بحكاية درامية مشوقة، فقد كانت دهشتها بالصور الموقع عليها كافية لتأليف حكاية.

اجتمع الجميع في منزل مراد، كانت مرام إلى جانب سجال طول الوقت، ولمياء إلى الجانب الآخر. بدأ سجال يشعر بالخجل من هذه

العناية ومن كل النظرات التي تحدق به.

كان المنزل مليئاً والحديث متفرقاً بين الجميع إلى أن قال كرم: "فليستمع الجميع إلي" سكت الجيمع ينظرون إلى كرم الذي قال: "جميعكم هنا يعرف الحكاية كاملة، أرجو ألا يعلم أحد عن هذا الموضوع غيرنا" قالت شادن: "سنصبح أصحاب أول عنوان في الجرائد" قال مصعب: "أليس هذا جميلاً؟ رحلة في الزمن" نظر كرم إليه نظرة جعلت مصعب يعتذر عما قال.

ثم اقترب كرم من سجال ونظر إليه قائلاً: "الآن، الخيار لك" قال سجال: "خيار ماذا؟" قال كرم: "أنت تعلم الآن أن اسمك هو براء، وسأقوم بنفسي بإعداد كل الأوراق الرسمية التي تحتاجها، لذلك" سكت كرم قليلاً ينظر في عيون سجال ثم تابع قائلاً: "هل تحب أن يكون اسمك براء، أم أنك ترغب في أن يظل سجالاً؟" نظر الجميع إلى سجال، كان قراره مهماً جداً بالنسبة للجميع، ولكن سجالاً لم يفكر طويلاً وقال: "لقد كان والدي يرغب في إطلاق اسم سجال علي منذ البداية، في كل الأحوال لقد اعتدت عليه" قال كرم: "إذن فاسمك سجال كما تريد، سجال واصل مراد" فرح سجال بارتباط اسم واصل به، هذا كان حلماً لطالما تمنى أن يصبح حقيقة، دمعت لمياء لسماعها اسم واصل وساد الصمت المكان لحظة بذكر واصل.

لم يلم أحد سجالاً على قراره، بل إن مرام تذكر تماماً كم كان يرغب واصل في إطلاق اسم سجال عليه، لقد كان معجباً بسجال جداً، ولكن... هل كان يريده أن يكون ابنه؟ من يدري؟

ظل سجال جالساً وسط العائلة، حدق في الجميع حوله وبدأ يفكر "لطالما ظننت أنني وصلت إلى الهاوية، لقد مررت بأسوأ الظروف ولم

أتخيل أن أرى يوماً سعيداً في حياتي، ولكن..." نظر نظرة في جميع الوجوه المنتشرة في الغرفة "لقد تركهم لي والدي، إنهم جميعاً حولي، هذا ما صنعه والدي لي، إنه أثمن شيء يمكن أن أحصل عليه في الحياة، أناس محبون" طأطأ سجال رأسه وابتسم "الحمد لله، شكراً... أبي".

استمرت الجلسة العائلية بمحورها سجال وقتاً، كان سجال سعيداً باهتمام الجميع به، إنه اهتمام لم يلقه في حياته أبداً لا في حاضره ولا في الماضي، نظرتِ مرام إليه قائلة: "الجيمع هنا يحبونك" أشار سجال بالإيجاب سعيداً ولكنه قال لها: "ولكن، بقي هناك..." سكت الجيمع فجأة ينظرون إلى سجال، يستمعون إلى ما سيقول، طأطأ سجال رأسه وقال: "السيد عمرو..." قالت رند: "صحيح، لقد كنتَ تسكن عنده" قال سجال: "لقد اعتنى بي كثيراً، لقد كانت عائلته عائلتي مدة طويلة، بل إنني قد سببت لهم الكثير من المتاعب" قال كرم: "أتريد مقابلته؟" أشار سجال بالإيجاب فقال كفاح: "لن يكون ذلك صعباً" قال سجال: "لقد نقل منزله" قالت رند: "وقد نقل مكان عمله أيضاً" نظر الجيمع إلى رند، كرم كان يعلم أنه بعثها عنده لتتعالج فترة من الزمن وقد أثمر بشكل رهيب، ولكن رندَ تابعت قائلة: "آسفة لأعلمك بذلك، ولكنه قد أفلس" قلق سجال لما سمع كثيراً، تابعت رند قائلة: "باع منزله وعيادته ليصرف على عائلته" قالت فرح: "وأين نجده الآن؟" قالت رند: "ليست لدي فكرة، لا أظن أن أحداً يعرف".

ساد صمت مزعج المكان، سجال كان يعرف أنه السبب في كل ما يجري لعمرو، لقد تدهور حاله مذ دخل السجن نيابة عنه.

وضع سجال يده على رأسه فقال مراد: "لابد أن تكون هناك طريقة

نجده بها" قال سجال: "أريد أن أغني" حدق الجميع به فقال: "أريده أن يستمع إلي، أغنيةٍ واحدة فقط" قالت مرام: "هل أنت جاد؟" نظر سجال إلى مرام قائلاً: "لقد فعلتُ ذلك من قبل وقد أثمر معه، أرجوك... أغنية واحدة فقط" قالت شادن: "من سيستمع إلى أغنية موجهة لعمرو؟" قال سجال: "أستطيع كتابة الكلمات بحيث تناسب الجميع، وسيفهمها عمرو، أنا متأكد" قال كفاح: "إذا شاهد التلفاز حينها" سكت الجميع، كانت جملة كفاح متشائمة جداً، ولكن فرح كسرت الصمت قائلة: "سأتدبر الأمر" نظر سجال إليها فقالت: "والدي يستطيع تدبر الأمر لك، سأطلب منه أن يحجز يوماً في أكبر استاد في المنطقة ويعرض الحفل على الهواء مباشرة" قالت لمياء: "هل يستطيع فعل ذلك؟" قالت فرح: "وأكثر من ذلك" قال مراد: "إذن لقد حسم الأمر" لم يصدق سجال كم يتعاون الجميع معه! إنه محظوظ جداً، قالت فرح: "ألف الأغنية، وعين الوقت الذي تشاء، وسأحضر الفرقة الموسيقية أيضاً".

لم يكن بوسعٍ سجال أن يشكر فرح، إنها ترتب له الأمر بكامله، ولكنه قال فوراً: "الخميس، الخميس القادم" قالت فرح: "لك ذلك، سأتحدث إلى والدي اليوم" قال مصعب: "اليوم الأحد، هل يستطيع تجهيز كل ذلك في أربعة أيام؟" قالت فرح: "لا تفكر في الأمر، ودع كل ذلك لي".

كان ذلك مطمئناً جداً، لم يعلم أحد لماذا اختار سجال الخميس بالذات، كان يريد أن يقابل عمراً الجمعة في الموعد، أفضل وقت سيكون الخميس أو الجمعة صباحاً، ولكن كان عليه أن يترك مجالاً أكبر لكليهما لكي يكون مستعداً.

في نهاية الجلسة صلى الجميع صلاة العشاء جماعة يؤمهم مراد، صلى سجال إلى جانب كرم وكفاح، بينما صلت الفتيات في الصف الثاني، بعدها صلى الجميع ركعتي شكر بعودة ولد واصل إليهم بعد طول غياب.

★★★

حان وقت النوم، بدأ الجميع بالمغادرة ولكن مرام وسجالاً بقيا في المنزل حيث اقترحت مرام أن يناما في غرفة واصل، سأل سجال جدته لمياء: "هل ما تزال غرفته كما هي؟" أشارت لمياء بالإيجاب فصعد سجال مع مرامٍ إلى الغرفة.

إنها فعلاً كما هي، الفراش كما هو، الحاسوب في مكانه، التلفاز والأريكة، كل شيء لم يتغير منذ ثلاثة عشر عاماً! إن الغرفة فعلاً تحمل ذكريات عذبة للجميع، الغرفة التي طالما منع واصل أحداً من دخولها إلا بإذنه.

جلست مرام على الفراش بينما تجول سجال في الغرفة قليلاً ينظر إلى الأدوات، كل شيء في مكانه كما كان يريد له واصل أن يكون، ثم وضع المسند الذي أهداه لرهف على الطاولة بجانب السرير، قالت مرام: "ما هذا؟" قال سجال: "لقد اشتراه والدي... واصل، إنه له" قالت مرام: "لقد اعتنينا بالغرفة أنا وخالتي لمياء، نتناوب على تنظيفها والمحافظة عليها" نظر سجال إلى مرام قائلاً: "هذا رائع" ابتسمت مرام قائلة: "كفاح ومصعب مايزالان ينامان في غرفة واحدة، أظن أن أحدهما لم يجرؤ على الاحتجاج على هذه الغرفة" ابتسم سجال، فهذا مؤكد.

رفعت مرام الفراش لينام سجال إلى جانبها، هذا الفراش كان

يحمل ذكرى جميلة مع واصل، كان دائماً يجلس هنا، بل وقد قضى أكثر من ليلة إلى جواره.

تمدد سجال وضمته مرام بين ذراعيها، ولكن كان هناك شعور مختلف عما شعر به في منزل مرام، هناك شيء غريب، شيء تضفيه هذه الغرفة وجدرانها على نفسه.

لوهلة فتح سجال عينيه ليرى واصلاً يعانق مرام ويضم سجالاً إلى جواره، نعم، هذا ما كان يشعر به، إنه يشعر بوجود واصل إلى جوارهما، إنه هنا، سعيد باجتماعه مع العائلة.



دمعت عيون سجال فرحاً وأغمض عينيه لينام بين ذراعي مرام وواصل، كانت أفضل ليلة قضاها في عمره.

في الصباح خرج سجال مع كفاح إلى قبر ساري، كما وعده سجال بأن

يزوره كل يوم، أما كفاح فقد كان متعجباً من كل ما يجري، جثا أمام التراب حيث الأزهار وقال: "لقد كان أفضل صديق" قال سجال: "لم يكن يريد أكثر من ذلك" وضع كفاح يده على زهرة وقال: "أكاد لا أصدق أنه أيضاً كان من المستقبل! سيكون في نفس عمرك الآن" قال سجال: "إنه هنا منذ أكثر من عشرة أعوام، لقد دفن في الماضي" "هذا مؤسف".

نظر سجال إلى الأزهار وقال: "لقد وعدته أن أظل إلى جواره وأن أزوره كل يوم" قال كفاح: "هذا جميل، سنزوره معاً، فقد كان الأفضل".

ودع كفاح وسجال سارياً وعادا إلى المنزل.

هناك كانت مرام تنتظر سجالاً بقلق، دخل سجال فركضت مرام إليه قائلة: "لقد تأخرتما!" قال كفاح: "لم يمض على غيابنا نصف ساعة!" نظر سجال إلى مرام وقال: "أنا بخير، لا تقلقي".

جلست مرام وقد هدأت قليلاً فقال سجال: "أفهم تماماً ما تشعرين به، ولكن صدقيني أنا قادر على تدبر أمري جيداً" قالت مرام: "لقد كنتَ دائماً تقول ذلك" "الأمر مختلف الآن، لم يعد هناك من يلاحقني" سكتت مرام ولكنها لم تكن مرتاحة بعد، اقترب سجال منها وعانقها قائلاً: "آسف، لن أتاخر ثانية" أمسكته مرام وقالت بصوت قلق: "أنت لن تتركني أليس كذلك؟" نظر سجال إليها، إنها قلقة فعلاً، قال: "بالطبع لن أفعل، أنا سعيد بعودتي إلى هنا" قالت مرام: "حتى عندما تجد السيد عمراً" فهم سجال أن مرام تقصد العودة إلى منزل السيد عمرو والسكن معه، ابتسم سجال قائلاً: "لن أفعل، أريد أن أراه فحسب" "حقاً؟" "بكل تأكيد" جلس سجال إلى جانب مرام وبدأ يقول: "علي أن أجد السيد عمراً لأنني مدين له بتفسير طويل

لكل ما يجري، وباعتذار لا أدري هل سيقبله" سكتت مرام فقال سجال: "لقد مات ابنه بسببي، بل وقتلت ابنته بيدي، لا أستطيع تجاهل شيء من هذا" "وماذا ستقول له؟" "لست أدري، كل ما أعرفه أنه يجب أن أجده، إنه أحق شخص بتفسير واضح لكل ما يجري فقد كان أكثر من ضحّى" سكتت مرام فعانقها سجال قائلاً: "أعدك ألا أتركك مهما حدث، صدقيني كم كنت بحاجة إليك إلى جواري" عانقته مرام بقوة تتمنى فعلاً أن يظل إلى جوارها إلى الأبد.

★★★

مرت الأيام وسجال يتدرب على الأغنية التي ألفها ليلقيها يوم الخميس آملاً أن يستمع عمرو إليها، فرح كانت قد قدمت له معروفاً كبيراً بتجهيز كل شيء، لم يكن على سجال سوى التدرب على الإلقاء والغناء.

كرم كان قد سجل سجالاً في الدوائر الرسمية والمدارس، كان على سجال أن يعاود الذهاب إلى المدارس رغم أنه يعلم أنه لن يجد كفاحاً أو رندَ أو حتى سارياً هناك، كان عليه أن يبني صداقات جديدة.

يوم الأربعاء كان آخر يوم للتدريب، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، لقد تأجل موعد الحفل إلى يوم الجمعة، لم يكن ذلك بيد أحد فقد كانت ترتيبات التلفاز هكذا.

انزعج سجال لذلك كثيراً، يوم الجمعة هو يوم الموعد، عليه أن يضمن أن يشاهد عمرو الحفل ويخرج للقائه، ولكن لم ينته الأمر هكذا، فقد علم أن الحفل سيبدأ الساعة الرابعة مساء، الموعد في الخامسة! الوقت ضيق جداً.

لم يكن لدى سجال خيار آخر، هذا كل ما يستطيع عمله، أن يرسل برسالته إلى عمرو والعالم، ثم يذهب بسرعة إلى النهر حيث الموعد.

★★★

أخيراً اجتمع الكثير من الحضور في المسرح، والكاميرات تصور لتنقل الحفل على التلفاز، كل شيء معد.

سجال كان مايزال واقفاً خلف الستار مع مرام وكرم، كانت مرام ترتب ثياب سجال قائلة: "سيكون كل شيء على مايرام" قال سجال: "أنا معتاد على ذلك، لا تقلقي علي" نظر كرم إلى الحضور من زاوية المسرح وقال: "من يدري؟ ربما يكون الدكتور عمرو هنا" جفل سجال، لم يخطر شيء كهذا في باله، نظر كرم إليه قائلاً: "هذا لن يربكك أليس كذلك؟" أشار سجال بالنفي فشعر كرم أنه ما كان عليه أن يقول شيئاً كهذا.

الساعة باتت الرابعة وأجهزة التلفاز جاهزة للبث، خرج سجال إلى المسرح، كان الجمهور كبيراً وصفق بكل حرارة، نظر سجال في الجمهور، هل يمكن أن يكون عمرو هنا؟ ولكن... ربما لا تكون أول مرة، ربما كان يحضر الكثير من حفلاته دون أن يعلم.

بدأت الفرقة العزف، فأخذ سجال نفساً عميقاً ليركز فيما يفعل، وبدأ يغني:

A father	**الاب**
Is the house adviser who's always there to lend a chair	**حكيم البيتٍ الحاضر دوماً ليجلس على كرسيه**

and to listen for hours ويستمع إليك ساعات
without complaint دون تذمر
and to try and fix ويحاول إصلاح
every single mistake كل خطأ

With a kind heart بقلب حنون
and a tender way وأسلوب لطيف
he'll show you the path سيريك الطريق
and expect no pay دون أن ينتظر الثمن

في مكتب صغير في شركة كان يجلس ماهر يسمع الإذاعة ويحتسي القهوة، توقف عن عمله وأنصت، ثم وضع فنجانه على الطاولة واقترب من المذياع، عندها رفع سماعة الهاتف واتصل في المنزل على الفور.

With his sweet smile بابتسامته الجميلة
he'll shine your day سيضيء يومك
and is always there وهو حاضر دائماً
to keep you safe ليمنحك الأمان
from all that can harm you من كل ما يمكن أن يؤذيك
and the troubles you face ويحل المشاكل التي تعترضك

A knight in shining armor فارس في درعه البراق
is what I'll say هذا ما أصف
about my father به والدي
and his simple way وأسلوبه البسيط
of making me welcome هو الذي يغريني
in his place لأبقى بجانبه
and will keep me there مادمت في
for as long as I'll stay منزله

دمعت مرام، فلم تكن تدري هل كل هذا الكلام موجه إلى واصل أم إلى عمرو، ورفعت لينا السماعة فطلب منها ماهر أن تفتح التلفاز وتجعل والدها يشاهده، ففعلت، وكان عمروٍ جالساً على الفراش تجلس إلى جانبه سناء تعتني به، فرأى سجالاً يغني، حدق عمرو في التلفاز ينظر إلى سجال.

He's the man I love	إنه الرجل الذي احب
and the one I could trust	والذي أثق به
to cure my pain	ليعالج آلامي
with a magical touch	بلمسته السحرية
and a wise word	بحكمته
that gives me thrust	يهبني الدافع
to try again	لأقاوم مجدداً
and never give up	ولا أستسلم

ابتسم عمرو لسماع تلك الكلمات، ونظرت لينا إلى والدتها سناء التي كانت تنظر إلى وجه عمرو الذي ساده ارتياح غريب.

So I'll tell you this	لذلك ساقول لك
make no mistake	لا تخطئ
he'll stake his life	لأنه سيغامر بحياته
to give you faith	حتى تكون على يقين
that everything is going	بأن كل شيء
to be ok	سيكون على ما يرام

So love and cherish him	لهذا أَحبه وتعلق به
for what he's worth	لأنه يستحق ذلك
and say you love him	وقل له أنك تحبه
every single day	كل يوم

to give him strength **and brighten his day** **and make his heart** **lighter in weight**	**لتعطيه القوة** **وتنير له حياته** **وتجعل قلبه** **أكثر رقة**
So please do it now **make no delay**	**لهذا كله، أنا أناشدك وأقول** **افعل ذلك الآن، دون إبطاء**

بدأ سجال يحدق في وجوه الناس الكثيرة، لربما كان عمرو بينهم، ظل يبحث ويبحث في الجميع من أولهم إلى آخرهم، إنه ليس هنا.

أنهى سجال الأغنية وأغمض عينيه مؤكداً أن عمراً ليس بين الحضور.

أغلق الستار وأطفات لينا التلفاز تنظر إلى والدها الذي ساده انتعاش مما سمع.

كان عمرو مريضاً يلازم الفراش منذ مدة، كان الكبر قد بان عليه واللون الأبيض صبغ شعره، تعتني به سناء ولينا التي بلغت الرابعة والعشرين من العمر وحصلت على شهادة في الفنون، أما ماهر فقد كان من يصرف على العائلة من عمله في المحاماة بعد أن حول عن علم النفس منذ زمن.

نظر عمرو إلى الساعة إلى جانبه، إنها الرابعة والربع، علمت سناء فوراً لم ينظر إلى الساعة فقالت: "هل ستذهب؟" لم يقل عمرو شيئاً، كان من الواضح أن سناء لا تصدق أنه يمكن أن يستطيع!

ساد الصمت المكان فقالت سناء: "اذهب" نظر عمرو إليها فنظرت إليه وقالت: "أنت تريد ذلك" قال عمرو: "لقد كنتُ أذهب كل جمعة" قالت سناء: "لا تستطيع أن تخفي عني شيئاً كهذا، لقد كنت أعلم"

ابتسم عمرو فنهضت سناء قائلة: "استبدل ثيابك، سنقوم بإيصالك" ولكن عمراً أمسكها وأشار بالنفي قائلاً: "سأذهب بنفسي" قلقت لينا عليه فحالته الصحية لا تسمح بذلك بكل تأكيد، ولكنه حدق في عيون سناء التي لم تستطع إلا أن توافق.

★★★

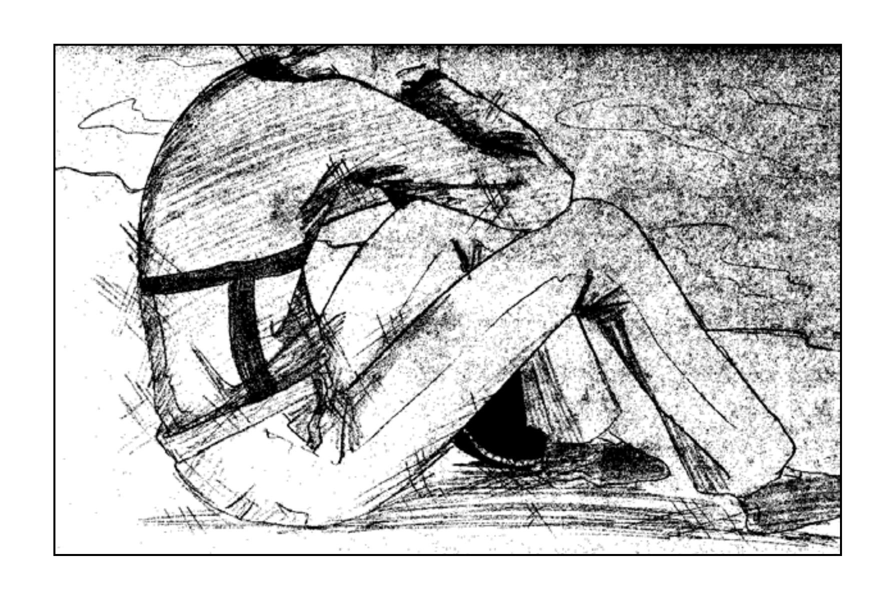
هنأت مرام سجالاً على أدائه الرائع وعانقته باكية من عمق كلمات الأغنية، بينما سأله كرم عما إذا كان متأكداً أن الرسالة قد وصلت عمراً، فنظر سجال إلى ساعته، إنها الرابعة والنصف، عليه أن يخرج بسرعة.

لم يفهم أحد ما يعني سجال أو ما يريد أن يفعل، ولكن لم يكن هناك من يستطيع إيقافه الآن إلا جموع الجمهور الذي كان حول المسرح في كل مكان.

ركض سجال محاولاً الخروج بسرعة ليصل في الموعد، ولكنه بعجلته كان يركض وسط المعجبين.

علق سجال، لم يعد قادراً على الحراك فقد التف الجميع حوله، بات الجميع يعرف أنه هنا قد نزل وسط الناس.

لم يستطع كرم ولا حتى أجهزة الأمن التصرف، لقد علق سجال، لم يعد قادراً على التصرف، في أوقات كهذه كان يضرب من حوله ولكن... لا يستيطع أن يؤذي أحداً هنا.



الساعة باتت الخامسة إلا ربعاً وقد وصل عمرو النهر، جلس هناك ولكنه لم يكن خالي اليدين، لقد كان يحمل علبة، إنها بيت الكمان الذي تركه سجال عنده منذ أول لقاء، إنه يحمله بين يديه.

كان هناك مجموعة من الأولاد يلعبون، اقترب أحدهم منه قائلاً: "يا عم، ألم يحضر بعد؟" ابتسم عمرو له وقال: "سيحضر، لا تقلق" قال صبي آخر: "لقد قلت ذلك لنا كل مرة ولم يحضر!" قال عمرو: "الصبر يا ولدي، الصبر" نظرت فتاة إلى بيت الكمان بين يديه وقالت: "وما هذا؟" عانق عمرو الكمان وقال: "إنه له، أمانة عندي" قال صبي: "هل كان يعزف؟" قال عمرو: "يعزف بمهارة، عندما يحضر سأجعله يعزف لكم" قالت فتاة: "هل هو بارع إلى هذه الدرجة؟" حدق عمرو بالنهر وقال: "أكثر مما تتصورين، إنه بارع في كل شيء" شعر الأولاد أن عمراً قد بات يسرح في خياله، تركوه وتابعوا اللعب.

تسرب سجال من الجمهور بصعوبة وخرج من المسرح، الساعة

باتت الخامسة إلا خمس دقائق، عليه أن يسرع!

خرج كرم مع مرام إلى جانبهم خرج كل من كفاح ومصعب يتساءلون جميعهم أين يذهب سجال؟ قبضت مرام يدها على صدرها تخشى أن يختفي ثانية، أما كرم فقد شعر أن سجالاً مايزال كما عهده، يختفي وقت يشاء، ويظهر وقت يشاء، عليه أن يتصرف في هذا الشأن.

ركض سجال، ركض بأقصى سرعة إلى حيث النهر، كان مظهر شعره وثيابه وكأنه خرج من معركة للتو، لم يكن الخروج من وسط الحشد أمراً سهلاً على الإطلاق، بل وقد أخذ وقتاً أيضاً، عليه أن يسرع حتى يصل في الموعد.

أصبحت الساعة الخامسة وظل عمرو جالساً، لقد حان الموعد، من المفترض أن يحضر في أية لحظة.

جلس صبي إلى جانبه فنظر عمرو إليه وابتسم له فقال الصبي: "عمي، تبدو اليوم شاحباً أكثر من أي يوم" قال عمرو: "بل على العكس، أنا سعيد جداً" اقترب صبي آخر يقول: "هل تحب أن تشرب شيئاً؟" فرح عمرو بلطف الصبيان معه، فليس من عادة هذه الأجيال أن تحترم ما يفكر فيه الكبار، ولكن هدوء عمرو لم يكن كأي هدوء، فقد كان لطيفاً وصافياً، قال: "شكراً جزيلاً لك، لن يطول الأمر" حدق عمرو في النهر ثانية.

كان الأطفال قد اعتادوا على عمرو أن يسكت عندما يحدق في النهر، فعلاً ساد الصمت المكان مدة ولم ينطق أحدهم بأية كلمة.

ركض سجال إلى حيث النهر ولكنه لم يحسب حساباً أن يكون قد جرت تعديلات على المكان، هناك منازل في كل مكان، عليه أن يقطع الطريق إلى الجهة الأخرى.

نظر سجال إلى الساعة، إنها الخامسة وخمس دقائق! ليس لديه وقت ليلف حول المنازل، ركض ودخل باحات المنزل وقفز عن السور ليصبح على الطرف الآخر، لقد بات قريباً.

ركض بأقصى سرعته فوق الرمال ليصل إلى عمرو.

كان الأولاد مايزالون جالسين حول عمرو يشاهدون غروب الشمس راسماً لوناً أحمر على النهر، كان الجو هادئاً جداً وعمرو كان مغمض العينين معظم الوقت.

فتح عمرو عينيه بهدوء عندما قال أحد الصبيان: "يا عم، عد إلى المنزل" عندها قال عمرو متجاهلاً الصبي: "أكاد أسمعه، أسمعه ينادي" نظر الأولاد إلى بعضهم، ظل عمرو يحدق في النهر، عندها قال ثانية: "أكاد أسمع صوت أقدامه تقترب، كلا بل صوت دقات قلبه ينبض بسرعة منهكاً من الركض مسافات طويلة" حدق الأولاد ببعضهم يشعرون أن عمراً يتحدث إلى نفسه.

بدأ عمرو يغمض عينيه بهدوء ويقول: "إنه يناديني..." أغمض عمرو عينيه مبتسماً يقول: "أبي..." عندها سمع الأولاد صرخة من بعيد "أبي!"...

لف جميع الأولاد رأسهم إلى المنادي، كان سجال يقف على التلة ينظر إلى عمرو جالساً على الضفة مرتكزاً على بيت الكمان.

ركض سجال إليه سعيداً برؤيته ينادي: "أبي!..." لم يصدق الأولاد ما يرون! هل هو فعلاً من ينتظره عمرو كل تلك السنين؟



وصل سجال إلى عمرو ولكن عمراً لم يكن يبدي أية حركة، جثا سجال أمامه قائلاً: "لقد أتيت، أنا هنا!" ولكن عمراً لم يفتح عينيه ولم يحرك ساكناً، قلق الأولاد على عمرو بينما عانقه سجال مشتاقاً إليه ولم يشعر بسكونه إلا عندما ارتمت يده عن الكمان إلى الأرض خائرة القوى.

نظر سجال إلى عمرو ساكناً مكانه! قال سجال: "أبي... أبي! أنا سجال، لقد عدت!" ولكن عمراً لم يحرك ساكناً، وقف الأولاد لا يعرفون ما يفعلون، بدأ سجال يهز عمراً لعله يجيب ولكن... ولكن شيئاً لم يتغير عليه، حتى ابتسامته كانت كما هي.

سكت سجال، حدق في عمرو ثم في الكمان، عانق سجال عمراً ثانية وقال بهدوء هذه المرة وقد فهم أن عمراً قد فارق الحياة للتو: "لقد عدت، عدت لأشكرك على كل ما فعلتَ، ولأعتذر إليك لكل ما فعلتُ" بدأ الصبيان يبكون، لقد كان يتحدث إليهم للتو.

نظر سجال إلى وجه عمرو المبتسم فقبل جبينه ويده قائلاً: "لقد كنتَ من رسم لي درباً منيراً، ربيتني واعتنيت بي أكثر من أي شخص آخر، أنا مدين لك" قال أحد الصبيان باكياً: "لقد سمعته ينطق بالشهادة" قال آخر: "لقد كان ينتظرك، كل أسبوع، لم يقطع أسبوعاً" قال آخر: "لم ييأس أبداً" قالت الفتاة: "لقد كان واثقاً أنك ستحضر" ابتسم سجال سعيداً بما يسمع، نظر إلى الأولاد قائلاً: "إنه أعظم إنسان، لا تنسوه أبداً" أشار الصبية بالإيجاب.

بذلك عاد سجال ليعيش الحياة التي بناها له عمرو وجهزها له واصل في منزل سعيد بين أناس يحبونه ويعتنون به، ربما لم يستطع سجال تغيير الماضي، ولكنه تعلم أنه يستطيع أن يتعلم منه لبناء

مستقبل مشرق، فقد ضحى أناس من أجل بناء هذا المستقبل له ولن يفرط به أبداً.

تمت بحمد الله

تاليف: دانة أحمد الجدع

رسوم: دانة أحمد الجدع

الشعر العربي: الأستاذ أحمد الجدع

الشعر الإنجليزي: مودّة شبلّوط

اللغة اليابانية: الدكتورة كوباياشي يومي + دانة الجدع

اللغة الانجليزية: دانة الجدع + هبة العلوان + مودّة شبلّوط

اللغة الفرنسية: هبة العلوان

اللغة الكرواتية: نرمين أهل

اللغة الإيطالية: هبة العلوان

اللغة الروسية: الدكتورة تتيانا نيكولاي + فؤاد حبجوقة

تصميم العنوان: أنس أحمد الجدع

تصميم الشخصيات: دانة الجدع

ملاحظة : القصة ليس لها علاقة بأي شخص أو مساهم في القصة ، كل الأحداث والشخصيات من وحي الخيال .